آية الله العظمى مكارم الشيرازي
نفحات الولاية
شرح عصري جامع لنهج البلاغة
الجزء الرابع

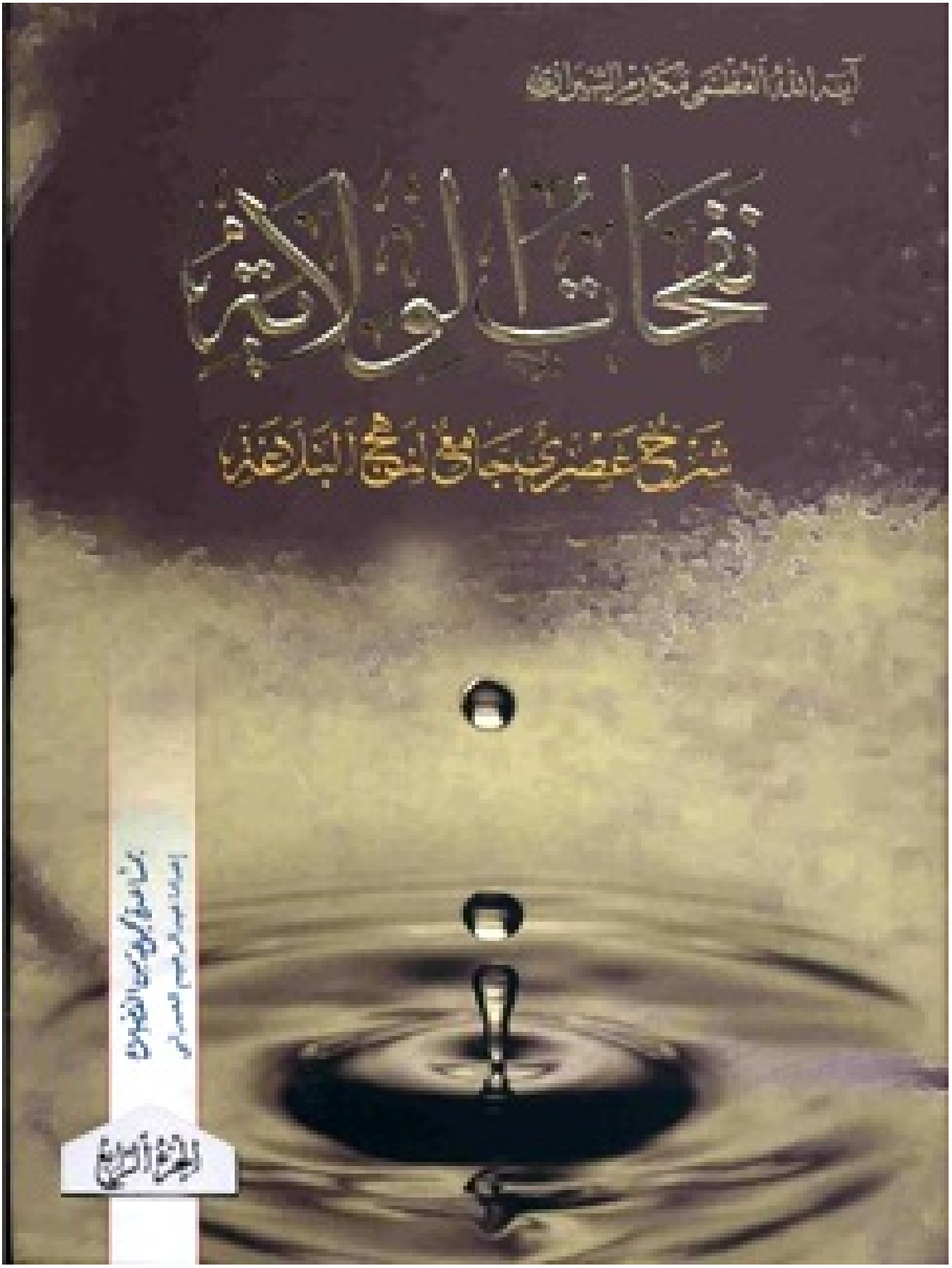

بسم الله الرحمن الرحيم

نفحات الولايه: شرح عصرى جامع لنهج البلاغه

كاتب:

ناصرمكارم شيرازى

نشرت فى الطباعة:

مدرسه الامام على بن ابى طالب (عليه السلام)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
نفحات الولایة المجلد ۴ ----- ۱۶
اشارة ----- ۱۶
الخطبة[۱] الحادیة و التسعون ----- ۱۶
اشارة ----- ۱۶
نظرة إلی الخطبة ----- ۱۷
القسم الأول: جوده لا ینضب ----- ۱۸
اشارة ----- ۱۸
تأمّل: شمول النعم الإلهیة ----- ۲۲
القسم الثانی: معرفة اللّه عن اللّه ----- ۲۲
اشارة ----- ۲۲
تأمّل: الراسخون فی العلم وتفسیر المتشابهات ----- ۲۵
القسم الثالث: العالی علی الخیال والقیاس والظن والوهم ----- ۲۶
القسم الرابع: الحدیث عن تدبیره ----- ۲۷
القسم الخامس: انت المنزه عن الشبیه والثمیل ----- ۲۹
اشارة ----- ۲۹
تأمّل: من هم المجسمة؟ ----- ۳۰
القسم السادس: الممتنع علی احاطة العقول ----- ۳۲
القسم السابع: کلی شیء یستند إلی ارادة اللّه ----- ۳۳
القسم الثامن: سر الخلق ----- ۳۴
اشارة ----- ۳۴
تأمّل: أوضح طریق إلی معرفة اللّه ----- ۳۵
القسم التاسع: خلق السموات ----- ۳۶

اشارة ----- ۳۶
تأمّل: خصائص السماوات ----- ۳۹
القسم العاشر: خلق الشمس والقمر والشهب والكواكب ----- ۳۹
اشارة ----- ۳۹
تأمّلات ----- ۴۱
۱- الكواكب الثابتة والسيارة ----- ۴۱
۲- خصائص الكواكب ----- ۴۱
۳- سعد ونحس الكواكب ----- ۴۱
القسم الحادى عشر: خلق الملائكة ----- ۴۲
القسم الثانى عشر: وظائف الملائكة ----- ۴۳
اشارة ----- ۴۳
تأمّل: لم الملائكة واسطة الوحى؟ ----- ۴۵
القسم الثالث عشر: الانقطاع إلى اللّه ----- ۴۵
القسم الرابع عشر: مدبرات الامور ----- ۴۶
القسم الخامس عشر: خصائص الملائكة ----- ۴۷
اشارة ----- ۴۸
تأمّل: الناس والملائكة ----- ۵۰
القسم السادس عشر: عودا على بدء فى صفات الملائكة ----- ۵۰
اشارة ----- ۵۰
تأمّل: الناس والملائكة ثانية ----- ۵۲
القسم السابع عشر: ظهور اليابسة و استقرار البحار ----- ۵۳
القسم الثامن عشر: ظهور الجبال والعيون ----- ۵۵
اشارة ----- ۵۵
تأمّل: أسرار خلق الجبال ----- ۵۶

القسم التاسع عشر: إحياء الأرض الميتة بالسحب الممطرة ----- ۵۷
اشارة ----- ۵۷
تأمّل: سعة قاعدة اللطف فی التکوین والتشریع ----- ۵۹
القسم العشرون: خلق آدم وبعثة الأنبياء ----- ۵۹
القسم الحادی والعشرون: الرزق وسيلة الامتحان ----- ۶۱
اشارة ----- ۶۱
تأمّل: هل رزق کل إنسان مقدر؟ ----- ۶۳
القسم الثانی والعشرون: العالم بکل شیء ----- ۶۴
اشارة ----- ۶۴
تأمّل: تنوع الکائنات ----- ۶۶
القسم الثالث والعشرون: شمولية العلم الإلهی ----- ۶۶
اشارة ----- ۶۶
تأمّلات ----- ۶۸
۱- العلم الکامل ----- ۶۸
۲- علم اللّه بکافة الخفايا ----- ۶۸
۳- ابن أبی الحديد فی شرح هذه الخطبة ----- ۶۸
القسم الرابع والعشرون: إليک الملاذ و أنت الرجاء ----- ۶۹
اشارة ----- ۶۹
تأمّل: فی اعجاز البيان ----- ۷۰
الخطبة[۳۰۷] الثانية و التسعون ----- ۷۱
اشارة ----- ۷۱
نظرة إلی الخطبة ----- ۷۱
دعونی والتمسوا غيری ----- ۷۱
تأمّلات ----- ۷۳

۱- لم قال دعونی؟ ۷۳
۲- لم لا یتحملوا عدالة علی علیه السلام؟ ۷۵
۳- لم وزارته علیه السلام خیر من إمارته؟ ۷۵
الخطبة[۳۲۴] الثالثة و التسعون ۷۶
اشارة ۷۶
القسم الاوّل: أنا فقأت عین الفتنة ۷۶
القسم الثانی: فتنة بنی أمیة ۸۰
اشارة ۸۰
تأمّلات ۸۲
۱- مميزات الفتنة ۸۲
۲- حکومة بنی أمیة ۸۳
القسم الثالث: انتقام الله من بنی أمیة ۸۳
اشارة ۸۳
تأمّلان ۸۵
۱- ضریبة الفرار من الحق ۸۵
۲- عاقبة بنی أمیة ۸۵
الخطبة[۳۶۳] الرابعة والتسعون ۸۶
اشارة ۸۶
نظرة إلی الخطبة ۸۶
القسم الأول: عجز الفکر عن معرفته ۸۶
القسم الثانی: (ومنها فی وصف الأنبیاء): المکانة الرفیعة للأنبیاء ۸۷
القسم الثالث: فضائل النبی صلی الله علیه و آله ۸۸
اشارة ۸۸
تأمّلان ۹۱

۱- منزلة النبی صلی الله علیه و آله لدی الآخرین ---- ۹۱
۲- اسرة النبی صلی الله علیه و آله ---- ۹۱
القسم الرابع: اعملوا ما استطعتم ---- ۹۲
الخطبة[۳۸۶] الخامسة والتسعون ---- ۹۳
اشارة ---- ۹۳
نظرة إلی الخطبة ---- ۹۳
النور الذی کشف الظلمة ---- ۹۴
الخطبة[۳۸۹] السادسة و التسعون ---- ۹۵
اشارة ---- ۹۵
نظرة إلی الخطبة ---- ۹۵
القسم الأول: الأول والآخر ---- ۹۵
القسم الثانی: کلامه بیان وصمته لسان ---- ۹۶
الخطبة[۳۹۷] السابعة و التسعون ---- ۹۸
اشارة ---- ۹۸
نظرة إلی الخطبة ---- ۹۸
القسم الأول: عبید کأرباب ---- ۹۸
القسم الثانی: شهود الابدان وغیاب العقول ---- ۱۰۰
القسم الثالث: العمل بالتکلیف ---- ۱۰۱
اشارة ---- ۱۰۱
تأمّل: مقارنة بین أهل العراق والشام ---- ۱۰۳
القسم الرابع: صحب النبی صلی الله علیه و آله ---- ۱۰۴
اشارة ---- ۱۰۴
تأمّلات ---- ۱۰۶
۱- ولایة أهل البیت وعصمتهم ---- ۱۰۶

۲- مميزات أهل الكوفة والشام ----- ۱۰۶
۳- حقيقة الصحابة ----- ۱۰۶
الخطبة[۴۳۴] الثامنة والتسعون ----- ۱۰۷
اشارة ----- ۱۰۸
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۰۸
مظالم بنى أمية ----- ۱۰۸
تأمّل: بدع بنى أمية ----- ۱۰۹
الخطبة[۴۴۳] التاسعة والتسعون ----- ۱۱۱
اشارة ----- ۱۱۱
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۱۱
القسم اول: السلامة فى الدين والبدن ----- ۱۱۲
القسم الثانى: سرعة زوال الدنيا ----- ۱۱۲
القسم الثالث: دروس الدنيا وعبرها ----- ۱۱۴
القسم الرابع: هادم اللذات ----- ۱۱۵
اشارة ----- ۱۱۵
تأمّلان ----- ۱۱۶
۱- خداع الدنيا محدود ----- ۱۱۶
۲- أكيس الناس ----- ۱۱۶
الخطبة[۴۶۹] مأة ----- ۱۱۷
اشارة ----- ۱۱۷
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۱۷
القسم الأول: راية الحق ----- ۱۱۷
اشارة ----- ۱۱۷
تأمّلان ----- ۱۲۱

۱- أولیاء الله ---- ۱۲۱
۲- الفشل قنطرة النجاح ---- ۱۲۱
القسم الثانی: هدی آل محمد صلی الله علیه و آله ---- ۱۲۱
اشارة ---- ۱۲۲
تأمّلان ---- ۱۲۲
۱- حدیث النجوم ---- ۱۲۳
۲- آخر مراحل تکامل النعم الإلهیة ---- ۱۲۳
الخطبة[۴۹۰] المأة وواحد ---- ۱۲۳
اشارة ---- ۱۲۳
نظرة إلی الخطبة ---- ۱۲۳
القسم الأول: الشهادة المطلقة ---- ۱۲۴
القسم الثانی: الحق ما أقول ---- ۱۲۴
القسم الثالث: فتنة ضلیل الشام ---- ۱۲۵
اشارة ---- ۱۲۵
تأمّلان ---- ۱۲۷
۱- الملاحم ---- ۱۲۷
۲- الکوفة مرکز الازمات والعواصف ---- ۱۲۷
الخطبة[۵۱۰] المأة واثنان ---- ۱۲۸
اشارة ---- ۱۲۸
نظرة إلی الخطبة ---- ۱۲۸
القسم الأول: هول المحشر ---- ۱۲۸
القسم الثانی: فتنة البصرة ---- ۱۲۹
الخطبة[۵۲۷] المأة و ثلاث ---- ۱۳۱
اشارة ---- ۱۳۱

نظرة إلى الخطبة ----- ۱۳۱
القسم الأول: الدنيا الفانية ----- ۱۳۱
اشارة ----- ۱۳۱
تأمّل: الزهد فی الدنيا ----- ۱۳۳
القسم الثانی: سرعة العمر ----- ۱۳۳
اشارة ----- ۱۳۳
تأمّل: فی الاعتبار ----- ۱۳۴
القسم الثالث: العلماء والمتشبهون بهم ----- ۱۳۵
اشارة ----- ۱۳۵
تأمّل: العلماء الحقيقيون ----- ۱۳۶
القسم الرابع: علامات آخر الزمان ----- ۱۳۷
اشارة ----- ۱۳۷
تأمّل: الفساد فی آخر الزمان ----- ۱۳۹
الخطبة[۵۵۱] المأة واربع ----- ۱۳۹
اشارة ----- ۱۳۹
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۳۹
القسم الأول: النهضة التغييرية للنبی عليه السلام ----- ۱۴۰
اشارة ----- ۱۴۰
تأمّلان ----- ۱۴۱
۱- هل بعث نبی من العرب؟ ----- ۱۴۱
۲- القوة فی الدين ----- ۱۴۱
القسم الثانی: بقر الباطل واخراج الحق ----- ۱۴۱
الخطبة[۵۵۹] المأة و خمس ----- ۱۴۲
اشارة ----- ۱۴۲

نظرة إلى الخطبة ----- ۱۴۲
القسم الأول: صفات النبی صلی الله علیه و آله ----- ۱۴۳
القسم الثانی: زوال حکومة بنی أمیة ----- ۱۴۴
القسم الثالث: التمسک بالإمام ----- ۱۴۶
القسم الرابع: وظائف الإمام والامّة ----- ۱۴۷
الخطبة[۵۹۰] المأة وست ----- ۱۴۹
اشارة ----- ۱۴۹
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۴۹
القسم الأول: خصائص الإسلام ----- ۱۴۹
اشارة ----- ۱۴۹
تأمّلان ----- ۱۵۲
۱- منزلة الدنیا والآخرة فی النظرة الإسلامیة ----- ۱۵۲
۲- الشریعة السمحاء ----- ۱۵۳
القسم الثانی: صفات النبی صلی الله علیه و آله ومقاماته ----- ۱۵۳
اشارة ----- ۱۵۳
تأمّل: إعتراف مهم ----- ۱۵۵
القسم الثالث: تضییع النعم ----- ۱۵۶
الخطبة[۶۲۶] المأة و سبع ----- ۱۵۸
اشارة ----- ۱۵۸
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۵۸
أثلجتم صدری ----- ۱۵۹
الخطبة[۶۴۱] المأة و ثمان ----- ۱۵۹
اشارة ----- ۱۵۹
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۶۰

القسم الأول: تجلی اللّه للعباد ----- ۱۶۰
اشارة ----- ۱۶۰
تأمّل: فی سعۀ علم اللَّه ----- ۱۶۱
القسم الثانی: وصف النبی صلی الله علیه و آله ----- ۱۶۲
القسم الثالث: طبیب سیار ----- ۱۶۲
القسم الرابع: اشباح بلا أرواح ----- ۱۶۴
اشارة ----- ۱۶۴
تأمّل: الوجود الباهت کالعدم ----- ۱۶۵
القسم الخامس: طغاۀ بنی أمیۀ یأتون علی الأخضر و الیابس ----- ۱۶۶
اشارة ----- ۱۶۶
تأمّل: الحکومات المستبدۀ ----- ۱۶۸
القسم السادس: احذروا المستقبل المشؤوم ----- ۱۶۸
القسم السابع: الانقلاب رأس علی عقب ----- ۱۷۰
اشارة ----- ۱۷۰
تأمّل: آثار سلطۀ الأوباش ----- ۱۷۲
الخطبۀ[۶۹۴] المأۀ و تسع ----- ۱۷۲
اشارة ----- ۱۷۲
نظرۀ إلی الخطبۀ ----- ۱۷۲
القسم الأول: الصفات الکمالیۀ للَّه ----- ۱۷۳
القسم الثانی: عبودیۀ الملائکۀ ----- ۱۷۶
القسم الثالث: عالم الآخرۀ ----- ۱۷۸
اشارة ----- ۱۷۸
تأمّل: العشق المقدس والهجین ----- ۱۸۰
القسم الرابع: سکرات الموت ----- ۱۸۱

اشارة ----- ۱۸۲
تأمّل: سكرة الموت والاحتضار ----- ۱۸۴
القسم الخامس: قيامة الناس ----- ۱۸۴
القسم السادس: الثواب والعقاب ----- ۱۸۵
اشارة ----- ۱۸۶
تأمّل: اسلوب الهداية ----- ۱۸۷
القسم السابع: زهد النبى صلى الله عليه و آله ----- ۱۸۸
اشارة ----- ۱۸۸
تأمّل: الشرط الاصلى فى الزعامة ----- ۱۸۹
القسم الثامن: أهل البيت عليهم السلام ----- ۱۸۹
الخطبة[۷۶۹] المأة و عشر ----- ۱۹۰
اشارة ----- ۱۹۰
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۹۰
القسم الأول: فرائض الإسلام ----- ۱۹۱
اشارة ----- ۱۹۱
فلسفة الأحكام ----- ۱۹۵
القسم الثانى: القرآن والسنة ----- ۱۹۶
اشارة ----- ۱۹۶
تأمّل: عاقبة العالم غير العامل ----- ۱۹۸
تعريف مركز ----- ۲۳۰

نفحات الولایة المجلد ۴

اشارة

عنوان و نام پدیدآور : نفحات الولایه: شرح عصری جامع لنهج‌البلاغه/ ناصرمکارم شیرازی، بمساعده مجموعه من‌الفضلاء؛ اعداد عبدالرحیم الحمدانی.

مشخصات نشر : قم : مدرسه‌الامام علی‌ابن‌ابی‌طالب (ع) ، ۱۴۲۶ق.-= ۱۳۸۴.

مشخصات ظاهری : ج.

شابک : ۳۰۰۰۰ ریال : دوره ۹۶۴-۸۱۳-۹۵۸-X: ؛ ج. ۱ ۹۶۴-۸۱۳-۹۰۷-۵ : ؛ ج. ۲ ۹۶۴-۸۱۳-۹۰۸-۳ : ؛ ج. ۳ ۹۶۴-۸۱۳-۹۱۷-۲ : ؛ ج. ۴ ۹۶۴-۸۱۳-۹۱۸-۰ : ؛ ج.۵ : ۹۶۴-۸۱۳-۹۴۱-۵ ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۶۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۰-۵ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۷۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۱-۲ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۸۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۲-۹ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۹۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۳-۶ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۱۰۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۴-۳ :

یادداشت : عربی.

یادداشت : ج ۱- ۵ (چاپ دوم: ۱۳۸۴).

یادداشت : ج. ۶- ۱۰ (چاپ اول: ۱۴۳۲ ق.= ۱۳۹۰).

یادداشت : کتابنامه.

مندرجات : .- ج. ۶. من خطبة ۱۵۱ الی ۱۸۰.- ج. ۷. من خطبة ۱۸۱ الی ۲۰۰.- ج. ۸. من خطبة ۲۰۱ الی ۲۴۱.- ج. ۹. من رسالة ۱ الی ۳۱.- ج. ۱۰. من رسالة ۳۲ الی ۵۳

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- خطبه‌ها

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- کلمات قصار

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- نامه‌ها

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج‌البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده : حمرانی، عبدالرحیم

شناسه افزوده : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج‌البلاغه. شرح

شناسه افزوده : مدرسة الامام علی بن ابی طالب (ع)

رده بندی کنگره : BP۳۸/۰۲ /م۷ ۱۳۸۴

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی : م۸۴-۴۰۳۴۷

الخطبة[۱] الحادیة و التسعون

اشارة

ومن خطبة له علیه السلام

تعرف بخطبة الأشباح وهی من جلائل خطبه علیه السلام

روى عن مسعدة بن صدقة عن الصادق، جعفر بن محمد عليه السلام أنّه قال: خطب أميرالمؤمنين عليه السلام بهذه الخطبة على منبر الكوفة، وذلك أنّ رجلًا أتاه فقال له: يا أميرالمؤمنين صف لنا ربّنا مثلما نراه عياناً لنزداد له حبّاً وبه معرفة، فغضب ونادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله، فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون، فحمداللّه وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه و آله ثم قال ...

نظرة إلى الخطبة

هذه من الخطب القيمة التى تفيض رقة وفصاحة وبلاغة وعذوبة، وهى شهادة اخرى على

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۶

عظمة أمير المؤمنين على عليه السلام وإرتباطه بالعالم القدسى وانفتاحه على خزائن العلم الإلهى.

قال ابن أبى الحديد فى تعليقه على هذه الخطبة

: «إذا جاء هذا الكلام الربانىّ، واللفظ القدسى، بطلت فصاحة العرب، وكانت نسبة الفصيح من كلامها إليه، نسبة التراب إلى النضار الخالص؛ ولو فرضنا أنّ العرب تقدر على الألفاظ الفصيحة المناسبة، أو المقاربة لهذه الألفاظ، من أين لهم المادة التى عبرت هذه الألفاظ عنها؟ ومن أين تعرف الجاهلية بل الصحابة المعاصرون لرسول اللّه صلى الله عليه و آله هذه المعانى الغامضة السمائية؛ ليتهيأ لها التعبير عنها أمّا الجاهلية فانّهم إنّما كانت تظهر فصاحتهم فى صفة بعير أو فرس أو حمار وحش، أو ثورة فلاة، أو صفة جبال أو فلوات؛ ونحو ذلك. وأمّا الصحابة فالمذكورون منهم بفصاحة إنّما كان منتهى فصاحة أحدهم كلمات لا تتجاوز السطرين أو الثلاثة، إمّا فى موعظة تتضمن ذكر الموت أو ذم الدنيا، أو ما يتعلق بحرب وقتال؛ من ترغيب أو ترهيب ...».

ثم أضاف ابن أبى الحديد بعد أن أشاد بالخطبة قائلًا

: «وأقسم أنّ هذا الكلام إذا تأمله اللبيب اقشعر جلده، ورجف قلبه، واستشعر عظمة اللّه العظيم فى روعه وخلده، وهام نحوه وغلب الوجد عليه وكاد أن يخرج من مسكه شوقاً؛ وأن يفارق هيكله صبابة ووجداً»[۲].

على كل حال فانّ هذه الخطبة تشتمل على عدّة أقسام، يكمل كل واحد منها الآخر. وهى على عشرة أقسام:

القسم الأول: فى جانب من صفات اللّه سبحانه وتعالى من أجل إعداد الأفكار لتقبل ما يرد عليها من حقائق.

القسم الثانى: يتضمن إجابة عن سؤال السائل عن صفات اللّه و يجعل القرآن ميزانا فى دائرة أسماء اللّه و صفاته، و يوصيه بالتمسك بآياته سيّما فى هذا البحث.

القسم الثالث: الإشارة إلى عجز الإنسان عن الاحاطة العلمية بكنه الذات و الصفات

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۷

الإلهية المقدسة وما تنطوى عليه من صفات.

القسم الرابع: بحث القدرة الإلهية فى تدبير عالم الخلقة- الذى يمثل المرآة التى تعكس صفاته سبحانه-.

القسم الخامس: الحديث عن خلق السموات العلى والتى تمثل جانباً من عظمة البارئ سبحانه.

القسم السادس: الحديث عن خلق الملائكة وصفاتهم وخصائصهم.

القسم السابع: لفت انتباه الناس إلى العالم العلوى؛ إلى جانب الحديث عن خلق الأرض.

القسم الثامن: خلق آدم عليه السلام وبعث الأنبياء وارسال الرسل.

القسم التاسع: يتحدث عن علم اللّه سبحانه بالغيب واحاطته بكافة أسرار وجود الإنسان وخفاياه و ما يضمره من أعمال و أفكار ونيات.

والقسم العاشر: والأخير حيث يختتم الإمام عليه السلام خطبته العميقة المضامين بأدعيه روحية عظيمة، لتشكل الخطبة بكافة أقسامها

لوحة روحية سامية تلطف روح الإنسان وتأخذ بيده إلى السير نحو اللّه واصلاح فكره وأعماله ٣].

وأمّا سبب تسمية هذه الخطبة بالاشباح فهناك اختلاف بين الشرّاح بهذا الخصوص. فقد ذهب البعض إلى أنّ

«الاشباح»

كناية عن الملائكة، حيث تضمنت الخطبة جانباً مهما فى‌الحديث عنها ومن هنا سميت هذه الخطبة بالأشباح.

كما رأى البعض الآخر أنّ مفردة الأشباح ذكرت فى‌الخطبة، وحيث اعتاد السيد الرضى (ره) على اختيار قطوف من الخطبة، فقد اسقط تلك العبارة والتى احتمل البعض أنّها وردت بهذا الشكل فى‌الخطبة

«وكيف يوصف بالأشباح وينعت بالألسن الفصاح».

وهى العبارة التى أوردها المرحوم الشيخ الصدوق فى‌كتاب التوحيد ضمن خطبة قسما من خطبة الاشباح ۴].

الاحتمال الآخر فى سبب هذه التسمية هو أنّ الخطبة طويلة، وأحد معانى الشبح هو الطول

نفحات الولاية، ج۴، ص: ٨

والامتداد. حيث أورد ابن فارس فى مقاييس اللغة فى تفسير

«الشبح»

قائلًا:

«أصل صحيح يدل على إمتداد الشى فى عرض، من ذلك الشبح»

وهو الشخص سمى بذلك، لأنّه فيه إمتداد أو عرضاً[۵].

وهنا يبرز هذا السؤال: ورد فى مقدمة الخطبة أنّ رجلًا سأل أميرالمؤمنين عليه السلام صف لنا ربّنا مثلما نراه عياناً لنزداد له حبّاً وبه معرفة. فغضب ونادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فصعد المنبر وخطب بهذه الخطبة. والسؤال مم كان غضب الإمام عليه السلام؟

يبدو أنّ هناك بعض النقاط التى ينبغى الالتفات إليها لتتضح الإجابة على هذا السؤال ومنها: صيغة السؤال تفيد أنّ السائل كان يتوقع للّه صفات على غرار صفات مخلوقاته، حيث عبر عن ذلك بالرؤية

«مثلما نراه عيانا»

؛ الأمر الذى يكشف عن عقيدة المجسمة الذين كانوا يرون اللّه جسماً.

أمّا النقطة الثانية فلعل غضبة عليه السلام كان لهذا السبب وهو: لم لايزال بعض المسلمين لا يملكون الرؤية الواضحة عن صفات اللّه سبحانه رغم تقادم الزمان على انبثاق الدعوة الإسلامية وسعة المعارف والعلوم والخزين الدينى.

أو تأسفاً على تلك الحادثة التى أقصت الإمام عليه السلام عن الساحة وجعلته رهين الدار مدة خمس وعشرين سنة ليحول دونه ودون تعليم أبناء الامّة الإسلامية وتعريفهم بالمفاهيم الإسلامية الحقة والمعارف الدينية.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ٩

القسم الأول: جوده لا ينضب

اشارة

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لا يَفِرُهُ الْمَنْعُ وَالْجُمُودُ وَلا يُكْدِيهِ الْإِعْطاءُ وَالْجُودُ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِواهُ وَكُلُّ مانِعٍ مَذْمُومٌ ما خَلاهُ وَهُوَ الْمَنَّانُ بِفَوائِدِ النِّعَمِ وَعَوائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقِسَمِ عِيالُهُ الْخَلائِقُ ضَمِنَ أَرْزاقَهُمْ وَقَدَّرَ أَقْواتَهُمْ وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ وَالطَّالِبِينَ ما لَدَيْهِ وَلَيْسَ بِما سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِما لَمْ يُسْأَلْ الْأَوَّلُ الَّذِى لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ وَالْآخِرُ الَّذِى لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ وَالرَّادِعُ أَناسِيَّ

الْأَبْصارِ عَنْ أَنْ تَنالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ ما اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ الْحالُ وَلا كانَ فِي مَكانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الِانْتِقالُ وَلَوْ وَهَبَ ما تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعادِنُ الْجِبالِ وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدافُ الْبِحارِ مِنْ فِلِزِّ اللُّجَيْنِ وَالْعِقْيانِ وَنُثارَةِ الدُّرِّ وَحَصِيدِ الْمَرْجانِ ما أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ وَلا أَنْفَدَ سَعَةَ ما عِنْدَهُ وَلَكانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخائِرِ الْأَنْعامِ ما لا تُنْفِدُهُ مَطالِبُ الْأَنامِ لِأَنَّهُ الْجَوادُ الَّذِي لا يَغِيضُهُ سُؤالُ السَّائِلِينَ وَلا يُبْخِلُهُ إِلْحاحُ الْمُلِحِّينَ».

الشرح والتفسير

أنّ الدافع إيراد من هذه الخطبة كما وردفى مقدمتها هو أنّ شخصاً سأل الإمام عليه السلام قائلًا:

صف لنا ربّنا مثلما نراه عياناً؛ الكلام الذى تشم منه رائحة القول بالتجسم على اللّه، أو على الأقل الاشتمال على صفات الممكنات. فغضب الإمام عليه السلام غضباً شديدا و تغير وجهه وأورد هذه الكلمات من أجل تهذيب هذه العقائد الفاسدة والأفكار المنحرفة وهدايتها إلى الصراط المستقيم من خلال استعراض صفاته الحقه سبحانه ولذالك فقد استهل عليه السلام الخطبة بأدق

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۰

صفاته سبحانه التى تشير إلى مباينتها لصفات كافة مخلوقاته. فقد قال عليه السلام بادئ ذى بدء:

«الحمداللّه الذى لا يفره ۶] المنع والجمود، ولا يكديه ۷] الاعطاء والجود».

ثم خاض عليه السلام فى الدليل على ذلك قائلًا:

«إذ كل معط منتقص سواه، وكل مانع مذموم ما خلاه».

نعلم جميعاً أنّ أحد الأركان الأصلية لمعرفة صفات اللّه سبحانه وتعالى يكمن فى الاعتقاد بأنّه وجود مطلق من جميع الجهات وليست هناك من حدود لذاته المقدسة وصفاته. فمن الطبيعى أنّ اللامحدود يبقى كذلك مهما أخذ منه؛ أى ليس للنقصان والقلة من سبيل إليه. وعلى هذا الضوء فلو وهب كل إنسان عالماً من المادة، لما نفدت خزائن نعمه. ولهذا أيضاً إذا منع أحد شيئاً فلا يذم عليه. لتعذر تصور البخل على الذات المطلقة. فليس هنالك من سبيل سوى إسناد المنع إلى الحكمة والمصلحة. بعبارة اخرى فانّ عطائه ومنعه يتوقف على الاستعداد والاستحقاق والأهلية، وعليه ينقطع كل كلام ويخرس كل لسان عن الخوض فى هذا الموضوع. جاء فى الحديث القدسى:

«يا عبادى لو أنّ أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد، فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك ممّا عندى شيئاً إلّاكما ينقص المخيط إذا دخل البحر»[۸]

، فمن الطبيعى أن لا يعلق شى من الماء بالابرة إذا ما القيت فيه سوى بمقدار الرطوبة العالقة بها. وهذا أروع مثال لأدنى نقص يطيل أعظم مصدر ومنبع للماء. فالمثال صورة واضحة لعدم تناهى الخزائن الإلهية التى لا تزيدها كثرة العطاء إلّازيادة. كما ورد فى حديث قدسى آخر:

«إن من عبادى من لا يصلحه إلّاالفاقة، ولو أغنيته لأفسده ذلك»[۹]

، ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه عن سائر صفاته سبحانه ذات الصلة بجوده وكرمه وعطائه فقال:

«وهو المنان بفوائد النعم، وعوائد المزيد والقسم»

فالالتفات إلى النعم الإلهية على أساس أنّ وجدان الإنسان يوجب عليه شكر هذه النعم ويشده إلى الحق سبحانه، نرى الإمام عليه السلام يطرق بادىء الأمر هذا المعنى ليعد القلوب لما سيرد عليها من حقائق. والتعبير

«منان»

من مادة من بمعنى كثير العطاء. أمّا فوائد النعم فتنطوى على مفهوم واسع يشمل كافة النعم المادية

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۱

والمعنوية. وأمّا الفارق بين هذه العبارة وقوله:

«عوائد المزيد والقسم»

فقد وردت بشأنه عدّة احتمالات: الأول: أنّ العبارة الاولى إشارة إلى ضروريات الحياة، والثانية إلى الرفاه والدعة وما يدعو إلى الاستقرار واللذة والراحة؛ أى كماليات الحياة. والاحتمال الثانى: أن يكون المراد بالعبارة الاولى النعم الفردية، والعبارة الثانية:

«بالنظر إلى مفردة القسم من مادة قسمة»

المنافع والنعم الاجتماعية. والاحتمال الثالث: أن يكون المقصود بفوائد النعم الأرزاق التى تشمل الإنسان من قبيل الماء والهواء ونور الشمس وضياء القمر وبالتالى مايصله من رزق دون سعى وجهد، والعبارة:

«عوائد المزيد والقسم»

ناظرة إلى الارزاق التى يحصل عليها الإنسان بفعل جده واجتهاده وسعيه ونشاطه وإدارته الصحيحة لشؤون حياته. ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بهذا الخصوص فقال:

«عياله الخلائق، ضمن أرزاقهم، وقدر أقواتهم»

فالتعبير بعيال تشير من جانب إلى محبّة اللَّه ولطفه بعباده، كما أنّها مقدمة لبيان ضمان أرزاقهم من جانب آخر، وذلك لأنّ كل فرد يشعر بعظم مسؤوليته إزاء عياله وأهل بيته. فلا يمكن على اللَّه أنّ يخلق عبداً دون أن يتكفل برزقه. وأمّا ما نراه من جوع فى عالمنا المعاصر و فيما مضى قدأدى بحياة الناس، فذلك ممّا تفرزه طبيعة الحرص والظلم التى انطوت عليها سيرة الطغاة والظلمة والاستغلال الذى يمارسونه بحق الضعفاء والفقراء ونهب أموالهم وخيراتهم.

كما لا ينبغى أن ننسى خنوع البعض وعدم السعى الجاد فى هذه الحياة والافتقار إلى الإدارة الصحيحة. وإلّا فانّ السفرة الإلهية على درجة من السعة والشمول بحيث تلبى احتياجات كافة العباد إلى يوم القيمة. ثم خاض عليه السلام فى النعم المعنوية ليكشف اللثام عن فتح باب الميسرة إلى اللَّه والفوز بقربه وجواره فقال عليه السلام:

«ونهج سبيل الراغبين إليه، والطالبين ما لديه».

وهكذا أبان عليه السلام توفر كافة أسباب سعادة الناس على الصعيد المادى والمعنوى ليهديهم إلى الطريق دون أن يكون هناك من اجبار لنهج هذا السبيل أو ترك ذاك، فللإنسان بمحض إرادته أن يستثمر هذه النعم ويوظفها فى الاتجاه الصحيح. ثم اختتم كلامه بشأن هذه النعم حيث تعرض إلى صفة أخرى من صفاته قائلًا:

«وليس بما سئل باجود منه بما لم يسأل».

فالعبارة تختزن إشارة لطيفة إلى حقيقة وهى أنّ جوده وكرمه على أساس الاستحقاق والاستعداد لا على ضوء الطلب والسؤال، وإن كان الدعاء أحد أسباب نزول النعم الإلهية

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۲

فذلك لأنّ الداعى إذا أعد فى نفسه شرائط الدعاء إنّما يكون قد وسع دائرة استحقاقه واستعداده؛ فالدعاء الصحيح يسوق الإنسان إلى التوبة والإنابة وإصلاح الذات وذكر اللَّه، وكل من هذه المعانى يسهم بقدر فى اتساع حجم الاستحقاق.

قال ابن أبى الحديد فى تفسيره للعبارة:

«وليس بما سئل بأجود ...»

فيه معنى لطيف، وذلك لأنّ هذاالمعنى ممّا يختص بالبشر:

«لأنهم يتحركون بالسؤال وتهزهم الطلبات، فيكونون بما سألهم السائل أجود منهم بما لم يسألهم إياه. وأمّا البارئ سبحانه فانّ جوده ليس على هذا المنهاج، لأنّ جوده عام فى جميع الأحوال»[۱۰].

أضف إلى ذلك فانّ الناس وإثر نقصهم وحاجتهم إنّما يشحون فى العطاء بما هم إليه أحوج من سائر الأشياء التى لا حاجة لهم فيها؛

الأمر الذى ليس به من سبيل إلى الذات الإلهية المطلقة المنزهة عن كل نقص وحاجة. ثم انتقل الإمام عليه السلام إلى بيان أربع صفات من صفات الذات فقال:

«الأول الذى لم يكن له قبل فيكون شى قبله، والآخر الذى ليس له بعد فيكون شى بعده».

فالمفروغ منه هو أنّ الأساس فى معرفة ذات وصفات اللَّه يكمن فى كونه مطلقاً سبحانه لايعرف القيود والحدود واللامتناهى، و هو الكمال المطلق والوجود الدائم من جميع الجهات، فهو كائن ويكون إلى أبد الأبدين.

فالأول فى عالم الممكنات يقال للشىء بالنسبة لمايليه، وفى نفس الوقت لما سبقه بعض الأشياء لأنّ البداية والنهاية فى الممكنات أمر نسبى؛ وتنفرد الذات الإلهية المطلقة بعدم وجود شى قبلها ولا بعدها. ومن البديهى على هذا الاساس أنّ أوليته وآخريته لا تعنى الأول الزمانى ولا الآخر الزمانى و ذلك لأن الزمان يأتى من حركة الموجودات حيث أن الزمان يمثل مقدار الحركة؛ فلا يطلق عليه البعدية والقبلية كما يطلق على الزمانيات؛ وإنّما لم يكن وجوده زمانياً لأنّه لا يقبل الحركة، والزمان من لواحق الحركة، وإنّما لم تطلق عليه البعدية والقبلية إذا لم يكن زمانياً؛ والحركة إمّا نحو الكمال أو النقصان. ونعلم أنّه كمال مطلق لا يشوبه أى نقص. ثم قال عليه السلام فى الصفة الثالثة:

«والرادع أناسى ۱۱] الأبصار عن أن تناله أو تدركه»

فلا العين

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۳

الظاهرة تراه لأنه ليس بجسم فلا مكان له ولا جهة، ولا العين الباطنه يسعها مشاهدة كنه ذاته.

فالمحدود يعجز عن رؤية اللامحدود. فالتعبير بالرادع لا يعنى إنّ اللَّه تعالى خلق فى الأبصار مانعاً عن إدراكه، بل كناية عن ذاته أعظم واسمى من أن ترى بالعين الظاهرة أو الباطنة. فقد قال القرآن الكريم بهذا الشأن: «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ»[۱۲] ولما سأل بنو إسرائيل موسى عليه السلام رؤية اللَّه، جاء الخطاب: «انْظُرْ إِلى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِى فَلَمّا تَجَلّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً فَلَمّا أَفاقَ قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ»[۱۳]، ثم قال عليه السلام فى الصفة الرابعة والخامسة المكملة للصفات السابقة:

«ما اختلف عليه الدهر فيختلف منه الحال، ولا كان فى مكان فيجوز عليه الانتقال»

فالواقع هو أنّ هاتين الصفتين إنّما تشيران إلى نفى الزمان والمكان وعوارضهما عن الذات الإلهية المقدسة؛ الذات المطلقة التى تأبى الحركة، ومن هنا لم تخضع لسيطرة الزمان، ولذلك أيضاً لم يكن للحالات المختلفة والحركة نحو الكمال أو النقصان من سبيل إلى هذه الذات. فاللَّه ليس بجسم ليحتاج إلى مكان. ليس بمحدود ليضمه موضع معين، ومن هنا انعدم تصور المكان عليه سبحانه. ثم عاد الإمام عليه السلام ثانية إلى وصف جوده وعطائه سبحانه ليحدث عن سعة نعمه استثاره لحس الشكر والحمد لدى العباد والأمل بهذه الذات إلى جانب الإرشاد للمعرفة بصفات الجلال والجمال فقال عليه السلام:

«ولو وهب ماتنفست عنه معادن الجبال، وضحكت عنه أصداف البحار، من فلز اللجين ۱۴] والعقيان ۱۵] ونثارة[۱۶] الدر، وحصيد المرجان، ما أثر ذلك

فى جوده، ولا انفد سعة ما عنده، ولكان عنده من ذخائر الانعام، مالا تنفده مطالب الأنام، لأنّه الجواد الذى لا يغيضه ۱۷] سؤال السائلين، ولا يبخله الحاح الملحين».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۴

حقاً ليس هناك من تعبير أروع وأبلغ من هذا التعبير لوصف جوده وكرمه سبحانه وسعة رحمته وشمول آلائه. فلو صبت الدنيا بما فيها من كنوز ومعادن مستترة فى بطون الأرض وأوديتها وجبالها على شخص، لما كان لها تأثير قطرة فى بحر بالنسبة لعظم خزائنه وسعة

بحر جوده وكرمه. كيف لا وقوله

«كن»

الـذى يتبـدل إلى «فيكون» يخلق ما لا نهايـة من هذه الخزائن فى عالم الوجود ومن هنا أيضاً فانّ الحاح الملحين وكثرة طلبات السائلين لاتـدعوه ال القبض والبخـل أو الغضب والغيـظ، فانمـا يغضب من كانت مصادر جوده محـدودة ينقصـها السؤال والعطاء فتشـرف على الانتهـاء وعليه فاذا كانت لـدينا من حاجـة لابـدّ من طرحها على الكريم فهو الكريم والجواد الرحيم فى عطائه وكرمه، والتعبير بالتنفس عن معادن الجبال إشارة لطيفـة إلى طرحهاالمعادن من جوفها بفعل تصدعها والزلازل و التعرية التى تصـيبها مع مرور الزمان و أما تعبير «ضـحك» فهى إشارة إلى الشـقوق التى تحدث فى فوهات الصدف ليسـتخرج منها اللؤلؤ. وهى على غرار الأسـنان الناصـعة التى تبدو كحيات اللؤلؤ حين يضحك الإنسان ذا الجمال. فاذا ما ضحكت هذه الاصداف بانشقاقها ظهرت حبات لؤلؤها وقذفتها خارجاً.

تأمّل: شمول النعم الإلهية

اشـتمل هذا القسم من الخطبة على عدّة امور مهمّة بشأن سعة نعمه سبحانه وافاضتها على العبيد من معادن الفيض الازلى الجياش؛ ليثير الإمام عليه السـلام بذلك أحاسـيس السامعين ويوقظ ضمائرهم، فيستشعروا ضرورة الشكر بحكم بداهة العقل، وهذا ما يقودهم بالتالى إلى الانفتاح على معرفة اللّه سـبحانه والالمام بصـفاته. فقد أشار فى موضع آخر إلى سؤاله عن كل ماتريد ودون سؤال غيره وذلك أنّ كثرة الجود والعطاء ليس لها أن تنقص خزائن كرمه ولو مثقال ذرة، بل أنّها لتربو على الجود والعطاء. وصـرح فى موضع آخر بأنّه على درجـة من الجـود والكرم بحيث لايحتـاج إلى السؤال كمـا هى طبيعـة الممكنـات، فحيثمـا كـان الاسـتحقاق والاسـتعداد كـان الفيض والعطاء. ولعلنا نلمس هذا المعنى فى بعض الأدعية الرجبية:

«يا من

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۵

يعطى من سأله، يا من يعطى من لم يسأله ومن لم يعرفه تحننا منه ورحمة»[۱۸]

، وقد عبر الإمام عليه السلام عن ذلك بقوله:

«وليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل»

، وأخيراً ما أروع عبارته عليه السلام التى تعرضت لسعة جوده وكرمه وعدم تأثرها من قريب أو بعيد بكثرة السؤال:

«ولو وهب مـا تنفست عنه معادن الجبال وضـحكت عنه أصـداف البحار، من فلز اللجين والعقيان ونثارة الـدر وحصـيد المرجان، ما أثر ذلك فى جوده، و لا أنفذ سعة ما عنده ما لا تنفذه مطالب الأنام».

والحـال ليس الإنسان كـذلك مهما كان جوده وكرمه وعطائه، فمثل هـذه الامور تؤثر مباشـرة عليه، وليس ذلك إلّالأنّ كافـة إمكاناته ومصادره محـدودة، ينقصـها العطاء. بينما تتصف نعمه سـبحانه بالدوام وعدم التناهى والانقطاع فهى كذاته سـبحانه مطلقة لاتعرف من معنى للحدود والقيود.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۷

القسم الثانى: معرفة اللّه عن اللّه

اشارة

«فانْظُرْ أَيُّها السَّائِلُ فَما دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فائْتَمَّ بِهِ وَاسْتَضِئْ بِنُورِ هِدايَتِهِ وَما كَلَّفَكَ الشَّيْطانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِى الْكِتابِ عَلَيْكَ

فَرْضُهُ وَلا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه و آله وَأَئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحانَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْناهُمْ عَنِ اقْتِحامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ الْإِقْرارُ بِجُمْلَةِ ما جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ فَمَدَحَ اللَّهُ تَعالَى اعْتِرافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَناوُلِ ما لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيما لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً فَاقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ وَلا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللَّهِ سُبْحانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهالِكِينَ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذا الكلام إلى قاعدة كلية مهمّة وخالدة فى فهم صفات الحق سبحانه وتعالى بحيث لو انطلق الجميع فى حركتهم الفكرية من خلالها لما بقى هناك من اختلاف بما يرتبط بصفاته سبحانه، فقال عليه السلام:

«فانظر أيّها السائل فما ذلك القرآن عليه من صفته فأنتم به، واستضئ بنور هدايته، وما كلفك الشيطان علمه ممّا ليس فى الكتاب عليك فرضه، ولا فى سنة النبى صلى الله عليه و آله وائمة الهدى أثره؛ فكل عمله إلى اللَّه سبحانه، فان ذلك منتهى حق اللَّه عليك».

فالواقع أنّ الإمام عليه السلام قد حدد وظيفة الجميع فى ضرورة معرفة صفات اللَّه بالاستناد إلى القرآن وسنة النبى صلى الله عليه و آله وهدى أئمة العصمة عليهم السلام، والابتعاد تماماً عن الاستبداد

والتمسك بالرأى والتعويل على الأفكار الإنسانية المحدودة بهذا الخصوص، فكل هذه الامور من وساوس الشيطان ومكائده. لأنّ صفات اللَّه مطلقة كذاته ليست محدودة من جانب، ومن جانب آخر فانّ معارف الإنسان وعلومه إنّما تقتصر على المخلوقات، فاذا اتجهوا صوب صفات اللَّه خشى عليهم السقوط فى مستنقع التشبيه على غرار صفات مخلوقاته، ومن هنا فانّ أغلب من ولى ظهره لهذا الأصل الأساسى المتمثل بالرجوع إلى القرآن والوحى وكلمات المعصومين عليهم السلام بُلى بالانحراف وإجراء صفات المخلوق على الخالق، من جهة اخرى فهذا القرآن يهتف بأنديتنا صباح مساء:

«لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»[۱۹]

و

«وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً»[۲۰]

فأنى للإنسان بهذا الفكر القاصر أن يطمع فى معرفة ذات اللَّه وصفاته ولا- يكتفى بمعرفته الإجمالية على ضوء نور الوحى وهدى العصمة الذى ينأى به بعيدا عن الزلل. فلا يمكن معرفة اللَّه إلّا به، وهو كما عرف نفسه وصفاته. وهنا يبرز هذا السؤال: هل صفات اللَّه توقيفية؟

يعنى لا يجوز وصفه إلّامن خلال ما ورد فى الكتاب والسنة؟

ونقول فى الإجابة على هذا السؤال نعم هذا ما عليه أغلب المحققين والعلماء الأعلام، إلى جانب ضرورة مراعاة الحيطة والحذر فى مبحث صفات اللَّه والانفتاح عليها انطلاقاً من الوحى وكلمات المعصومين عليه السلام. بعبارة اخرى فانّ السبيل إلى معرفة اللَّه وصفاته إنّما يمر عبر خط مستقيم يقع على جانبيه مطبين عظيمين؛ مطب التشبيه ومطب التعطيل.

وتوضيح ذلك: إنّ مبحث معرفة ذات اللَّه وصفاته كسائر المباحث التى اكتنفها الإفراط والتفريط. فقد شبه البعض صفات اللَّه بصفات مخلوقاته، حتى اعتبروا صفاته سبحانه زائدة على ذاته على غرار صفاتنا الزائدة على ذاتنا من قبيل العلم والقدرة وسائر الصفات، فقد كنا لانعلم يوماً ثم أصبح لنا علم، ولم نكن أقوياء ثم أصبحنا كذلك، وهكذا اعتقدوا اشتماله سبحانه على هذه الصفات المشوبة بأنواع النقص، ثم اندفعوا أكثر من ذلك ليصوروا له سائر ما لخلقه من جسم وزمان ومكان وجهة، بل ويد ورجل وشعر مجعد وأمثال ذلك.

بينما خالف البعض الآخر هذا الاتجاه تماماً حتى قال بتعطيل معرفة صفات اللَّه، فزعم أننا

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۹

لانعرف شيئاً عن صفات اللَّه ولا يسعنا ادراكها، وكل ذلك حذراً من التورط فى مستنقع التشبيه الذى هوى فيه الفريق الأول.

والحق أنّ الفريقين الأول والثانى على خطأ، فهما لم يستضيئا بنورالوحى وهدى أئمة العصمة عليهم السلام، ومن هنا غرقا فى هالة من الظلام الدامس والجهل المطلق. ولو التزما وصية أميرالمؤمنين على عليه السلام لما قالا- بالتعطيل ولا- التشبيه، ولا- قتنعا بالمعرفة الإجمالية- التى وردت فى العبارات القادمة من هذه الخطبة- ولركنا إلى القرآن وكلمات المعصومين عليهم السلام ليصونا أنفسهما من الزلل والانحراف ولاكتفيا بما وردت عنهم عليهم السلام من كلمات فى صفاته سبحانه، دون أن يحكموا عقولهم القاصرة بهذا المجال فليس للعقل من فعالية تذكرفى هذا الخصوص دون الاستناد إلى الوحى ومعادنه الواضحة، فالحق أنّ هذا الوادى خطير فلا ينبغى أن يقتصوه، وأنّه بحر لجى لا ينبغى لسهم أن يلجوه. فهى ظلمات بعضها فوق بعض ولا يمكن اختراقها الا بمعونة من كشفت له.

جدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام عبر عما ورد فى القرآن بالفرض وسنة المعصومين عليهم السلام بالأثر، ولعل هذا الاختلاف فى التعبير بينها يشير إلى حقيقة وهى لزوم ووجوب التعرف على ما جاء فى القرآن فى باب صفات اللَّه سبحانه. وما وصل عن المعصومين عليهم السلام إنّما هو مبين ذلك الذى جاء فى القرآن.

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى نقطة بالغة الأهمية وهى هداية الراسخين فى العلم عن الانحراف فى معرفة الحقائق القرآنية وذلك لتسليمهم واقرارهم بما خفى عنهم، فاذعنوا لعجزهم عن الخوض فيما غاب عن علمهم. فمدح اللَّه سبحانه هذا الاذعان والاعتراف

«واعلم ان الراسخين فى العلم هم الذين اغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب، الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح اللَّه تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً»،

ثم أوصى عليه السلام بالاكتفاء والقناعة بهذا المقدار دون تحكيم العقل فى الاحاطة بعظمة اللَّه؛ الأمر الذى يؤدى إلى الهلاك

«فاقتصر على ذلك، ولا تقدر عظمة اللَّه سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين».

فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام قد حذر ذلك السائل الذى سأل عن

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۰

صفات اللَّه فى أنّ صفات اللَّه- وعلى غرار كنه ذاته- ليست ميسرة لأىمن الناس؛ وذلك لأنّها غير محدودة، بينما محدود هو الإنسان فى وجوده وذاته وعلمه، ليس للمحدود أن يحيط بكنه وحقيقة الذات والصفات اللامحدودة. وبناءاً على ماسبق فالسبيل الوحيد فى مثل هذه الامور هو الاكتفاء بالمعرفة الإجمالية، ونعنى بذلك الوقوف على هذا الأمر من خلال آثاره سبحانه التى ملأت عالم الوجود، دون إدعاء معرفة كنه الذات، فنقف على علمه سبحانه وقدرته وسائر صفاته على نحو الإجمال دون الاحاطة بهذا العلم والقدرة وما إلى ذلك من الصفات، من خلال تأمل النظام العجيب والمذهل الذى يسود عالم الوجود. ولا بأس هنا بالاستعانة بهذا المثال من عالم المخلوقات؛ فاننا نعلم بوجود ذات وصفات أغلب موجودات وكائنات عالم الخلقة، بينما لانعلم كنهها وحقيقتها. كما نعلم بوجود الزمان والمكان الذان يجريان على حياتنا، ولكن ماحقيقة الزمان والمكان؟ هذا هو الموضوع الذى عجز عن إدراكه كبارالفلاسفة فقدموا لهما عدّة نظريات. كلنّا نعلم بوجود الجاذبية و نلمس آثارها إلّاأنّ أحد لا يعرف ماهى حقيقة الجاذبية؟ فهل هى أمواج خاصة؟ أم ظاهرة مجهولة تؤثر من مسافات بعيدة؟ وأوضح من ذلك أننا ندرك جميع الأشياء بعقولنا، لكن ماحقيقة العقل؟ ليس هناك من إجابة واضحة فالواقع هو أننا نكتفى بالمعرفة الإجمالية فى أغلب ظواهر عالم الممكنات دون العلم التفصيلى بها، وعليه فليس من الغرابة أن نتعرف سطحيا على نحو الإجمال على ذات وصفات الحق سبحانه واجب الوجود دون أن يكون لنا علم تفصيل بها.

وعليه فمن الواضح أنّ الاصرار على إدراك كنه هذه الذات والتعمق فى الصفات امّا أن تزيد من حيرتنا وذهولنا، أو أن تقذف بنا فى

متاهات الضلال ومستنقع التشبيه و تشبيه الخالق بالمخلوق؛ و هو الهلاك المعنوى الذى حذر منه الإمام عليه السلام بقوله:

«فتكون من الهالكين»

تأمّل: الراسخون فى العلم وتفسير المتشابهات

هنا يقتدح إلى الأذهان هذا السؤال: صرح الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة قائلًا:

«ان الراسخين فى العلم هم الذين اغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب، الاقرار بجملة ما

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۱

جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح اللَّه تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما»

ونعلم أنّ عبارته عليه السلام إشارة إلى الآية السابعة من سورة آل عمران «وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلّا اللَّهُ وَالرّاسِخُونَ فِى العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا» فتأويل الآية هو أنّ اللَّه وحده العالم بتأويل آيات القرآن المتشابهة والراسخون فى العلم يعربون عن عجزهم إزاء ذلك؛ أى أنّ جملة والراسخون إستئنافية. إلّاأنّ ما ورد فى أغلب روايات الأئمة المعصومين عليهم السلام ولعلها تربو على الثلاثين رواية أنّهم عليهم السلام قالوا:

«نحن الراسخون فى العلم»

معطوفة على اللَّه. والسؤال المطروح: كيف يمكن حل هذا التضارب بين ما ورد فى خطب نهج البلاغة وما جاء فى الروايات؟ وبعبارة اخرى: هل للراسخين فى العلم من معرفة بمتشابهات القرآن واسرار صفات الحق سبحانه وتعالى أم أنّهم استحقوا صفة الرسوخ فى العلم بسبب قناعتهم بذلك العلم الإجمالى وعدم التعمق فى ماوراء ذلك؟

هناك عدّة روايات ذهبت إلى التصريح بالمعنى الأول، ويصعب تجاهل كل هذه الروايات.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فانّ الخطبة التى نحن بصددها تؤيد المعنى الثانى، وهذا ما أصاب أغلب محققى المسائل الإسلامية والمفكرين بالحيرة والذهول. إلّاأنّ قدراً من الدقة من شأنه أن يجمع بين المعنيين وإزالة ذلك التضارب، ولا يتيسر ذلك من طريق واحد بل من طريقين:

الأول: أنّ الراسخين فى العلم مهما كانت منزلتهم وعلو مقامهم حتى الأئمة المعصومين عليهم السلام فليس لهم ذاتاً العلم بمتشابه القرآن وأسرار صفات الحق سبحانه؛ وما علمهم إلّامن ذلك التعليم الإلهى و الوحى والالهام الغيبى. وهذا ما ذكرناه مسبقاً فى بحث علم الغيب والشفاعة بشأن الآيات القرآنية النافية لعلم الغيب عن أولئك الكرام عليهم السلام والآيات المثبتة لهم علم الغيب فى أنّهم لا- يتمتعون ذاتياً بهذا العلم، وان كان لديهم من علم فبتعليم اللَّه، كما أنّهم لا يمتلكون الشفاعة ذاتاً، ولا يشفعون إلّاباذنه وإلّا لمن ارتضى له اللَّه.

الثانى: أنّ المتشابهات و أسرار المعارف الدينية المعقدة على نوعين: نوع يعلمه الراسخون فى العلم (كتفسير أغلب متشابه القرآن). أمّا النوع الثانى المرتبط بتفسير الآيات القرآنية ذات الصلة بذات اللَّه وصفاته. فالعلم التفصيلى به ليس ميسرا لأىإنسان، وكل ما يسع الإنسان

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۲

إدراكه فعلى أساس المعرفة السطحية والعلم الإجمالى الذى ورد بيانه سابقاً. بعبارة اخرى

فانّ المتشابهات على قسمين؛ قسم يعلمه المعصومين عليهم السلام والراسخون فى العلم، وآخر يتعلق بذات البارئوصفاته لا يعلمه أحد من الناس، والروايات المذكورة ناظرة إلى القسم الأول، بينما التى نشرحها واردة فى القسم الثانى.

والنتيجة فانّ الواو فى الآية الشريفة عاطفة، ومفاد الآية هى علم اللَّه والراسخين فى العلم بتفسير المتشابهات، أمّا العبارة الواردة فى

الآية: «يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا» فهى عبارة منفصلة تعالج بعض المسائل من قبيل كنه الذات والصفات أو زمان القيامة وأمثال ذلك ۲۱].

ومن هنا يتضح ما تعارف بين العلماء الأعلام من أنّ صفات اللّه توقيفية؛ أى لا ينعت سبحانه إلّابتلك النعوت والأسماء التى وردت فى الكتاب والسنة. وإلّا لو فسح المجال أمام الأفكار البشرية لتأخذ سبيلها إلى أسماء اللّه وصفاته، لنعتته بما لايليق بشأنه بفعل قصر هذه الأفكار واقتصار تعاملها مع الممكنات المعروفة بالحدود. ومن هنا وردت التحذيرات التى تميط اللثام عن مدى المخاطر التى تعترض هذا السبيل لو سلك دون الاستضاءة بنور الكتاب وهدى السنة المطهرة. لذلك ردّ الإمام عليه السلام على السائل عن صفات الحق سبحانه وتعالى بالقول

«فما دلّك القرآن عليه من صفته فائتم به، واستضئ بنور هدايته، ... إلى أن يقول عليه السلام فاقتصر على ذلك، ولا تقدر عظمة اللّه سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۳

القسم الثالث: العالى على الخيال والقياس والظن والوهم

«هُوَ الْقادِرُ الَّذِى إِذا ارْتَمَتِ الْأَوْهامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ وَحاوَلَ الْفِكْرُ الْمُبَرَّأُ مِنْ خَطَراتِ الْوَساوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِى عَمِيقاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ وَتَوَلَّهَتِ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِىَ فِى كَيْفِيَّةِ صِفاتِهِ وَغَمَضَتْ مَداخِلُ الْعُقُولِ فِى حَيْثُ لا تَبْلُغُهُ الصِّفاتُ لِتَناوُلِ عِلْمِ ذاتِهِ رَدَعَها وَهِىَ تَجُوبُ مَهاوِىَ سُدَفِ الْغُيُوبِ مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحانَهُ فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لا يُنالُ بِجَوْرِ الِاعْتِسافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ وَلا تَخْطُرُ بِبالِ أُولِى الرَّوِيَّاتِ خاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلالِ عِزَّتِهِ».

الشرح والتفسير

واصل الإمام عليه السلام كلامه بالتطرق إلى ما أورده سابقاً بشأن عجز العقول البشرية عن إدراك صفات اللّه سبحانه بعبارات عميقة ورصينة. كاشفاً النقاب عن حقيقة من خلال قضية شرطية- بأربع جمل شرطية معطوفة على بعضها وجزائين للشرط- وهى أنّ الإنسان مهما كان عميقاً فى تفكيره جاداً عن طريق العقل والشهود لبلوغ كنه صفات اللّه سبحانه، فانّ ذلك لن يتكلل بالنجاح ولا ينبغى أن يكتب له النجاح؛ وذلك لأنّه ذات فوق:

«ما لا يتناهى بما لا يتناهى»

، فعقول الناس قاصرة من جميع الجهات فقد قال عليه السلام

: «هو القادر الذى إذا ارتمت ۲۲]

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۴

الأوهام، لتدرك منقطع ۲۳] قدرته. وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوساوس أن يقع عليه

فى عميقات غيوب ملكوته، وتولهت ۲۴] القلوب إليه، لتجرى فى كيفية صفاته، وغمضت

مداخل العقول فى حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته، ردعها وهى تجوب ۲۵] مهاوى ۲۶]

سدف ۲۷] الغيوب، متخلصة إليه سبحانه»

. فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام أشار إلى أربعة عوامل للبحث فى إطار السعى لمعرفة كنه الصفات؛ الأول: الأفكار العادية الملوثة، والثانى الأفكار المنزهة عن الوساوس، والثالث:

القلوب المفعمة بحب اللّه والتى تحث الخطى باتجاه الشهود، والرابع: والأخير العقول الحادة والدقيقة التى تعتمد الطرق الاستدلالية والنظرية فى تعاملها مع المسائل، ليصفها الإمام عليه السلام فى خاتمة المطاف بالعجز عن إدراك كنه ذاته وصفاته، وأنّ لتلك الذات

والصفات أنوار خاطفة تسلب العقول لبها وتردع أصحاب هذا السبيل من الخوص والتقدم. فهو كما قال الشاعر:

فيك يا أعجوبة الكون غدا الفكر كليلًاأنت حيرت ذوى اللب وبلبلت العقولا

كلما قدّم فكرى فيك شبراً، فرّ ميلًاناكصاً يخبط فى عمياء لايهدى سبيلا

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بأنّ عاقبة حركة هذه العقول والقلوب والأوهام هو العجز، فلا ترى أمامها سوى الاعتراف بسذاجة السعى وتفاهة الحركة التى ليس من شأنها الانفتاح على ذاته وصفاته، فعقول البشر قاصرة عاجزة ليس لها إدراك ذلك بل لاتخطر عظمته وعزته على أفكار العلماء:

«فرجعت إذ جبهت ۲۸] معترفة بأنّه لاينال بجور الاعتساف ۲۹] كنه معرفته، ولا

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۵

تخطى ببال أولى الرويات ۳۰] خاطرة من تقدير جلال عزته».

فالعبارة

«إرتمت الأوهام»

إشارة إلى سرعة حركة الأفكار العادية للناس من أجل كشف عمق وسعة صفات اللَّه.

والعبارة:

«حاول الفكر المبرأ ...»

إشارة إلى أفكار العلماء والمفكرين الذين طهروا أرواحهم من وساوس الشيطان فاصبحت أفئدتهم على درجة من الصفاء بحيث عادت كالمرآة تعكس الحقائق. والعبارة:

«تولهت القلوب إليه ...»

اشتد عشقها حتى أصابها الوله وهو الحيرة، فهى دائبة السعى وحث الخطى لمعرفة اللَّه والانفتاح على ذاته وصفاته والعبارة:

«وغمضت مدخل العقول ...»

إشارة إلى العقول المقتدرة التى انطوت على أدق السبل النظريه الاستدلالية.

فالإمام عليه السلام أشار إلى أنّ الإنسان وإن حكم هذه الطرق الأربع فانّها قد تمكنه من إدراك بعض الحقائق. إلّاأنّ أى من هذه الطرق لا يمكنها إدراك كنه الذات وحقيقة الصفات. والحق أنّ هذا أروع بيان وأبلغه يصور عجز البشر عن إدراك كنه ذاته وصفاته سبحانه. طبعاً هذا ليس معلولًا لخفاء ذاته وصفاته سبحانه، بل اشتد ظهوره حتى حارت الأبصار عن الوقوف على كنهه؛ الأمر الذى نلمسه فى تعذر رؤيتنا لقرص الشمس وهل ذاك لظلامها أم لشدة نورها وضوئها. فاذا كان هذا وضع الشمس التى تعد كوكباً ضائعاً ضمن ملايين الكواكب والمجرات، فما ظنك بذات الحق؟ وبعبارة اخرى: فالإنسان كلما إقترب اكثر غرق فى بحر وهالة من النور والعظمة، لكى لا يجد من سبيل أمامه سوى الاعتراف بالعجز.

وبالطبع فهذا لا يعنى أننا نعتقد بتعطيل صفاته وذاته ونزعم أننا لا نستطيع مطلقاً التعرف على اللَّه، بل ملأت آثار علمه وقدرته وذاته وصفاته عالم الوجود، بحيث نراه فى كل مكان ونستمع لتسبيحه وتنزيهه فى كل موضع؛ وإن كان علمنا على نحو الإجمال لا التفصيل.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۷

القسم الرابع: الحديث عن تدبيره

«الَّذِى ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثالٍ امْتَثَلَهُ وَلا مِقْدارٍ احْتَذَى عَلَيْهِ مِنْ خالِقٍ مَعْبُودٍ كانَ قَبْلَهُ وَأَرانا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ وَعَجائِبِ ما نَطَقَتْ بِهِ آثارُ حِكْمَتِهِ وَاعْتِرافِ الْحاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَها بِمِساكِ قُوَّتِهِ ما دَلَّنا بِاضْطِرارِ قِيامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ فَظَهَرَتِ الْبَدائِعُ الَّتى

أَحْدَثَتْها آثارُ صَنْعَتِهِ وَأَعْلامُ حِكْمَتِهِ فَصارَ كُلّ ما خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلًا عَلَيْهِ وَإِنْ كانَ خَلْقاً صامِتاً فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ ناطِقَةٌ وَدَلالَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قائِمَةٌ».

الشرح والتفسير

جرى حديث الإمام عليه السلام سابقاً عن التحذير فى التعمق فى كنه الذات والصفات، وذلك لتعذر إدراكها على العقل البشرى مهما كانت إمكاناته. فواصل هنا الكلام وبغية عدم تصور غلق باب معرفة اللّه فتطرق عليه السلام على نحو الإجمال إلى طرق معرفة ذاته وصفاته ليكشف عن حقيقة فحواها سمو هذه الذات وغناها المطلق عن الحدود. فهو الذى أفاض الوجود على المعدومات دون الاحتذاء بمثال سابق، أو الاستمداد من خالق آخر

«الذى ابتدع الخلق على غير مثال امتثله ولا مقدار احتذى عليه، من خالق معبود كان قبله».

فالعبارات إشارة إلى أزليه ذاته المقدسة سبحانه من جانب، ومن جانب آخر أنّ مخلوقاته قد وجدت دون تجربة وسابقة؛ فهو خلق جديد وتام بكل معنى الكلمة.

وتعتبر مسألة

«الابداع»

(الخلق دون تجربة) من المسائل المهمّة. حيث تتضح هذه الأهمية من خلال العلم بانّ كافة الابداعات والاختراعات البشرية إنّما تستند لما قبلها من الأمثلة فى

عالم الخليقة. فهى تقتدى أحياناً فى عملها بظاهرة من ظواهر مختلفة فى ما تقوم به من إبداع، و أحيانا أخرى بظواهر تركيبية و تلفيقية مختلفة بالضبط كالرسام الماهر الذى يعكس بريشته بعض الصور الرائعة والجميلة بالاستناد إلى من سبقه فى الرسم والتصوير. فبالطبع لولا وجود هذه الصور والأشياء لما وسع ذلك الرسام هذا الابداع والجمال. أمّا الحق سبحانه فليس كذلك فعمله الابداع دون الاقتداء بالمثال وليس ذلك لأحد سواه. وقد مرّ علينا شبيه هذا المعنى البديع فى الخطبة الاولى من نهج البلاغة بعبارته عليه السلام

«أنشأ الخلق إنشاءاً، وابتدأه إبتداءاً ...».

ثم قال عليه السلام موضحاً ما أورده أن أرانا من عجائب قدرته والآثار الحالية عن تناهى حكمته وحاجة كافة الأشياء إليه بما يدعونا تلقائيا إلى معرفته:

«وأرانا من ملكوت قدرته، وعجائب مانطقت به آثار حكمته، واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمها بمساك قوته، ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته»

بعبارة اخرى فانّ اللّه سبحانه قد أبان آثار قدرته فى عالم الوجود وهى تجرى وفقاً لنظام دقيق وقوانين معقدة تفيد أنّ الابقاء عليها يتطلب علمه وتدبيره الحكيم. فذرات الكون برمتها محتاجه إليه فى خلقها وكذلك فى ادامة حياتها واستمرارها، وهى تحكى بكافة تفاصيلها عن تناهى قدرته وحكمته. بما يجعل الإنسان يقر بضعفه وعجزه والاستضاءة بنور معرفته. ثم واصل الإمام عليه السلام قائلًا:

«فظهرت البدائع التى أحدثتها آثار صنعته وأعلام حكمته، فصار كل ما خلق حجة له، ودليلًا عليه؛ إن كان خلقاً صامتاً، فحجته بالتدبير ناطقة، ودلالته على المبدع قائمة»[۳۱]

نعم فقد غصت أرجاء العالم بعلمه وقدرته وشع نور التوحيد من جبين كافة مخلوقاته وكائناته سبحانه. كما عطر فضاء العالم بحمده وتسبيحه «سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَ نَّهُ الحَقُّ»[۳۲].

وهو المعنى الذى عبر عنه أبوالعتاهية حين أنشد قائلًا:[۳۳]

فيا عجبا كيف يعصى الاله‌أم كيف يجحده الجاحد

وفى كل شى له آيةتدل على أنه واحد

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۹

نعم فاينما وليت وجهك طالعتك آيات اللّه، وإذا أعرت أذنك أى كائن طرقت سمعك ألسنة حال التسبيح والتقديس. فما أكثر الأدلة والبراهين التى تجعلك تدرك تلك الذات المقدسة، أنّهاتمتد لتشمل عدد أوراق الأشجار وقطرات المطر والذرات وخلايا البدن ونجوم السموات والمجرات، وبالتالى جميع ذرات وجود هذا العالم.

والعبارة

«ما دلنا باضطرار قيام الحجة»

لا- تعنى أننا نذعن على نحو الإجبار بوجوده المقدس، بل تعنى أنّ الدلائل على وجوده على درجة من الظهور بحيث لم يبق معها مجال لانكار. كمثل من أحضر إلى المحكمة وقد نصبت للشهادة عليه الأفلام والأشرطة والشهود والقرائن المختلفة، بحيث لا يسعه التنكر لاعماله وأفعاله. فيعبر هنا بانه مضطر للاقرار، فهذا لا يعنى أنّه ارغم على الاقرار من خلال ممارسة الضغوط والتعذيب، حيث أنّ المسألة على قدر من الوضوح، بحيث لا يسعه الانكار.

والعبارة:

«فحجته بالتدبير ناطقة، ودلالته على المبدع قائمة»

إشارة إلى أنّ تدبير عالم الوجود دليل على علمه المطلق وقدرته، كما أن تنوع موجودات العالم المفعمة بالابداعات المذهلة هو الآخر دليل على قدرته المطلقة وعلمه.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۱

القسم الخامس: انت المنزه عن الشبيه والثميل

اشارة

«فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبايُنِ أَعْضاءِ خَلْقِكَ وَتَلاحُمِ حِقاقِ مَفاصِلِهِمُ الْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ وَلَمْ يُباشِرْ قَلْبُهُ الْيَقِينُ بِأَنَّهُ لا- نِدَّ لَكَ وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمَتْبُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ تاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ كَذَبَ الْعادِلُونَ بِكَ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنامِهِمْ وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهامِهِمْ وَجَزَّءُوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّماتِ بِخَواطِرِهِمْ وَقَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى بِقَرائِحِ عُقُولِهِمْ».

الشرح والتفسير

عاد الإمام عليه السلام هنا ثانية إلى بيان صفات اللّه سبحانه وتعالى محذراً من الاقتراب من وادى التشبيه، فلعل دلائل وجود اللّه فى عالم الخلقة والبحث عن آثار عظمته فى كل موضع من مواضع هذا العالم توسوس للإنسان أن يعتقد ببعض الصفات للّه على غرار صفات مخلوقاته، حتى أنّه ليسقط فى مطب التجسيم على اللّه، ليراه جسماً كسائر مخلوقاته.

ومن هنا ابتهل الإمام عليه السلام إلى اللّه قائلًا:

«فاشهد أن من شبهك بتباين أعضاء خلقك وتلاحم ۳۴] حقاق ۳۵] مفاصلهم المحتجبة لتدبير حكمتك، لم يعقد غيب ضميره على معرفتك، ولم يباشر قلبه اليقين بأنه لا ند لك، وكأنه لم يسمع تبرؤ التابعين من

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۲

المتبوعين إذ يقولون تاللّه إن كنا لفى ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين».

فهذه العبارات إشارة واضحة إلى ضلال المجسمة أو المشبهة وشركهم وكفرهم، حيث جعلوا اللّه جسماً ذا أعضاء ويد ورجل وعين واذن فهووا وافى وادى التشبيه ليروه سبحانه مخلوقاً ضعيفاً وعاجزاً فانياً، حتى عبر عنهم القرآن فى الآية الشريفة بأنّهم على ضلال مبين.

والعبارة:

«من شبهك بتباين أعضاء خلقك»

إشارة إلى من له جسم، وجسمه مركب من أعضاء مختلفة. والعبارة:

«تلاحم حقاق مفاصلهم»

إشارة إلى الإرتباط السائد بين الأعضاء وبناء على هذا فانّ أعضاء البدن منفصلة عن بعضها البعض ومنظمة مع بعضها أيضاً، وهذا من حكمة اللّه فى خلقه المخلوقاته، بحيث لولا اشتماله على الأعضاء المختلفة لتحددت أعمالها، كما لو كانت منفصلة تماماً لتعذر تعاضدها وتعاونها فى القيام بانشطتها وفعالياتها. كما أنّ البارئ بحكمته ولطفه قد أخفى هذا الإرتباط بين الأعضاء تحت طبقات اللحم ليصونها من مختلف الحوادث الخارجية. ولا يمكن تصور هذا الأمر إلّافى عالم الخليقة، تعالى اللّه عن ذلك علواً كبيراً، فهو منزه عن الأجزاء والأعضاء ولايحتاج إلى الجسم.

فالإمام عليه السلام يشير إلى أنّ هؤلاء الأفراد الجهال قد إصيبوا بثلاثة انحرافات: الأول: عدم معرفتهم الحقيقية للّه، الثانى: عدم اعتقادهم بوحدانيته، الثالث: أنّهم لم يسمعوا آيات القرآن ولم ينفتحوا على تعليمات هذا الكتاب السماوى، ومن هنا شهدوا على أنفسهم بأنّهم «فِى ضَلالٍ مُبِينٍ». أمّا يوم القيامة حين ترفع الحجب وتتضح الحقائق سرعان ما يقفون على خطأهم، فيتبرأ التابع من المتبوع ويلعن بعضهم بعضا ولا يملكون سوى الندم والخجل يوم لا ينفع الندم؛ الأمر الذى ورد بشكل صريح فى هذه الخطبة.

الجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام قد نسب كلامه السابق إلى الناس، ثم انتقل هنا إلى اللّه؛ الأمر الذى ينبه إلى خطورة القضية التى حذر منها لأنّ التأمل فى الكلام يتوقف على درجة ومكانة المخاطب فكيف به إذا صدر من المشفق. ثم واصل عليه السلام الحديث عن طائفة اخرى من المنحرفين- أى المشركين والوثنيين الذين يعدون جزء من المشبهة- فقال

«كذب العادلون ۳۶] بك، إذ

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۳

شبهوك بأصنامهم، ونحلوك ۳۷] حلية المخلوقين باوهامهم، وجزأوك تجزئة المجسمات،

بخواطرهم، وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح ۳۸] عقولهم»

فقد نفى الإمام عليه السلام بهذه العبارات الرصينة القاطعة- والتى بينت بأربع صور- كافة أنواع الشرك والتشبيه للّه سبحانه بمخلوقاته، وتحذر الجميع من السقوط فى مستنقع الشرك و التشبيه، إلى جانب تعيين الحد الفاصل بين توحيد الموحدين وشرك المشركين.

فقى العبارة الاولى نفى التشبيه بالأصنام.

والعبارة الثانية صرحت ببطلان اضفاء صفات الزينة للمخلوقات على اللّه (من قبيل وصفه من بعض الجهال بأنّه فتى جميل أمرد له شعر مجعد).

والعبارة الثالثة التى تنفى عنه التركب من الأجزاء والأعضاء من قبيل اليد والرجل. والعبارة الرابعة سذاجة الاعتقاد باتصافه بمختلف الحواس (التى لمخلوقاته) من قبيل الباصرة والسامعة والشامة وهكذا تتحطم معاقل الشرك من مختلف الجوانب.

تأمّل: من هم المجسمة؟

تطلق المجسمة (بكسر السين) على من نسب الجسمية للّهو هم الذين يقولون بأنّ له يد ورجل واذن وعين، كما يقال لهؤلاء المشبهة

بكسر الباء، وذلك أنّهم يشبهون اللَّه سبحانه بمخلوقاته المادية. ويبدو أنّ مثل هذا الاعتقاد كان سائدا بين أفراد البشر منذ قديم الزمان حيث جعلهم قصر فكرهم يعجزون عن تصور ماوراء هذه الطبيعة المادية، حتى ألفوا الماديات والجسام فظنوا أنّ اللَّه سبحانه مثلهم أو كسائر الأجسام المادية. ومن هنا نشأ الاعتقاد بسائر المعبودات كالشمس والقمر والكواكب وسائر أجسام المشابهة. ويفيد تأريخ اليهود رسوخ عقيدتهم بجسمية الحق سبحانه وتعالى ومن ذلك مدى اصرارهم على نبيهم موسى عليه السلام فى أن يريهم اللَّه سبحانه جهرة ولا تخفى علينا قصة جبل الطور والصاعقة التى

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۴

أخذت طائفة من بنى إسرائيل فبعد أن نجى بنى اسرائيل من البحر أتوا موسى عليه السلام وقد مروا بقوم يعكفون على أصنام لهم فقالو لنبيهم موسى عليه السلام اجعل لنا إلها كما لأولئك، بل لم يثوبوا إلى رشدهم حتى بعد أن أخذتهم الصاعقة، ثم سارعوا لعبادة العجل الذى أخرجه لهم السامرى، حتى ضلت فيه جماعة من بنى‌اسرائيل. فرجع اليهم موسى عليه السلام غضبان أسفاً وآخذهم بما فعلوا.

تاريخ النصارى أيضاً يشهد بأنّ عقيدة التثليث (اللَّه والابن والروح القدس) كانت شائعة بين النصارى والتى تفيد القول بالجسمية على اللَّه. فهم يصرحون جهرة بأنّ المسيح عليه السلام ابن اللَّه وأنّه أحد الآلهة الثلاث. والحال لم يكن المسيح عليه السلام سوى بشراً من سائر الناس.

ولما نزل القرآن الكريم على صدر الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله أبطل هذه العقائد الفاسدة بما فيها القول بالتجسيم والتشبيه. والشاهد على ذلك الآيات القرآنية: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ»[۳۹] و: «لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ»[۴۰] و «لَنْ تَرانِى»[۴۱] و «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ»[۴۲] و «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ»[۴۳] و «فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ»[۴۴] التى تنفى جسمية اللَّه سبحانه وتعالى إلّاأنّ المؤسف له هو أنّ بعض الأفكار الانحرافية الموروثة من الامم الوثنية واليهودية والنصرانية والمجوسية قد وردت الإسلام لتخترق عقائد بعض السذج من المسلمين الذين اصطلح عليهم بالمجسمة أو المشبهة.

ولعل بعض التعبيرات الكنائية التى وردت فى بعض الآيات القرآنية من قبيل الآية الكريمة: «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ»[۴۵] والآية: «الرَّحْمنُ عَلى العَرْشِ اسْتَوى [۴۶] قد أصبحت ذريعة لدى بعض المنحرفين من أصحاب النظرة القاصرة والأفكار الضيقة و المنحرفة ليحثوا الخطى نحو هذه المذاهب المشركة الفاسدة؛ والحال من المسلم به أنّ اليد فى الآية تعنى القوة

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۵

والقدرة واستوى بمعنى السلطة والسيطرة، لا بمعنى الجلوس والاستقرار على الشى، وبالطبع فانّ هذه الكنايات كانت سائدة لدى مختلف الأقوام قبل نزول القرآن وبعده، من قبيل قولهم، ليس له يد على هذا الأمر، وهكذا فإن مفردة الاستواء التى تستعمل بشأن استيلاء سلطان وسيطرته على بلاد.

وناهيك عما سبق فانّ الأدلة العقلية والمنطقية هى الاخرى تنفى بوضوح أية جسمية عن اللَّه؛ لأنّ كل جسم محدود وله زمان ومكان واجزاء، وعليه فهو محتاج من مختلف الجهات، ونعلم أن ليس للحاجة والمحدودية من سبيل إلى ذاته المطلقة سبحانه. والأهم من كل ذلك أنّ كافة الأجسام يعتريها التغيير بل وحتى الزوال، فى حين ليس لهذا التغيير والزوال أن يدنس ساحة كبريائه وعظمته.

ورغم كل ما مرّ من أدلة واضحة، فمما يؤسف له- كما أشرنا إلى ذلك سابقاً- فانّ عقيدة الجسمية المنحطة قد طالت جمعاً من جهال المسلمين حتى أوغلوا فى الانحراف والضلال، و حسب ما نقله «المحقق الدوانى» فان البعض يعتقد بأنّه جسم مركب من لحم ودم تنبعث منه أشعة قضية شفافة وله قامة من سبعة أشبار، كما اعتقد البعض الآخر بانه على هيئة شاب أمرد له شعر مجعد حسب ما ذكره المحقق الدوانى بشأن هذه الفئات الضالة.

فقد أورد العلّامة الحلى فى كتابه منهاج الكرامة قصة عن بعض المجسمة، لا بأس أن أنقلها.

فقد حكى عن بعض المنقطعين التاركين من شيوخ الحشوية أنّه إجتاز عليه فى بعض الأيام نفاط ومعه أمرد حسن الصورة قطط الشعر على الصفات التى يصفون ربّهم بها. فألح بالنظر إليه ليلا وكرره، فتوهم منه النفاط أمراً، فجاء إليه ليلًا وقال له: رأيتك تلح بالنظر إلى هذاالغلاموقد أتيتك به، فان كان لك فيه نية فأنت الحاكم. فرد عليه وقال: إنّماأكررت النظر لأنّ مذهبى: أن اللَّه ينزل على صورة هذا الغلام، فتوهمت أنّه اللَّه. فقال له النفاط: واللَّه ما أنا عليه من النفاطة أجود ممّا أنت عليه من الزهد مع هذه المقالة.[۴۷]

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۷

القسم السادس: الممتنع على احاطة العقول

«وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ ساواكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ وَالْعادِلُ بِكَ كافِرٌ بِما تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَماتُ آياتِكَ وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَواهِدُ حُجَجِ بَيِّناتِكَ وَإِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِى لَمْ تَتَناهَ فِى الْعُقُولِ فَتَكُونَ فِى مَهَبِّ فِكْرِها مُكَيَّفاً وَلا فِى رَوِيَّاتِ خَواطِرِها فَتَكُونَ مَحْدُوداً مُصَرَّفاً».

الشرح والتفسير

عاد الإمام عليه السلام هنا مرة اخرى إلى قضية انحراف المشركين والقائلين بالتشبيه، ليشهد عند اللَّه ثانية بانحرافهم، وما ذلك الا لسماع المخاطبين وتحذيرهم من الوقوع فى هذا المستنقع النتن.

فقد قال عليه السلام:

«وأشهد أن من ساواك بشى من خلقك فقد عدل بك، والعادل بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك، ونطقت عنه شواهد حجج بيناتك».

يبدو أنّ هناك فارقا بين شهادة الإمام عليه السلام هنا فى انحراف المشركين، وتلك الشهادة السابقة.

حيث وردت فى طائفتين. فالشهادة السابقة إنّما وردت بشأن الوثنيين الذين شبهوا اللَّه بالأوثان والأصنام واتخذوها أرباباً من دون اللَّه. أى كانوا يسألونها حاجاتهم ومن هنا عبدوها واتخذوها آلهة. أمّا الشهادة التى وردت هنا فهى ناظرة لُاولئك الذين سووا به بعض خلقه فى جميع الجهات، كالثنوية من الوثنيين الذين يعتقدون بوجود إلهين هما إله الخير وإله الشر، والنصارى القائلين بالتثليث (الأب والابن والروح القدس). فقد اعتبر الإمام عليه السلام هؤلاء كافرين بمحكمات القرآن والحجج البينة:

«كافر بما تنزلت به محكمات آياتك، ونطقت عنه شواهد حجج بيناتك»

يمكن ان تكون العبارة

«محكمات الآيات» و «الحجج البينات»

كلاهما

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۸

إشارة إلى آيات تنفى صراحة أى نظير وشبيه للَّه، من الآية الشريفة «قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً»[۴۸] والآية: «فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»[۴۹].

كما يحتمل ان يكون المراد بالآيات المحكمات آيات توحيد صريح القرآن الكريم والحجج البينات الأدلة العقلية التى تنفى عن اللَّه سبحانه أى شبيه ونظير.

ويؤيد هذا الاحتمال العبارات اللاحقة:

«وأنك أنت اللَّه الذى لم تتناه فى العقول، فتكون فى مهب ۵۰] فكرها مكيفاً، ولا فى رويات خواطرها فتكون محدوداً مصرفاً».

فقد أشار الإمام عليه السلام فى العبارة الاولى إلى عدم إدراك العقول لكنه ذاته وصفاته سبحانه التى أشير إليها فى بداية الخطبة. كما أشار فى العبارة الثانية إلى عدم إحاطة الأفكار بهذه الذات المطهرة، وذلك لأنّ هذه الأفكار لو أحاطت به، لكان محدوداً بالضرورة،

وما كان محدوداً طرأ عليه التغيير والزمان والمكان والجهات الاخرى

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۹

القسم السابع: كلى شىء يستند إلى ارادة اللّه

ومنها: «قَدَّرَ ما خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْديرَهُ وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبيرَهُ وَوَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ الِانْتِهاءِ إِلَى غايَتِهِ وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرادَتِهِ فَكَيْفَ وَإِنَّما صَدَرَتِ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ».

الشرح والتفسير

ذكرَّ الإمام عليه السلام هنا مرّة اخرى بعالم الخليقة والتدبير الإلهى فى تنظيم شؤون الخلق وأنّ هذا التدبير والنظام إنّما يستند إلى جلال الحق وجماله، الذى خلق كل شى بمقدار واخضعه لتدبيره وهداه إلى سبيله:

«قدر ما خلق فأحكم تقديره، ودبره فألطف تدبيره، ووجه لِوجهته»

وهكذا يكون الإمام عليه السلام قد بين المراحل الثلاث

«التقدير» و «التدبير» و «التوجيه».

فالتقدير خلق الكائنات بمقدار، والتدبير إدارة شؤونها وفق الخطة والمسيرة المرسومة لها، والتوحيد تمهيد السبيل وإعداد الظروف اللازمة لهذه الحركة من أجل بلوغ الهدف وتحقيق الغاية، حيث تسير كل هذه المراحل على ضوء برنامج معين منظم غايه فى الدقة بالشكل الذى لم يدع مجالا لكائن من كان أن يسير بطريق عشوائى، لا فى انبثاق خلقه ولا فى ديمومته بحيث يشذ عن ذلك النظام والقانون. ومن هنا أشار الإمام عليه السلام إلى هذا الأمر فى أنّ أحداً من الموجودات لم يتجاوز حدوده، ولم يقصر فى بلوغ الهدف، ولم ينطلق فى حركته الاعلى أساس ارادة اللّه سبحانه وأنى له التمرد على هذه الإرادة التى تستند إليها جميع الإرادات:

«فلم يتعد حدود منزلته، ولم يقصر دون الانتهاء إلى غايته، ولم يستعصب إذ أمر بالمضى على إرادته، فكيف وإنّما صدرت الامور عن مشيئته؟».

فالواقع هذه العبارات تحول دون التصور بأنّه حركات كافة

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۴۰

الكائنات الأرضية والسماوية بما فيها النباتات والحيوانات والناس والكواكب واجتيازها لمراحل النحو والتكامل يجرى بصورة عشوائية. فهى تسير بوحى من أمره وإرادته على ضوء الخطة المعدة لها سلفاً ولايسعها تخطى تلك الخطة بأى حال من الاحوال. وعليه فعالم الوجود يدار بمنتهى النظام والدقة. و لعلنا نلمس الإشارة إلى المراحل الثلاث المذكورة فى الآيات القرآنية، ومن ذلك الآيات ۳۸- ۴۰ من سورة يس: «وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذ لِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ* وَالقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتّى عادَ كَالْعُرْجُونِ القَدِيمِ* لا الشَّمْسُ يَنْبَغِى لَها أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ».

ناهيك عن سائر الآيات القرآنية التى أشارت إلى هذه الحقيقة وهنا لابدّ من الالتفات إلى أمرين: الأول هو أنّ ما ورد فى العبارات المذكورة بشأن الأوامر و تبعية المخلوقات للمشيئة الإلهية إنما هو إشارة إلى الاوامر التكوينية، أو بعبارة اخرى: إشارة إلى القوانين التى أجراها اللّه سبحانه فى عالم الوجود وسيره على أساسها، بالشكل الذى يحول دون تجاوزها لهذه القوانين. والأمر الثانى أنّ هذا الكلام لا يعنى إجبار الإنسان على أفعاله وذلك لأنّ اللّه سبحانه جعل صفة الاختيار وحرية الإرادة أحد تلك القوانين التى تسير عالم الوجود، وليس للإنسان قط أنّ يسلب نفسه هذه الصفة، وبعبارة اخرى فانّ حرية الإنسان أيضاً بأمره سبحانه وتعالى

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۴۱

القسم الثامن: سر الخلق

اشارة

«الْمُنْشِئُ أَصْنافَ الْأَشْياءِ بِلا رَوِيَّةٍ فِكْرٍ آلَ إِلَيْها، وَلا قَريحَةِ غَريزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْها، وَلا تَجْرِبَةٍ أَفادَها مِنْ حَوادِثِ الدُّهُورِ وَلا شَريكٍ أَعانَهُ عَلَى ابْتِداعِ عَجائِبِ الْأُمُورِ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِطاعَتِهِ، وَأَجابَ إِلَى دَعْوَتِهِ، لَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِئِ، وَلا أَناةُ الْمُتَلَكِّئِ، فَأَقامَ مِنَ الْأَشْياءِ أَوَدَها، وَنَهَجَ حُدُودَها، وَلاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضادِّها، وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرائِنِها، وَفَرَّقَها أَجْناساً مُخْتَلِفاتٍ فِي الْحُدُودِ وَالْأَقْدارِ، وَالْغَرائِزِ وَالْهَيْئاتِ، بَدايا خَلائِقَ أَحْكَمَ صُنْعَها وَفَطَرَها عَلَى ما أَرادَ وَابْتَدَعَها!».

الشرح والتفسير

خاض الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة فى كيفية خلق الموجودات على أنّ اللّه سبحانه وتعالى خلقها من دون حاجة إلى التفكير، أو غريزة مستترة فى الباطن، إلى جانب الغنى عن تجارب الماضى وسالف الدهور، وبالتالى دون الحاجة إلى عضيد وشريك

«المنشى أصناف الأشياء بلا روية فكر آل إليها، ولا قريحة[۵۱] غريزة أضمر عليها، ولا تجربة أفادها من

حوادث الدهور، ولا شريك أعانه على ابتداع عجائب الأمور».

فالواقع هو أنّ أُسس علمنا ومعرفتنا بالحقائق إنّما تستند إلى أحد أربع: الفكر والتروى، أو الالهام الباطنى الذى يصطلح عليه بالغريزة، أوالتجربة التى يحصل عليها الإنسان من

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۴۲

خلال تكرار الحوادث، و أخيرا العون الذى يحصل عليه من الاستعانة الخارجية لأصحاب الفكر الذين يعينونه فى القيام ببعض الأعمال والابداعات. وبالطبع فانّ الحق سبحانه وتعالى ليس بحاجة لأىمن هذه الاسس والمصادر فهو العالم بكل الأشياء، وهى حاضرة عنده، وليس هنالك من حقيقة خارجة عن دائرة علمه المطلق. فالفكر إنّما يستفيده من كان له معلومات ومجهولات، يروم توظيف معلوماته لكشف أسرار هذه المجهولات. والالهام الغريزى إنّما يعتمده من غابت عنه الحقائق ولاتتضح له إلّامن خلال هذا الالهام. وأمّا التجربة وتكرار العمل للوقوف على النتائج فانما ترتبط بمن يجهل نتائج الامور وأخيراً فان الاستعانة بافكار الآخرين إنّما يختص بضعف الأفراد وعجزهم إلى جانب قصور فكرهم؛ فما حاجة الذات المطلقة لمثل هذه الامور وهى بتلك الخصائص والصفات؟

وبغض النظر عما سبق فانّ العبارات بدورها ترشد الإنسان الجاهل إلى الظفر بمصادر المعرفة، وأنّ هذه المصادر الأربعة تمكننا من حل المشاكل التى تواجهنا فى حياتنا اليومية. ثم أشار الإمام عليه السلام إلى نقطة اخرى بهذا الشأن وهى قطعية حاكمية قوانين الخلق على كافة الكائنات:

«فتم خلقه بأمره وأذعن لطاعته، وأجاب إلى دعوته، لم يعترض دونه ريث ۵۲]

المبطئ، ولا أناة[۵۳] المتلكى»[۵۴].

فهذا الموضوع إشارة أيضاً إلى قدرة اللّه ونظامه الرصين فى عالم الخلق، حيث تسير كافة هذه الموجودات على ضوء قوانين معينة وهى مؤتمرة بأمره، فهى لا تتخلف عن هذه القوانين ولا تتقدم عليها. فقد صرح القرآن الكريم بهذا الخصوص قائلًا: «ثُمَّ اسْتَوى إِلى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ»[۵۵].

أضف إلى ذلك فهى تشتمل على رسالة واضحة لكافة الناس فى الانسجام وعالم الخلق وتبعية هذه القوانين الإلهية، دون التقدم عليها أو التخلف عنها، بهدف بلوغ الغاية والظفر بالفلاح والسعادة.

ثم اختتم عليه السلام كلامه بالاشارة إلى خمسة امور جديرة بالتأمل بشأن نظام الخلق وأسرار عالم

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۴۳

الخلقة، الأول: استواء هذه الموجودات دون أى اعوجاج او انحراف:

«فأقام من الأشياء أودها»[۵۶]

الثانى: أنّه عين لها المسار الذى ينبغى لها أن تسلكه

«ونهج حدودها».

الثالث: تأليفه بين الأشياء المتضادة بقدرته

«ولاءم بقدرته بين متضادها»

. الرابع: ربطها مع نظائرها

«ووصل أسباب قرائنها».

والخامس: تقسيمها إلى أنواع مختلفة على أساس الحدود والأجناس والمقادير والغرائز والاشكال والهيئات

«وفرقها أجناسا مختلفات فى الحدود والأقدار والغرائز والهيئات»

وهكذا تمّ نظام الخلق وتكامل من جميع الجهات ليقوم بوظائفه على اختلاف أنواعه وأجناسه كوحدة واحدة ضمن قانون واحد. وأبعد من ذلك تعاضدت وتعاونت حتى الأشياء المتضادة لتفرز نتائج باهرة، كما إتصلت الأشباه والنظائر، لتشكل بالتالى مجموعة بديعة عجيبة تشير إلى مدى قدرته المطلقة سبحانه وعلمه التام.

ذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ المراد بالقرائن فى العبارة هى نفوس البشر التى أقرها اللّه فى الأبدان، حيث يبدو فى الظاهر أنّ هناك تضاد بين البدن الذى ينتمى إلى عالم المادة والنفس التى تنتمى إلى عالم المجردات.

طبعاً وان كان أحد معانى القرينه (وجمعها قرائن) فى اللغة هو النفس الإنسانية إلّاأننا لا نمتلك الدليل الذى يجعلنا نصرف المعنى المذكور ليقتصر على هذه النفس: بل الهدف هو بيان جمع الأضداد ووصل القرائن والأشباه فى جميع أنحاء عالم الوجود والذى يعد الوجود الإنسانى أحد مصاديقه، وأنّ أصل إطلاق القرينة على نفس الإنسان إنّما يعزى لاقترانها ببدنه.

ثم إختتم عليه السلام كلامه بالقول على أساس الخلوص إلى نتيجة واضحة:

«بدايا خلائق أحكم صنعها، وفطرها على ما أراد وابتدعها»[۵۷].

تأمّل: أوضح طريق إلى معرفة اللّه

يعتبر تأكيد الإمام عليه السلام على التفكير فى عالم الخلق والتأمل فى خلق المخلوقات دون

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۴۴

الاستغراق فى ذات اللّه، من الاصول الأساسية فى الأبحاث ذات الصلة بمعرفة اللّه. وذلك لأنّ الأول يقود الإنسان إلى الإيمان والتوحيد؛ التوحيد المفعم بالعشق والحب والاخلاص، بينما يسوقه الثانى إلى الشرك والتشبيه. أمّا سائر الأدلة والبراهين فى معرفة اللّه من قبيل برهان الوجوب والإمكان والغنى والفقر التى تدور حول محور الدور والتسلسل، فهى دلائل جافة توصل إلى المعرفة إلّاأنّها لا تختزن أى حب أو عشق وإخلاص. والحال لم يقم نظام الخلق سوى على هذه المفردات. فقد جاء فى الحديث القدسى:

«كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لكى أعرف»

. فاذا فكرنا بعظمة السموات والكواكب التى تربو على الملايين فى مجرتنا فقط والحال يقول العلماء بوجود مليارات المجرات فى هذا العالم. وإذا أمعنا النظر فى العالم المذهل لخلايا جسم الإنسان والذى تمتاز كل خلية فيه بان بنيتها قد تنطوى عليه مدينة صناعية من الخفايا والأسرار. وعندما نتامل التنوع العجيب للنباتات والحيوانات، وأنّ هناك الملايين من أنواع النباتات والحيوانات التى تعيش فى أعماق الغابات والبحار والتى لم يراها أو يتوصل اليها الإنسان لحد الآن، ونقر بأنّ هذه الموجودات العجيبة إنّما تستمد حياتها من

موجودين بسيطين هما الماء والتراب. وأخيراً حين نتدبر روعة الورود والأزهار ولطافة الأوراق ودقة نظام الدورة الدموية. وعمل الاوردة والشرايين المخ والدماغ وايعازات الأعصاب، ثم نلتفت إلى أنّ كل هذا ليس إلّاجانباً من عجائب عالم الخلقة، لانملك سوى الالتحاق بقافلة هذا العالم ومشاركتها التسبيح والتقديس والحركة نحو اللّه، ونحن نردد ما يردده الملأ الأعلى «سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا»[۵۸] و «رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا»[۵۹] وقلوبنا مقعمة بحب اللّه والإيمان به والخشوع له والتواضع أمام عظمته وجبروته.

وعبارات الإمام عليه السلام المارة الذكر إشارة عميقة إلى هذه الحقائق.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۴۵

القسم التاسع: خلق السموات

اشارة

«وَنَظَمَ بِلا تَعْلِيقِ رَهَواتِ فُرَجِها، وَلاحَمَ صُدُوعَ انْفِراجِها، وَوَشَّجَ بَيْنَها وَبَيْنَ أَزْواجِها، وَذَلَّلَ لِلْهابِطِينَ بِأَمْرِهِ، وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمالِ خَلْقِهِ، حُزُونَةَ مِعْراجِها، وَناداها بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخانٌ، فالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْراجِها وَفَتَقَ بَعْدَ الِارْتِتاقِ صَوامِتَ أَبْوابِها، وَأَقامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ الثَّواقِبِ عَلَى نِقابِها، وَأَمْسَكَها مِنْ أَنْ تُمُورَ، فِي خَرْقِ الْهَواءِ بِأَيْدِهِ وَأَمَرَها أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى المقطع السابق من هذه الخطبة إلى الكليات فى تدبير عالم الخلق والقوانين التى تسوده، إلى جانب تنوع الموجودات وكثرتها. ويخوض عليه السلام فى هذا الجزء من الخطبة والجزء القادم فى جزئيات ذلك. فيتعرض بصورة عميقة بعيدة المعنى لخلق السموات والملائكة والأرض والعالم السفلى وخلق آدم وما إلى ذلك. فقد استهل كلامه بادئذى بدء بخلق السموات فقال عليه السلام:

«ونظم بلا تعليق رهوات ۶۰] فرجها، ولاحم ۶۱] صدوع ۶۲] انفراجها»

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۴۶

فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام قد أشار بالعبارة الاولى إلى ما ورد فى القرآن الكريم: «اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها»[۶۳] ويصرح علماء الفلك بان الكرات السماوية منفصلة عن بعضها وأنّ التوازن القائم بين القوةالجاذبة والطاردة هى التى تبقى على كل واحدة فى موضعها.

بينما أشارت العبارة الثانية إلى إرتباط أجزاء كل كرة وتماسكها مع بعضها. وعليه فليس هنالك من تضاد بين العبارتين

«ونظم بلا تعليق رهوات فرجها، ولاحم صدوع انفراجها».

فالاولى ناظرة للكل والاخرى للأجزاء (ووحدة الضمائر هنا لا تسبب أى اشكال، لأنهما تعودان إلى السموات، أحدهما إلى المجموع والآخر إلى الجزاء) (لابدّ من الدقة والتمعن هنا).

ثم أشار فى العبارة الثالثة إلى الرابطة بين الكرات السماوية القرينة لبعضها، فقال عليه السلام:

«ووشج ۶۴] بينها وبين أزواجها»

يمكن أن تكون هذه العبارة إشارة إلى منظومات العالم العلوى المتألف من كرات شبيهة لبعضها إلى جانب النظام الذى كل كرة[۶۵]

ثم أشار عليه السلام فى العبارة الرابعة إلى طرق هبوط وصعود الملائكة إلى السموات:

«وذلل للهابطين بأمره، والصاعدين بأعمال خلقه، حزونة معراجها»[۶۶].

وهنا يتبادر هذا السؤال: هل الملائكة وجودات مادية ولها صعود وهبوط مادى من وإلى السموات، أم أنّ المراد بهذا الصعود والهبوط

هو الصعود والهبوط المعنوى؟ هنالك عدّة أقوال لشرّاح نهج البلاغة بهذا الخصوص.

ظاهر هذه العبارات الواردة فى الخطبة وأغلب الروايات والأخبار والآيات القرآنية، أنّ الملائكة وجودات نورية لها بعد جسمى رغم لطافتها التى تحول دون قدرتنا على مشاهدتها،

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۴۷

وعلى هذا الأساس يجوز عليها الصعود والنزول والذهاب والاياب. وسنخوض أكثر فى هذا الموضوع فى المقطع القادم من الخطبة بأذن اللَّه السؤال الآخر الذى يطرح نفسه هنا: هل هناك من مكان يضم اللَّه فى السموات لتهبط منه الملائكة فتوصل الرسالات والأوامر ثم تصعد إليه باعمال العباد؟ قطعاً لا يمكن تصور مثل هذا الأمر على الحق سبحانه الذى يفوق عالم المادة ولا يجرى عليه زمان ولا يحويه مكان ولا يتركب من أجزاء. اذن فما معنى هذا الصعود والهبوط؟

يبدو أنّ الإجابة على هذا السؤال تتضح من خلال الالتفات إلى هذه المسألة الدقيقة وهى:

صحيح أنّ السموات والأرضين مخلوقات اللَّه، إلّاأنّ هناك بعض المراكز فى هذا العالم المادى التى تعد من مواضع إنعكاس الأنوار الإلهية. أو بعبارة اخرى هناك بعض المواضع التى لها قداسة خاصة. على غرار الأرض التى لا تتساوى جميع بقاعها. على سبيل المثال فقد اتجه موسى بن عمران عليه السلام إلى الطور حين أراد أن يأخذ الألواح، كما كان نبى الإسلام صلى الله عليه و آله يتجه قبيل انبثاق الدعوة إلى غار حراء؛ والحال هذان الموضعان ليسا باقرب من غير هما إلى اللَّه، إلّاأنّ قدسية بعض المواضع تجعلها أعظم اشعاعاً للأنوار الإلهية كالطور وحراء والمسجد الحرام.

وهكذا الأمر بالنسبة للملائكة، فهناك بعض المراكز القدسية فى العالم العلوى تتسلم فيها الملائكة الأوامر الإلهية، وهى المراكز التى بلغها رسولاللَّه صلى الله عليه و آله فى معراجه، بل جاوزها لما هو أقرب ليفيض اللَّه عليه من لطفه وعنايته، وهناك تستودع الأعمال الخيرة للعباد وتحفظ إلى يوم القيامة.

ثم خاض الإمام عليه السلام فى تفاصيل ما أورده سابقا على نحو الاجمال، حيث عرض بالشرح بخمس عبارات لمراحل خلق السموات. فأشار فى العبارة الاولى إلى أمره (ويراد به الأمر التكوينى لا جتياز مراحل الخلقة والتكامل) السماء حين كانت على هيئة دخان

«وناداها بعد إذ هى دخان»

فهذه العبارة فى الحقيقة أشارت إلى أولى مراحل خلق العالم التى تعرضت لها الآية من سورة فصلت «ثُمَّ اسْتَوى إِلى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ»[۶۷] وهو الأمر الذى يقره العلم المعاصر فى أنّ العالم برمته كان فى البداية كتلة عظيمة جداً من الغاز. وقال فى العبارة الثانية (حيث وردت الخلقة مرحلة جديدة)

«فالتحمت عرى أشراجها».

فبالنظر إلى أنّ معنى الالتحام هو الوصل، والعرى جمع عروة بمعنى المقبض، والاشراج جمع

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۴۸

شرج بمعنى الشق. فانّ مفهوم الجملة المذكورة هو أنّ اللَّه ضغط تلك الكتلة العظيمة للدخان.

ثم أدال الشقوق وربط أطرافها مع بعضها، وكأنّ هذه الشقوق كالصناديق التى تغلق مقابضها وتوصل مع بعضها لحفظ ما فيها. والعبارة تتفق و ما توصل إليه العلم الحديث الذى صرح بضغط كتلة الغاز بفعل الجاذبية الداخلية. ثم واصل كلامه عليه السلام حول فصل السموات عن بعضها وفتح أبوابها المؤصدة (وقد جعل مسافة بينها)

«وفتق بعد الارتقاء صوامت أبوابها».

ولعل هذه العبارة إشارة إلى ما توصل إليه العلماء الذين يعتقدون أنّ تلك الكتلة الغازية الهائلة قد شهدت انفجارا داخليا عظيما

لتتلاشى وتظهر منها الكواكب والمجرات. وعلى ضوء الفرضية الاخرى فان بعض أجزائها أخذت بالانفصال عن البعض الآخر إثر حركتها الدورانية الشديدة والقوة الطاردة عن المركز، فابتعدت عن بعضها البعض فى هذا الفضاء لتتشكل منها الأجرام السماوية. فقد قال القرآن الكريم بهذا شأن «أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمواتِ وَالأَرضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما»[۶۸].

ثم أشار فى العبارة الرابعة إلى خلق الشهب السماوية (التى تشاهد فى السماء على هيئة خطوط من النور تتحرك بسرعة) ثم تنطفئ، فقال عليه السلام:

«وأقام رصدا من الشهب الثواقب على نقابها»[۶۹]

. لابدّ من الالتفات هنا إلى أنّ الرصد على وزن الصدف ذات معنى مصدرى فى الأصل وتعنى الاستعداد والتأهب لمراقبة الشى وحراسته. كما تطلق على الفاعل وتستخدم فى المفرد والجمع. ونقاب جمع نقب بمعنى الطريق أو الفاصلة بين شيئين. وعليه فالعبارة تعنى أنّ اللّه زود طرق السموات بهذه الشهب لتحول دون نفوذ الشياطين إلى السموات؛ الأمر الذى أشير إليه كرارا فى عدة آيات من القرآن الكريم، ومن ذلك الآية الثامنة من سورة الصافات

«لايسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحوراً ولهم عذاب واصب إلّامن خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب»،

فالذى يستفاد إجمالًا من هذه الآيات وسائرها الواردة

بهذا الشأن أنّ هناك أحاديث تدور فى العالم العلوى بين الملائكة المأمورة من قبل اللّه سبحانه فى إدارة شؤون العالم بشأن بعض الأخبار المهمة لهذا العالم، وأنّ الشياطين تحاول أحياناً الاقتراب من السماوات لاستراق السمع، إلّاأنّ الشهب تدفعها عن السماوات.

طبعا صحيح أنّ الشهب على ضوء العلم الحديث، ليست إلّاصخوراً تائهة تشتعل حين تقترب من الكرة الأرضية وتصطدم بها، إلّاأنّ هذا لا يمنع أن تكون هذه الشهب مامورة بحراسة فضاء السماء من الشياطين؛ وأنّ تعذرت علينا رؤية الشيطان، وخفيت علينا على وجه الدقة حركات الشهب (للوقوف بصورة أعمق على هذا الموضوع المهم، عليك بمراجعة الجلد ۱۹ من التفسير الأمثل ذيل الآيات المذكورة) ثم أشار فى العبارة الخامسة إلى موضوع مهم آخر ذا صلة بنظام كواكب السماء فى أن اللّه سبحانه أمسكها بيد القدرة من الحركات الطائشة فى الفضاء، وأمرها بالتسليم لأمره:

«وامسكهامن أن تمور[۷۰] فى خرق الهواء بأيده ۷۱]

وأمرها أن تقف مستسلمة لأمره».

فالعبارة تنجسم تماما والعلم الحديث الذى صرح بأنّ الكواكب والمنظومات والمجرات فى حالة حركة حول مداراتها بفعل تاثرها بالقوة الجاذبية المتناسبة مع كتلتها والقوة الدافعية التى تظهر فيها من جراء الحركة وقوة الطرد المركزى، دون أن تستند إلى شى أو ادنى انحراف عن مدارتها. بعبارة اخرى فان التوازن الدقيق للقوة الجاذبية و الطاردية لاتدعها تبتعد عن بعضها لتصبح كتلة واحدة. وقد يتضح هذا المطلب من خلال مفردة تمور (الحركة الطائشة) وخرق الهواء. إلّاأنّ بعض قدماء شرّاح نهج البلاغة الذين عاشوا أجواء نظرية الهيئة البطليموسية القائلة بالأفلاك التسع كقشور البصل، شهدوا بعض المشاكل فى تفسير هذه العبارات، فاضطروا لحمل بعض الألفاظ المذكورة على معناها المجازى، والحال أنّ تفسيرها على ضوء الهيئة المعاصرة لم يعد خافياً على أحد.

والعبارة

«أمرها»

و

«لأمره»

أشارة إلى معنيين؛ فالأمر فى بداية العبارة الأخيرة يعنى الأمر

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۵۰

الإلهى التكوينى، والأمر فى آخر الجملة يعنى قوانين الخلق. أى أنّ اللَّه خلقها بهذا الشكل لتكون منقادة مستسلمة لهذه القوانين.

تأمّل: خصائص السماوات

لقد رسم الإمام عليه السلام بهذه العبارات صورة رائعة بليغة عن الخلقة العجيبة للسموات، فأشار أولًا: إلى بداية خلقها على أنّها كانت فى البداية بمثابة كتلة غازية عظيمة.

ثانياً: الانفجار الهائل الذى وقع فى تلك الكتلة العظيمة، والانفصال الذى شهدته الكواكب والمجرات عن بعضها البعض.

ثالثاً: تعلق الكواكب فى هذا الفضاء الواسع على أنه آية من آيات عظيمة وقدرته سبحانه تعالى.

رابعاً: الحركات المنظمة للكرات السماوية حول مداراتها والخالية من أية حركات عشوائية (بفعل توازن قوتى الجذب الطرد).

خامساً: حركة الملائكة وصعودها وهبوطها بين الأرض والسماء و المراكز المقدسة، حيث تهبط بالاوامر وتصعد بأعمال العباد.

سادساً: ارسال الشهب التى ترجم الشياطين حين تحاول الصعود إلى السماء بغية استراق السمع، حيث بينها الإمام عليه السلام على سبيل الاختصار بعبارات قصيرة وبليغة حيث يتطلب كل منها بحثا مستقلًا.

ولا ينبغى أن ننسى هنا أنّ كل ذلك قد حصل فى زمان لم تكن تحكم العقول والأفكار فيه سوى نظرية بطليموس فى الأفلاك والسماوات. ولابدّ من الاذعان بأنّ بيان هذه الحقائق فى ذلك الوقت قد يبلغ حدّ الاعجاز، ليدل دلالة واضحة على مدى علم الإمام عليه السلام الذى استقاه من مصادر غير عادية متعارفة[۷۲].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۵۱

القسم العاشر: خلق الشمس والقمر والشهب والكواكب

اشارة

«وَجَعَلَ شَمْسَها آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهارِها، وَقَمَرَها آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِها، وَأَجْراهُما فِي مَناقِلِ مَجْراهُما، وَقَدَّرَ سَيْرَهُما فِي مَدارِجِ دَرَجِهِما، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ بِهِما، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ وَالْحِسابُ بِمَقادِيرِهِما، ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّها فَلَكَها، وَناطَ بِها زِينَتَها، مِنْ خَفِيَّاتِ دَراريِّها وَمَصابِيحِ كَواكِبِها، وَرَمَى مُسْتَرَقِي السَّمْعِ بِثَواقِبِ شُهُبِها، وَأَجْراها عَلَى أَذْلالِ تَسْخِيرِها مِنْ ثَباتِ ثابِتِها، وَمَسِيرِ سائِرِها، وَهُبُوطِها وَصُعُودِها، وَنُحُوسِها وَسُعُودِها».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة إلى خلق الشمس والقمر والكواكب وفلسفتها الوجودية، ثم شرح بعبارات بليغة الفوائد والبركات لهذه الكواكب، حيث أشار إلى خلق الشمس وما يختزنه ضياؤها من بركات:

«وجعل شمسها آية مبصرة لنهارها».

ثم أضاف عليه السلام قائلًا:

«وقمرها آية ممحوة من ليلها».

حيث إختلفت أقوال شرّاح نهج البلاغة فى تفسير هذه العبارة فقال البعض المراد ممحوة بليالى المحاق الليالى الظلماء فى آخر الشهر. وقال البعض الآخر القطع السوداء على سطح القمر. وقيل أيضاً المراد بهوت لون القمر تدريجياً بعد منتصف الليل. ولكن لا يبدو أى من هده التفاسير تاماً، والمراد بقوله ممحوة هو قلّة ضياء القمر بالنسبة لضياء الشمس. على كل حال فانّ هذه العبارة تتفق تماماً والآيات

القرآنية التى عدت الليل والنهار من آيات اللّه:

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۵۲

«وَمِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ»[۷۳] ولاتخفى بركات ضياء النهار وأشعة الشمس على حياة البشرية التى يعزى إليها كافة الأنشطة والفعاليات والسعى والحركة من أجل العيش والحياة، كما أنّ الضياء المتواضع واللطيف للقمر فى الليالى الظلماء والذى يقود إلى حل أغلب مشاكل الحياة البشرية، كما كان يستعين الإنسان حين الضرورة فى الطرق بضياء القمر ولاسيما فى الصحراء. وفى ذات الوقت فانّه ليس على درجة من القوة بحيث يعيق حركته ونشاطه فى النهار، وهذه نعمة اخرى من نعمه سبحانه.

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى حالات الشمس والقمر وفلسفتهما الوجودية فقال:

«واجراهما فى مناقل ۷۴] مجراهما، وقد سيرهما فى مدارج درجهما، ليميز بين الليل والنهار بهما، وليعلم

عدد السنين والحساب بمقاديرهما»

، وهو الأمر الذى أشار إليه القرآن الكريم بقوله: «هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءاً وَالقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسابَ»،[۷۵] فمعلوم إنفصال الليل عن النهار بواسطه الشمس. ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى الكواكب فقال:

«ثم علق فى جوها فلكها، وناط[۷۶] بها زينتها، من خفيات دراريها[۷۷]،

ومصابيح كواكبها».

فقد أشار عليه السلام إلى نوعين من الكواكب السماوية: الأول الكواكب الصغيرة التى عبر عنها الإمام عليه السلام بقوله خفيات دراريها، والثانى الكواكب الكبيرة والتى عبر عنها بالقول مصابيح. ونعلم بالطبع أنّ هذا التقسيم للكواكب إلى صغيرة وكبير إنّما يستند إلى رؤيتنا، وإلّا فأنّ أغلب هذه الكوكب الصغيرة قد تكون عظيمة الكبر حتى أنّها لتكبر شمسنا

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۵۳

التى تعتبر إحدى الكواكب السماوية المتوسطة إلّاأنّها تبدو صغيرة بسبب بعدها عن أبصارنا، وعلى العكس من ذلك بالنسبة للكواكب التى تبدو لنا كبيرة (من قبيل كوكب الزهرة) والذى يعدّ جزءاً من سيارات المنظومة الشمسية، وبسبب قربه يبدو شديد الاشعاع، والحال ليست الزهرة إلّاكوكب صغير. على كل حال فانّ هذه الكواكب السماوية لتزين الليل بما يجعله يخطف البصر، فضلًا عن دلالتها على عظمة الحق سبحانه وعدم تناهى قدرته وحكمته.

طبعا تشكل الكواكب بدورها عالما مستقلًا، ويرى أغلب العلماء أنّ معظمها قد يكون مأهولا بالسكان وتسودها الحياة؛ غير أنّه يتعذر علينا تصور كيفية الحياة عليها، على كل حال فانّ دور هذه الكواكب فى حياتنا لا يقتصر على تزيين السماء ليلًا فحسب، بل يمكن الاهتداء بها فى البحار والصحارى؛ الأمر الذى أشار إليه القرآن الكريم: «وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِى ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالبَحْرِ»[۷۸] و بغض النظر عن ذلك فلعل الجاذبية بين الكواكب و الأجرام السماوية هى التى ضمنت حفظ و بقاء الكرة الأرضية ثم أشار الإمام عليه السلام إلى ظاهرة اخرى من الظواهر السماوية العجيبة وهى الشهب

«ورمى مسترقى ۷۹] السمع

بثواقب شهبها».

تحدثنا سابقاً بالقدر الكافى عن الشهب وارجعنا القارئ إلى المصدر الذى اسهب فى شرح هذا الموضوع، ولكن يبدو تكرارها فى هذا الموضع من كلام الإمام عليه السلام هو أنّها قد تبدو للناظر فى الأرض أحياناً ككوكب متحرك، ومن هنا أشار إليها الإمام عليه السلام إلى جانب تقسيمه للكواكب. ثم تناول الإمام عليه السلام بعض خصائص هده الكواكب فقال:

«وأجراها على أذلال ۸۰]، تسخيرها من ثبات ثابتها، ومسير سائرها، وهبوطها وصعودها، ونحوسها

وسعدها»

وسنخوض فی‌المباحث القادمة فی موضوع الكواكب الثابتة والسيارة والهبوط والصعود وكيفيه نحسها وسعدها.

تأمّلات

۱- الكواكب الثابتة والسيارة

نعلم أنّ الكواكب التی نراها فی السماء تقسم من جهة إلی قسمين: ثابتة و سيارة وسيار.
والكواكب الثابتة هی التی لا تغير أوضاعها فی السماء؛ فهی تطلع من جانب وتغيب فی آخر دون أن يری تغيير فی مسافتها (طبعا لها حركة، إلّاأنّ هذه الحركة لاتؤثر فی المسافات بسبب
نفحات الولاية، ج۴، ص: ۵۴
بعدها الشاسع عنا). أمّا الكواكب السيارة فهی عدة كواكب ضمن مجموعة المنظومة الشمسية التی تدور حول الشمس، ولما كانت مسافتها قليلة جداً عن الكرة الأرضية بالنسبة لسائر الأجرام السماوية، فانّ حركتها فی السماء واضحة تماماً، وهی فی تغيير مستمر لموضعها بالنسبة إلينا.

۲- خصائص الكواكب

هنالك مميزات اخری للكواكب والنجوم ومنها الهبوط والصعود. فهی تتجه فی حركتها نحو الأعلی صاعدة أحيانا وإلی الاسفل نازلة أحياناً اخری وأوضح نموذج علی ذلك الشمس التی تبدأ اوائل الشتاء متألقة فی مدارها لتشاهد كل يوم فی موضع أعلی فی السماء، حتی تكون أحيانا فوق الرأس بالضبط وذلك حتی أوائل فصل الصيف حتی تبلغ ذروتها. ثم تبدأ مسيرتها التنازلية منذ شروع الصيف لتصل فی أول الشتاء إلی أدنی نقطة فی الأرض (طبعا هذه التغييرات ليست مرتبطة فی الواقع بالشمس، بل ترتبط بتغيير وضع الأرض فی حركتها المداريه حول الشمس وانحراف محور الأرض بالنسبة لسطح المدار بنسبة ۲۳ درجة). فهذه العبارات تدل علی إحاطة الإمام عليه السلام بالمسائل الفلكية، حيث أشار إلی هذه المسائل باروع بيان.

۳- سعد ونحس الكواكب

أمّا بشأن سعد هذه الكواكب ونحسها، فلو أردنا النظر إلی بداية هذا الأمر فانّها تعود إلی جمع من المنجمين القدماء. حيث كانوا يعتبرون بعضها نحساً، ويعتقدون بان طلوعها وتغيير أوضاعها يؤدی إلی وقوع بعض الحوادث فی الحياة الخاصة لبعض الأفراد (لأنهم يرون لكل فرد كوكباً)، وبالعكس فانّ ظهور أو تغيير أوضاع البعض الآخر من الكواكب علامة علی السعادة والتوفيق التی تصيب المجتمع أو الفرد؛ والحال نعلم أنّ الإسلام لا يری من تأثير للكواكب علی مصير الإنسان. ويعتبر ذلك نوعاً من الشرك. وقد مر علينا فی الخطبة ۷۹ من المجلد الثالث ما قاله أميرالمؤمنين علی عليه السلام لذلك المنجم الذی قال له حين عزم علی المسير
نفحات الولاية، ج۴، ص: ۵۵
إلی الخوارج: إن سرت يا أميرالمؤمنين فی هذا الوقت خشيت ألا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم. فغضب عليه السلام ورد كلامه وأنّ من صدقه فقد كذب القرآن الكريم واستغنی عن الاستعانة باللّه فی نيل المحبوب ودفع المكروه. ثم نهی الإمام عليه السلام الناس عن تعلم النجوم إلا ما يهتدی به فی بر أو بحر. كما تظافرت الروايات والأخبار التی وردتنا عن أئمة العصمة عليهم السلام بذم دلك العلم من النجوم، لتجعل المنجم فی مصاف الكاهن والساحر الذی عد كافرا. ومن ذلك ماورد عن رسول‌اللّه صلی الله عليه و آله أنّه

قال:

«من صدق كاهنا أو منجما فهو كافر بما أنزل على محمد»[۸۱]

، وعدة أحاديث بهذا الشأن، لاشك أنّ قدماء المنجمين كانوا على مذاهب بالنسبة لإرتباط الكواكب بمصير الإنسان والتى بينت بصورة تامة فى شرح الخطبة ۷۹. ولعله يمكن القول أنّ هذه الروايات ناظرة إلى الأفراد الذين يرون تدبير هذا العالم بيد هذه الكوكب وأنّ لها نوع من الالوهية. نعم ليس من الكفر أن يقال للكواكب دلالة فقط على وقوع مثل هذه الحوادث (بأمراللّه)؛ ولكن ليس هناك من دليل لاثبات هذا الأمر. فلهذه الكواكب عوالمها، كما للكرة الأرضية وسكانها عالم. ولم يقم أى دليل علمى على الرابطة المذكورة، مثلًا طلوع الكوكب الفلانى وغروب الكوكب الفلانى أو إقتران هذا الكوكب مع ذاك مؤثر فى نشوب الحرب أو السلم؛ كما لايمكن فى نفس الوقت نفى هذا التأثير بصورة قاطعة وإن سمع ذلك من غير المعصوم. طبعاً لايسعنا التنكر لما ورد فى بعض الروايات التى صرحت بكراهية الزواج والقمر فى العقرب، إلّاأننا أشرنا فى حينه إلى عدم وجود أى تضارب بهذا الخصوص. ومن هنا فان السعد والنحس الذى ورد فى الخطبة قد يكون إشارة إلى هذه الامور. كما يحتمل أن تكون لاوضاع الكواكب- ولا سيما سيارات المنظومة الشمسية- فى مداراتها مقارنة مع بعضها البعض الآخر بعض التأثيرات الطبيعية على الكرة الأرضية. فمثلًا نعلم أن ظاهرة المد والجزر التى تشهدها البحار إنّما تنشأ بفعل تأثير جاذبية القمر (إثر اقتراب الشمس من القمر أوائل الشهر وآخره) ولعل تأثيرها يتجاوز البحار لتوثر حتى على سطح الأرض ممّا يؤدى إلى تشققها وحدوث بعض الزلازل. كما قد يسبب ذلك التأثير هطول بعض الأمطار الغزيرة على الأرض وعليه فقد يكون السعد والنحس للكواكب إشارة إلى هذا التاثير الطبيعى الخاص.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۵۷

القسم الحادى عشر: خلق الملائكة

«ثُمَّ خَلَقَ سُبْحانَهُ لِإِسْكانِ سَماواتِهِ، وَعِمارَةِ الصَّفِيحِ الْأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ، خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلائِكَتِهِ، وَمَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجاجِهَا، وَحَشَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوائِها، وَبَيْنَ فَجَواتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلُ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظائِرِ الْقُدُسِ، وَسُتُراتِ الْحُجُبِ، وَسُرادِقاتِ الْمَجْدِ، وَوَراءَ ذَلِكَ الرَّجِيجِ الَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ الْأَسْماعُ سُبُحاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصارَ عَنْ بُلُوغِها، فَتَقِفُ خاسِئَةً عَلَى حُدُودِها».

الشرح والتفسير

خاض الإمام عليه السلام فى هذا القسم من الخطبة فى خلق الملائكة ومختلف المسؤوليات والوظائف التى يقومون بها، بعبارات تبطل فصاحة العرب وتجعل نسبة التراب إلى النضار الخالص كما صرح بذلك ابن أبى الحديد. فقال عليه السلام:

«ثم خلق سبحانه السكان سمواته، وعمارة الصفيح ۸۲] الاعلى من ملكوته، خلقا بديعا من ملائكة، وملأ بهم فروج فجاجها،

وحشابهم فتوق ۸۳] أجوائها[۸۴]».

يمكن ان تكون (ثم) إشارة إلى خلق الملائكة بعد خلق الأرض وما عليها من كائنات، كما يمكن أن تكون وردت للتأخير فى البيان لا الزمان. ويبدو الاحتمال

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۵۸

الأخير أنسب بالالتفات إلى الروايات التى صرحت بخلق السموات قبل خلق الكائنات الأرضية إلى جانب ما جاء فى الخطبة الاولى من نهج البلاغة التى مرّ شرحها. ثم صرح عليه السلام أنّ أصوت المسبحين قد ملأت أقطار السماء ودوت فى حظائر القدس وسترات حجب العظمة:

«وبين فجوات ۸۵] تلك الفروج زجل ۸۶] المسجين منهم فى حظائر[۸۷] القدس، وسترات الحجب،

وسرادقات ۸۸] المجد».

إلّاان هـذا لا يعنى ان الملائكـة المقربين اسـتطاعوا أن يبلغوا أوج معرفة سـبحانه، ومن هنا أتبع الإمام عليه السـلام ذلك بقوله أنّ وراء تلك الصيحات والتسبيحات، سبحات النور التى تردع الأبصار وتوقفها عند حدها

«ووراء ذلك الرجيح ۸۹] الذى تستك ۹۰] منه

الأسماع سبحات ۹۱] نور تردع الأبصار عن بلوغها، فتقف خاسئة[۹۲] على حدودها».

طبعا لا تعنى هـذه العبارة أنّ للّه سبحانه وتعالى موضع فى السـموات وقد أحيط من كل جانب بطبقات من الأنوار الشديدة، بل المراد أنّ هناك مراكز مقدسـة فى عالم الوجود تعجز عن مشاهـدتها حتى الملائكـة. كما يمكن ان يكون المراد من هـذه العبارة أنّ ملائكة ورغم قربها من اللّه وغرقها فى العبادة والتسبيح، إلّاأنّها عاجزة عن إدراك كنه ذاته وصـفاته سـبحانه، وليس لها من نصـيب سوى على قدر إدراكها.

بعبارة اخرى لوحملنا هذه العبارات وفسـرناها على أساس ظاهرها فانّها تفيد أنّ فى السـماء مواضع تتمتع بقدسية خاصة وهالة من النور (وهو المعنى الذى أشارت إليه بعض الروايات والأخبار)[۹۳].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۵۹

وعلى غرار ذلك فهناك على الأرض بعض المراكز التى تحظى بحرمـة وقدسـية تفوق غيرها كالكعبـة وبيت‌المقـدس، دون ان تكون موضـعا لـذاته المقدسـة سـبحانه. وان حملناها على المعنى الكنائى، فانّها سـتكون دليلًا على أن للملائكـة حـداً لاتتجاوزه رغم قربها و عبادتها و عبادتهم.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۶۱

القسم الثانى عشر: وظائف الملائكة

اشارة

«وَأَنْشَأَهُمْ عَلَى صُوَرٍ مُخْتَلِفَاتٍ، وَأَقْدارٍ مُتَفاوِتاتٍ «أُولِى أَجْنِحَةٍ» تُسَبِّحُ جَلالَ عِزَّتِهِ، لا يَنْتَحِلُونَ ما ظَهَرَ فِى الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ، وَلا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَـيْئاً مَعَهُ مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ «بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ* لا يَسْـبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» جَعَلَهُمُ اللَّهُ فِيما هُنالِكَ أَهْلَ الْأَمانَةِ عَلَى وَحْيِهِ، وَحَمَّلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَـلِينَ وَدائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَعَصَـمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهـاتِ، فَمـا مِنْهُمْ زائِغٌ عَنْ سَبِيـلِ مَرْضـاتِهِ، وَأَمَـدَّهُمْ بِفَـوائِدِ الْمَعُونَةِ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَواضُعَ إِخْباتِ السَّكِينَةِ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْواباً ذُلُلًا إِلَى تَماجِيدِهِ، وَنَصَبَ لَهُمْ مَناراً واضِحَةً عَلَى أَعْلامِ تَوْحِيدِهِ».

الشرح والتفسير

خاض الإمام عليه السلام هنا فى بيان مختلف صور الملائكة وتقاسمها المسؤوليات و جانبا من منيراتها فقال عليه السلام:

«وأنشأهم على صور مختلفات، وأقدار متفاوتات «أولى أجنحة» تسبيح جلال عزته»[۹۴].

نفحات الولاية ؛ ج۴ ؛ ص۶۱

ل بعض شرّاح نهـج البلاغة هذه العبارات على ظاهرها وقالوا: الملائكة أشـكال مختلفة واقدار متفاوتة ولها أجنحة وهى دائمة التسبيح للّه سبحانه. بينما ذهب البعض الآخر إلى أنّ هذه العبارات كناية عن تفاوت مقامات الملائكة ودرجات قوتها و قدرتها. ولما كانت

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۶۲

الأجنحـة وسـيلة لـدى الطيور للتحليق فى السـماء وكيفيـة تفاوتها فى التحليق تبعا لكيفيـة هذه الأجنحة، فانّ هذه العبارة بشأن الملائكة إشـارة إلى تفاوتهامن حيث القوه والقـدرة على القيام بالوظائف والمسؤوليات. صـحيح أننا مكلفون بحمل جميع الفاظ القرآن الكريم

وكلمات الأئمة المعصومين عليهم السلام على معانيها الحقيقة، دون حملها على الكناية والمجاز ما لم تكن هناك قرينة واضحة فى الكلام، ولكن بالنظر إلى العبارات التى تواصل فيها كلام الخطبة بشأن أوصاف الملائكة، يبدو من المستبعد حمل هذه العبارات على معناها الظاهرى، ومن ذلك:

«ومنهم من قد خرقت أقدامهم تخوم الأرض السفلى ...»

، وكذلك العبارات التى وردت سابقاً بشأن الملائكة، كالذى ورد فيها فى الخطبة الاولى بشأن الملائكة:

«ومنهم الثابتة فى الارضين السفلى أقدامهم، والمارقة من السماء العليا أعناقهم ...»[۹۵]

، فهذه العبارات يمكن أن تكون قرينة واضحة على أنّ لمثل هذه الأوصاف بعد كنائى ومعنوى لا ظاهرى ومادى. ثم أشار عليه السلام فى مواصلة كلامه إلى بعض خصائص الملائكة وقال:

«لا ينتحلون ۹۶] ما ظهر فى الخلق من

صنعه، ولايدعون أنّهم يختلقون شيئاً معه ممّا انفرد به»

، ثم اردف عليه السلام كلامه مباشرة بما ورد فى القرآن الكريم بشأن التسليم المطلق للملائكة أمام إرادة اللّه سبحانه وتعالى فقال:

«عِبادٌ مُكْرَمُونَ* لا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ»[۹۷]، نعم فهم آذان صاغية لأوامره سبحانه وانقياد مطلق لإرادته، وهذه أولى خصائص الملائكة التى أشارت اليها الخطبة، كما تشير ضمنياً إلى عصمة الملائكة وبعدهاعن الذنب والمعصية والخطأ والزلل، فهى تبطل كافة مزاعم مشركى العرب وغير هم ممن قال بربوبيتها والوهيتها، وتصفهم بأنّهم عباد مطيعون منقادون وليس لهم أن يكونوا شركاء اللّه فى الخلق.

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى وظيفة اخرى من وظائف الملائكة بصفتهم حملة الوحى فقال:

«جعلهم اللّه فيما هنالك أهل الامانة على وحيه، وحملهم إلى المرسلين ودائع أمره وفهيه، وعصمهم من ريب الشبهات. فما منهم زائغ ۹۸] عن سبيل مرضاته»

فالعبارة وإن

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۶۳

نسبت ابلاغ الوحى الإلهى إلى جميع الملائكة، إلّاأنّ المفروغ منه هو أنّ المراد طائفة منهم؛ الأمر الذى صرح به القرآن الكريم بقوله: «اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلائِكَةِ رُسُلًا».[۹۹] كما صرح عليه السلام فى الخطبة الاولى من نهج البلاغة بهذا المعنى قائلًا:

«ومنهم أمنا على وحيه، وألسنة إلى رسله».

و هذا تعبير متداول بشأن الأعمال المهمة التى تصدر من فئة معينة ضمن جماعة لتحسب على أساس تلك الجماعة.

على كل حال فانّ العبارة تشير إلى مدى أمانة الملائكة فى ابلاغ الوحى وايصاله على نحو الدقة دون نقيصة أو زيادة والوقع هو أنّ الإمام عليه السلام أشار بالعبارتين الأخيرتين إلى عصمة الملائكة من الذنب والزلل، حيث أشارت العبارة الاولى إلى عصمتها عن الشبهة والشك والخطئوالثانية إلى عصمتها عن الذنب والمعصية وعدم مخالفة الأوامر الإلهية. كما أشار عليه السلام باربع عبارات إلى عناية سبحانه بملائكة الوحى من أجل قيامها بهذه الوظيفة بصورة صحيحة. قال فى العبارة الاولى أنّه أمدهم سبحانه بلطفه وعنايته ليقوموا بهذه الوظيفة الخطيرة على أكمل وجه

«وأمدهم بفوائد المعونة».

ثم قال فى العبارة الثانية

«وأشعر قلوبهم تواضع إخبات السكينة»[۱۰۰]

كما فتح لهم باب مدحه وتمجيده وسهل لهم ذلك زيادة فى عصمتهم وعلو مقامهم. وهذا ماأورده فى العبارة الثالثة

«وفتح لهم أبواباً ذللًا[۱۰۱] إلى
تماجيده ۱۰۲]».

ثم قال فى العبارة الرابعة «و نصب لهم منارا واضحة على أعلام توحيده» فقد أوجز الإمام عليه السلام بهذه العبارات أشكال الملائكة وصورها والفوارق بينها فى القوة و القدرة، إلى جانب بيان أحدى أهم وظائفها فى ابلاغ الوحى و صفات هذه الطائفة المبلّغة للوحى.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۶۴

تأمّل: لم الملائكة واسطة الوحى؟

نعلم أنّ الوحى يحصل بعدة صور: فقد يكون أحياناً بواسطة الملك الذى يحمل رسالة اللَّه من قبيل نزول الوحى على نبى الإسلام بواسطة جبرئيل عليه السلام. كما يكون أحياناً اخرى عن طريق سماع الأمواج الصوتية التى تحدثها القدرة الإلهية فى الفضاء كنزول الوحى على نبى اللَّه موسى عليه السلام عن هذا الطريق. كما نزل على النبى صلى الله عليه و آله- طبق بعض الروايات- مثل هذا الوحى فى المعراج. كما يحصل عن طريق الالهام و الإلقاء فى الروع؛ الأمر الذى حصل للنبى صلى الله عليه و آله فى بعض المواقع الضرورية. وهنا يبرز هذا السؤال: مادام هناك طريق للوحى من خلال ايجاد الصوت أو الالهام، فما الضرورة لأن تكون الملائكة واسطة للوحى؟

للإجابة على هذا السؤال المهم، يمكن القول أنّ لنزول الملائكة بعض المزايا منها:

۱- لما كانت الملائكة موجودات مجردة، وللإنسان- كائنا من كان- بعد مادى وجسمانى وروحانى فانّ تلقى الوحى عن طريق الملائكة أهون وأسهل على الأنبياء من تلقى الوحى بصورة مباشرة. بينما يكون أصعب و أثقل إن كان بصورة مباشرة.

۲- أنّ نزول الملك يفيد الاطمئنان أكثر إلى الوحى، إلى جانب الأهمية الفائقة لهذا لأمر، لأنّ اللَّه أمر أعظم ملائكتة للقيام بوظيفة ابلاغ الوحى. والجدير بالذكر أنّ بعض الروايات والأخبار صرحت بتشييع فريق من الملائكة (يصل عددهم أحياناً إلى سبعين ألف ملك) لبعض السور القرآنية حين نزول جبرئيل بها على النبى صلى الله عليه و آله لتتضح للجميع أهمية ذلك الموضوع، وبالطبع فانّ هذا الأمر لايتحقق فى ظل الالهام أو سماع الصوت. وإن كانت لهذه الأخيرة خصائصها ومميزاتها.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۶۵

القسم الثالث عشر: الانقطاع إلى اللَّه

«لَمْ تُثْقِلْهُمْ مَوصِرَاتُ الآثَام، وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ اللَّيَالى وَالأَيَّام، وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا، عَزِيمَةَ إِيمَانِهِمْ، وَلَم تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ، وَلَا قَدَحَتْ قَادِحَةُ الإِحَنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَلَاسَلَبَتْهُمُ الْحَيْرَةُ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمائِرِهِمْ، وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلَالَتِهِ فِى أَثْنَاءِ صُدُورِهِم، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمْ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ بِرَيْنِهَا عَلى فِكْرِهِمْ».

الشرح والتفسير

ذكر الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة ما يكمل كلامه فى صفات الملائكة- ولا سيما صفة العصمة عن الذنب والمعصية- ليوضح ذلك بسبع عبارات قصيرة عظيمة المعنى، قال فى الاولى أن ثقل الذنوب لم يعجزهم ويقعدهم فهم لايقارفون الذنب أبداً:

«لم تثقلهم موصرات ۱۰۳]

الاثام»

، فى إشارة إلى أنّ الذنب عادة ما يثقل كاهل الإنسان فى مسيرة الطاعة، ولما كانت الملائكة لا ترتكب الذنب قط فهى خفيفة على الدوام ومتأهبة للطاعة، ولذلك لايبدو صحيحاً ما احتمله بعض شرّاح نهج البلاغة فى تفسيرهم لهذه العبارة من أنّ الذنوب التى

يرتكبها الناس لاتجعلهم متقاعسين فى عملهم، وذلك لعدم انسجامه وسائر عبارات هذه الخطبة. ثم أشار عليه السلام فى العبارة الثانية إلى أنّ الذهاب والاياب وتعاقب الليل والنهار لم يسق هذه الملائكة إلى الموت (ليستولى عليها الضعف، فهى متأهبة دائما للطاعة)

«ولم ترتحلهم عقب ۱۰۴] الليالى والأيام»

، يحتمل أن يكون المراد عدم الانتقال من الحياة إلى الموت، بل الانتقال

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۶۶

من الطاعة إلى المعصية أى أنّ طول الزمان لم يرهقها قط ولم يبعدها عن طاعة الحق سبحانه وتعالى وقال عليه السلام فى العبارة الثالثة أن سهام الشك لم تستطع أن ترم عزم إيمانهم:

«ولم ترم الشكوك بنوازعها[۱۰۵] عزيمة ايمانهم»

ثم قال عليه السلام فى العبارة الرابعة

«ولم تعترك ۱۰۶] الظنون

على معاقد يقينهم»

كما أشار عليه السلام إلى عدم وجود العوامل التى تدعوا إلى إثارة نيران الحقد والعداء والضغينة لديهم (لكى يجد الضعف من سبيل إلى وظائفهم- وعليه فالملائكة تعمل مع بعضها البعض الآخر بكل تنسيق وانسجام دون اختلاف فى القيام بالوظائف الإلهية)

«ولا قدحت قادحة الإحن ۱۰۷] فيما بينهم»،

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه فى أنّ الحيرة لم تسلبهم مالديهم من معرفة وانطوت عليه صدورهم من هيبة للّهوعظمة:

«ولاسلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته بضمائرهم، وما سكن عن عظمته وهيبة جلالته فى أثناء صدورهم»

يمكن أن يكون المراد بالعبارة أن إيمان الملائكة ومعرفتها باللّه وصفات جماله وجلاله على قدر من القوة بحيث لاتختزن أيه أوهام وحيرة يمكنها إختراق تلك المعرفة أو الحد منها؛ والحال ليس الأمر كذلك لدى الإنسان، فقد يصطدم بعض المؤمنين ببعض الاوضاع التى تؤدى إلى ذهولهم وحيرتهم وزعزعة دعائم إيمانهم. كما يحتمل أن يكون المراد بالحيرة هو عدم بلوغ كنه ذاته وصفاته، إلّاأنّها لا تصدهم عن ذلك الإدراك الإجمالى للذات والصفات فيضطر وعلى غرار بعض الناس وبفعل عدم إدراك كنه الذات إلى تعطيل صفاته. ثم قال فى الصفة الأخيرة:

«ولم تطمع فيهم الوساوس فتقترع ۱۰۸] برينها[۱۰۹] على فكرهم»

، فالذى يستفاد من مجموع هذه الصفات هو عدم تسلل أدنى خطا وشك وترديد وفتور وتقصير إلى أعمال أمناء الوحى من الملائكة، وهم جاهدون فى ابلاغها إلى الأنبياء والرسل. وضمنا فانّ هذا الكلام الشريف رسالة إلى جميع الأفراد- ولاسيما دعاة الإسلام والكتاب- إلى مراعاة الدقة والامانة والإيمان والتسامى والابتعاد عن كافة ألوان الوساوس وأمراض الحقد والبغضاء والعداء و الحسد والشك والترديد فى ابلاغ دعوة الأنبياء ورسالتهم بالشكل الصحيح.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۶۷

القسم الرابع عشر: مدبرات الامور

«وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فى خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلَّحِ، وَفى عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ، وَفى قَتْرَةِ الظَّلَامِ الأَيْهَمِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تَخُومَ الأَرْضِ السُّفْلَى فَهِىَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِى مَخَارِقِ الْهَوَاءِ، وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ، قَدْ اسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ، وَوَصَلَتْ حَقَائِقُ الإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، وَقَطَعَهُمُ الإِيقَانُ بِهِ إِلى الْوَلَهِ إِلَيْهِ، وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ».

الشرح والتفسير

تطرق الإمام عليه السلام إلى سائر أصناف الملائكة بعد أن فرغ من صفة ملائكة الوحى، فقال عليه السلام:

«ومنهم من هو فى خلق الغمام الدلح ۱۱۰] فى عظم الجبال الشمخ ۱۱۱]، وفى قترة[۱۱۲] الظلام

الأيهم ۱۱۳]»

، الدلح جمع دالح تعنى السحاب المثقل بالماء، وشمخ جمع شامخ بمعنى المرتفع، وقترة تعنى هنا الخفاء والبطون، وأيهم بمعنى الليالى الدامسة التى لايهتدى فيها. فالذى يبدو أن مراد الإمام عليه السلام الملائكة الموكلة بالسحب الممطرة والجبال المرتفعة والظلمات، حيث لكل منها سهم

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۶۸

فى تدبير هذا العالم، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم فى الآية الخامسة من سورة النازعات، حيث عبر عن هذه الملائكة بالقول «فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً»، كما احتمل أن يكون لهذا الصنف من الملائكة دور فى ايجاد تلك السحب والجبال والظلمات- على كل حال فانّ مأمورية هذا الصنف من الملائكة هى مأمورية تكوينية- على الخلاف من ملائكة الوحى حيث لهم مأمورية تشريعية. ثم تطرق عليه السلام إلى صنف آخر من الملائكة فقال عليه السلام:

«ومنهم من قد خرقت أقدامهم تخوم ۱۱۴] الأرض السفلى، فهى كرايات بيض قد نفذت فى مخارق ۱۱۵] الهواء، وتحتها

ريح هفافة[۱۱۶]، تحبسها على حيث من انتهت من الحدود المتناهية»

وتشبه هذه العبارة ما أورده الإمام عليه السلام فى الخطبة الاولى من نهج البلاغة التى قال فيها:

«ومنهم الثابتة فى الأرضين السفلى أقدامهم، والمارقة من السماء العليا أعناقهم»،

طبعاً هذه العبارات إنّما تشير على سبيل الكناية إلى رفعة هذا الصنف من الملائكة وسمو مكانته، واننا لاندرك سوى شبح عنها، وذلك لأننا لانمتلك المعلومات الكافية عن خلقها. ولا يتسنى إدراك حقيقة هذه التعبيرات بصورة تامة سوى لعلى عليه السلام وسائر المعصومين عليهم السلام الذين رفعت عنهم الحجب، وما علينا إلّا القناعة والاكتفاء بهذا العلم الإجمالى. ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه فى وصف هؤلاء الملائكة فقال عليه السلام:

«قد استفرغتهم أشغال عبادته، ووصلت حقائق الإيمان بينهم وبين معرفته، وقطعهم الايقان به إلى الوله ۱۱۷] إليه، ولم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره»

، فالعبارات الأربع مرتبطة مع بعضها البعض الآخر قطعا، فالاشتغال بالعبادة سبب لتقوية الإيمان ورسوخه، كما أنّ قوة الإيمان تنتهى إلى الحب والعشق، فاذا ملأحبّه كيان الإنسان أو الملك، لم يدعه يفكر فى غيره ولايطمع إلى ما عند سواه. فقد ورد فى الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قال:

«أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها، وأحبّها

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۶۹

بقلبه، وباشرها؟، وتفرغ لها؛ فهو لايبالى على ما أصبح من الدنيا على عسر، أم على يسر»[۱۱۸]

، وواضح أن عبادة الملائكة لاتصدهم عن مأموريتهم فى تدبير شؤون العالم- بأمر اللّه- ولاعبادة أولياء اللّه تصدهم عن تدبير دينهم و دنياهم و وظائفهم الفردية و الإجتماعية فكل أمورهم إنّما تنبعث من حبهم وعشقهم الحق سبحانه وتعالى و السير على طاعته.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۷۱

القسم الخامس عشر: خصائص الملائكة

اشارة

«قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ، وَشَرِبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَتَمَكَّنَتْ مَنْ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ وَشِيجَةُ خِيفَتِهِ، فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ، وَلَمْ يُنْفِذْ طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ، وَلَاأَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رِبَقَ خُشُوعِهِمْ، وَلَمْ يَتَوَلَّهُمْ الإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ وَلَا تَرَكَتْ لَهُمُ اسْتِكَانَةُ ا لإِجْلَالِ نَصِيباً فِى تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ، وَلَمْ تَجْرِ الْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُؤُبِهِمْ، وَلَمْ تَغِضْ رَغَبَاتُهُمْ فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ، وَلَمْ تَجِفَّ لِطُولِ الْمُنَاجَاةِ أَسَلَاتُ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلَا مَلَكَتْهُمُ الأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ الْجُؤَارِ، إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِى مَقَاوِمِ الطَّاعةِ مَنَاكِبُهُمْ، وَلَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِى أَمْرِهِ رَقَابَهُمْ، وَلَاتَعْدُو عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِم بَلَادَةُ الْغَفَلَاتِ، وَلَا تَنْتَضِلُ فِى هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ».

الشرح والتفسير

تحدث الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة بصورة أعمق عن صفات الملائكة ومقام معرفتهم وعشقهم للَّه‌سبحانه و درجات عبادتهم وخضوعهم وخشوعهم. فقد أشار فى الواقع إلى ثلاث من الصفات بعبارات رائعة مختلفة، تعرض فى العبارة الاولى إلى مقام الملائكة الرفيع فى المعرفة وكأنها أسكرت عقولهم وجوارحهم فملأتها حبا وعشقا للَّه. كما تعرض فى العبارة الثانية إلى الطاعة المتواصلة بفضلها الوليدة الطبيعية لهذه المعرفة وأخيراً العبارة الثالثة التى تفيد خلو هذه الطاعة المستمرة من الكلل والملل والتعب والفتور والعجب. كأنّ الإمام عليه السلام دعا الناس للاقتداء بها واحتذاء طريقتها فى المعرفة والعبودية والاخلاص. فقال عليه السلام:

«قد ذاقوا

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۷۲

حلاوة معرفته، وشربوا بالكأس الروية[۱۱۹] من محبته، وتمكنت من سويداء[۱۲۰] قلوبهم

وشيجة[۱۲۱] خيفته»

تفيد العبارة:

«قد ذاقوا حلاوة معرفته، وشربوا بالكأس الروية من

محبته»

أنّ الملائكة قد إنفتحت على معرفة اللَّه وحبّه بكل كيانها حتى نفذ إلى سويداء قلوبها، كما تفيد مفردة تمكنت أنّ خوف اللَّه قد تجذر فى أعماق قلوبها بحيث وظّف هذا الخوف والرجاء كل قواها فى سبيل طاعة اللَّه؛ وذلك لأنّ الحب والأمل دون الخوف يسوق الإنسان إلى الغفلة والغرور، كما أن الخوف دون الحب والأمل يقوده إلى اليأس والقنوط. من هنا قال الإمام عليه السلام عقب تلك الصفات:

«فحنوا[۱۲۲] بطول الطاعة اعتدال ظهورهم»

فهم دائما على أتم الخضوع وكمال التسليم للَّه. مع ذلك فان رغبتهم المتفاقمة فى عبادته وكثرتها لم تسلبهم حالة التضرع والخشوع (فلم يتطرق اليها التعب والارهاق)

«ولم ينفذ طول الرغبة إليه مادة تضرعهم»

لا كالأفراد من عديمى المعرفة الخالين من معانى الحب والعشق والخوف والرجاء الذين تتعبهم أدنى عبادة وتسلبهم الرغبة والاقبال عليها. ثم أشار عليه السلام إلى نقطة مهمّة اخرى

: «ولا أطلق عنهم عظيم الزلفة[۱۲۳] ربق ۱۲۴] خشوعهم، ولم يتولهم الاعجاب فيستكثروا ما سلف منهم ولا

تركت لهم استكانة[۱۲۵] الاجلال نصيبا فى تعظيم حسناتهم»

، فهناك نقطة لطيفة كامنة فى هذه العبارة أشار إليها بعض شرّاح نهج البلاغة وهى أنّ من يقترب من الملوك والسلاطين

والشخصيات التى تبدو رفيعة وعظيمة سرعان ما يكتشف أن قدرتهم و شوكتهم قاصرة زائلة مهما بدت كبيرة، وبامكان مقربيهم أن يبلغوا هذه القدرة يوماً ما، بل حتى أعظم منها.

وهذا ما يؤدى بدوره إلى الحد من تواضع الآخرين وخضوعهم وطاعتهم لهم، فانّ اضطروا إلى تعظيمهم ظاهراً، لم يروا لهم مثل هذه العظمة باطناً. أمّا الملائكة فعلى العكس كلما اقتربت

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۷۳

فى مسيرتها من اللّه تكشفت لها حقائق جديدة عن عظمته المطلقة، فيروا فيه ملامح جديدة من صفات الجمال والجلال. من هنا يزدادون له خضوعاً وخشوعاً وتواضعاً كل يوم، فلا يبقى أمامهم من مجال للاعجاب بالحسنات وإكبارها، بل يرون أنفسهم مقصرين على الداوم تجاهه. ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه باماطة اللثام عن هذه الحقيقة وهى عدم كلل الملائكة عن عبادته، وليس للفتور من سبيل إليها، كما ليس هناك ما يصدها عن مواصلة مسيرتها العبادية، بل هى دؤوبة على العبادة بدافع من عشقها وإرادتها وعزمها، على غرار الإنسان الذى لايكل عن استنشاق الهواء الطلق طيلة عمره وإن امتد لالاف السنين. ثم تناول الإمام عليه السلام هذه المسألة من مختلف الجوانب بثمان عبارات. فقال فىالعبارة الاولى

«ولم تجر الفترات فيهم على طول دؤبهم»[۱۲۶]

كما قال سبحانه وتعالى فى محكم كتابه العزيز واصفاً الملائكة:

«يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ»[۱۲۷] ثم قال عليه السلام فى العبارة الثانية:

«ولم تغض ۱۲۸]

رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربّهم»

، وذلك لأنّ عشقهم للكمال دائمى لايتوقف، وعلمهم متزايد بربهم- وبناءاً على هذا فليس هنالك ما يدعو إلى غفلتهم عن العبادة، أو يقلل من أملهم. وقال فى العبارة الثالثة أن طول مناجاتهم لم تجف ألسنتهم وتعجزها عن العبادة:

«ولم تجف لطول المناجاة أسلات ۱۲۹] ألسنتهم»

، طبعاً ليس هنالك لساناً وفما للملائكة كما لدينا، بحيث تقل رطوبته بفعل كثرة الذكر والمناجاة فيصيبه الجفاف واليبس، بل العبارة كناية لطيفة عن عدم ضعفهم وفتورهم فى تسبيحهم وتضرعهم للّهسبحانه وتعالى ثم قال عليه السلام فى العبارة الرابعة:

«ولاملكتهم الاشغال فتنقطع بهمس ۱۳۰] الجؤار[۱۳۱]، إليه أصواتهم»

، فالواقع ليس لهؤلاء من عمل سوى العبادة والطاعة والعبودية، وهذه الامور جزء لايجتزأ من ذواتهم ووجودهم وإيمانهم. وليس لهذه الامور أن تخلق أى تعب أو ملل، كالقلب المعافى الذى لايشعر بالتعب ولو عمل لسنين، وقال عليه السلام فى العبارة الخامسة:

«ولم تختلف فى مقاوم ۱۳۲] الطاعة

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۷۴

مناكبهم»

، ثم أردفها عليه السلام بالقول بعدم خلودهم إلى الراحة ليؤدى بهم ذلك إلى التقصير فى القيام بمهامهم:

«ولم يثنوا[۱۳۳] إلى راحة التقصير فى أمره رقابهم»

فهم على أهبة الاستعداد للعبادة على الدوام. ثم اختتم ذلك بقوله عليه السلام:

«ولاتعدوا على عزيمة جدهم بلادة الغفلات، ولاتنتضل ۱۳۴] فى هممهم خدائع الشهوات»

، حقاً أنّ وجودهم خال من أية شهوة وغفلة، ولهم ايمان وحب لخالقهم على درجة من القوة والرسوخ بحيث لايتسلل إليهم التعب والملل أبداً فى مسيرتهم العبادية وطاعتهم لربّهم.

تأمّل: الناس والملائكة

هدف الإمام عليه السلام باختصار بيان حال الملائكة فى طاعتها وعبوديتها للّه‌سبحانه بعبارات مفعمة بالكنايات والتشبيهات المقرونة بروعة الدقة، و الجمال ليكون ذلك فى الواقع درساً لكافة الأفراد فى أنّ الإنسان إذا شق طريقة إلى اللّه وسار نحو مقام القرب إلالهى وذاق بروحه وأحاسيسه حلاوة معرفة اللّه وارتوى من حبه وعشقه، إلّايستشعر التعب والفتور أبداً فى مسيرته العبودية وطاعته لربه، وعليه أن يكون أكثر جدية وعزماً كلما تقدم فى هذه المسيرة.

فقد ورد فى سيرة الائمة ورواد الطريق من العلماء الأعلام ما يشير إلى أنّ الإنسان يمكنه أنّ يكون على غرار الملائكة فى هذه الامور، بل له أن يسبقهم ويتفوق عليهم، وذلك لأنّ الملائكة مجردة من الأهواء والشهوات و الغفلة، فاذا نال الإنسان تلك الصفات، كان حقاً أفضل من الملائكة. جاء فى الخبر أنّ الإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السلام لم ينقطع أربعين سنة عن صلاة الليل، حتى أنّه كان يصلى الصبح بوضوء المغرب:

«إنّه عليه السلام صلى أربعين سنة صلاة الصبح بوضوء المغرب»[۱۳۵]

، وقال الإمام الباقر عليه السلام فى وصفه لعبادة الإمام على عليه السلام:

«ما أطاق أحد عمله وإن كان على بن الحسين لينظر فى كتاب من كتب على

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۷۵

فيضرب به الأرض ويقول من يطيق هذا»[۱۳۶].

القسم السادس عشر: عودا على بدء فى صفات الملائكة

اشارة

«قَدْ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ، وَيَمَّمُوهُ، عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلى المَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ، لَايَقْطَعُون أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ وَلَايَرْجِعُ بِهِم الاسْتِهْتَارُ بِلُزُوم طاعَتِهِ، إِلَّا إِلَى مَوَادَّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ، لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ، فَيَنُوا فى جِدِّهِمْ، وَلَمْ تَأْسِرْهُمُ الْاطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ السَّعْى عَلى اجْتِهَادِهِمْ. لَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَآ مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَو اسْتَعْظَمُوا ذلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتِ وَجَلِهِمْ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِى رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ، وَلَا تَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ، وَلَا تَشَعَّبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرَّيَبِ، وَلَا اقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهِمَمِ، فَهُمْ أُسَرَاءُ إِيمَانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ وَلَا عُدُولٌ وَلَاوَنىً وَلَا فُتُورٌ، وَلَيْسَ فى أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعُ إِهَابٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ، يَزْدَادُونَ عَلَى طُول إِلطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً، وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِى قُلُوبِهِمْ عِظَماً».

الشرح والتفسير

تطرق الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة إلى صفات اخرى للملائكة (وكأنّ الإمام عليه السلام يوصى الناس بأنّكم إذا أردتم أن تصبحوا كالملائكة وتسلكوا سبيل القرب إلى اللّه، عليكم أن تتحلوا بهذه الصفات) فاشار عليه السلام بادىء ذى بدء إلى مقامهم فى توحيد الأفعال وتوجههم الخاص إلى ربّهم وانصرافهم عمن سواه فقال عليه السلام: إنّهم جعلوا ذا العرش وحبّه وطاعته ذخيرة

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۷۶

ليوم الفاقة وقد خلوا بكل كيانهم للخالق حين كرّس الخلق أفكارهم فى المخلوقات

«قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم، ويمموه ۱۳۷] عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين

برغبتهم» «ذا العرش»

إحدى صفات اللَّه التى تدل على ذروة عظمة ذاته سبحانه، وذلك لأنّ العرش أسمى موجودات عالم الخلقة. وقد اقتبست هذه الصفة من الآية الشريفة: «ذُوالعَرْشِ يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ»[۱۳۸]. نعم فلم يتعلق قلب هؤلاء سوى باللَّه ولايرون من مصدر غيره للخير والفضيلة والبركة والنجاة فى هذا العالم، ولاينال المؤمن هدفه ما لم يسلك هذا السبيل لمعرفة اللَّه، أمّا العبارة:

«ذخيرة ليوم فاقتهم»

فتفيد وقوف الملائكة يوم القيامة للحساب وانتظار هم للآجر والثواب. ثم قال عليه السلام:

«لايقطعون أمد غاية عبادته ولايرجع بهم الاستهتار[۱۳۹] بلزوم طاعته إلّاإلى مواد[۱۴۰] من

قلوبهم غير منقطعة من رجائه ومخافته»

، نعم فدوافع هؤلاء فى الطاعة والعبودية إنّما يستقونها من مصدر خوف اللَّه ورجائه الذى يضاعف معرفتهم باللَّه وسلوك السبيل المؤدى إلى قربه. ولذلك أكد الإمام عليه السلام فى العبارة اللاحقة فى أنّ أسباب خوف اللَّه لم تنقطع عنهم ليهنوا فى سعيهم وجدهم

«لم تنقطع أسباب الشفقة منهم، فينوا[۱۴۱] فى جدهم»

ثم أردفها عليه السلام بالقول بأنّ الاطماع لم تأسرهم وتستحوذ عليهم ليقدموا سرعة سعيهم فى امور الدنيا على جدهم فى امور الآخرة:

«ولم تأسرهم الأطماع فيؤثروا وشيك ۱۴۲] السعى على اجتهادهم»

أجل فالذى يضعف الإنسان فى طريق عبوديته الحق هو السقوط فى مخالب الأهواء والأطماع التى تعطل قواه وتصده عن طاعة ربّه.

ثم قال عليه السلام: فى صفة آخرى من صفات الملائكة

«لم يستعظموا ما مضى من أعمالهم،

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۷۷

ولو استعظموا ذلك لنسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم»

فالعبارة درس عظيم لكافة الأفراد فى استصغار أعمالهم عند اللَّه، وذلك أنّهم إذا أكبروا هذه الأعمال تعلقوا بها وازداد أملهم بها فيفتروا فى سعيهم؛ الأمر الذى يسلبهم خوف اللَّه الذى يعتبر من أحد العوامل المهمة للحركة نحو الكمال. وبغض النظر عما سبق فما عساناً أن نكون وما أعمالنا التى تليق بساحة الربوبية المطلقة. كان الحديث فى بعض الصفات السابقة عن عدم اعجاب الملائكة بأعمالها ونفسها، وجرى الحديث هنا عن تأثير الاعجاب فى تغلب الرجاء على الخوف؛ الأمر الذى يصد أصحاب الحق عن مواصلة مسيرتهم و يمنعهم من التكامل، وذلك لأنّ الإنسان إذا شعر بكبر أعماله عند اللَّه، راوده الشعور بانه دائن، ومن رأى نفسه دائنا اكتفى بما أتى من أعمال وتخلف عن سلوك سبيل التكامل.

ثم واصل عليه السلام كلامه بالحديث عن سائر خصائص الملائكة التى يحتاجها الإنسان بشدة، ومنها عدم اختلافهم فى ربّهم، ثم يعزى الإمام عليه السلام هذا الاختلاف إلى الوساوس الشيطانية أحيانا، أو الرذائل الأخلاقية أحياناً اخرى فقال عليه السلام:

«لم يختلفوا فى ربّهم باستحواذ الشيطان عليهم»

فالعبارة تحمل رسالة واضحة للجميع، وهى أنّ مصدر اختلاف المذاهب والأديان إنّما يعود بالدرجة الأساس إلى الوساوس الشيطانية، وذلك لأنّ الاختلاف- لاسيما إن كان عقائدياً- إنّما يفضى لأنواع النزاعات والحروب والاضطرابات؛ الأمر الذى يهدد مصيرالإنسان ويقضى على سعادته. ثم أشار عليه السلام بعد ذلك إلى العوامل الداخلية والرذائل الأخلاقية التى تؤدى إلى الاختلاف، وإن التعامل السيىء لم يفرق هذه الملائكة، ولم يبعدها الحسد عن بعضها، كما أن الشك والترديد لم يفرقها ويشتت أمرها:

«ولم يفرقهم سوء التقاطع، ولاتولاهم عن التحاسد، ولاتشعبتهم مصادر الريب، ولا اقسمتهم أخياف ۱۴۳]

الهمم»

فالواقع هو أنّ عمدة عوامل الاختلاف قد بينت فى هذه العبارات القصيرة. فلو تعامل الأفراد مع بعضهم البعض الآخر بشكل صحيح وفق معايير الادب، لحيل دون أغلب

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۷۸

الخلافات التى يفرزها سوء التعامل. وذا لم يحسد بعضهما البعض الآخر لاجتث العامل المهم الآخر من عوامل الخلاف والشقاق. وإن طرحوا عنهم الشكوك فى مختلف المسائل وتعاملوا مع ما يواجههم استناداً إلى العلم والمعرفة لحد من نسبة الخلاف. وأخيراً لو أذعن الجميع لاختلاف الأفكار والتوجهات وتشعب الاذواق والآراء لقل حجم التقاطع والانفصال، فقد شاء اللّه أن يخلق الناس على أنواع واختلاف فى الأفكار والتطلعات، ولو هم كل أحد بفرض آرائه على الآخرين، فمن اليقين لتعذر عيش شخصين إلى جانب بعضها دون بروز حالة من التوتر والاضطراب. صحيح أن ليس للملائكة من شهوات كما للإنسان، وأنّ أغلب دوافع الذنب والمعصية ليست متوفرة فيهم. إلّاأنّهم على كل حال قد زودوا بالعقل والشعور والاختيار وحب الذات والقدرة على المعصية والتمرد على الطاعة. إلّاأنّ عرفان الملائكة باللّه حال دون ارتكابها للذنب؛ وذلك أنّ مقارفتها للذنب والمعصية كلما كانت متعذرة، كانت جديرة بكل هذا المدح والتمجيد وجعلها أسوة للاقتداء بها من قبل الناس. وبناء على هذا فانّ الإنسان إذا بلغ هذه الدرجة من الكمال والمعرفة كان له أن يصون نفسه من التلوث بالذنب. ثم قال عليه السلام: فى ختام الكلام على سبيل نتيجة قصيرة بليغة

«فهم اسراء ايمان لم يفكهم من ربقته زيغ ۱۴۴] ولا عدول ولا ونى ۱۴۵] ولافتور»

، فالتعبير بالاسراء والربقة (الحبل ذو الحلقات المتعددة) يفيد مدى التزام الملائكة بالإيمان، فقد سبحوا فى بحار معرفة اللّه وسلموا لذاته المطلقة وكأنّهم لفوا أعناقهم بطوق محكم من الإيمان، ولايستطيع أى عامل أن يرفع هذا الطوق من أعناقهم، ولو عاش الناس مثل هذا التسليم للحق والالتزام بالإيمان، لما وسع دوافع الذنب والمعصية أن تتسلل إلى وجودهم قط. ثم اختتم الإمام عليه السلام كلامه بهذا الشأن بالحديث عن مسألة اخرى وهى كثرة الملائكة وسعة معرفتها، حيث يختتم هنا شرحه لصفات الملائكة، بحيث لايوجد، أدنى موضع فى السماء إلّاوقد شغل بملك ساجد، وآخر ساع حافد منهمك فى أداء مسؤوليته، ومن شأن هذه الطاعة أن تضاعف معرفتهم لربّهم، كما تزداد عزة ربّهم فى قلوبهم عظمة:

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۷۹

«وليس فى أطباق السماء موضع إهاب ۱۴۶] إلّاوعليه ملك ساجد أو ساع حافد[۱۴۷] يزدادون

على طول الطاعة بربّهم علماً، وتزداد عزة ربّهم فى قلوبهم عظماً».

فالعبارات تفيد كثرة عدد الملائكة من جانب بحيث ملأت جميع أقطار السموات بما فيها مدبرات الأمر وامناء الوحى والمنهمكين بالطاعة والعبودية. من جانب آخر فان كلا الطائفتين من الملائكة لكثرة طاعتها لربّها إنّما تزداد يوما بعد آخر علما ومعرفة فيصبحوا أكثر قربا للّهومعرفة به. وهذا درس آخر للناس ليعلموا أنّ الطاعة والتقوى سبب ازدياد العلم والمعرفة والتعرف على صفات اللّه الجمالية والجلالية. والواقع هو أنّ هنالك تأثير متبادل بين الطاعة والتقوى والمعرفة حيث تحكمهما علاقة طردية، فالمعرفة تقود إلى الطاعة، كما أنّ الطاعة تكون سببا للعلم والمعرفة الأعمق والأشمل. فقد ورد فى الحديث أنّ رجلًا سأل الإمام الصادق عليه السلام: هل الملائكة أكثر أم الناس؟ فاجاب عليه السلام:

«والذى نفسى بيده لعدد ملائكة اللّه فى السموات أكثر من عدد التراب فى الأرض؛ وما فى السماء من موضع قدم إلّاوفيها ملك يسبحه ويقدسه»[۱۴۸].

تأمّل: الناس والملائكة ثانية

بين الإمام عليه السلام فى هذا الخطبة صفات الملائكة بصورة واسعة جداً، وبالطبع فانّ هنالك هدفا مهما كان ينشده الإمام عليه السلام من ذلك. ويبدو أنّ للإمام عليه السلام هدفان هما: ذلك المطلب الذى وردت من أجله الخطبة ويكمن فى معرفة الصفات بعيدا عن الشرك سواء عن طريق التشبيه أو التعطيل.

والآخر هو سوق الإنسان نحو الملائكة والتحلى بصفاتها؛ ومنها أنّهما كها بالعبادة والطاعة والتواضع والخضوع واتباع الأوامر؛ فلا يكلون ولايتعبون ولايفترون، وليس بينهم من

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۸۰

أحقاد وضغائن وحسد، كما ليس بينهم اختلاف وتفرق وتشتت، وأخيراً لايكبرون أعمالهم ولايتسلل إليهم اليأس والقنوط، ولايفكرون سوى فى اللّه وطاعته. صحيح أن خلق الإنسان يختلف تماماً وخلق الملائكة، فالعقل هو الذى يحكم الملائكة، بينما ركبت إلى جانبه الشهوة فى الإنسان. إلّاأنّ هذا الإنسان الخليط من الصفات الحيوانية والعقلائية قد ينحدر حتى يكون كالحيوان الوحشى الكاسر

«بَلْ هُمْ أَضَلُّ»

، كما يمكنه أن يتسامى بفضل ما زود به من استعدادات ليفوق الملائكة فيبلغ مرتبة لاتتسنى لغيره «فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى ، ومن هنا يمكن للملائكة أن تكون قدوة للإنسان.

من جانب آخر فانّ العلم. بحضور الملائكة فى أرجاء العالم- بحيث ليس هنالك شبراً فى هذا العالم المترامى الأطراف يخلو منها- دلالة مهمّة على فعالية التدبير الإلهى فى هذا العالم؛ الأمر الذى لايخفى دوره فى المسائل التربوية. وناهيك عما سبق فانّ هذه الصفات تحمل رسالة مهمّة للإنسان وهى عدم الاغترار بالأعمال واستكثارها إذا ما وقف بين يدى ربّه للصلاة أو ناجى ربّه وتضرع إليه، بل إن نهض فى جوف الليل وصلى والناس نيام. فيطرد عن نفسه هذه الأفكار الشيطانية، فالذات الإلهية مطلقة غنية ليست بحاجة إلى العبادة، بغض النظر عن كثرة عدد الملائكة التى تتقلب فى طاعة اللّه ساجدة وراكعة وقائمة. والحق أنّ قدراً من الدقة والتمعن فى الصفات التى أوردها أميرالمؤمنين على عليه السلام بشأن الملائكة لتأخذ بيد الإنسان إلى عالم النور والعرفان وتوقفه على صغر أعماله وطاعاته وتعرفه بسر القرب من اللّه والفوز برضوانه.

وتكشف النقاب عن عدم عبثية شدة قرب الملائكة من اللّه، إلى جانب عدم بلوغ الإنسان أهدافه المعنوية الرفيعة المرسومة له دون السعى والجد والاجتهاد والطاعة.

فقد ورد فى الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام حين سأله أحد أصحابه وهو عبداللّه بن سنان:

أيّهما أفضل الملائكة أم بنى آدم؟ قال عليه السلام أميرالمؤمنين على عليه السلام:

«إنّ اللّه ركب فى الملائكة عقلًا بلا شهوة، وركب فى البهائم شهوة بلا عقل، وركب فى بنى آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم»[۱۴۹].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۸۱

طبعاً لايعنى هذا الحديث أنّ الملائكة لاتملك لنفسها اختياراً، أو أنّها تخلو من عوامل الذنب والمعصية، فعدم وجود الشهوة فى الملائكة إنّما يحول دونها ودون بعض دوافع الذنوب لا جميعها.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۸۳

القسم السابع عشر: ظهور اليابسة و استقرار البحار

«كَبَسَ الأَرْضَ عَلى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ، وَلُجَجِ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ، تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ أَمْوَاجِهَا، وَتَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا، وَتَرْغُوا زَبَداً كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا، فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا، وَسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا، وَذَلَّ مُسْتَخْذِياً، إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بَكَوَاهِلِهَا، فَأَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ، سَاجِياً مَقْهُوراً، وَفِي حَكَمَةِ الذُّلِّ مُنْقَاداً أَسِيراً، وَسَكَنَتِ الأَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ وَإِعْتِلَائِهِ، وَشَمُوخِ أَنْفِهِ وَسُمُوِّ غُلَوَائِهِ، وَكَعَمَتْهُ عَلَى كِظَّةِ جَرْيَتِهِ، فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ، وَلَبَدَ بَعْدَ زَيَفَانِ وَثَبَاتِهِ».

الشرح والتفسير

مرّ علينا فى الخطبة الاولى من نهج البلاغة ما أورده الإمام عليه السلام بشأن خلق الأرض فقال: ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء، وشق الأرجاء، وسكائك الهواء، فأجرى فيها ماء متلاطماً تياره، متراكماً زخاره، حمله على متن الريح العاصفة، والزعزع القاصفة، فأمرها برده، وسلطها على شده ... فسوى منه سبع سموات.

وقد أشار الإمام عليه السلام هنا فى هذا الموضع من الخطبة إلى ذلك الأمر الذى ذكره سابقاً فى أطار عرضه لخلق الأرض بعبارات جديدة رائعة فقال عليه السلام:

«كبس ۱۵۰] الأرض على مور[۱۵۱] أمواج

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۸۴

مستفلحة[۱۵۲]، ولجج بحار زاخرة[۱۵۳] تلتطم أو اذى ۱۵۴] أمواجه، وتصطفق ۱۵۵] متقاذفات ۱۵۶]

أثباجها[۱۵۷] وترغوا[۱۵۸] زبداً كالفحول عند هياجها»،

ولعل هذه العبارات من قبيل الأمواج والبحار وأمثال ذلك ممّا كان موجوداً قبل بداية الخلق، أى فى ذلك الزمان الذى لم يكن فيه الماء، بل حتى الليل والنهار، إشارة إلى المواد المذابة التى كانت موجودة قبيل انبثاق الخليقة وقد تلاطمت وتلاشت إثر وقوع الانفجارات العظيمة، فظهرت الرغوات الواسعة على هذه المواد المذابة ثم قذفت فى الفضاء لتكون الأرض والكواكب والسيارات، ثم أشار الإمام عليه السلام إلى مرحلة اخرى من مراحل ظهور العالم فقال:

«فخضع جماح ۱۵۹] الماء المتلاطم لثقل حملها،

وسكن هيج ارتمائه إذ وطئته بكلكلها[۱۶۰]، وذل مستخذيا إذ تمعكت ۱۶۱] عليه بكواهلها[۱۶۲]»

، ثم أردف الإمام عليه السلام ذلك بقوله:

«فاصبح بعد اصطخاب ۱۶۳] أمواجه، ساجياً[۱۶۴] مقهوراً، وفى

حكمة[۱۶۵] الذل منقادا أسيراً»

، فالذى يستفاد من هذه العبارات أنّ ظهور الأرض (وسائر

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۸۵

الكرات السماوية) على المادة المذابة الاولى كان سببا لاستقرارها بالتدريج وكبح جماحها واضطرابها. كما يحتمل أن تكون هذه العبارات إشارة إلى الأمطار والسيول فى بداية ظهور الكرة الأرضية، بحيث شكلت محيطات متلاطمة، إلّاأنّ هذه الأمواج أخذت بالاستقرار نسبياً على سطح المحيطات بفعل الجاذبية الأرضية. حتى أخذت تظهر اليابسة، من هنا قال لاحقابان الأرض قرت وظهرت يبوستها شيئاً فشيئاً وحد من حركات الماء حتى سكن وقر فى مكانه

«وسكنت الأرض مدحوة[۱۶۶] فى لجة تياره، وردت من نخوة بأوه ۱۶۷] واعتلائه،

وشموخ ۱۶۸] أنفه، وسمو غلوائه ۱۶۹] وكعمته ۱۷۰] على كظة[۱۷۱] جريته ۱۷۲] فهمد[۱۷۳] بعد نزقاته ۱۷۴]، ولبد[۱۷۵]

بعد زيفان ۱۷۶] وثباته ۱۷۷]»،

وهكذا خمدت العواصف الاولى وقطعت الأمطار والسيول ثم هدأت تلك الامواج، فتأهبت الأرض لتقبل الحياة عليها، وهذا ما أشار

إليه الإمام عليه السلام فى المقطع القادم. وهنا لابدّ من القول بانّ بعض شرّاح نهج البلاغة ذهبوا إلى أنّ الماء قد وجد قبل خلق الكرة الأرضية، إلّاأنّه كما أشير سابقاً أنّ التعبير بالماء يمكن أن يكون إشارة إلى المواد المذابة السيالة التى وجدت قبل ظهور السماء والأرض.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۸۷

القسم الثامن عشر: ظهور الجبال والعيون

اشارة

«فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا، وَحَمْلِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ الْبُذَّخِ عَلَى أَكْتَافِهَا، فَجَّرَ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أنوفها، وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بِيَدِهَا وَأَخَادِيدِهَا، وَعَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّسَيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا، وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشُّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا، فَسَكَنَتْ مِنَ الْمَيَدَانِ لِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا، وَتَغَلْغُلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا، وَرُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ الْأَرَضِينَ وَجَرَاثِيمِهَا، وَفَسَخَ بَيْنَ الْجَوِّ وَبَيْنَهَا، وَأَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَنَسَّماً لِسَاكِنِهَا، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة- بعد أن شرح كيفية ظهور الأرض- إلى مسألة ظهور العيون والآثار المهمة للجبال فى استقرار الأرض ومن عليها، فتطرق إلى أهم أسباب الحياة على الأرض وفى مقدمتها الماء والسكون والاستقرار فقال عليه السلام:

«فلما سكن هيج الماء من تحت أكنافها، وحمل شواهق ۱۷۸] الجبال الشمخ ۱۷۹] البذخ ۱۸۰] على أكتافها، فجر ينابيع العيون من عرانين ۱۸۱] أنوفها وفرقها فى سهوب ۱۸۲] بيدها[۱۸۳] و أخاديدها[۱۸۴]»

فالعبارة تفيد أن اؤل

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۸۸

ما ظهر على الأرض الجبال ثم تبعتها العيون؛ الأمر الذى أيدته أبحاث علم طبقات الأرض حيث تشققت القشرة الأرضية فى البداية إثر البرودة، فكان فى تلك الشقوق حفر عظيمة استوعبت الماء النازل من السماء ثم جرى بشكل عيون و ينابيع. والعبارة

«عرانين أنوفها»

التى تعنى ما صلب من عظم الانف، هى كناية رائعة عن قمم الجبال، بل أن تشبيه نتوءات الجبال بالانف تشبيه رائع يدل على أنّ جوف الجبل ليس مملوءاً، بل فيها المزيد من الأجزاء الخالية بحيث تبدوا أحياناً للعيان على هيئة غيران وكهوف ومصادر لادخار المياه.

ثم اشار عليه السلام إلى سكون الأرض والسيطرة على حركتها بالجبال، فقال:

«وعدل حركاتها بالراسيات ۱۸۵] من جلاميدها[۱۸۶] وذوات الشناخيب ۱۸۷] الشمّ ۱۸۸] من صياخيدها[۱۸۹]».

وهكذا سكنت حركات الأرض بفعل نفوذ الجبال فى سطحها ورسوخها فى الأعماق واستقرارها على الفلاة فحالت دون اضطرابها:

«فسكنت من الميدان ۱۹۰] لرسوب الجبال فى

قطع أديمها[۱۹۱] وتغلغها[۱۹۲] متسربة[۱۹۳] فى جوبات ۱۹۴] خياشيمها[۱۹۵]، وركوبها أعناق سهول

الأرضين وجراثيمها[۱۹۶]».

والحق أنّ ما أورده الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة هو ذات ما أثبته العلم الطبيعى؛ الأمر الّذى أشار إليه القرآن الكريم فى أنّ الجبال بمثابة مسامير الأرض:

«وَالجِبالَ

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۸۹

أَوْتاداً»[۱۹۷]

، كما صرح القرآن قائلًا: «وَأَلْقى فِي الأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ»[۱۹۸]. طبعا هناك عدة فوائد اخرى للجبال؛ ومنها خزن المياه التى تخرج منها أحياناً كعيون، وأحياناً اخرى على هيئة صقيع كثير ذاب ماءاً فشكل الأنهار، ناهيك عن سائر فوائد التى ذكرناها فى شرح الخطبة الاولى فى المجلد الأول من هذا الكتاب. ثم أشار عليه السلام إلى امور مهمّة اخرى لاعداد الأرض بغية عيش الإنسان وممارسة حياته عليها، فى أنّ الله جعل فاصلة بين الأرض والجو، وأعد الهواء والنسيم إلى جانب توفير كافة ما يحتاج إليه سكنة الأرض:

«وفسح بين الجو وبينهما، وأعد الهواء متنسما[۱۹۹] لساكنها، وأخرج إليها أهلها على تمام مرافقها[۲۰۰]»

، فقد ضمنت هذه العبارة أشاره إلى الأركان الأصلية للحياة ومعيشة الإنسان والحيوان، وفى مقدمتها الهواء، أو بعبارة اخرى الاو كسجين الذى لايستغنى عنه الإنسان لبضع (دقائق حيث يموت إذا قطع عنه. إلّاأنّ الحق سبحانه وتعالى خلقه بكمية كافية وفى جميع الاماكن بحيث يحصل عليه الإنسان دون أدنى جهد أو تعب. كما يحصل عليه الجميع على السواسية غنيهم وفقيرهم وكبيرهم وصغيرهم وعجوزهم وفتاهم وعاجزهم وناشطهم. ثم أشار على نحو الاجمال إلى كل ما يلزم الإنسان والحيوان للمعيشه على الأرض بعبارة قصيرة أوجزها فى المفردة «المرافق». أمّا ما المراد بالجو فى العبارة الذى فصله الله عن الأرض، فقد قال البعض المراد به الفضاء، ولمالم يكن الفضاء جسما أو مادة فلا يبدو التعبير با يجاد الفاصلة بينه وبين الأرض مناسبا. و يمكن أن يكون المراد بالجو الطبقات التى وراء الهواء، كطبقة الأوزون التى لايمكنها تلبية الحاجة التنفسية للإنسان لو كانت فاصلتها مع الأرض قليلة، وكانت الطبقة الجوية رقيقة. أضف إلى ذلك فانها تدعو إلى اضطراب سائر شرائط حياة الإنسان وكافة الأحياء على الأرض.

تأمّل: أسرار خلق الجبال

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۹۰

لقد أعد الحكيم سبحانه بمقتضى قدرته وعلمه كافة أسباب الحياة ومتطلبات العيش والوسائل التى يحتاجها الإنسان قبل خلقه؛ الأمر الذى أشارت الخطبة إلى جانب منه، ومن ذلك استقرار الأرض، فلو كانت القشرة الأرضية فى حالة حركة لتعذرت الحياة عليها، و الآخر توفير الهواء بهذه الصورة الواسعة حيث يعتبر مادة الحياة فى السفر والحضر وفى البيت وخارجه وفى اليقظة والمنام وهو معه أينما كان، وتوفير المياه والعيون وجعلها تحت تصرف الإنسان، إلى جانب نزول الأمطار التى تروى كافة المواضع المرتفعة والعالية وترويها بالمياه، وهذا ما سيأتى ذكره فى الأقسام القادمة من الخطبة.

وظهور الجبال التى تلعب دوراً مهما فى حياة الإنسان، بل يمكن القول أنّ الحياة البشرية مهددة بالاخطار لولا هذه الجبال للأسباب التالية.

أولًا: دورها فى الحيلولة دون اضطراب الأرض بفعل الضغط الداخلى.

ثانياً: الحيولة دون عدم استقرار الأرض إثر الضغط الخارجى الناجم عن جاذبية الشمس والقمر وظاهرة المد والجزر الناشئة عنهما.

ثالثاً: كونها الملجأ الأمن ازاء العواصف التى تهدد كل مقومات وعناصر حياة الإنسان.

رابعاً: وسيلة لايقاف السحب ونزول الأمطار.

خامساً: عامل مهم لادخار المياه بصورة صقيع متراكم فى سطحها الخارجى بحيث تتحول بالتدريج إلى ماء طيلة السنة.

سادساً: موضع للآبار الجوفية التى تختزن فى حفر عظيمة داخلها وتجرى كعيون.

سابعاً: تمنع الاصطدام الشديد للهواء بطبقة الأرض.

ثامناً: تجعل الأرض قابلة للاستفادة العملية، وبالنظر لاختلاف درجات حرارة وسط الجبال ونقاطها العلوية والسفلية فانها توفر مناخاً مناسباً لنمو مختلف النباتات والمحاصيل.

تاسعاً: انها مراكز للمعادن العظيمة التى تلعب دوراً مهما فى حياة الإنسان.

عاشرا: يستخرج منها بعض المواد المهمّة فى البناء ولاسيما الحجر.

ومن هنا عدها القرآن الكريم من النعم العظيمة ذات الفوائد الكثيرة، فقال «وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الأَرضَ وَجَعَلَ فِيها رَواسِىَ وَأَنْهاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِيها زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ»[۲۰۱].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۹۱

القسم التاسع عشر: إحياء الأرض الميتة بالسحب الممطرة

اشارة

«ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ الأَرْضِ الَّتِى تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا، وَلَا تَجِدُ جَدَاوِلُ الأَنْهَارِ ذَرِيعةً إِلى بُلُوغِهَا، حَتَّى أَنْشَأَلَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِى مَوَاتَهَا، وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْد افْتِرَاقِ لُمَعِهِ، وَتَبَايُنِ قَزَعِهِ، حَتَّى إِذَا تمخضت لُجَّةُ الْمُزْنِ فِيهِ، وَالْتَمَعَ بَرْقُهُ فِى كُفَفِهِ، وَلَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ فِى كَنَهْوَرِ رَبَابِهِ، وَمُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ، أَرْسَلَهُ سَحّاً مُتَدَارِكاً، قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ، تَمْرِيهِ الْجَنُوبُ دِرَرَ أَهَاضِيبِهِ، وَدُفَعَ شَآبِيبِهِ. فَلَمَّآ أَلْقَتِ السَّحابُ بَرْكَ بِوَانِيْهَا، وَبَعَاعَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ الْعِبْءِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا، أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الأَرْضِ النَّبَاتَ، وَمِنْ زُعْرِ الْجِبَالِ الأَعْشَابَ، فَهِى تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا وَتَزْدَهِى بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ، أَزَاهِيرِهَا، وَحِلْيَةِ مَا سُمِطَتْ بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا، وَجَعَلَ ذلِكَ بَلَاغاً لِلْأَنَامِ، وَرِزْقاً لِلْأَنْعَامِ، وَخَرَقَ الْفِجَاجَ فِى آفَاقِهَا، وَأَقَامَ المَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة إلى نعمة مهمّة اخرى لا تتمّ الحياة بدونها على سطح الأرض، حيث شرحها بعبارات لطيفة رائعة، فقال عليه السلام:

«ثم لم يدع جرز[۲۰۲] الأرض التى

تقصر مياه العيون عن روابيها[۲۰۳]، ولاتجد جداول الأنهار ذريعة إلى بلوغها، حتى أنشأ لها

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۹۲

ناشئة السحاب تحيى، مواتها وتستخرج نباتها».

الجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام أشار بصورة عابرة إلى الاقسام الثلاثة للرى والسقى: السقى الطبيعى بواسطة العيون المليئة بالمياه، والسقى عن طريق الجداول والآبار وتوجيه مياه الأنهار الطبيعية، والسقى عن طريق الأمطار الأهم من كل ذلك، وذلك لوجود بعض المناطق فى الأرض التى يتعذر سقيها بغير الأمطار، وهى المناطق الكثيرة، فلولا مياه الأمطار لماتت أجزاء واسعة من الأرض. اضف إلى ذلك فما لاشك فيه أنّ الأنهار والعيون إنّما تكتسب مياهها من الأمطار. على كل حال فانّ السحب وبالتالى الأمطار تقوم بهذه المهمة فى السقى و التى كلفها بها اللّه فقال عليه السلام:

«الف غمامها بعد افتراق لمعه ۲۰۴]، وتباين قزعه ۲۰۵]، حتى إذا تمخضت ۲۰۶]

لجة المزن ۲۰۷] فيه والتمع برقه فى كففه ۲۰۸]، ولم ينم وميضه ۲۰۹] فى كنهور[۲۱۰] ربابه ۲۱۱]، متراكم

سحابه، أرسله سحاً[۲۱۲] متاركاً، قد أسف ۲۱۳] هيدبه ۲۱۴]، تمريه ۲۱۵] الجنوب درر[۲۱۶] أهاضيبه ۲۱۷]، ودفع

شابيبه ۲۱۸]»

، فقد استبطنت هذه العبارات عدّة مواضيع علمية مهمة: ومنها الإشارة إلى مهمّة

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۹۳

الريح التى تؤلف بين السحب المتفرقة المنبعثة من البحار لتتكون منها الأمطار الغزيرة. ثم تطرق عليه السلام إلى تجمع السحب والغيوم والضغط الذى تسلطه كل واحدة على الأرض تأهباً لهطول الأمطار إلى جانب دور البرق فى ذلك الهطول، لاننا نعلم أنّ البرق إنّما يحصل من خلال الكهربائية الموجبة والسالبة، فيجذب إليه مقداراً كبيراً من الهواء ويقلل من ضغطه فاذا قلّ ضغط الهواء تمهدت الظروف لسقوط الأمطار. ثم واصل الإمام عليه السلام الكلام فى دور الرياح وأنّها بمثابة الأصابع التى تستخرج الحليب من ضرع الثدى، فتفصل السحب والغيوم عن الهواء وتبعث بمياه الأمطار هنا وهناك. فكل هذه الامور تشير إلى أن الخالق الحكيم قد أعدّ جميع المقدمات ودبر كافة الاسباب من أجل رى الاراضى المرتفعة والجافة. ثم أشار الإمام عليه السلام إلى آثار المطر على الأرض وما ينطوى عليه من بركات وفوائد فقال:

«فلما ألقت السحاب برك ۲۱۹]

بوانيها[۲۲۰] وبعاع ۲۲۱] ما أستقلت ۲۲۲] به من العبث ۲۲۳] المحمول عليه، أخرج به من هوامد[۲۲۴] الأرض

النبات، ومن زعر[۲۲۵] الجبال الأعشاب»

، فقد أشارت هذه العبارات الرائعة إلى مسألة وهى أنّ السحب كأنّها حبلى فاذا هطلت الأمطار الثقيلة وضعت حملها؛ الحمل الذى يفيض الحياة والبركة والجمال لكى تشمل الصحارى الجرداء أطراف قمم و سفوح الجبال- التى يصعب على الإنسان سقيها- فتخرج منها النباتات التى تعود بالفائدة على الناس. ثم واصل عليه السلام حديثه برسم صورة رائعة عن الطبيعة التى تتمخض عن ذلك المطر، فقال

«فهى تبهج ۲۲۶] بزينة

رياضها، وتزدهى ۲۲۷] بما البسته من ريط[۲۲۸] أزاهيرها[۲۲۹] وحيلة ما سمطت ۲۳۰] به من ناضر[۲۳۱]

أنوارها[۲۳۲]».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۹۴

ومن الواضح جداً دور الطبيعة وجمالها فى صفاء روح الإنسان وإزالته لتعبه وارهاقه إلى جانب تفعيل قوته وطاقته؛ وعليه فالحديث لايقتصر على مسألة الجمال، وإن كان هذا الجمال يمثل جانباً من جمال الحق سبحانه وجلاله؛ بل إنّ هذا الجمال يعد أحد عوامل بقاء الحياة وديمومتها، بل ذهب بعض العلماء إلى أهمية دروه حتى فى نشاط الحيوانات. ثم قال عليه السلام بأنّ كل ذلك زاد ومتاع للإنسان ورزق للانعام:

«وجعل ذلك بلاغاً[۲۳۳] للأنام، ورزقاً للأنعام»

، فالإنسان لا يستفيد من نعم الطبيعة على مستوى الغذاء فحسب، بل يؤمن عن طريقها لباسه ومسكنه ومركبه، وبصورة عامة كافة حاجاته ومتطلباته. قال القرآن الكريم بهذا الشأن: «أَنّا صَبَبْنا الْماءَ صَبّاً* ثُمَّ شَقَقْنا الْأَرْضَ شَقّاً* فَأَنْبَتْنا فِيها حَبّاً* وَعِنَباً وَقَضْباً* وَزَيْتُوناً وَنَخْلًا* وَحَدائِقَ غُلْباً* وَفاكِهَةً وَأَبّاً* مَتاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعامِكُمْ»[۲۳۴].

نعم فالإنسان لايتغذى على النباتات وثمارها، وينسبح مفروشاته من مختلف أليافها فحسب، بل يبنى بيوته من خشبها وينصب الخيام من أليافها، كما يغطى أغلب حاجاته ومتطلباته عن طريق منتجات الحيوانات التى تتغذى على النباتات. ثم اختتم خطبته عليه السلام بالاشارة إلى مسألة مهمّة اخرى خلقها الله فى الأرض من أجل الإنسان:

«وخرق الفجاج ۲۳۵]

فى آفاقها وأقام المنار للسالكين على جواد[۲۳۶] طرقها».
فادنى نظرة إلى الأرض وكل بقعة من هذه الكرة الأرضية يتضح من خلالها بأنّ الجبال لم تحول دون الحركة على الأرض أو بفصل بعض بقاعها عن البعض الآخر فحسب، بل جعل فى كافة مواضعها الاودية والشقوق لا يصالها مع بعضها عن طريق السبل والجادات وما إلى ذلك: و قلما يلتفت الإنسان أنه لولا وجود هذه الجادات و الجبال العملاقة المتصلة مع بعضها و التى تشكل جدارا لمنع عبور الناس و الحيوانات و تقسم الأرض إلى إقسام متناثرة لتعرض لعظيم البلاء و عاش أشد الفاقة: «وَجَعَلْنا فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنا فِيها فِجاجاً سُبُلًا لَعَلَّهُمْ
نفحات الولايه، ج۴، ص: ۹۵
يَهْتَدُونَ»[۲۳۷]
، وقال: «وَمِنَ الجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَغَرابِيبُ سُودٌ»[۲۳۸].

تأمّل: سعة قاعدة اللطف فى التكوين والتشريع

جرت عادة أهل التدبير والحكمة على توفير كافة المقدمات والأسباب التى توصل إلى الهدف، ويتجلى هذا الأمر بأعظم أبعاده فى الخالق الحكيم سواء فى عالم التشريع والتكليف، أم فى عالم العينيات والواقعيات، فقد أعد كافة الشرائط ومهد جميع السبل فى عالم التكليف من أجل الطاعة، حيث زود الإنسان بالعقل والذكاء والفطرة السليمة وانزل الكتب السماوية وبعث الرسل والأنبياء ليتسنى للعباد اتخاذ سبيل الطاعة؛ الأمر الذى اصطلح عليه باللطف فى علم الكلام. وفى عالم الخلق فانّ الله سبحانه أعد كافة وسائل الحياة قبل أن يضع الإنسان قدمه على هذا العالم، فقد أقر سطح الأرض وحال دون حركاتها الطائشة بواسطة الجبال، وشق فيها الآبار والأنهار التى تعتبر مادة الحياة، وسخر السحب لرى المرتفعات، كما خلق مختلف النباتات التى يتغذى عليها الناس والحيوانات كما أوجد الجواد وسط الجبال لعبور الناس ومشيهم، وسهل للناس روابطهم الاجتماعية، بل منح أرواحهم السكينة والهدوء بما زين به الطبيعة من ورود وأزهار. نعم هذا هو معنى الحكمة والتدبير والربوبية الذى أشار إليه أميرالمؤمنين على عليه السلام فى هذا الموضع من الخطبة، والذى يعرف الإنسان بعلم الله وقدرته وحكمته من جانب، كما تثير لديه حس الشكر- مادة الطاعة والعبودية-، وهوالأمر الذى ورد كراراً فى القرآن ومن ذلك فى سورة النحل بعد ذكره لخلق السموات والأرض والانعام ونزول الأمطار من السماء و خروج الاشجار و نمو الزرع و أنواع الثمار و الفاكهة و حركة الشمس و القمر و خلق البحار على أنها من نعمه التى لاتعد و لا تحصى. حيث قال: «وَأَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ أَنْهاراً وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ* وَعَلاماتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ»[۲۳۹].
نفحات الولايه، ج۴، ص: ۹۷

القسم العشرون: خلق آدم وبعثة الأنبياء

«فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ، اخْتَارَ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلامُ، خِيرَةً مِنْ خَلْقِهِ وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَأَرْغَدَ فِيهَا أُكُلَهُ، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرَّضَ لِمَعْصِيَتِهِ، وَالْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ؛ فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ- مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ- فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ، وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسُنِ الْخِيَرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ، وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالاتِهِ، قَرْناً فَقَرْناً؛ حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه و آله حُجَّتُهُ، وَبَلَغَ الْمَقْطَعَ عُذْرُهُ وَنُذُرُهُ».
الشرح والتفسير
خاض الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة فى قضية خلق آدم بعد خلق الأرض و إعدادها من جميع النواحى، وأنّ الله سبحانه قد أعد الأرض وانفذ فيها أمره ثم اصطفى آدم عليه السلام من بين جميع خلقه:

«فلما مهد أرضه، وأنفذ أمره، اختار آدم عليه السلام، خيرة من خلقه، وجعله أول جبلته»[۲۴۰]

، والعبارة

«أول جبلته»

(أول مخلوقاته) يمكن أن يكون المراد بها الإنسان الأول من حيث الترتيب الزمانى، أو أول مخلوق من حيث الموقع.

والمقام، أو كلاهما.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۹۸

ثم قال عليه السلام بأنّ الله سبحانه أسكن آدم جنته وزوده بمختلف الأطعمة والأشربة، ثم حذره ما حظر عليه والعاقبة الخطيرة لتجاوز أمره ونهيه على مقامه وكرامته:

«وأسكنه جنته، وأرغد فيها أكله، وأوعز[۲۴۱] إليه فيما نهاه عنه، وأعلمه أن فى الأقدام عليه التعرض

لمعصيته، والمخاطرة بمنزلته».

نعم فقد أسكن الله آدم عليه السلام فى جنّة أرضية (جنّة غناء بالفاكهة من جنان الأرض، والشاهد على ذلك قوله:

«فلما مهد أرضه»

، ثم بين لآدم عليه السلام تكليفه وأصدر له وأوامره ونواهيه وحذره من معصيته وعدم طاعة أوامره، والعبارات وان لم تصرح بالشجرة المنهية، غير أنّها بينت بصورة عامة؛ الأمر الذى ورد كراراً فى عدّه آيات قرآنية ومنها الآية: «وَلَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً»[۲۴۲] والآية «وَقُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وَكُلا مِنْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما وَلا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظّالِمِينَ»[۲۴۳].

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بأنّ آدم وقع فى ما حذر منه:

«فأقدم على ما نهاه عنه، موافاة لسابق علمه».

قد يبدو فى البداية أنّ العبارة:

«موافاة لسابق علمه»

، أنّ آدم عليه السلام- قد أجبر على المعصية وذلك لأنّ علم الله سبق فى هذا الأمر (وهذه هى الشبهة المعروفة لدى المجبرة فى مسألة العلم الأزلى لله سبحانه)، ولكن كما ذكر نا ذلك سابقاً فى بحث الجبر والتفويض، أنّ العلم الازلى ليس سبباً الاجبار على فعل قط! لأنّ اللّه كان يعلم أنّ آدم عليه السلام سيقارف هذا العمل باختياره، بالضبط كالاستاذ الذى يعرف تلميذه سيسقط فى الامتحان النهائى بسبب إهماله وكسله فى الدروس. فمثل هذا العلم من قبل الاستاذ ليس له أية صلة برسوب ذلك التلميذ أو اجباره عليه. فهو يعلم أنّ تلميذه اختار طريقاً خاطئاً بمحض إرادته، وقد اعتاد الكسل والتقاعس دون الجد والمطالعة والمثابرة[۲۴۴] ومن هنا آخذه اللّه وخاطبه: «أَلَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُما إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ»[۲۴۵].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۹۹

فلو كان آدم عليه السلام مجبوراً كيف يؤاخذه الحكيم سبحانه على فعل لم يكن مختاراً فى ارتكابه، كذلك لماذا يندم آدم عليه السلام على ذلك الفعل ويتوب منه، أم كيف يخرج اللّه سبحانه من الجنّة بذلك الفعل؟ كل هذه الامور تدل على عدم وجود أى تضارب بين العلم الأزلى للّهسبحانه مع اختيار آدم وسائر أفراد البشر، ثم قال عليه السلام:

«فاهبطه ۲۴۶] بعد التوبة ليعمر الأرض بنسله،

وليقيم الحجة به على عباده».

فبالنظر للعبارة السابقة

«أسكنه جنّته»

يفهم أنّ هبوط آدم ونزوله لم يكن هبوطاً مكانياً، بل مقامياً، أى أنّ اللّه أهبط آدم من ذلك المقام الرفيع الـذى كان عليه لتركه ذلك الاولى.

والعبارة:

«ليعمر أرضه بنسله»

تفيـد أنّ هـدف كافـة الأفراد لابـدّ أن يكون إعمـار الأرض لا اخرابها با الحروب والقتال والنزاعات والخلافات أو الخمول والكسـل والتقاعس عن العمل أو حتى تلويث البيئـة السالمـة! والطريف أنّ هـذا الاعمار جاء بعـد التوبة، فما لم يتب الإنسان من أخطائه وزلله لا يوفق لهذا البناء والاعمار، فقد جاء فى القرآن الكريم «هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيها فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ»[۲۴۷].

كما يستفاد من العبارة:

«فأهبطه بعد التوبة»

بأنّ ذلك الهبوط قد حصل بعد التوبة.

النقطـة المهمـة الاـخرى فى العبـارة والتى أشـير إليهـا مراراً فى القرآن مسألـة اتمـام الحجـة على العباد. فاللّه سـبحانه وإن زود الإنسان بالعقل، إلّاأنّه لم يكتف بذلك فواتر إليه كتبه ورسـله وأنبيائه والدعاة إلى طاعته- فى كل عصـر ومصـر- ليتم الحجة على العباد، وهذا ما أورده الإمام عليه السلام فى حديثه بين بنى آدم وواتر إليهم الأنبياء ليؤدوا رسالات ربّهم ويقيموا عليهم الحجج:

«ولم يخلهم بعد أن قبضه، ممّا يؤكد عليهم حجة ربوبيته، ويصل بينهم وبين معرفته، بل تعاهدهم بالحجج على ألسن الخيرة من أنبيائه، ومحتملى ودائع رسالاته، قرناً[۲۴۸] فقرناً؛ حتى تمت بنبينا محمد صلى الله عليه و آله حجته، وبلغ المقطع ۲۴۹] عذره ونذره ۲۵۰]»

، تفيد بعض

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۰۰

الآيات القرآنيـة وجود التوبـة سابقاً، كما تفيـد آيات اخرى وجودها لا حقاً، ويمكن الجمع بينهما، فى أنّ آدم عليه السـلام تاب مرات من خطيئته من قبل الهبوط وبعده، وما أكثر ما يخطئى الإنسان ويكثر من الاستغفار كلما عرض له ذلك الخطاء. العبارة

«لم يخلهم بعد أن قبضه»[۲۵۱]

، تفيـد أنّ آدم عليه السـلام هو أحد أنبياء اللّه وحججه، وأنّ اللّه واتر أنبيائه بعد آدم عليه السـلام حتى ختمهم بالنبى الأكرم صـلى الله عليه و آله، وهنا يبرز هذا السؤال: إذا كان اتمام الحجة ضـرورة فى كل زمان ومكان/ لم ختمت النبوة بالرسول الأكرم صلى الله عليه و آله فكان صـلى الله عليه و آله خاتم الأنبياء؟ وتتضـح الاجابة على هذا السؤال من خلال التفات إلى هذه النقطة وهى أنّ اللّه أنزل آخر أوامره وأحكـامه وأكمـل قوانينه وتعاليمه على نبى الإسـلام، فكانت شـريعته أكمل الشـرائع وأشـملها، بحيث يمكن للبشـرية برمتها أن تحتذيها فى مسيرتها إلى السعادة والفلاح، ولا سيما أنّ نسل الأوصياء عليه السلام الامتداد الحقيقى للنبى صلى الله عليه و آله ماثل إلى يوم القيامة، ومن أراد المزيد فليراجع المجلد الثامن من كتاب نفحات القرآن بحث الخاتمية.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۰۱

القسم الحادى والعشرون: الرزق وسيلة الامتحان

اشارة

«وَقَدَّرَ الأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَها، وَقَسَّمَهَا عَلَى الضَّيقِ والسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِىَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا، وَلِيَخْتَبِرَ بِذلِك الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ

مِنْ غَنِيَّهَا و فَقِيرِهَا. ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقَتِهَا، وَبِسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا، وَبِفَرَجِ أَفْرَحِهَا غُصَصَ أتراحها، وَخَلَقَ الآجَالَ فَأَطَالَهَا وَقَصَّرَهَا، وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا، وَوَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا، وَجَعَلَهُ خَالِجاً لأَشْطَانِهَا، وَقَاطِعاً لَمَرائِرِ أَقْرَانِهَا».

الشرح والتفسير

واصل الإمام عليه السلام كلامه بالأدلة الدامغة و الواضحة بشأن اتمام اللّه سبحانه للحجة على العباد من خلال إنزال الكتب السماوية وبعث الأنبياء والرسل بالحديث هنا عن وسيلتين للامتحان الإلهى للعباد فى مختلف مراحل تكليفهم، فأشار فى الاولى إلى مسألة الرزق التى قدرها وتعرضها للزيادة والنقيصة:

«وقدر الارزاق فكثرها وقللها، وقسمها على الضيق والسعة»

وبغية الحيولة دون التصور بأنّ هذا التفاوت فى الرزق بين العباد يتناقض والعدالة، بادر الإمام عليه السلام إلى القول بتقسيمها على ضوء العدل

«فعدل فيها»

فى إشارة إلى أنّ العدالة لاتعنى المساواة والتكافى، بل العدالة تعنى الايصال على ضوء مصلحة الشخص، فقد ورد فى الحديث عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّ اللّه سبحانه وتعالى قال:

«إنّ من عبادى من لا يصلحه إلّا الفاقة ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإنّ من عبادى من لايصلحه إلّاالصحة ولو أمرضته

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۰۲

لأفسده ذلك»[۲۵۲]

، ثم تعرض عليه السلام بصورة أعمق لهذا الأمر قائلًا:

«ليبتلى من أراد بميسورها

ومعسورها، وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها»

، يمكن أن يكون هذا التفاوت فى الأشخاص مختلفاً؛ فتتمتع فئة بنعمة جمة لترى فى ميدان الاختبار هل أدت شكر هذه النعمة وأفاضت بعضها على المحرومين، ووضعت الأموال مواضعها الصحيحة، أم بالعكس فانّ زيادة الثروة أبعدها تماماً عن الخالق والمخلوق وجعلها تسبح فى بحر من الغرور والغفلة. أم أن ضيق الرزق حطم صبر هذه الجماعة وقضى على استقامتها واضطراها إلى مقارفة الحرام وجحود النعمة والأعراض عن اللّه سبحانه وتعالى

بل إنّ هاتين الحالتين قد تتحققان فى نفس الشخص، فقد يكون غنياً أحياناً، كما قد يكون فقيراً أحياناً اخرى، وهو ممتحن فى الحالتين فى شكره وصبره وجحوده وجزعه ثم يواصل الإمام عليه السلام كلامه بالإشارة إلى هذه النقطة فى أنّ الغنى والفقر والصحة والمرض ليست من الامور المنفصلة عن بعضها ليستند الإنسان على واحدة منها، بل هى قريبة متداخلة مع بعضها، فى أنّ البارىء سبحانه خلط سعة الرزق بما يتبقى من الفقر والفاقة، والصحة والعافية والسلامة بالحوادث الإلهيّة، والسرور والافراح بالأحزان والاتراح:

«ثم قرن بسعتها عقابيل فاقتها، وبسلامتها طوارق آفاتها، وبفرج أفراحها غصص أتراحها[۲۵۳]»،

حتى لا يغتر أحد بغناه وعافيته وفرحه وسروره، ويعلم الجميع بان هذه الامور معرضة للزوال والتبدل والعدم على الدوام وفى كل مكان ولدى كائن من كان و أنها تنقلب يوماً إلى ما يضادها.

وسالمتك الليالى فاغتررت بهاوعند صفو الليل يحدث الكدر

و بالنظر إلى أنّ

«عقابيل»

جمع عقبولة على وزن جرثومة تعنى الشدائد وبقايا الأمراض والمشاكل التى تتمثل بقروح صغيرة تخرج بالشفة: فانّ العبارة المذكورة

تفيد أنّ المشاكل

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۰۳

والمصائب وآثارها وبقاياها تلازم دائما الراحة والهدوء ولا تفارقهما أبداً، والعبارة:

«يفرج أفراحها غصص أتراحها»

تأكيد آخر لهذا المعنى؛ لأنّ أتراح جمع ترح على وزن فرح بمعنى الحزن والغم والهم. فبالنتيجة ذكر الإمام عليه السلام أنّ هذه الافراح والسرور مقرونة با لهم والحزن، النقطة الآخرى التى أشار إليها الإمام عليه السلام هى الوقت المحدد. للحياة، فلها نهاية حتمية عاجلا أم آجلًا، والشيء الذى ليس للإنسان منه وسيلة للهرب هو الموت:

«وخلق الاجال فأطالها وقصرها، وقدمها وأخرها».

فالموت موصول بالحياة (وجعل الأمراض وسيلة لانهاء الحياة) من شأنه القضاء عليها

«و وصل بالموت أسبابها، وجعله خالجا[۲۵۴] لأشطانها[۲۵۵]، وقاطعا

لمرائر[۲۵۶] أقرانها»

، فقد أشار الإمام عليه السلام فى هذه العبارة القصيرة إلى عدّة نقاط، منها أنّ البعض يعمر كثيراً بصورة طبيعية، والبعض الآخر يعمر قليلًا، كما قد يقصر ذلك العمر الطويل بفعل بعض الأعمال الشائنة أو الذنوب والمعاصى، بينما قد يطال فى ذلك العمر القصير إثر رعاية القضايا المرتبطة بالصحة والسلامة، أو بفعل الأعمال الطيبة والخير والاحسان. كما أشار عليه السلام إلى أنّ للموت عدّة أسباب، إذا هرب الإنسان من بعضها وقع فى مخالب الاخر، بل لاينجو من الموت أقوى الأقوياء. وعليه لاينبغى لأحد أن يغتر بصحته وسلامته وشبابه وقوته، ولابدّ لكل أحد أن يتأهب للموت ويعد له الزاد المطلوب متوقعاً الموت فى أى وقت.[۲۵۷] كما احتمل بعض شرّاح نهج البلاغة أنّ المراد بالتقديم والتأخير، هو أنّ اللّه سبحانه وتعالى خلق البعض فى الأزمنة الماضية والبعض الآخر فى الأزمنة اللاحقة على ضوء المصالح، إلّاأنّ المعنى الأول أنسب.

تأمّل: هل رزق كل إنسان مقدر؟

لا يستفاد من عبارات هذه الخطبة تقدير رزق الإنسان فحسب، بل يستفاد ذلك من

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۰۴

أغلب الآيات القرآنية الواردة بهذا الشأن، فقد طالعتنا مختلف المصادر الإسلامية بأنّ سعة الرزق أوضيقه إنّما هى خاضعة لإرادة اللّه ومشيته بغية اختبار العباد وتمحيصهم. بعبارة اخرى لقد منح الإنسان ما يوافق مصلحته. وهذا الأمر يثير عدّة أسئلة منها: أولًا: إذا كان الأمر كذلك، فما معنى السعى والجهد من أجل الرزق.

ثانياً: إنّ مثل هذا الاستنتاج يؤدى إلى سكون الأنشطة الاجتماعية وتخلف المجتمعات البشرية؛ المجتمعات التى ينبغى أن تعيش حالة النشاط والمثابرة بغية عدم تخلفها عن سائر المجتمعات ولاسيما غير الإسلامية، فقد صرح القرآن الكريم بهذا الشأن قائلًا:

«نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الحَياةِ الدُّنْيا وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ»[۲۵۸]، إلّاأنّ الإجابة على السؤال المذكور وردت فى الروايات الإسلامية، بحيث لايبقى من مجال للغموض إذا تأملناها بأجمعها، فقد جاء فى كلمات أميرالمؤمنين على عليه السلام فى نهج البلاغة:

«إنّ الرزق رزقان؛ رزق تطلبه، ورزق يطلبك، فان أنت لم تاته أتاك»[۲۵۹].

والواقع كذلك فالقسم الأعظم من الرزق يتطلب سعى الإنسان وجهده وتوظيفه لكافة إمكاناته واستعداداته وطاقاته وليس له الظفر به دون ذلك، إلّاأنّ القسم الآخر من الرزق يأتى إلى الإنسان دون السعى إليه، ليدل الإنسان على أن السعى والجهد و إن كان أصلًا

مسلما إلّا أنّ رازقية الله لا تقتصر على ذلك، فلابد من التوجه إلى اللّه وطلب الرزق منه.

من جانب آخر جاء فى الخبر أن من بين الأدعية التى لاتستجاب دعاء الإنسان الصحيح الذى لزم بيته و قعد عن السعى و هو يدعو اللّه: اللهم إرزقنى فتناديه الملائكة بان دعائك ليس بمستجاب، قم و إعمل. فقد ورد فى الرواية أن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«أربع لايستجاب لهم دعاء: الرجل جالس فى بيته، يقول: يارب ارزقنى! فيقول له: ألم آمرك بالطلب».[۲۶۰]

أضف إلى ذلك فانّ التقديرات الإلهية فى أغلب الموارد إنّما تنسجم وتدبيرنا وتخطيطنا، أى أنّ الله قدر سهما وخيرا لمن سعى وبذل جهده، بينما قدر أقل من ذلك لمن تقاعس وكسل. فهذا

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۰۵

الانسجام بين التقدير والتدبير يعد اجابة واضحة لاولئك الذين يستسلمون للكسل والخنوع والخمول، ويفرون من الواقع تحت ذريعة التقدير.

وناهيك عما تقدم فمما لا شك فيه أن الناس ليست سواسية فى الاستعداد البدنى والفكرى والإدارة الاقتصادية والقدرة على العمل وتوظيف الإمكانات المتاحة؛ وهدا بدوره ما أدى إلى تفاوت الأرزاق. وعليه فليس من الصواب بعد كل هذا التصور أن يتساوى الرزق عل كافة الأفراد بغض النظر عما سبق، فهذا من قبيل توقع تساوى جميع أعضاء البدن و العظام و العضلات، فى حين لكل عضو وظيفته فى هذا البدن و قدرته بقدر نشاطه، فعالم البشرية كالبدن يختلف فى رزقه على أساس إختلافه فى سعيه و جهده. والنتيجة التى نخلص إليها: هو أن تقدير الرزق الذى ورد فى هذا الخطبة، إنّما هو إشارة لما استعرضناه آنفا؛ الأمر الذى لايتنافى قط ومفهوم العدالة، بل هو عين العدالة والحكمة.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۰۷

القسم الثانى والعشرون: العالم بكل شىء

اشارة

«عَالِمَ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ، وَنَجْوَى الْمُتَخَافِتِينَ، وَخَوَاطِرِ رَجْمِ الظُّنُونِ، وَعُقَدِ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ، وَمَسَارِقِ إِيمَاضِ الْجُفُونِ، وَمَا ضَمِنَتْهُ أَكْنَانُ الْقُلُوبِ، وَغَيَابَاتُ الْغُيُوبِ، وَمَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ الْأَسْمَاعِ، وَمَصَائِفُ الذَّرِّ، وَمَشَاتِي الْهَوَامِّ، وَرَجْعِ الْحَنِينِ مِنَ الْمُولَهَاتِ، وَهَمْسِ الْأَقْدَامِ، وَمُنْفَسَحِ الثَّمَرَةِ مِنْ وَلَائِجِ غُلُفِ الْأَكْمَامِ، وَمُنْقَمَعِ الوحوش مِنْ غِيرَانِ الْجِبَالِ وَأَوْدِيَتِهَا وَمُخْتَبَاءِ الْبُعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الْأَشْجَارِ وَأَلْحِيَتِهَا، و مغرز الأَوْرَاقِ مِنَ الْأَفْنَانِ، وَمَحَطِّ الْأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ الْأَصْلَابِ، وَنَاشِئَةِ الْغُيُومِ وَمُتَلَاحِمِهَا، وَدُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي مُتَرَاكِمِهَا، وَمَا تَسْفِي، الْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا، وَتَعْفُو الْأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا، وَعَوْمِ بَنَاتِ الْأَرضِ فِي كُثْبَانِ الْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا، وَتَعْفُوا الْأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا، وَعَوْمِ بَنَاتِ الْأَرضِ فِي كُثْبَانِ الرِّمَالِ».

الشرح والتفسير

يتضح من خلال تامل الأقسام المختلفة لهذه الخطبة العجيبة أنّ الإمام عليه السلام قد اختط مساراً دقيقاً فى معرفة اللّه، ومن ثم التعرف على هذا العالم مرورا بمعرفة الإنسان وتربيته، بعبارات رائعة تأخذ بيد الإنسان نحو هذاالمسار الطويل و تقوده نحو الهدف، يعنى يسلك به سبيل السمو والتكامل.

نفحات الولاية ؛ ج۴ ؛ ص۱۰۷

د تحدث الإمام عليه السلام فى السابق عن خلق الأرض ومصادر الحياة ومن ثم خلق آدم

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۰۸

وقصته مع الجنّة و ما تضمنته من عبر ومن ثم هبوطه إلى الأرض، وتقسيم الأرزاق وتعيين الاجال. ولما فرغ من ذلك واصل حديثه فى هذا المقطع من الخطبة عن علم اللّه سبحانه بكل شىء وكل شخص وفى كل زمان ومكان، والعالم بكافة الخفايا والاسرار. فقد أورد الإمام عليه السلام ذلك بعبارات دقيقة رائعة، مؤكداً على تفاصيل هذه الامور، بحيث يشعر الإنسان بكل كيانه أنّ العالم برمته حاضر لدى الله بكل حركاته وسكناته؛ و هو الشعور الذى يلعب دورا، حيوياً فى تربية الإنسان وسوقه نحو الخير والاحسان.

فقال عليه السلام:

«عالم السر من ضمائر المضمرين، ونجوى المتخافتين وخواطر رجم الظنون، وعقد عزيمات اليقين».

فالعبارة تفيد علمه سبحانه بكل شىء: ما يقتدح فى الأذهان، وما يمثل فى الواقع، وما يجرى فى الأوهام والظنون، والشك والترديد، وما يجول فى باطنه ونجواه وهمسه مع الاخرين، ثم قال عليه السلام:

«ومسارق ۲۶۱] إيماض ۲۶۲] الجفون،[۲۶۳] وما ضمنته أكنان القلوب، وغيابات الغيوب،

وما أصغت لاستراقه مصائخ ۲۶۴] الأسماع»

، ولما كانت أهم مصادر علم الإنسان تكمن فى قلبه (عقله) وعينه واذنه، كما صرح بذلك القرآن الكريم: «وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»[۲۶۵] واللَّه محيط بجميع هذه المصادر؛ فهو عليم بكافة خفايا الإنسان وأسراره. ثم تجاوز عليه السلام خفايا الإنسان وما تنطوى عليه جوانحه ليتجه صوب أصغر الكائنات، ليكشف عن علمه سبحانه وتعالى بخفايا وأوكار الهوام والحشرات وآهات الالم واصوات الحزن ووقع الاقدام:

«ومصائف ۲۶۶] الذر،

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۰۹

ومشاتى ۲۶۷] الهوام ۲۶۸] ورجع الحنين ۲۶۹] من المولهات ۲۷۰] وهَمْسِ ۲۷۱] الاقدام».

ثم واصل عليه السلام كلامه بالاشارة إلى امور اخرى لطيفة وظريفة وخفية ومكتومة، ليكشف النقاب عن إحاطة العلم الإلهى المطلق بها من خلال عبارات غاية فى الروعة والدقة فقال عليه السلام:

«ومنفسح ۲۷۲] الثمرة من ولائج ۲۷۳] غلف ۲۷۴] الاكمام ۲۷۵]، ومنقمع ۲۷۶] الوحوش من غيران ۲۷۷] الجبال

وأوديتها، مختباء البعوض بين سوق ۲۷۸] الاشجار والحيتها[۲۷۹]، ومغرز[۲۸۰] الاوراق من

الافنان ۲۸۱]، ومحط الامشاج ۲۸۲] من مسارب ۲۸۳] الأصلاب»،

العبارة

«لامنفسح»

بمعنى المكان الفسيح الواسع إشارة إلى أنّ اللّه سبحانه خلق مكاناً واسعاً فى جوف البراعم لنمو الثمار.

والعبارة:

«منقمع الوحوش»

تفيد لجوء الحيوانات الصحراوية إلى الغيران والكهوف بغية حفظ أنفسها من سائر الحيوانات الوحشية المفترسة و تخرج حين الحاجة أو صيد سائر الحيوانات. و التعبير «مغرز الأوراق ...» لا إشارة إلى الأوراق و لا الأغصان، بل إشارة إلى

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۱۰

موضع خاص تلتصق فيه الورقة بالغصن و تنطلق جذورها فى أعماقه فتحفظه من الريح و العواصف.

و التعبير «محط الأمشاج ...» إشارة إلى حركة نطفة الرجل من غدده الداخلية و تختلط مع نطفة المرأة حين نزولها فى الرحم حتى تنمو

و تتحول إلى إنسان كامل. فاللَّه سبحانه يعلم بهذا المسار و كيفية التركب و موضع النزول، و يمكن أن تكون «أمشاج» إشارة إلى تركيب نطفة الرجل من مياه مختلفة و الذى أثبته العلم الحديث، حيث لكل منها هدف معين عند إختلاطه مع الآخر و التى تشكل نطفة الرجل، ثم تتحرك نحو الرحم. ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى تفاصيل دقيقة لعالم الخلقة والحوادث المبرمجة، ليكشف عن علمه سبحانه برقيق السحب التى تظهر فى السماء وتتصل مع بعضها البعض الآخر، إلى جانب هطول قطرات المطر من تلك السحب والرياح التى تحيط بها وتبعث بها هنا وهناك:

«وناشئة الغيوم ومتلاحمها، ودرور قطر السحاب فى متراكمها، وما تسفى ۲۸۴] الاعاصير[۲۸۵] بذيولها، وتعفو[۲۸۶] الأمطار بسيولها، وعوم ۲۸۷] بنات الأرض فى كثبان ۲۸۸] الرمال».

نعم فهو عالم بتمام دقائق عالم الوجود وجزئيات الكائنات الحية والجمادات فى السموات والأرض؛ وهو محيط بظهورها وحركاتها وسكناتها. فكيف بنا وهو الخبير بما فى أعماقنا ويجول فى أذهاننا وخواطرنا.

تأمّل: تنوع الكائنات

رغم تركز الكلام فى هذا المقطع من الخطبة على علم اللَّه الواسع بكافة الأشياء وجميع الكائنات، إلّاأنّ هناك إشارة ضمنية لنقطة مهمّة اخرى إلّاوهى التنوع العجيب للكائنات، من المسائل الفكرية والذهنية للإنسان إلى الاجزاء المختلفة للعين والاذن، والكائنات الصغيرة

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۱۱

والكبيرة للعالم من قبيل الهوام ومصائفها والحشرات ومشاتيها، مروراً بتشكيل نطفة الإنسان المركبة من ماء الرجل والمرأة، وظهور السحب والغيوم وتراكمها وسقوط حبات المطر وهبوب الرياح والأعاصير وجريان السيول واختفاء الحشرات فى المرتفعات والتلال وما إلى ذلك من الامور التى سنتطرق إليها فى البحث القادم. والخلاصة فانّ كل أمر دلالة على علمه سبحانه وقدرته وابداعه، وكلما تعمق الإنسان فى تأمل هذه الامور تعرف أكثر على عظمة الحق سبحانه وعلمه، ويسمع باذن البصيرة تسبيح هذه الكائنات وحمدها، ويشعر بتوحيدها وتوجهها لخالقها. الأشياء التى لايدركها سوى من تحسسها و إنطلق منها لما وراءها.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۱۳

القسم الثالث والعشرون: شمولية العلم الإلهى

اشارة

«وَمُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ الأَجْنِحةِ بِذُرَاً شَنَاخِيبِ الْجِبَالِ، وَتغريد ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِى دَيَاجِيرِ الأَوْكَارِ، وَمَا أَوْعَبَتْهُ الأَصْدَافُ، وحَضَنَتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ الْبِحَارِ، وَمَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ، أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ، وَمَا اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدَّيَاجِيرِ، وَسُبُحَاتُ النُّورِ؛ وَأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ، وَحِسِّ كُلَّ حَرَكَةٍ، وَرَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ، وَتَحْرِيكِ كُلِّ شَفِةٍ، وَمُسْتَقَرَّ كُلِّ نَسَمَةٍ، وَمِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ، وَهَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ، وما عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ، أَوْ ساقِطِ وَرَقَةٍ؛ أَوْ قَرَارَةِ نُطْفَةٍ، أَوْ نُقَاعَةِ دَمٍ وَمُضْغَةٍ، أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ وَسُلَالَةٍ؛ لَمْ يَلْحَقْهُ فِى ذلِكَ كُلْفَةٌ، وَلَا اعْتَرَضَتْهُ فِى حِفْظِ مَا ابْتَدَعَ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ، وَلَا اعْتَوَرَتْهُ فِى تَنْفِيذِ الأُمُورِ وَتَدَابِيرِ الْمَخلُوقِينَ مَلَالَةٌ وَلَا فَتْرَةٌ، بَلْ نَفَذَهُمْ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُمْ عَدَدُهُ، و وسعهم عَدْلُهُ، وَغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ، مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ».

الشرح والتفسير

واصل الإمام عليه السلام كلامه السابق بالحديث عن علم اللَّه سبحانه وتعالى بكافة جزئيات عالم الوجود، حيث يتعرض إلى ذلك

بعبارات رائعة غاية فى الدقة والجمال، والحق أنّ كلام الإمام عليه السلام يفيد بما لايقبل الشك أنّه يستند إلى ارتباطه بما وراء هذه الطبيعية بحيث لايضاهيه كلام، وان علمه عليه السلام إنّما يتصل بمصادر العلم الإلهى فقد تطرق بادىء بدء إلى الطيور العائمة فى

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۱۴

السماء:

«ومستقر ذوات الأجنحة بذراً[۲۸۹] شناخيب ۲۹۰] الجبال، وتغريد[۲۹۱] ذوات المنطق فى

دياجير[۲۹۲] الأوكار[۲۹۳]».

فنحن نعلم أنّ كل طائر يصنع لنفسه ما يناسبه من عش، بحيث تتنوع حسب أصناف الطيور، كما نعلم أنّ أنغام الطيور على أقسام، كل واحد منها يبيّن موضوعاً، الأهم من كل ذلك هو علم اللّه بتمام جزئياتها.

ثم يغوص الإمام عليه السلام فى أعماق البحار ليتحدث عن الاصداف واللؤلؤ والأمواج:

«وما أوعبته ۲۹۴] الاصداف، وحضنت عليه أمواج البحار»

، ثم خاض عليه السلام فىنظام النور والظلمة فى عالم الخلق وحياة الإنسان فقال:

«وما غشيته سدفه ۲۹۵] ليل أو ذر[۲۹۶] عليه شارق نهار، وما

اعتقبت عليه أطباق الدياجير، سبحات ۲۹۷] النور»

ثم إتجه صوب مختلف حركات الإنسان قال عليه السلام:

«وأثر كل خطوة، وحس كل حركة، ورجع كل كلمة، وتحريك كل شفة، ومستقر كل نسمة».

ثم تناول عليه السلام أصغر الذرات وأخفى الأصوات فى أنّ اللّه عالم بها:

«ومثقال كل ذرة، وهماهم ۲۹۸] كل نفس هامة[۲۹۹]» ثم ينتقل إلى الأشجار و الثمار و الناس و النطف التى

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۱۵

تشبه إلى حد كبير بعضها البعض فقال «وما عليها من ثمر شجرة، أو ساقط ورقة، أو قرارة نطفة، أو نقاعة[۳۰۰] دم ومضغة، أو ناشئة خلق وسلالة».

ويشير الإمام عليه السلام فى آخر الخطبة إلى نقطة مهمّة اخرى وهى أنّ تلك الامور بتلك السعة والشمولية التى أشار اليها الإمام عليه السلام ما يجعل التبادر إلى الذهن صعوبة حسابها والاحاطة بها، بعبارة اخرى قد يقتدح فى الأذهان هذا السؤال: هل علم اللّه سبحانه تعالى بهذه الامور لايوجد من مشكلة لذاته المطهرة؟ فالإنسان يصاب بالتعب والأعياء من جراء احاطته بقسم غاية فى الصغر بالنسبة لحوادث هذا العالم وأسراره إلّاأنّ الإمام عليه السلام يعلن بكل صراحة أن ليس هناك أدنى مشقة على اللّه بهذا الشأن (ليس فقط من ناحية العلم والاحاطة بها بل) فى حفظ ما أبدع من مخلوقات، كما ليس هنالك من ملل أو فتور عرض له سبحانه فى انفاذ أمره وتدبير شؤون خلقه:

«لم يلحقه فى ذلك كلفة، ولا اعترضته فى حفظ ما ابتدع من خلقه عارضة، ولا اعتورته ۳۰۱] فى تنفيذ الامور وتدابير المخلوقين ملالة ولافترة»

، بل نفذ فيها علمه واحصاها عددا بقدرته وضمها جميعا تحت لواء عدالته، كما عم المقصرين منهم بفضله وعفوه ولطفه:

«بل نفذهم علمه، وأحصاهم عدده، ووسعهم عدله، وغمرهم فضله، مع تقصيرهم عن كنه ما هو أهله»

، فقد أكد الإمام عليه السلام بهذه العبارات على عدّة امور:

الأول: أنّ احاطة للّهسبحانه العلمية بجزئيات جميع عالم الوجود لاتنطوى على أية مشكلة بالنسبة له (وذلك لأنّ علم اللّه علم حضورى وليس علم حصولى، كما سيأتى شرح ذلك فى البحث القادم).

الثانی: اضافة إلی الاحاطة العلمیة فهو حافظها جمیعاً؛ الأمر الارفع من العلم؛ وهذا أیضاً لایسبب أیة مشکلة لذاته المطلقة سبحانه (لأنّ الکل متوقف علی وجوده سبحانه).

الثالث: اضافة إلی العلم والحفظ فهو مدبرها وهادیها إلی السمو و الکمال؛ الأمر الذی لاینطوی علی أی ملل أو فتور لذاته المطلقة، وبعیداً عن معرفة الخلائق وأدائها للشکر، فانّ فضله ولطفه شامل للجمیع عدله فیهم نافذ شامل، نعم فعلمه لیس بمحدود وقدرته مطلقة لامتناهیة وفضله مطلق شامل، ولایرتجی منه سوی ذلک.

نفحات الولایة، ج۴، ص: ۱۱۶

تأمّلات

۱- العلم الکامل

کلماته علیه السلام فی هذا المقطع من الخطبة بشأن سعة علمه سبحانه واحاطته الشاملة بکافة دقائق الامور، لتذکر الإنسان بالآیة الشریفة التی وردت فی سورة لقمان:

«وَلَوْ أَنَّ ما فِی الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالبَحْرُ یَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ کَلِماتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ»[۳۰۲].

وهنا لابدّ أن نلتفت إلی نقطة مهمّة وهی أنّ ما أورده أمیرالمؤمنین علی علیه السلام إنّما یرتبط بالکرة الأرضیة ومخلوقاتها، والحال یغص هذا الفضاء العظیم بملایین، بل ملیاردات الکرات السماویة العجیبة والتی تخضع برمتها لعلم اللّه واحاطته، کما لابدّ من الالتفات إلی أن هذا العالم قد وجد قبل ملایین السنوات قبل خلقنا، ولا یعلم إلی متی سیستمر، فاحصاء الحوادث التی تقع طیلة هذا الزمان انّما تتعذر علی کائن من کان سوی الحق سبحانه مع ذلک لاینبغی أن ننسی بأنّ هدف الإمام علیه السلام من بیان هذه الحقائق مضاعفة معرفة الله من جانب، ومن جانب آخر تهذیب النفوس البشریة وأنّها حاضرة عند اللّه وأنّه محیط بنیاتها وکوامنها. وشاهد ذلک ما قاله الإمام علیه السلام فی الخطبة ۱۹۸ من نهج البلاغة:

«یعلم عجیج الوحوش فی الفلوات، ومعاصی العباد فی الخلوات، واختلاف النیان فی البحار الغامرات، وتلاطم الماء بالریاح العاصفات».

۲- علم اللّه بکافة الخفایا

یری جمع من قدماء الفلاسفة أنّ اللّه لایسعه أن یکون عالماً فهم یعتقدون أنّ الجزئیات متعددة ومتکثرة ولیس للمتعدد من سبیل إلی ذاته الواحدة من جمیع الجهات. فهذا الکلام واضح البطلان وأساسه أنّهم یرون أن علمه سبحانه وتعالی حصولیاً، ویعتقدون بأنّ الصور الخارجیة تنتقل إلی ذاته المقدسة، والحال کلنا نعلم أنّ علمه سبحانه بالموجودات لیس عن

نفحات الولایة، ج۴، ص: ۱۱۷

طریق انتقال صورتها الذهنیة لدیه، کما هو الحال عند الإنسان، بل علمه علم حضوری، أی أنّه حاضر فی کل مکان، والموجودات برمتها حاضرة عنده، وهو محیط بها جمیعاً، دون الحاجة لصورها؛ بالضبط کحضور الصور الذهنیة للإنسان أمام روحه، لأنّ الصور الذهنیة حاضرة بذاتها فی روح الإنسان لاصورتها، واحاطة الإنسان بها نوع من الاحاطة الحضوریة. فتأکید الإمام علیه السلام فی هذه الخطبة علی علم اللّه سبحانه بجمیع جزئیات الوجود إنّما یبطل هذا الاعتقاد الفاسد لبعض الفلاسفة بشأن نفی علم اللّه بالجزئیات.

۳- ابن أبی الحدید فی شرح هذه الخطبة.

حين بلغ هـذا العالم المشـهور- شارح نهـج البلاغـة- هذا الموضوع من الخطبة بشأن علم اللَّه قال: لوسـمع النضـر بن كنانة هذا الكلام لقال لقائله ما قاله على بن العباس بن جريح لاسماعيل بن بلبل:

جريح لاسماعيل بن بلبلقالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم

وكم أب قد علا يابن ذرا شرف كما علا برسول اللَّه عدنان

إذ كان يفخر به على عدنان وقحطان، بل كان يقر به عين أبيه إبراهيم خليل الرحمن، ويقول له:

أنّه لم يعف ما شـيدت من معالم التوحيـد، بل أخرج اللَّه تعالى لك من ظهرى ولـدا ابتـدع من علوم التوحيـد فى جاهليـة العرب ما لم تبتـدعه أنت فى جاهليـة النبـط. بل لو سـمع هـذا الكلام أرسـطو طاليس، القائل بانه تعالى لايعلم الجزئيات، لخشع قلبه و وقف شـعره، واضـطرب فكره، ألاـترى مـا عليه من الرواء والمهابـة، والعظمـة والفخامـة، والمتانـة والجزالـة! مع مـا قـد أشـرب من الحلاوة والطلاوة واللطف والسلاسة، لا أرى كلاماً يشبه هذا إلّاأن يكون كلام الخالق سبحانه، فانّ هذا الكلام نبعه من تلك الشجرة، وجدول من ذلك البحر، وجذوة من تلك النار؛ وشرح لآيات الخالق سبحانه ۳۰۳].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۱۹

القسم الرابع والعشرون: إليک الملاذ و أنت الرجاء

اشارة

«اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْـلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ، والتَّعْـدَادِ الْكَثِيرِ، إِنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مَأْمُولٍ، وَإِنْ تُرْجَ فَخَيْرُ مَرْجُوٍّ. اللَّهُمَّ وَقَـدْ بَسَـطْتَ لى فِيمَا لَاأَمْـدَحُ بِهِ غَيْرَكَ، وَلَـاأُثْنِى بِهِ عَلَى أَحَـدٍ سِوَاكَ، وَلَا أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الْخَيْبَـةِ وَمَوَاضِعِ الرِّيبَـةِ، وَعَـدَلْتَ بِلِسَانى عَنْ مَدَائِحِ الآدمِيِّينَ؛ وَالثَّنَاءِ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ. اللَّهُمَّ وَلِكُـلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَـةٌ مِنْ جَزَاءٍ أَوْ عَارِفَـةٌ مِنْ عَطَاءٍ، وَقَـدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلًا عَلَى ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ الْمَغْفِرَةِ. اللَّهُمَّ وَهـذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِى هُوَ لَكَ، وَلَمْ يَرَ مُسـتَحِقّاً لِهذِهِ المَحَامِدِ وَالْمَمادِحِ غَيْرَكَ؛ وَبِى فَاقَةٌ إِلَيكَ لَـايَجْبُرُ مَسْـكَنَتَهَا إِلّافَضْـلُكَ، وَلَا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِهَا إِلَّا مَنُّكَ وَجُودُكَ، فَهَبْ لَنَا فِى الْمَقَامِ رِضَاكَ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَـدِّ الأَيْدِى إِلَى سِوَاكَ؛ «إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٌ!»».

الشرح والتفسير

لاننسـى أنّ الإمـام عليه السـلام أورد هـذه الخطبـة الجامعـة والمفصـلة رداً على من سأله الحـديث عن صـفات اللَّه، فخاض الإمام عليه السـلام فى البداية بأدق العبارات وأظرفها فى بحث صـفات اللَّه الجمالية والكمالية، ثم تطرق إلى فعله من قبيل خلق الملائكة والسـماء والأرض، ثم خلق الإنسان وما أفاض عليه من النعم، وأخيراً علمه سبحانه وتعالى بجمع جزئيات عالم الوجود وكلياته.

ثم يختتم الخطبـة بهـذا القسم الذى يطرق فيه باب اللَّه متضـرعاً إليه بالدعاء، فيصف اللَّه سـبحانه بأفضل صـفاته التى لاتجوز على أحد سواه، كما تدل على التوحيد فى مقام الدعاء

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۲۰

«اللّهم أنت أهل الوصف الجميل، والتعداد[۳۰۴] الكثير»

، نعم فقد جمعت كافة الصفات العظيمة فى ذاته القدسية، فهو الكريم والرحيم وأهل الفضل والثناء، ومن هنا فانّ أمله الإنسان فهو خير مأمول، وان رجاه فهو خير مرجو لايقطع رجاء من رجاه:

«إن تؤمل فخير مأمول، وإن ترج فخير مرجو»،

ثم قال عليه السلام:

«اللّهم وقد بسطت لى فيما لا أمدح به غيرك، و أثنى به على أحد سواك ولا أوجهه إلى معادن الخيبة ومواضع الريبة، وعدلت بلسانى عن مدائح الادميين؛ والثناء على المربوبين المخلوقين».

الجدير بالذكر أنّ الإمام مزج مدح اللّه وثنائه بالشكر، وقد أعرب عليه السلام عن سروره أن وفقه اللّه سبحانه ففتح لسانه بمدحه سبحانه، وهل يليق هذا المدح والثناء بأحد سواه، و أى عمل أفضل من أن يغض الإنسان طرفه عن عالم الأسباب و لا يتطلع سوى إلى «مسبب الأسباب» فيمطره بحمده و ثناءه. ثم أردف ذلك بقوله:

«اللّهم ولكل مثن على من أثنى عليه مثوبة من جزاء أو عارفة من عطاء؛ وقد رجوتك دليلًا على ذخائر الرحمة وكنوز المغفرة»،

يمكن أن تكون العبارة بمعنى طلب المزيد من رحمته سبحانه ومغفرته، أو بمعنى طلب التوفيق والاستعداد لكسب هذه الرحمة. والفرق بين

«جزاء» و «عارفة»

قد يكون فى أنّ الجزاء هو ثواب العمل، والعارفة بمعنى الفضل والرحمة إلى جانب الثواب. و لما كان اللّه معروفا بالفضل و العطاء فقد عبر بعارفة (فالعارفة فى الواقع وردت هنا بمعنى المعروف).

ثم إختتم هذه الخطبة الفريدة و العظيمة بدعائين جامعين عميقى المعنى قال عليه السلام:

«اللّهم وهذا مقام من أفردك بالتوحيد الذى الذى هو لك، ولم ير مستحقاً لهذه المحامد والممادح غيرك؛ وبى فاقة إليك لا يجبر مسكنتها إلّافضلك، ولاينعش ۳۰۵] من خلتها[۳۰۶] إلّامنك وجودك»

، فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام أراد أن يطرح هذه الحقيقة وهى أنى لاأثنى الاعليك ولاأومل سواك،

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۲۱

وليس هناك قادر على طلبتى غيرك، وهذه هى حقيقة توحيد الصفات وتوحيد الأفعال، ثم يختتم الخطبة:

«فهب لنا فى هذا المقام رضاك، وأغننا عن مد الايدى إلى سواك، إنّك على كل شىء قدير»

، ما أروع هذا الرجل العظيم الذى فاض كل هذه الفصاحة والبلاغة والعلم والمعرفة، ثم يختتم عباراته بهذا الدعاء العظيم الذى يكشف عن مدى تواضعه وتذلله للّه فيسأله رضاه ولايلتفت إلى أحد سواه.

تأمّل: فى اعجاز البيان.

كما أنّ القرآن الكريم من المعاجز الخالدة لنبى الإسلام صلى الله عليه و آله فانّ بعض خطب نهج البلاغة حقاً لفى حد الاعجاز! أى لايمكن أن تصدر سوى عن المعصوم، وليس ذلك لاحد سواه. ومن ذلك هذه الخطبة المسماة بالاشباح. التى نعرض لشرحها.

فقد انطوت هذه الخطبة على عبارات غاية فى الفصاحة والبلاغة، إلى جانب رقتها وحلاوتها وعذوبة الفاظها بحيث تتسلل إلى أعماق روح الإنسان فتملأها معنوية ونوراً وانفتاحاً على الله سبحانه، أمّا المفردات التى استعملها الإمام عليه السلام فهى غاية فى العمق والرصانة بحيث لايمكن (الوقوف عليها دون الرجوع إلى مصادر العربية وآدابها. أمّا مضمونها فهو الآخر (رصين) عميق لايمكن تصور مثيله بشأن صفات الله وعلمه واحاطته بكل شئى؛ الأمر الذى يكشف عن حقيقة ما أورده الإمام عليه السلام فى الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقية:

«ينحدر عنى السيل ولايرقى الاالطير».

وأمّا من ناحية الآثار التربوية، فقد تطرق عليه السلام إلى نعم الله سبحانه بأدق تفاصيلها بما يثير حس الشكر لأىإنسان يتأملها ويرى نفسه مقصرا أمام كل هذه النعم التى أفاضها عليه سبحانه، وإذا تأمل سعة علمه سبحانه وحضوره يدرك بكل كيانه معنى هذه العبارة «أنّ العالم حاضر عند الله، وعليه فلاينبغى معصيته والتمرد عليه»

أمّا الأدعية العرفانية آخر الخطبة والتواضع التام للإمام عليه السلام بعد كل هذا البيان فهو الآخر درس لكافة الأفراد فى عدم الغفلة والغرور والتوجه إلى الله وطلب الحاجات منه، كيف لا وهو الكريم، الرحيم، المنعم والغفور الودود.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۲۳

الخطبة[۳۰۷] الثانية و التسعون

اشارة

ومن كلام له عليه السلام

لما أراده الناس على البيعة بعد قتل عثمان

نظرة إلى الخطبة

قال المرحوم العلّامة الخوئى- أحد شرّاح نهج البلاغة-: اعلم أنّ المستفاد من الروايات الآتية وغيرها فى سبب هذا الكلام هو أنّ خلفاء الجور بعد ما غيروا سنة رسول الله صلى الله عليه و آله وسيرته التى كان يسيرها من العدل بالقسمة والمساواة بين الرعية، ففضلوا العرب على العجم، والموالى على العبيد، والرؤ ساء على السفلة، وآثر عثمان أقاربه من بنى امية على سائر الناس وجرى على ذلك ديدنهم سنين عديدة، واعتاد الناس ذلك أزمنة متطاولة حتى نسوا سيرة الرسول صلى الله عليه و آله وكان غرض الطالبين لبيعته عليه السلام أن يسير فيهم مثل سيرة من سبق عليه من المتخلفين من تفضيل الشريف على الوضيع، وكان عليه السلام تفرس ذلك منهم وعرفه من وجنّات حالهم فخاطبهم بهذا الكلام اتماماً للحجة واعلاماً لهم بأنّه عليه السلام ان قام فيهم بالأمر لا يجيبهم إلى

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۲۴

ما طمعوا فيه من الترجيح والتفضيل فقال عليه السلام:

«دعونى والتمسوا غيرى»

للبيعة،

«فانا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان»

وهو إنذار لهم بالحرب وإخبار عن ظهور الفتن واختلاف الكلمات وتشتت الاراء وتفرق الأهواء[۳۰۸]، كما أشار ضمنيا إلى زهده عليه السلام بالخلافة والمقامات الظاهرية. وقد رفض بيعة القوم، حتى لايتصور أحد أنّ قبول الإمام عليه السلام بيعة الناس كانت لرغبته بالخلافة.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۲۵

«دَعُونِى وَالْتَمِسُوا غَيْرِى؛ فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وأَلْوَانٌ؛ لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ. وَإِنَّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ، وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. وَاعْلَمُوا أَنِّى إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِى فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ؛ وَلَعَلِّى أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً، خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّى أَمِيراً!».

الشرح والتفسير

دعونى والتمسوا غيرى

أورد شرّاح نهج البلاغة أبحاثاً مسهبة بشأن هذه الخطبة، وقد خاضوا بصورة مفصلة فى الإشكالات ذات الصلة بمسألة الإمامة. غير أنّ

البعض منهم لم يتعرض لشرح هذه الخطبة واتجه مباشرة للردّ على الإشكالات. ونرى من الضروري أن نخوض في البداية في شرح الخطبة، ثم نسلط الضوء على بعض الاسئلة والاستفسارات في آخر البحث.

فقد ردّ الإمام عليه السلام على اولئك الذين بسطوا إليه يدهم بالبيعة وانهالوا عليه من كل جانب، ظانين أنّ الإمام عليه السلام سيواصل سياسة التمييز في العطاء من بيت مال المسلمين، إلى جانب إغداق المناصب والمقامات بالقول:

«دعوني والتمسوا غيري»،

ثم أشار عليه السلام إلى الدليل على ذلك بقوله:

«فانا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان؛ لاتقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول»

، فقد فقدت الأُمّة وحدتها إثر الأفعال الباهتة التي مارسها الخلفاء ولا- سيما عثمان، فكان لكل رأيه، فأصبح الأعم الأغلب منهم كالصياد الذي يبحث عن صيده، ليجدوا في البحث عن الأموال والمناصب الدنيوية، وعليه فانّ القضاء على هذه الفرقة والتشتت وإعادة الامّة إلى سابق عزّها ووحدتها على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كان يبدوا أمراً في غاية الصعوبة والتعقيد

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۲۶

ولايمكن توقعه فضلًا عن تحققه على الواقع العملي.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بالحديث عن الآفاق المظلمة التي تلوح في الآفاق وعدم التعرف على الحق وصراطه المستقيم في ظل هذه الأوضاع المضطربة:

«وإن الافاق قد أغامت [۳۰۹]،

والمحجة[۳۱۰] قد تنكرت»

، وذلك لأنّ الأهواء الشيطانية والاطماع الدنيوية قد قلبت الموازين الفكرية للمجتمع بحيث يصعب عليه تمييز الصحيح من السقيم، وكيف يتخلص من المطبات التي تواجهه في حياته.

ثم أكد الإمام عليه السلام هذا الموضوع بأنّي إذا تقلدت هذه المسؤولية فسوف لن أنتهج السياسة الخاطئة التي كانت سائدة سابقاً، بل سأقتدي بهدى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في بسط الحق والعدل:

«اعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب [۳۱۱] العاتب»

- حيث لم يكن الطمع الذي عاشه الناس على عهد عثمان يدعهم يتساوون مع الآخرين فكانوا يهربون من عدالة علي عليه السلام و يثيرون الفتن- فلم يكن أمام الإمام عليه السلام من سبيل سوى مخالفة الشرع و مواصلة الظلم أو السيرفيهم بالعدل الذي نشده من قام ضد عثمان، فلما سار بهم بعدله حدثت تلك الفتن التي توقعها الإمام عليه السلام.[۳۱۲]

في إشارة إلى أنّ الإمام عليه السلام كان يعلم بأنّ طلاب الدنيا من أهل المطامع والمصالح سيقفون حجرة عثرة في طريقه من أجل اشاعة الحق وإجراء العدل وبسط القسط، وسيؤلبون الآخرين عليه ويهبوا لمعارضته والوقوف بوجهه، وكأنّ المبادي السياسة لتلك المرحلة كانت تتطلب مواصلة الفوضى التي كانت سائدة والتطاول على بيت المال واغداق المناصب والمهام على أصحاب النفوذ والسطوة دون أي إستحقاق، وإن إنعكس ذلك سلباً على الامّة وهضمها حقوقها؛ الأمر الذي كان في مقدمة أهداف الأنبياء والرسل القضاء عليه: «لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۲۷

بِالبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الكِتابَ وَالمِيزانَ لِيَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ»[۳۱۳].

ثم ناشدهم عليه السلام اتماماً لحجة وإثبات مدى زهده بمقامات الدنيا ومظاهرها، تركه ليكون كاحدهم في الامّة:

«وإن تركتموني فانا كأحدكم؛ ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم».

فالعبارة تشير إلى أنّ الإمام عليه السلام كان يعيش عالما أخر غير ذلك الذى تكالب عليه أهل المصالح من الذين ركنوا إلى الدنيا، هو لم يفكر لحظة قط فى أن تكون الخلافة لقمة سائغة، بقدر ما كان يراها مسؤولية ثقيلة تهدف أول ما تهدف إليه إحياء القيم والمفاهيم الإسلامية. وإلّا فهى لاتعدل عنده أكثر من عفطة عنز. ثم عاد القول عليه السلام على أولئك الجماعة المتكالبة على الدنيا والتى تطمع إلى المزيد

«وأنا لكم وزيراً، خير لكم منى أميراً».

وذلك إنّى ان كنت أميراً لحيل بينكم وبين العلو والاستبداد والتطاول على حقوق المحرومين، أمّا أن أكون وزيراً فلكم أن تشيروا علىَّ وتنتفعون بما أريكم من الحق، دون أن أتحمل مسؤولية أعمالكم. والحق أثبت التاريخ كل ما تكهن به الإمام عليه السلام فى هذه الكلمات الشريفة، وخلافاً لما يزعمه البعض من أصحاب النظرة الضيقة فانّ الإمام عليه السلام كان عالماً بكافة الظروف والملابسات التى أحاطت بخلافته، كما كان على علم تام بردود الفعل التى سيمارسها الخصوم ضده، وعليه فلم يقع ما لم يكن يتحسبه الإمام عليه السلام، إلّاأنّ الإمام عليه السلام كان ينتمى إلى مدرسة تملى عليه القيام بالمسؤولية وإحياء الدين ومفاهيمه السامية وتعاليمه الحقة وإن كلفه ذلك حياته، على العكس من المدارس المادية التى ترى فى الحكومة هدفاً وكل ما سواها وسيلة يمكن التضحية بها وقد مارس الإمام عليه السلام ما كان يقوله عملياً، كيف لا وهو الذى اشتاط غضباً حين سأله عقيل ما لايستحقه من بيت المال فعامله بتلك الشدة والصرامة، ليثبت أنّه يسير فى الناس بما يعلم ولايأبه بعتب العاتب كائناً من كان. لم يكن اسلوبه اسلوب من سبقه من الخلفاء قط، وهو الذى لم يجمع لنفسه شيئاً من حطام الدنيا، حتى خاطب الامّة قائلًا:

«دخلت بلادكم با شمالى هذه ورحلتى، وراحلتى، ها هى فان أنا خرجت من بلادكم بغير ما دخلت فإننى من الخائنين»،[۳۱۴]

والعجيب أنّ الإمام عليه السلام قد سلك سبيلًا يتناقض تماماً وما

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۲۸

ينتهجه اليوم الحكام والرؤوساء حين شروع الحملات الانتخابية، حيث يبذلون قصارى جهدهم لتقديم الوعود المعسولة للُامّة والشعارات المزيفة الفارغة، بل لايتورعون عن ارتكاب أى خلاف من أجل كسب ود الناس والحصول على آرائهم. فالإمام عليه السلام يعلن بكل وضوح أهدافه، وان تعارضت هذه الأهداف مع الكثير منهم ولم تنسجم مع طموحاتهم ورغباتهم. وبغية التنبيه إلى عدم الغفلة والخداع، فانّه يكشف النقاب عن جسامة الأوضاع فى المستقبل؛ الأمر الذى لايرى له مثيلًا على مدى التأريخ بالنسبة للخلفاء والحكام.

تأمّلات

۱- لم قال دعونى؟

استغرق شرّاح نهج البلاغة وسائر علماء الإسلام كثيراً فى كلام أميرالمؤمنين على عليه السلام:

دعونى والتمسوا غيرى. فذهب البعض إلى أنّه قال ذلك لعدم وجود النص على الإمامة والولاية، فهبت طائفة من مثقفى العصر لترى فى ذلك الكلام انه يشكل الدليل على إصالة رأى الامة فى الحكومة واختيار القائد، ونرى من الضرورة بمكان أن نسلط الضوء على الشرائط الزمانية والمكانية التى كانت سائدة آنذاك والتى دفعت بالإمام عليه السلام إلى هذا الكلام قبل أن نعلن عن رأينا بهذا الشأن بغية تفادى الزلل والانحراف عن حقيقة الأمر:

۱- إنّما صدر هذا الكلام من الإمام عليه السلام إثر مقتل عثمان بفعل ذلك البذخ والتطاول على بيت المال المسلمين وتسليط بنى أمية على رقاب المسلمين، وظهور حالة الاستياء العامة فى أغلب مناطق البلاد الإسلامية آنذاك، ممّا دفع بالامّة إلى الهجوم على الإمام

عليه السلام وبسط يدها إليه بالبيعة. فقد اعتاد كبار الامّة سياسة عثمان ليتوقعوا من الإمام تحقيق رغباتهم وتقسيم بيت المال بينهم حسبما يحلو لهم، إلى جانب أولئك الذين كانوا يحلمون بأن يمنحهم الإمام عليه السلام مقابل بيعتهم بعض المناصب الحساسة فى البلاد ليكونوا عماله وولاته على بعض الأمصار فيحكموا سيطرتهم على البلاد.

أضف إلى ذلك فانّ الامّة قد ابتعدت عن قيمها الإسلامية، وقد دفعتها الفتوحات وما جرتها عليها من غنائم وثروات إلى الاقبال على الدنيا وزخارفها وتفشى الأفكار الجاهلية

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۲۹

ونسيان حياتها التى شهدتها على عهد النبى صلى الله عليه و آله بفعل عدم التفات الخلفاء لهذا الأمر. ومن هنا رأى الإمام عليه السلام نفسه أمام مفترق طرق؛ إمّا الاستسلام للبيعة فى تلك الظروف العصيبة والتأهب لتلك الحوادث والأزمات، وأمّا رفض البيعة وترك الامّة وشأنها.

۲- لم يكن الإمام عليه السلام كساسة الدنيا ليخفى أهدافه الحقيقية التى سيسعى إلى تطبيقها فيما لو تولى الخلافة والحكومة الإسلامية، فيجر الامّة بوعوده المعسولة إلى البيعة، ثم يكشف عن برامجه وخططه بعد أن يتربع على عرش السلطة وتستتب له الامور ويحكم قبضته على الناس! نعم هيهات أن يفكر الإمام عليه السلام بمثل هذه المراوغات والأساليب المظللة. ومن هنا حذر الامّة من عظم المسؤولية التى ينبغى أن تنهض بها فيما لو لبى بيعتها وتولى زعامتها. فمن الطبيعى الا يكون هناك من مبرر لخداع الامّة بغية حصول الأهداف الإسلامية واشاعة المفاهيم السماوية.

۳- لاشك أنّ الإمام عليه السلام أجدر أفراد الامّة على الخلافة ليس فى ذلك الزمان فحسب، بل فى الزمان الذى سبقه حيث ولايقتصر الإعتراف بذلك على الإمام صرح قائلًا:

«إنّه ليعلم أن محلى منها محك القطب من الرحا»[۳۱۵]

، وحين جعله عمر أحد أعضاء الشورى فقال:

«متى

إعترض الريب فى مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر»[۳۱۶]

، ولما أرادت الامّة أن تبايعه بعد عثمان إذ قال:

«ولقد علمتم أنى أحق الناس بها من غيرى»[۳۱۷]

، بل كان يراه كذلك حتى خصومه (وإن لم تشهد السياسة مثل هذا الأمر) ومن ذلك ما قاله عمر حين انتخاب الشورى:

«أمّا واللّه لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء»[۳۱۸]

، كما ذكر الطبرى أنّ أبابكر حين ولى الخلافة، تطرق لعدم أحقيته فيها طبق أغلب الروايات فقال:

«أيهاالناس! فانّى وليت عليكم ولست بخيركم»[۳۱۹].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۳۰

بل ورد فى بعض الروايات أنّ أبابكر قال:

«أقيلونى! فلست بخيركم وعلى فيكم»[۳۲۰]

، فبالنظر إلى ما أوردنا من محكمات التأريخ والأخبار، يمكن القول بأنّ الإمام عليه السلام أراد أن ينفى عن نفسه فى هذه الخطبة رغبته بمسألة الخلافة، ويكشف عن ذروة تواضعه فى هذا الأمر، كما أراد أن يفهم الامّة التى أصرت على البيعة انه ان ولى أمرها فسوف لن يسير بتلك الأساليب الخاطئة، وليس أمامه سوى سلوك سبيل الحق واحياء عصر النبى صلى الله عليه و آله، وأنّ أثار ذلك حفيظة البعض وأدى إلى إنزعاجه، ليؤدّى به ذلك إلى رفع راية المعارضة والوقوف بوجه الإمام عليه السلام.

وعلى هـذا الضوء لانرى هناك من حاجـة لأن نبحث فى هـذه المسألـة، هل الخطبـة دليل على عـدم النص على الإمامـة، أو القول بأنّ معيار الإمامة والخلافة إنّما يكمن فى آراء الامّة لاغير.

وذلك لأنّ هـذا القول إنّما يصدر ممن اكتفى بالنظر إلى ظاهر الخطبة، واغمض عينيه عن جميع القرائن التأريخية وسائر كلمات الإمام عليه السلام فى نهج البلاغة.

۲- لم لا يتحملوا عدالة على عليه السلام؟

لاشك أن بيعـة على عليه السـلام- وطبق أقوال جميع المؤرخين- كانت الأعظم والأكمل بيعـة، ولاسـيما مقارنة ببيعة السـقيفة التى لم تتجاوز بضـعة أشـخاص، وقد استندت بيعة عمر إلى وصية الخليفة الأول، كما تمت البيعة لعثمان بثلاثة آراء من تلك الشورى المؤلفة من سـتة أعضاء، أمّا البيعـة لعلى عليه السـلام فقـد تمت من قبل جميع أبناء الامّـة، مع ذلك كان الإمام عليه السـلام مكرها على قبولها بسـبب تلك الظروف الصعبة والملابسات التى عاشها المجتمع الإسلامى من جراء سياسة الخلفاء، فقد أورد المؤرخ المعروف ابن أثير فى الكامل بهـذا الشأن قائلًا: أتى المصـريون علياً عليه السـلام بعد مقتل عثمان وقال بعضـهم لبعض لئن رجع الناس إلى أمصارهم بغير إمام لم نأمن الاختلاف وفساد الامّـة. فغشـى الناس علياً عليه السـلام بعـد أن باعـدهم وقالوا له: نبايعك فقـد ترى ما نزل بالإسـلام وما ابتلينا به من بين القرى فقال على عليه السلام:

«دعونى والتمسوا غيرى فانا مستقبلون أمرا له وجوه وله ألوان لاتقوم به القلوب ولاتثبت عليه العقول».

فقالوا:

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۳۱

ننشدك الله! ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى الإسلام؟ ألاترى الفتنة؟ ألا تخاف الله؟ فقال:

«قد أجبتكم، واعلموا أنى إن اجبتكم ركبت بكم ما أعلم، وان تركتمونى فانما أنا كاحدكم، الا أنى أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه» ، ثم افترقوا على ذلك واتعـدوا الغد. وتشاور الناس فيما بينهم وقالوا: إن دخل طلحة والزبير فقد اسـتقامت، فبعث البصـريون إلى الزبير حكيم بن جبلـة وقالوا: احـذر تحابه ومعه نفر، فجاؤوا به يحـدونه بالسـيف، فبايع، وبعثوا إلى طلحة الأشتر ومعه نفر، فاتى طلحة، فقال: دعونى أنظر ما يصنع الناس، فلم يدعه، فجاء به يتله تلًا عنيفاً، وصعد المنبر فبايع- ثم خاض ابن أثير فى تفاصيل بيعة عامة الامّة.[۳۲۱]

فالحق أنّ علياً عليه السـلام كان يعلم مدى صـعوبة السير على الحق وبسط العدل فى ربوع هذه الجماعة التى تربت على مفردات الظلم والجور، مع ذلك لم يكن يتوانى عليه السـلام من التضـحية حتى بنفسه من أجل حفظ المبادىء الإسـلامية فلم يكن هدف الإمام عليه السلام الاستيلاء على الخلافة مهما كان الثمن، بل كان يرى الحكومة وسلية لحفظ القيم الإسلامية؛ الأمر الذى يصعب إدراكه على من ليس له علم بفحوى رسالـة الأنبياء والاولياء، فقـد نقل ابن أبى الحديـد عبارة رائعـة عن بعض العلماء بهـذا الشأن إذ قال: وبهذا ونحوه اسـتدل أصـحابنا المتكلمون على حسن سياسـته وصـحة تـدبيره، لأنّ من منى بهـذه الرعية المختلفة الأهواء، وهذا الجيش العاصـى له، المتمرد عليه، ثم كسر بهم الأعداء، فليس يبلغ أحد فى حسن السياسة وصحة التدبير مبلغه.

إنّ سياسـته عليه السـلام إذا تاملها المنصف متدبراً لها بالاضافة إلى احواله التى دفع اليها مع أصـحابه، جرت مجرى المعجزات لصعوبة الأمر وتعذره.[۳۲۲]

۳- لم وزارته عليه السلام خير من إمارته؟

إضافة إلى إمكانية حمل عبارة الإمام عليه السلام

«أنا لكم وزيراً، خير لكم منى أميراً»،

على نوع من التواضع واتمام الحجة، فانه يمكن توجيهها بشكل آخر، وهو أنّ علياً عليه السلام لو أصبح أميراً لكانت معارضته والوقوف بوجهه مدعاة إلى الكفر، وذلك لأنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال له كما روى

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۳۲

فى الخبر المعروف

«حربك حربى»[۳۲۳]

، ولما كانت حرب رسول الله صلى الله عليه و آله كفراً، فان حرب على عليه السلام كفراً. أمّا لو كان عليه السلام وزيراً فانّ الخروج على تلك الحكومة لايؤدى إلى الكفر.

وزبدة الكلام فان بعض المغرضين حاول استغلال هذه الخطبة وتفسيرها خلافاً لُاصول وعقائد التشيع، والحال ليس فيها ما يدعوا إلى هذا الأمر، لأنّ الإمام عليه السلام أراد أن يبين زهده بهذا المقام الظاهرى من جانب وأنّ الآخرين يفقدون صوابهم لأدنى من هذا الأمر. ومن جانب آخر فقد كشف الإمام عليه السلام قمة تواضعه بهذه العبارات للمؤمنين من أبناء الامّة. كما حذر فيها واتم الحجة بانّى إذا نهضت بالأمر فلن أعمل سوى بالكتاب والسنة والحق والعدل ورضى اللّه، ولا تتوقعوا أن أواصل ما شهدتم من سياسة، وترسيخ دعائم الحكم على الظلم والجور.

وأخيراً لا تعتقدوا بأنّى غافل عن عواصف المستقبل وأنّى متطلع إلى الخلافة لأراها سهلة ذلول، فأنّى لعلى يقين من أنّ الخلافة فى هذه الظروف خطيرة كركوب الدابة الجموح كالمركب الجموح ولا اقبلها إلّابفضلها وظيفة وتكليف إلهى، وبخلافه فلا قيمة لها عندى.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۳۳

الخطبة[۳۲۴] الثالثة و التسعون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

وفيها يتبّه أميرالمؤمنين عليه السلام على فضله وعلمه ويبيّن فتنة بنى أمية

أشار عليه السلام نظرة إلى الخطبة فى هذا الخطبة إلى فتنة بنى أمية وقدتبّه إلى عظم خطورتها، لأنّ الناس كلهم كانوا يهابون قتال أهل القبلة، ولا يعلمون كيف يقاتلونهم، هل يتبعون موليهم أم لا؟ وهل يجهزون على جريحهم أم لا؟ واستعظموا أيضاً حرب عاشئة وحرب طلحة والزبير، لمكانهم فى الإسلام، فلولا أنّ الإمام عليه السلام اجترأ على سل سيفه فيها. ما أقدم أحد عليها حتى الحسن عليه السلام. ثم قال عليه السلام سلونى قبل أن تفقدونى. فقد روى صاحب كتاب الاستيعاب بن عبد البر عن جماعة من الرواة والمحدثين، قالوا لم يقل أحد من الصحابه

«سلونى»

إلّاعلى بن أبى طالب.[۳۲۵]

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۳۵

القسم الاوّل: أنا فقأت عين الفتنة

«أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّى فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِىءَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِى بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا.

فَأَسْأَلُونِی قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِی، فَوَ الَّذِی نَفْسِی بِیَدِهِ لَاتَسْأَلُونِی عَنْ شَیْءٍ فِیمَا بَیْنَکُمْ وَبَیْنَ السَّاعَةِ، ولَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِی مِئَةً وَتُضِلَّ مِئَةً إِلَّا أَنْبَأْتُکُمْ بِنَاعِقِهَا وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا، وَمُنَاخِ رِکَابِهَا، وَمَحَطِّ رِحَالِهَا، وَمَنْ یُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا، وَمَنْ یَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً. ولَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِی وَنَزَلَتْ بِکُمْ کَرَائِهُ الْأُمُورِ، وَحَوَازِبُ الْخُطُوبِ، ولأَطْرَقَ کَثِیرٌ مِنَ السَّائِلِینَ، وَفَشِلَ کَثِیرٌ مِنَ الْمَسْؤُولِینَ، وَذلِکَ إِذَا قَلَّصَتْ حَرْبُکُمْ، وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ، وَضَاقَتِ الدُّنْیَا عَلَیْکُمْ ضِیقاً، تَسْتَطِیلُونَ مَعَهُ أَیَّامَ الْبَلاءِ عَلَیْکُمْ، حَتَّی یَفْتَحَ اللَّهُ لِبَقِیَّةِ الْأَبْرَارِ مِنْکُمْ».

الشرح والتفسير

بعد أن حمد الإمام عليه السلام الله وأثنى عليه خاطب الناس قائلًا:

«أمّا بعد حمدالله، والثناء عليه، أيها الناس! فانى فقأت ۳۲۶] عين الفتنة، ولم يكن ليجترىء عليها أحد غيرى بعد أن

ماج غيهبها[۳۲۷] واشتد كلبها[۳۲۸]».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۳۶

وقد اختلفت أقوال الشرّاح فى المراد بهذه الفتنة، فقد ذهب البعض إلى أنّ المراد بها وقعة الجمل، حيث أصابت فيه الحيرة السذج من الأفراد وحتى من لم يكن يمتلك الإيمان والعلم العادى، فى أنّه هل يجوز قتال فئة تنتحل الإسلام ظاهرا و هى من أهل القبلة؟ كيف وفيها بعض كبار الصحابة كطلحة والزبير، وكذلك زوج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عائشة، وناهيك عما سبق فاذا تمت الحجة ونشبت الحرب، فهل يمكن السيطرة على أموالهم كغنائم؟ وكيف سيعامل أسراهم؟ إلّاأنّ الإمام عليه السلام كان يعلم بأنّ هذا النقض للعهود والمواثيق، وشق عصا الامّة وتمزيق وحدتها، إذا استمر فانّ الفتنة ستعم كافة البلاد الإسلامية حتى لايبقى من الإسلام إلّا اسمه، ومن القرآن إلّارسمه وستطمس معالم الدين. فبذل الإمام عليه السلام بادىء الأمر قصارى جهده من أجل اتمام الحجة محذرا الطرف المقابل من العواقب الوخيمة وذلك من خلال الكتب والرسل التى كان يبعث بها إليهم، فلما لم يستجيبوا، لم يكن أمام الإمام عليه السلام من سبيل إلا القتال، ومن هنا واجههم الإمام عليه السلام بتلك الشدة والصرامة حتى أخمد فتنة الجمل، بينهما ذهب البعض الآخر إلى أنّ المراد بها فتنة الخوارج من النهروان لأن ظاهر الخوارج كان يتصف بنوع من الصلاح والقدسية، رغم انحرافهم الباطنى وحماقتهم وجهلهم بالتعاليم الإسلامية، بينما كانوا يولون عناية فائقة لأدنى المستحبات والمندوبات، ولذلك تردد الكثير من السذج فى قتالهم، بينما نهض الإمام عليه السلام بالأمر ليواجه هذه الفتنة ويفقأ عينها، كما ذهب بعض الشرّاح إلى أنّ المراد بها الفتنة بمفهومها العام، حيث يعتقدون أنّ هذه الفتن قد بدأت على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى موقعة بدر واستمرت فى سائر الغزوات، ثم استفحلت وتفاقم خطرها بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، ثم امتدت لتشتد فى زمان عثمان، فلما قتل وبايع الناس الإمام عليه السلام تجذرت هذه الفتنة لتتخذ أشكالًا اخرى ليواجهها الإمام عليه السلام بالسيف أحياناً، وبالصبر والتحمل والتحذير والنذير أحياناً اخرى ولكن يبدو تفسيرها بالجمل أنسب من غيره أمّا التعبير:

«عين الفتنة»

فيفيد أنّ الإمام عليه السلام قد شبه الفتنة بشبح وحشى كاسر، وإذا فقأت عينه سلبت قدرته وحيويته، كما تشير إلى أنّ الإمام عليه السلام كان يتجه فى مجابهته للفتنة إلى مراكزها الأصلية ورموزها الأساس،

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۳۷

ولايقصد العناصر الثانوية هناوهناك، فالفتنة تزول إذا مازال مركزها؛ وهذا هو الطريق الافضل الذى ينبغى اتخاذه فى مواجهة الفتن والدسائس. ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى مسألة ذات أهمية بالغة جدا فقال عليه السلام:

«فاسألونى قبل أن تفقدونى»

. كما ذكر سابقا فقد قال المحققون لم يكن ليقول هذا الكلام غير على بن أبى طالب، و ذلك لأنه كان واسع العلم بأحداث الماضى و الحاضر و المستقبل بحيث يجيب يرد على كل سؤال بشأن المعارف و الأحكام، و هو العلم الذى تعلمه من رسول اللَّه صلى الله عليه

و آله الذى أخذه عن الوحى.

قال الشارح المعتزلى روى صاحب كتاب الاستيعاب عن جماعة من الرواة والمحدثين قالوا لم يقل أحد من الصحابة عنهم سلونى إلّاعلى بن أبى طالب، وقال أبو جعفر الاسكافى فى كتاب نقض العثمانية: ليس لأحد من الناس أن يقول على المنبر سلونى إلّاعلى بن أبى طالب عليه السلام.

وقيل إنّ ابن الجوزى قال يوماً على منبره: سلونى قبل أن تفقدونى، فسألته أمرأة عما روى أنّ علياً سارفى ليلة إلى سلمان فجهزه ورجع، فقال: روى ذلك، قالت: فعثمان ثم ثلاثة أيام منبوذاً فى المزابل وعلى عليه السلام حاضر، قال: نعم، فقالت: قد لزم الخطاء لأحدهما، فقال: ان كنت خرجت من بيتك بغير اذن زوجك فعليك لعنة اللّه وإلّا فعليه، فقالت: خرجت عائشة لحرب على باذن النبى صلى الله عليه و آله أم لا؟ فانقطع ولم يحر جواباً[۳۲۹] ثم قال عليه السلام:

«فو الذى نفسى بيده!

لاتسألونى عن شىء فيما بينكم وبين الساعة، ولاعن فئة تهدى مئة وتضل مئة إلّا أنبأتكم بناعقها[۳۳۰] وقائدها وسائقها، ومناخ ۳۳۱] ركابها، ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها

قتلًا، ومن يموت منهم موتاً»

ربّما يتكهن الكثير من الناس بصورة كلية ومبهمة عن بعض حوادث المستقبل، وهذا ما نلمسه بوضوح لدى الساسة الذين يتكهنون ببعض الامور التى قد تصيب وقد تخطىء. إلّاأنّ أحداً لم يتمكن بالتكهن بدقائق الامور وأدنى التفصيلات وبالنسبة

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۳۸

لتلك الأزمان البعيدة، إلّالمن ارتبط بمصادر الوحى واستند إلى المدد الإلهى والعلم المطلق.

والعجيب فى الأمر أنّ الإمام عليه السلام أكد فى هذه العبارة أنى أستطيع أن أخبركم بكافة الحوادث القادمة إلى يوم القيامة من جانب، ومن جانب آخر أشار إلى جزئيات هذه الحوادث وتفاصيلها. الأمر الذى لا يتيسر إلّاللنبى ومن يستقى علومه ومعارفه منه، وهنا يبرز هذا السؤال: هل للنبى أو الإمام العلم بالغيب، وبهذه السعة والشمولية، والحال هذا القرآن يصرح: «قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِى السَّمواتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلّا اللَّهُ»[۳۳۲]، وتبدو الاجابة واضحة ومعروفة على هذا السؤال، على ضوء ما ورد فى الآيات القرآنية، وكلمات الائمة عليه السلام ولاسيما الإمام عليه السلام فى أن علم الغيب بالذات مختص بالله سبحانه، والله سبحانه يطلع من يشاء من أوليائه على ذلك العلم، كما ورد ذلك فى الآية ۲۶- ۲۷ من سورة الجن: «عالِمُ الغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً* إِلّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ»، وسيأتى عما قريب أنّ الإمام عليه السلام حين أخبرعن بعض الحوادث، فتبادر هذا السؤال إلى ذهن أحد الأفراد بشأن علم الإمام عليه السلام للغيب، ردّ عليه عليه السلام بالقول:

«ليس هو بعلم غيب، وإنّما هو تعلم من ذى علم»،

فى إشارة واضحة إلى أنّ الغيب الذاتى للّه، وعلم الإمام عليه السلام إكتسابى، فقد تعلم جميع هذه الامور من رسول اللّه صلى الله عليه و آله الذى تعلمها من اللّه سبحانه وتعالى (وسيمر علينا فى البحث القادم شرح هذا الكلام). على كل حال، لم يقل مثل هذا الكلام بعد رسول اللّه أحد سوى أميرالمؤمنين، إلّاأنّ الإمام أورد ذلك كراراً ومراراً ليقع عين ما كان يخبر به عليه السلام. وقد أفرد ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة فصلًا أسماه الامور الغيبة التى أخبر عنها الإمام عليه السلام أورده فى ذيل هذه الخطبة، وسنشير إليه فى البحث القادم.

والعبارة:

«ولاعن فئة تهدى مئة ...»

إشارة إلى أنّ الإمام عليه السلام لايخبر عن الجماعات الكثيرة والوقائع الخطيرة فحسب، بل يستطيع الأخبار عن صغائر الحوادث ببركة

ذلك التعليم الإلهى. ثم أشار عليه السلام إلى نقطتين بهذا الشأن:

الاولى: لتشجيع أولئك على السؤال عن المسائل المصيرية، حذراً من ندمهم يوماً حين

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۳۹

تضطرب عليهم الامور فيحل مشاكلهم:

«ولو فقدتمونى ونزلت بكم كرائه ۳۳۳] الامور،

وحوازب ۳۳۴] الخطوب، لأطرق كثير من السائلين، وفشل كثير من المسؤولين»

أى أسألونى مادمت بينكم، فليس لأحد بعدى أن يرد على ما يدور فى أذهانكم، آنذاك ليس لكم سوى الندم.

الثانية: إشارة إلى الأزمات والخطوب المرتقبة، ليستعدوا لها، كما تبشر من جانب آخر الأخيار والصالحين بالفتح

«وذلك إذا قلصت ۳۳۵] حربكم، وشمرت ۳۳۶] عن ساق، وضاقت الدنيا

عليكم ضيقاً، تستطيلون معه أيام البلاء عليكم، حتى يفتح الله لبقية الأبرار منكم»

، فالإمام عليه السلام أشار- إلى سيطرة الجناة من حكام بنى أمية وسيطرتهم على مقدرات الامّة الإسلامية وغصب أموالها، وليس لمن يقف بوجههم سوى الضربات الماحقة الشديدة، والحق أنّ جرائمهم وجناياتهم لتفوق الخيال والتصور، وما أروع عبارة الإمام عليه السلام بهذا الشأن حين قال:

«ضاقت الدنيا عليكم ضيقاً»

لتصور بعض الفضائع التى ارتكبها بنى أمية بحق الناس.

أمّا قوله عليه السلام:

«حتى يفتح الله لبقية الابرار منكم»

، فيمكن أن يكون إشارة إلى زوال حكومة بنى أمية، ليتنفس المسلمون بعدها الصعداء، حيث سيتربص بهم العباسيون الذين لم تشتد قوتهم آنذاك. كما يمكن أن تكون إشارة إلى الحكومة العالمية للإمام المهدى عليه السلام التى تقتلع جذور الظلم والجور وتنهى كافة أشكال التسلط والهيمنة وترسى قواعد العدل والقسط، وإليك طائفة من الامور الغيبية التى أخبر عنها الإمام عليه السلام ثم تحققت، تأمل نبوءات الإمام عليه السلام أفرد ابن أبى الحديد فصلًا بهذا الشأن فقال: واعلم أنّه عليه‌السّلام قد أقسم فى هذا الفصل باللَّه الذى نفسه بيده أنّهم لايسألونه عن أمر يحدث بينهم وبين القيامة إلّاأخبرهم به، وأنّه ما صحّ من طائفة من الناس يهتدى بها مائة وتضلّ بها مائة، إلّاوهو مخبرٌ لهم- إن سألوه- برعاتها وقائدها وسائقها ومواضع نزول ركابها وخيولها؛ ومَنْ يقتل منها قتلًا، ومَنْ يموت منها

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۴۰

موتاً؛ وهذه الدعوى ليست منه عليه السلام ادّعا الرّبوبية، ولا إدّعاء النبوة؛ ولكنه كان يقول:

إنّ رسول صلى اللَّه عليه وآله أخبرَه بذلك؛ ولقد امتحنّا إخباره فوجدناه موافقاً، فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة، كإخباره عن الضربة التى يضرب بها فى رأسه فتخضب لحيته، وإخباره عن قتل الحسين ابنه عليهما السلام؛ وما قاله فى كربلاءِ حيث مرّبها، وإخباره بملك معاوية الأمر من بعده، وإخباره عن الحجاج؛ وعن يوسف بن عمر؛ وما أخبر به من أمر الخوارج بالنهروان، وما قدمه إلى صحابه من إخباره بقتل من يقتل منهم وصلب من يصلب وإخباره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، وإخباره بعدّة الجيش الوارد إليه من الكوفة لما شخص عليه السلام إلى البصرة لحرب أهلها، هذه شهادة ضد من لايعتقد بإمامته عليه السلام على أنه الإمام المعصوم؛ بينما المسألة واضحة لنا تماما. فالائمة ورثة علوم النبى صلى الله عليه و آله إلى جانب إدراكهم للحقائق القرآنية التى يعجز عن دركها الاخرون، مع مالهم من إلهامات غيبية و سنبحث فى حينه فى ذيل بعض الخطب بشأن سعة علم الإمام.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۴۱

القسم الثانى: فتنة بنى أمية

اشارة

«إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ؛ يُنْكَرْنَ مُقْبِلاتٍ، وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ، يَحُمْنَ حَوْمَ الرِّياحِ، يُصِبْنَ بَلَداً وَيُخْطِئْنَ بَلَداً. أَلَا وإِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِى عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِى امَيَّةَ، فإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ: عَمَّتْ خُطَّتُهَا، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا، وَأَخْطَأَ الْبَلاءُ مَنْ عَمِىَ عَنْهَا، وَايْمُ اللَّهِ لَتَجِدُنَّ بَنِى أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوْءٍ بَعْدِى، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ، تَعْذِمُ بِفِيهَا، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا، وَتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا، وَتمنَعُ دَرَّهَا، لَايَزَالُون بَلاؤُهُمْ عَنْكُمْ حتَّى لايَكُون انْتِصارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانْتِصارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ، وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ، تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً، وَقِطَعاً جَاهِلِيَّةً، لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدىً، وَلَا عَلَمٌ يُرَى .

الشرح والتفسير

أخبرالإمام عليه السلام فى القسم الأول من هذه الخطبة عن جانب من الحوادث المستقبلية والفتن التى ستصيب المسلمين، ثم واصل هنا الكلام عن أولًا: الإشارة إلى القانون العام ذات الصلة بالفتن؛ القانون الذى يؤدى العلم به إلى الحد من خطر هذه الفتن، ثانياً: الحديث عن فتنة خاصة- وهى فى الواقع من أهم الفتن- وتحذير الناس منها، وهى فتنة بنى أمية التى تطرق الإمام عليه السلام إلى أغلب مميزاتها. فقد قال عليه السلام بادىء ذى بدء، أنّ الفتن عادة ما تتلبس بلباس الحق إذا أقبلت، فاذا أدبرت نبهت الناس إلى ما هيتها

«إن الفتن إذا أقبلت شبهت، وإذا أدبرت نبهت».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۴۲

ثم أشار عليه السلام إلى نقطة فى الحقيقة هى علة هذا الأمر، وهى أنّ هذه الفتن مجهولة عند الاقبال، معروفة عند الإدبار

«ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات»

، فهذه نقطة اجتماعية سياسية غاية فى الأهمية، وهى أنّ أصحاب الفتنة والانحراف إنّما يحاولون تنميق ظاهرهم ليخفون صورتهم الكريهة فى إطار الحق ليستقطبوا الناس إليهم، فاذا استتب لهم الأمر كشفوا عن أنيابهم الكريهة حتى يطاح بهم.

ومن هنا فانّ دعاة الحق مطالبون على الدوام بالنظر بمنتهى الحيطة والحذر إلى الأحداث والوقائع خشية الانخداع والاغترار، فحسن الظن والنظرة السطحية فى مثل هذه الامور لن تؤدى سوى إلى الضرر والخسران.

ثم أشار عليه السلام إلى نقطة مهمّة وهى أنّ الفتن ليست شاملة، بل هى كالرياح التى تصيب موضعا وتترك آخر:

«يحمن ۳۳۷] حوم الرياح، يصبن بلداً ويخطئن بلدا».

لأنّ أرضية كافة المدن والامصار ليست واحدة لتحتضن الفتن، بل هناك عدة عوامل متوفرة هنا وليست متوفرة هناك، وبناء على هذا فلا ينبغى الاغترار إذا لم تشاهد بعض آثار الفتن فى موضع دون آخر.

ثم يتطرق عليه السلام إلى فتنة بنى أمية ليحذر من خطورتها فيقول:

«ألا وإنّ أخوف الفتن عندى عليكم فتنة بنى أمية، فانّها فتنة عمياء مظلمة».

فتنة عمياء مظلمة لاتبقى أمامها من قيم ومفاهيم ومثل، وتتجاوز كافة الأشخاص دون الالتفات إلى سوابقهم ومواقفهم، والحق أنّ فتنة بنى أمية كانت كذلك! فقد استعادت أعراف الجاهلية حياتها على عهدهم وفى ظل حكومتهم، حيث تمكنت حثالات رجالهم من

التسلط على رقاب المسلين وإشغال المواقع الحساسة فى الحكومة، فتنحت تلك الشخصيات الصالحة وأقصيت عن الميدان، بينما مورست أبشع أنواع البطش والتعذيب بحق أولئك الذين رفعوا أصواتهم بوجه هذه الحكومة. ثم أشار عليه السلام إلى بعض خصائص هذه الفتنة فى أنّ حكومتها عامة شاملة بحيث يخضع الجميع لهذه السلطة الغاشمة، غير أنّ بلائها يختص بطائفة وجماعة؛

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۴۳

فمن كان بصيراً فى تلك الفتنة (ووقف بوجهها) شمله ذلك البلاء، بينما يسلم منها من كان أعمى

«عمت خطتها،[۳۳۸] وخست بليتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمى

عنها».

طبعاً أنّ آثار الفتنة ستعم بالتالى كافة القوم، ولعل هذا هو المعنى الذى أشارت إليه العبارة

«عمت خطتها»؛

إلّاأنّ شدتها وحدتها إنّما تطيل المجاهدين الاشداء، بينما يكون الجهال من عديمى الشعور بالمسؤولية فى أمان من ذلك البلاء ثم تطرق عليه السلام إلى خاصية اخرى من خصائص حكومة بنى أمية، ليقسم قائلًا:

«وآيم اللَّه ۳۳۹] لتجدن بنى أمية لكم أرباب سوء

بعدى كالناب ۳۴۰] الضروس ۳۴۱] تعذم ۳۴۲] بفيها، وتخبط[۳۴۳] بيدها وتزبن ۳۴۴] برجلها، وتمنع

درها[۳۴۵]».

ياله من تشبيه رائع فى الإنسان يتوقع أن يستفيد من لبن ناقته ويركبها ليصل إلى المكان الذى يريد، كما أنّ الإنسان ينتظر من الحكومة أن تساعده وتحل مشاكله وأن تكون سنده فى مسيرة الرقى والتقدم الفردى والاجتماعى. أمّا الحكام الظلمة الذين يفتقرون إلى المنطق والرحمة- والذين لايفكرون إلّافى تحقيق منافعهم- ليس فقط لايحلون مشاكل المجتمع فحسب، بل يجعلونه يعيش فى خضم هالة من المصاعب والمشاكل ويوجهون له الضربات الماحقة الموجعة وهذه المعاملة الجافة العنيفة، و يالها من نبوءة صحيحة حيث كان عليه السلام يرى ببصيرته كل تلك الأحداث و عظم البلاء الذى صبته هذه الفئة القاسية على المسلمين. حتى لايبقى منكم إلّامن ينفعهم أو لايضرهم:

«لايزالون بكم حتى لايتركوا منكم إلّانافعالهم، أو غير ضائر بهم».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۴۴

فهم يخنقون أصوات دعاة الحق فى حناجرهم ويلتقطون من يعارضهم أينما كان ولايرون لأى أحد من حق فى الحياة سوى من يقوم على خدمتهم، أو لايشكل أى خطر على مصالحهم، ولايفرق لديهم أن يكون داع الحق هذا وطالب العدل ابن رسول الله صلى الله عليه و آله أو من صحابته أم كان من كبار علماء الامّة وأعلامها وهكذا تتضح عمومية الفتنة وشموليتها التى أشار إليها الإمام عليه السلام. كما أشار فى الخاصية الرابعة إلى نقطة وهى أنّ المشكلة العظيمة فى هذه الحكومة تكمن فى عدم وجود أى ملاذ من شأنه توفير الأمن للآخرين والنجاة من ظلم هؤلاء الظلمة، وليس هنالك من يسمع شكواهم، الأمر الذى يضطرهم إلى شكوى ظلم الظلمة إلى أنفسهم ومعلوم بالطبع نتيجة مثل هذه الشكوى:

«ولايزال بلاؤهم عنكم حتى لايكون انتصار أحدكم منهم إلا كانتصار العبد من ربّه، والصاحب من مستصحبه».

والحق هذا هو مصير الأُمّة التى تقوم حكومتها الجائرة والظالمة بقطع ألسن كافة دعاة الحق وتحاصر العلماء وتفرض عليهم الاقامة فى بيوتهم، وتعز الذليل وتذل العزيز وتحطم عناصر القوة فى الامّة وتسخرها من أجل منافعها. ثم أشار فى الخاصية الخامسة والأخيرة- والتى تؤكد فى الواقع الخصائص السابقة- إلى تتابع هذه الفتن وهى عماء وصماء خالية من الأدلة وسبل النجاة:

«ترد عليكم فتنتهم شوهاء[۳۴۶] مخشية[۳۴۷] وقطعاً جاهلية، ليس فيها منار

هدى ولاعلم يرى»

، وهكـذا يكون الإمام عليه السـلام قـد رسم بهذه الخصائص الصورة القاتمة لظروف وأوضاع حكومة بنى أمية، كما أشار إلى نهايتها؛ وكأنّه كان قد عاش تلك الفترة المظلمة التى دامت ثمانين سنة، وكان يرى تفاصـيلها رأى العين. فقد كانت حكومة لاتقيم وزناً للقيم والمثل الإسـلامية ولاتعترف بالقوانين الإسـلامية، بل هى حكومـة مسـتبدة طاغيـة تفتقر إلى المنطق والموازين مليئة بالفتن الحاكية عن عصـر الجاهليـة، الحكومـة التى قـد لاـتفكر حتى فى مصالحها، لتمارس أقصـى درجات الظلم والجور فترتكب ما قل نظيره فى التأريخ البشرى. والعبارة:

«أرباب سوء بعدى»

، إشارة لطيفـة إلى هـذه الحقيقـة وهى أنّكم لم تسـتجيبوا لحكومتى الإسـلامية والإنسانيـة العادلـة، فليس أمامكم سوى الحكام الظلمة وأرباب السوء. وقد أورد

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۴۵

بعض شـرّاح نهـج البلاغة أنّ بنى أمية كانت تعامل طائفة من الناس كعبيد. حتى جاء فى شـرح نهج البلاغة للعلّامة التسترى أنّهم كانوا يأخذون الجزية ممن أسـلم من أهل الذمة ويقولون فروا من الجزية، ويأخذون الصدقة من الخيل، وكانوا يختمون فى أعناق المسـلمين كما توسم الخيل، وينقشون فى أكفهم علامة لاسترقاقهم كما يصنع بالعلوج من الروم والحبشة.[۳۴۸]

تأمّلات

۱- مميزات الفتنة

الفتنـة مفردة يخشاها الجميع، ويرون نتيجتها هى الشؤم والألم، ولكن هنا يطرح هـذا السؤال: ما هى الفتنة؟ وما هى علامتها وملامحها؟ فالإمـام عليه السـلام بين فى هـذه الخطبـة علامـات الفتنـة، كمـا عرفهـا على أسـاس هـذه العلامـات والملامـح. فالفتنـة إنّما تطلق على الحوادث المعقـدة التى لاتتضـح ماهيتهـا؛ لهـا ظـاهر براق وبـاطن مملوء بالفسـاد؛ تؤدى بالمجتمعـات البشـرية إلى الفوضـى والعـداوة والتناحر والاقتتال وسفك الدماء ونهب الأموال وهتك الاعراض- والأنكى من كل ذلك تعذر السيطرة عليها.

غالبـاً مـا تتلبس بلبـاس الحق لتجـذب اليهـا السـذج من الناس ولايلتفتون إليها، إلّابعـد أن تسـدد إليهم سـهام حقـدها. والفتن لاتعرف القانون، فقـدتأتى على منطقـة لتحرقها عن بكرة أبيها، بينما لاتشـهد منطقـة اخرى أثراً لهذه الفتنة وهى تعيش فى أمن وأمان منها، وقد شبهها الإمام عليه السـلام فى الخطبـة بالريـح التى تصـيب منطقـة وتخطىء منطقة اخرى، وقد تلف هذه الريح كل شـىء معها من قبيل الناس والسـيارات لتقذف بهم هنا وهناك حسب سرعتها وشدتها! وهذا ما تفعله الفتن بكبار الشخصيات الدينية والاجتماعية السياسية، إلى جـانب فعلهـا بـأموال الامّـة وثروات المجتمع والحرب التى وقعت على عهـد أميرالمؤمنين على عليه السـلام تعـد كـل واحـدة منها نموذجاً بارزاً للفتنـة؛ فقـد شـهدت واقعـة الجمل حضور زوج النبى صـلى الله عليه و آله عائشـة التى ركبت الجمل، وإلى جانبها طلحة والزبير وهما من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله- ومن أهل السابقة

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۴۶

الحسـنة فى الإسـلام، بحسب الظـاهر- حـتى بثوا أولى بـذور النفـاق والفرقـة والشـقاق فى صـفوف الامّـة الإسـلامية، ولم تضع الحرب أوزارها إلّابعـد مقتل أكثر من عشـرين ألف من المسـلمين، حتى تم الأمر لعلى عليه السـلام فأخمد نيران تلك الفتنة. قضـية أهل الشام وموقعـة صـفين والمطالبـة بـدم عثمـان ورفع المصاحف على أسـنة الرماح نموذج بارز آخر لهـذه الفتنـة، ولم تنطفى نيرانها طائفـة من الجهال المتنسكين وهم يرفعون شعار

«لاحكم إلّااللّه»

ليشعلو فتيل موقعة النهروان فالواقع أنّ تأمل هذه النماذج العينية يمكنه أن يعلم الإنسان بصورة علمية كافة مميزات الفتنة ومداخلاتها كما بينها الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة.

۲- حكومة بنى أمية

بناءاً على ما أورده الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة فانّ حكومة بنى اميّة كانت من أعظم وأعقد الفتن التى عصفت بالمسلمين منذ انبثاق الدعوة الإسلامية حيث قلبت الحضارة الإسلامية رأساً على عقب وصبغت الحكومة الإسلامية بصبغة الاستبداد والتسلط والغطرسة، تنتمى طائفة بنى أمية إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. ومنها أبو سفيان أعدى أعداء الإسلام الذى أثار أغلب الحروب ضد رسول اللّه صلى الله عليه و آله وقد بذل قصارى جهده من أجل القضاء على الإسلام، إلّاأنّ إرادة اللّه وقدرته حالت دون ذلك، حتى استسلم أخيراً بجحافل الإسلام بينهما أسر الكفر وظل يخطط من أجل كسر شوكة الدين، بينما صفح النبى صلى الله عليه و آله عن جرائمه. روى ابن أبى الحديد عن الشعبى أنّ عثمان لما ولى الخلافة، اجتمع بنوأمية فى داره فاغلقوا الباب، وكان حينها أبوسفيان قد كف بصره فالتفت إليهم وسألهم: هل فيكم غيركم؟ قالو: لا، فقال عبارته المشهورة:

«يا بنى أمية تلقفوها تلقف الكرة! فو الذى يحلف به أبو سفيان! ما من عذاب ولاحساب ولاجنّة ولانار ولابعث ولاقيامة»[۳۴۹].

وهى ذات العبارة التى أطلقها معاوية بعد ان سمع مقالة المغيرة، كما وردت مثلها فى الأشعار المعروفة ليزيد حين جاءوا إليه برأس الإمام الحسين عليه السلام. هذا وقد ألف علماء الفريقين عدة

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۴۷

كتب ومقالات بشأن الجنايات والجرائم التى ارتكبتها حكومة بنى أمية، والتى تدل على عمق الحقيقة التى صرحت بها الروايات الإسلامية قبل استيلاء بنى أمية على دفة الحكم، وأنّهم آفة هذه الامّة.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۴۹

القسم الثالث: انتقام الله من بنى أمية

اشارة

«نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ، وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللّهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ: بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً، وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ لَايَعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ، وَلَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ، فَعِنْدَ ذلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ- بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا- لَوْ يَرَوْنَنى مَقَاماً وَاحِداً، وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ، لِاقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَومَ بَعْضَهُ فَلا يُعْطُونِيهِ!».

الشرح والتفسير

إختتم الإمام عليه السلام الخطبة بالأخبار عن بعض الحوادث المستقبلية الحلوة والمريرة، حيث يلفت النظر إلى أنّ أهل البيت عليهم السلام بمنجاة من هذه الفتنة وأنّهم ليسوا دعاة حكومة آنذاك:

«نحن أهل البيت منها بمنجاة[۳۵۰]، ولسنا فيها بدعاة».

يبدو أنّ هناك إختلاف بين شرّاح نهج البلاغة فى تفسير هذه العبارة، لأن الفتنة من حيث العينية الخارجية قد شملت أهل البيت، ونموذج ذلك شهادة الإمام الحسين عليه السلام وصحبه الكرام.

وعليه فنجاة أهل البيت من تلك الفتنة بمعنى عدم مسؤوليتهم فى هذه الفتنة، وتقع مسؤوليتها على الامّة التى ولت ظهورها عن أهل

البيت والتحقت بسليلى الكفر والشرك والجاهلية.

والعبارة

«ولسنا فيها بدعاة»

قرينة على هذا المعنى، لأنّ أهل البيت حين اجبروا على

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۵۰

السكوت ولم تندفع الامّة خلفهم، بات من الطبيعى عدم تحملهم لأية مسؤولية. ثم بشرهم الإمام عليه السلام بعدم استمرار هذه الفتنة وأنّ الله سيكشفها عن الامّة كما يكشف الجلد عن اللحم:

«ثم يفرجها[۳۵۱] الله عنكم كتفريج الأديم.»[۳۵۲]

فهذا التشبيه يشير إلى اخماد فتنة أمية بصورة تامة فى ذلك الزمان، لأن الجلد حين يفصل عن اللحم لاتبقى ذرة منه على اللحم بحيث يتغير شكل الحيوان المذبوح تماماً.

والسؤال المطروح من الذى ينهى هذه الفتنة ويقضى على حكومة بنى أمية وكيف؟

قال عليه السلام: فى مواصلة كلامه بشكل عام

«بمن يسومهم خسفاً[۳۵۳]، ويسوقهم عنفاً، ويسقيهم

بكأس مصبرة لايعطيهم إلّاالسيف، ولايحلسم ۳۵۴] إلا الخوف».

العبارة

«مصبرة»

من مادة صبر على وزن خشن نبات شديد المرارة، إشارة إلى مرارة الحياة التى سيعيشها بنى أمية فى ظل حكومة بنى العباس، والعبارة «لايعطيهم ...»

تأكيد لهذا المعنى فى ابتلاء بنى أمية ببنى العباس، الذين يضعون السيف فى أعناقهم، ومن حالفه الحظ فى الهرب فليس له إلّاالخوف والرعب.

ثم قال عليه السلام آنذاك تود قريش (إشارة إلى طائفة من بنى أمية) أن تعطى الدنيا وما فيها، لترانى مرة اخرى (وتذعن لامرتى) ولو لمدة وجيزة بقدر ذبح الناقة، لأقبل منها ما تمنعنى اليوم بعضه:

«فعند ذلك تود قريش بالدنيا وما فيها، لو يرونى مقاماً واحداً، ولو قدر جزر جزوّر[۳۵۵]، لاـ قبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلايعطونيه»

فالعبارات وان أشارت إلى تكهن الإمام عليه السلام بشأن زوال سلطة بنى أمية على يد بنى العباس، إلّاأنّ بعض شرّاح نهج البلاغة احتملوا أنّ هذه العبارات وردت بخصوص حكومة الإمام المهدى عليه السلام حيث سيؤدى.

إلى إجتثاث جذور الظلم والطغيان، إلّاأنّ هذا الاحتمال يبدو بعيداً، وذلك لأنّه أولًا: سوف

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۵۱

لن يكون بنى أمية آنذالك طائفة خاصة. ثانياً: ليس هنالك من مجال لأن يتمنوا حكومة الإمام على عليه السلام حين ظهور الإمام المهدى عليه السلام وتطبيق كافة تعاليم السماء.

وبعبارة اخرى: فانّ هذه الامنية ستكون من قبيل تحصيل الحاصل. وهذا الكلام إخبار عن ظهور المسودة، وانقراض ملك بنى أمية، ووقع الأمر بموجب إخباره عليه السلام؛ حتى لقد صدق قوله:

«لقد تود قريش ...»

، فانّ أرباب السير كلهم نقلوا أنّ مروان بن محمد قال يوم الزاب لما شاهد عبدالله ابن على بن عبدالله بن العباس بازائه فى صف خراسان: لوددت أنّ على بن أبى طالب تحت هذه الراية بدلًا من هذا الفتى؛ والقصة طويلة وهى مشهورة.[۳۵۶]

والأعجب من ذلك حين ولى أبو العباس السفاح الخلافة- وهو أول خليفة عباسى أمر بقتل كافة بنى أمية، كما أمر بنبش قبورهم وأخراج الأموات منها واحراقها، ولم ينج منهم إلّا من هرب إلى الأندلس- وقيل أنّ السفاح أمر بطرح موتى بنى أمية أمام الكلاب لتنهش لحومهم.[۳۵۷]

بل لقب أبوالعباس بالسفاح لكثرة قتله من بنى أمية.[۳۵۸]

ويتضح ممّا مر معنا أنّ الفرج الذى بشر به الإمام عليه السلام إنّما يقتصر على الفترة الممتدة بين حكومة بنى أمية وبنى العباس، أو بعبارة اخرى يرتبط بالمدة التى لم تقو فيها قدرة بنى العباس إلى الحد المطلوب، وذلك لأنهم حين توطدت دعائم حكومتهم وقويت شوكتهم، غاصوا فى هالة من الظلم والاضطهاد ليجعلوا المسلمين يعيشون فترة مظلمة اخرى

تأمّلان

۱- ضريبة الفرار من الحق

شحن التأريخ بهذه التجربة فى أنّ من يهرب من الحق والعزة والكرامة، إنّما يعيش حياته فى ظل الذل والباطل. وأفضل نموذج على ذلك أهل العراق على عهد على عليه السلام الذين لم يستجيبوا

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۵۲

لعلى عليه السلام المعروف بعدالته ورحمته حتى فى ساحات الوغى ومع الخصوم والاعداء، فكانوا يختلقون مختلف الذرائع ليتمردوا عليه، فملأوا قلبه دما وشحنوا صدره غيضاً وجرعوه الهم والغمّ. إلّاأنّه لم تمض عليهم مدة حتى دفعوا ثمن ذلك باهضاً ليذوقوا ألوان الذلة والهوان. فقد سلط عليهم زمرة من الجفاة الطغاة القساة الذين لم يرعوا إلّاولاذمة فى كبير أو صغير. وقد نهبوا أموالهم وانتهكوا حرماتهم وجرعوهم الموت غصة غصة، وأحالوا حياتهم ظلاماً دامساً، حتى تمنوا لحظة من لحظات حكومة على عليه السلام ولكن هيهات.

نعم هذا ما صرح به الإمام عليه السلام فى الخطبة ۲۸:

«ألا وإنّه من لاينفعه الحق يضره الباطل، ومن لايستقيم به الهدى يجربه الضلال إلى الردى .

حقاً أن هذا الفصل من تأريخ الإسلام ملىء بالدروس والعبر، فمصير اولئك الذين غدروا بأمير المؤمنين على عليه السلام ينطوى على الدروس والعبر من جانب، ومن جانب آخر فانّ قصة بنى أمية بعد على عليه السلام هى الاخرى عبرة لمن اعتبر.

روى المؤرخ المشهور المسعودى أنّ الحجاج حكم الكوفة والبصرة على عهد عبد الملكبن مروان عشرين سنة، واحصى من قتله صبراً سوى من قتل فى عساكره وحروبه فوجد مائة وعشرين ألفا، ومات فى حبسه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف أمرأة، منهن ستة عشر ألفا مجردة، وكان يحبس النساء والرجال فى موضع واحد، ولم يكن للحبس ستريستر الناس من الشمس فى الصيف ولا من البرد والمطر فى الشتاء، وكان له غير ذلك من العذاب.[۳۵۹]

وذكر إبن قتيبة فى الامامة والسياسة أن الحجاج دخل مسجد البصرة مع مئتى نفر يحملون سيوفهم ثم أمرهم بالهجوم على الناس إن خلع عمامته إذا رموه، فجعلون يضربون أعناق من فى المسجد حتى إمتلأ بدمائهم. و لم يكن ذلك سوى جانبا من مصير من تمرد على الإمام عليه السلام.

۲- عاقبة بنى أمية

عاقبة بنى أمية كانت هى الاخرى أسوأ من عاقبة أهل العراق فى حكومة بنى العباس

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۵۳

حتى قيل أنّ أحد خلفاء بنى العباس أحضر فى مجلسه تسعين من زعماء بنى أمية فأمر بضرب رؤوسهم بأعمدة الحديد والقوا وسط المجلس، ثم وضعت مائدة الطعام عليهم فجعل يتناول مع صحبه الطعام.[۳۶۰]

بل لم يرحموا حتى صغار بنى أمية فضلًا عن موتاهم. فقد عمد عبدالله بن على أيام أول خليفة عباسى السفاح إلى نبش قبورهم، فاخرج جسد هشام بن عبدالملك وأضرم فيه النار، كما أخرج جسد الوليد بن عبدالملك ويزيد بن معاوية- ولم يبق منهما إلّاالعظام- وسائر أجساد بنى أمية وأمر باحراقها.[۳۶۱]

ثم اتجه صوب قبر معاوية، فلم يكن فيه سوى حفنة من التراب.[۳۶۲]

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۵۵

الخطبة[۳۶۳] الرابعة والتسعون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

وفيها يصف الله تعالى ثم يبين فضل الرسول الكريم صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام ثم يعظ الناس

نظرة إلى الخطبة

تشتمل الخطبة على أربعة محاور: الأول: بيان بعض صفات الله سبحانه، الثانى: خلق الأنبياء من صلب آدم عليه السلام.

الثالث: خلق النبى الأكرم صلى الله عليه و آله من النسل الطاهر، وشرح بعض فضائله ومناقبه ومدح عترته عليهم السلام.

الرابع: النصح والوعظ بعبارات قصيرة عظيمة التأثير.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۵۷

القسم الأول: عجز الفكر عن معرفته

«فَتَبارَکَ اللّهُ الَّذِی لَایَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَلَا یَنَالُهُ حِدْسُ الْفِطَنِ، الأوَّلُ الَّذِی لَا غَایَةَ لِهُ فَیَنْتَهِیَ، وَلا آخِرَ لَهُ فَیَنْقَضِیَ».

الشرح والتفسير

استهل الإمام عليه السلام خطبته- كسائر خطبه- بحمد الله والثناء عليه، أفضل انطلاقة فى الحديث واعداد القلوب لسماع الوعظ. فقد بيّن عليه السلام بهذه العبارات أربع صفات من صفات الله التى تعود فى الحقيقة إلى صفة واحدة (وقد ورد شبيه ذلك فى الخطبة الاولى من نهج البلاغة فى المجلد الأول من هذا الكتاب). فقال عليه السلام:

«فتبارك الله الذى لايبلغه بعد الهمم، ولايناله حدس الفطن».

فهو سبحانه الأول الذى لانهاية له ليمكن الوصول إليه، ولا آخر له لتكون له نهاية

«الأول الذى لاغاية له فينتهى، ولا آخر له فينقضى»

فجميع هذه الصفات إنّما تشير إلى عدم تناهى ذاته فى كل جهة. الذات التى لا تعرف الحدود من حيث العظمة والعلم والقدرة

والاوليـة والآخريـة. فهو ليس محدود فى الفكر الإنسانى، ولا يدرك بالظنون، ليس له أول، كما ليس له آخر، ليس هنالك من هدف لذاته ولا غاية، وذلك لأنّه كمال مطلق ووجود لا حدود له ولانهاية.

وفى ذات الوقت فانّ هذه الصفات الأربع تعالج هذه الحقيقة من جوانب مختلفة:

فى العبارة الاولى أنّ الأفكار البشرية والإرادات القوية ومهما بلغت جهودها ومساعيها لايسعها أن تبلغ معرفة كنهه سبحانه.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۵۸

والعبارة الثانيـة: إشارُة إلى الحـدس والظن والانتقالات الدفعية والسـريعة الفكرية التى يمكنها أن تذلل أغلب قضايا الحياة، حيث يقول الإمام عليه السلام ليست لها من فاعلية هنا.

العبارة الثالثة: تشير إلى أنّ الله سبحانه، على خلاف الموجودات الإمكانيـة التى لها هدف ومقصد لهذا الوجود، فهى تنتهى حين تبلغ هذفها وتقوم برسالتها؛ فليس هناك وجود ليبلغه.

العبـارة الأـخيرة: تشـير إلى أنّه آخر لانهايـة له- بعبارة اخرى: هو أول الوجود وآخره، ولكن ليس بمعنى الأول الـذى ينتهى ولا الآخر الذين ينقضى؛ فهذه الصفات تعنى أزليته وابديته ومطلقيته.

قد لا يكون المعنى الأخير كذلك للوهلة الاولى ولكن يبدو ذلك صـحيحاً من خلال الالتفات إلى العبارة السابقة، ونظير اتها فى نهج البلاغة، كما ورد فى الخطبة ۸۵.

على كل حال فانّ الأفكار البشـرية المحـدودة لاتصل أبـداً إلى كنه ذلك الكمال المطلق، وليس لنا سوى معرفـة إجماليـة، يمكنها أن تتكامل كلما طهرت روح الإنسان أكثر وأصبح فكره أقوى وأكمل، وأن تعذر بلوغ المعرفة التفصيلية البتة.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۵۹

القسم الثانى: (ومنها فى وصف الأنبياء): المكانة الرفيعة للأنبياء

«فَاسْتَوْدَعَهُمْ فى أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقَرَّهُمْ فِى خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ، تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الأَصْلابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الأَرْحَامِ؛ كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ، قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللّهِ خَلَفٌ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السـلام فى هـذه الخطبـة إلى الأنبياء الـذين بعثهم الله طيلـة تاريـخ البشـرية، ليكمل بحث التوحيـد ببحث النبوة. وتفيد القرائن أن هناك مقاطع محذوفة بين هذا القسم وذلك الذى سبقه، فالأقسام مقتطفات من خطبة طويلة للإمام عليه السلام.

على كل حال فان الخطبة أشارت فى الواقع إلى الامور المهمة التالية.

الأول: أنّ الأنبياء قد غطوا جميع التاريخ البشرى وقد نهضوا الواحد تلوا الآخر بمهمتهم فى الوعظ والإرشاد.

الثانى: أنّهم ينشدون جميعاً هدفاً واحداً.

الثالث: أنّهم تربوا فى أصلاب شامخة وأرحام مطهرة.

فقال عليه السلام:

«فاستودعهم فى أفضل مستودع، وأقرهم فى خير مستقر»

، ثم خاض عليه السلام فى شرح هذا المجمل بأنّ الله قد قلبهم فى الأصلاب الكريمة والأرحام المطهرة. فقال عليه السلام بهذا الشأن:

«تناسختهم ۳۶۴] كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۶۰

فالواقع هو أنّ

«أفضل مستودع»

يراد به أصلاب كرام الآباء من أهل الفضل و

«خير مستقر»

يراد به الأرحام الطاهرة للُامهات.

ثم أشار عليه السلام إلى استمرار رسالة الأنبياء وامتدادها، وكلما رحل منهم أحد، خلفه آخر ليواصل سبيله:

«كلما مضى منهم سلف، قام منهم بدين الله خلف».

فالواقع هو أنّ حديقة الحياة الإنسانية لم تخل قط من شجرة الأنبياء الطيبة، لتتغذى البشرية على الدوام على ثمارها المعطاء: «تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذنِ رَبِّها»[۳۶۵] فترتوى من فيضها وتزدان قوة فى روحها وبدنها.

أمّا قضية طهارة أصلاب الأنبياء وأرحامها فمن الامور المهمة التى أسهبت فى ذكرها الروايات الإسلامية والزيارات، وذلك لاهميتها من جانبين: الأول من ناحية قانون الوراثة الذى ينطوى على آثار عميقة والثانى: من الناحية الاجتماعية وثقة الامّة بالأنبياء، إلى جانب الرابطة بين الامم والأنبياء بما لا يمكن انكار دوره.

ومن هنا صرحت الروايات التى وردت بشأن انتخاب الزوجة بأن تكون من اسرة دينية مشهورة بعفتها وطهارتها وورعها وتقواها، والعكس صحيح فى اجتناب الاسرة الوضيعة وان كانت هناك بعض الصفات فى المرأة. فقد جاء فى الحديث عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«أيها الناس إياكم وخضراء الدمن! قيل: يا رسول الله وماخضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء فى منبت السوء».[۳۶۶]

والنقطة الجديرة بالذكر أنّ العبارة:

«كلما مضى منهم سلف، قام منهم بدين الله خلف»

، إشارة إلى هذه الحقيقة هى أنّ الأنبياء وبمصداق «لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ»[۳۶۷]، لهم برامج واحدة، وأصول مشتركة، وإن كان هناك بعض الاختلاف فى الفروع بسبب تفاوت الزمان والمكان؛ فكانوا يدعون جميعاً إلى التوحيد والعدل والمعاد، حتى أنّهم كانوا سواسية فى اصول المسائل الفرعية؛ فهم يدعون إلى التضرع والعبودية ويحثون على الفضائل ومكارم الأخلاق ويحذرون من الصفات الرذيلة، وبالتالى احترام القانون ورعاية النظام.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۶۱

القسم الثالث: فضائل النبى صلى الله عليه و آله

اشارة

«حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه و آله فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً، وَأَعَزِّ الأَرُومَاتِ مَغْرِساً؛ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِى صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ، وَانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ. عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الأُسَرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ؛ نَبَتَتْ فِى حَرَمٍ، وَبَسَقَتْ فِى كَرَمٍ؛ لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ؛ وَثَمَرٌ لَايُنَالُ؛ فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتَّقَى وَبَصِيرَةُ مَنِ اهْتَدَى سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ، سِيرَتُهُ الْقَصْدُ، وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ، وَكَلامُهُ الْفَصْلُ، وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ؛ أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍمِنَ الرُّسُلِ، وَهَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ، وَغَبَاوَةٍ مِنَ الأُمَمِ».

الشرح والتفسير

ركز الإمام عليه السلام فى إطار حديثه عن أنبياء الله ورسله على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه و آله وفضائله وكمالاته وأعظم صفاته من جميع الجهات. فقد تطرق فى بادىء الأمر إلى أجداده الطاهرين وعظم فضيلة ونسبه صلى الله عليه و آله ثم خاض

فی فروع هـذه الشـجرة المبارکـة من عترته وأهل بيته. ثم تناول فی المرحلـة الاخری صـلاحيته فی زعامة الامّة، کما تحدث عن انبثاق دعوته وقيامه بالامر، ومن شأن کل بعد من هذه الابعاد أن يکشف عن عظمته صـلی الله عليه و آله. فقد قال عليه السلام بأنّ الله وأصل عنايته ولطفه ببعث الأنبياء إلی أن ختمهم بالنبی الأکرم صلی الله عليه و آله:

«حتی أفضت کرامة الله سبحانه وتعالی إلی محمد صلی الله عليه و آله».

حيث استخرجه من أطيب المعادن وأفضلها ومن أطيب الترب وأعزها، وجعل فرع

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۶۲

وجوده من شجرة الأنبياء، تلک الشجرة الطيبة التی اصطفی منها أمناء رسالاته:

«فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً، وأعز الاروما ت ۳۶۸] مغرساً: من الشجرة التی صدع منها أنبياءه،

وانتجب منها أمناءه».

قطعاً أنّ أحد الابعاد المهمة فی شخصـية الإنسان انما يبلوره البعد الوراثی، حيث يکتسب الأبناء القدسية من جراء الآباء من أهل الورع والتقوی والصـلاح، والامهـات من ذوی الطهر والنجابـة والعفـاف. وبالطبع کل ذلک دون حصول الاجبار. والنبی صـلی الله عليه و آله کان نموذجاً بارزاً فی هذا الأمر؛ فهو ينتهی لآل ابراهيم عليه السـلام والأنبياء الذين إنحدروا من نسـله، من صلب بنی هاشم المعروفون بالشجاعة والکرم والاثرة، من ولد عبدالمطلب المشهور بإيمانه وعدله وشجاعته.

فقد انفرد صلی الله عليه و آله بکل هذه الصفات.

الحقيقـة الاـخری التی لاغبار عليها هی أنّ الأبناء من ذوی الشخصـيات والأحفاد من أهل الفضائل دليل آخر علی شخصـية کل إنسان وقد يما قيل (الظرف ينضح بما فيه).

ومن هنا ذکر الإمام عليه السـلام بأنّ عترته من أهل بيته من أفضل العتر وأطيبها، واسـرته صـلی الله عليه و آله من خير الاسـر، وشـجرته المبارکة من أحسن الشجر:

«عترته ۳۶۹] خير العتر، وأسرته خير الاسر،

وشجرته خير الشجر»

الشجرة التی نبتت فی حرم الله الأمن، وبسقت فی سماء الکرامة والفضيلة:

«نبتت فی حرم، وبسقت فی کرم».

وتمتاز هذه الشجرة بفروعها الطويلة وثمارها الطيبة القيمة التی لاتبلغها أيادی السفلة:

«لها فروع طوال، وثمر لاينال».

فالحق أنّ الإمام عليه السلام أدی حق الکلام بهذه العبارات اللطيفة الرائعة بشأن النبی الأکرم صلی الله عليه و آله وعترته الطاهرة عليهم السـلام، واماط اللثام عن عظمـة وبرکـة هذه الشـجرة الطيبة، ليبيّن بتشبيهات وعبارات جميلة فضائله ومناقبه صـلی الله عليه و آله وأهل بيته.

وقد ذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلی أنّ المراد بالحرم فی قوله:

«نبتت فی حرم»

الحرم

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۶۳

المکی، الذی نمت فيه شـجرة النبی صـلی الله عليه و آله، وترعرعت ونمت فی ظله، بينما ذهب البعض الآخر إلی أنّ المراد بالحرم هنا العترة والحرمة؛ أی أن شجرته صلی الله عليه و آله نبتت فی غاية الحرمة والعزة، ولکن يبدو المعنی الأول أنسب.

نفحات الولاية ؛ ج۴ ؛ ص۱۶۳

لعبارة

«بسقت فی کرم»

إشارة إلی أنّ النبی صلی الله علیه و آله لم یلد فی أرض وأسرة عزیزة کریمة فحسب، بل ترعرع وتربی فی بیئة مفعمة بالکرامة والشموخ (لأن البسوق فی الأصل تعنی ارتفاع وطول فروع وأغصان النخل).

والعبارة

«ثمر لاینال»

لا تعنی أن ید أحد لاتصل إلی ثمار هذه الشجرة المبارکة؛ لأن هذه لیست فضیلة، بل کما ذکرنا سابقاً إمّا ان یکون المراد أنّه لاتبلغ ید الطالحین ثمار هذه الشجرة الفاضلة، وإمّا أن یکون المراد أنّ ثمار هذه الشجرة المبارکة إلی درجة من الفضل والکرامة بحیث لایمکن أن یصافها أحد.

ویتبین ممّا ذکرنا آنفاً أنّ الشجرة فی العبارة الاولی إشارة إلی إبراهیم علیه السلام والأنبیاء السابقین، وفی العبارة الاخری إشارة إلی شجرة وجود النبی صلی الله علیه و آله وعترته فروعها.

ثم أشار بعد ذلک بتسع عبارات فصار إلی سائر الخصال المهمة الحمیدة للنبی الأکرم صلی الله علیه و آله، فقال علیه السلام:

«فهو إمام من اتقی وبصیرة من اهتدی سراج لمع ضؤوه، وشهاب سطع نوره، وزند[۳۷۰] برق لمعه، سیرته القصد، وسنته الرشد، وکلامه الفصل، وحکمه العدل»

فالعبارة:

«إمام من اتقی ...»

شبیهة

«هدی للمتقین»

بشأن القرآن التی وردت فی الآیة الثانیة من سورة البقرة. والمراد إنّما یستضیئی بنور هذا السراج الهادی والزعیم الاوحد من کانت له عین باصرة وقلب واع ینشد الحقیقة والفضیلة، بعبارة اخری یتحلون بالتقوی التی تجعلهم مستعدین لقبول الحق؛ ولذلک فلیس من العجیب ألایهتدی بهدیه أهل التعصب والعناد والأحقاد والضغان من عمی البصائر، علی غرار مکفو فی البصر الذین لایرون الشمس فی رابعة النهار فلا یستفیدون من ضیائها، والعبارة:

«سیرته القصد»

شبیهة ما ورد فی القرآن الکریم:

«وَکَذ لِکَ جَعَلْناکُمْ أُمَّةً وَسَطاً»[۳۷۱]، فهی إشارة إلی اعتدال سیرة النبی صلی الله علیه و آله وابتعاده عن کل

نفحات الولایة، ج۴، ص: ۱۶۴

افراط وتفریط فی کافة الشؤون العبادیة والاخلاقیة والسیاسیة والاقتصادیة.

ولعل هناک من یتصور أن هناک تضاد بین العبارة

«وحکمه العدل»

وما ورد فی الحدیث الشریف عن النبی صلی الله علیه و آله أنّه قال:

«إنّما أقضی بینکم بالبینات والإیمان، وبعضکم ألحن بحجته من بعض؛ فأیما رجل قطعته من مال أخیه شیئا، فانما قطعت له به قطعة من

النار».[۳۷۲]

وذلك لأنّ النبى صلى الله عليه و آله قد يحكم بخلاف الواقع على ضوء مفهوم هذا الحديث. إلّاأنّ الجواب على هذا الإشكال يبدو واضحاً، وهو أنّ النبى صلى الله عليه و آله لم يستعن فى إصداره للأحكام على الوحى والغيب، وإنّما يصدر أحكامه دائماً على ضوء الأدلة والمدارك المتعارفة الموجودة، وهذا بحد ذاته عين العدالة، فى أن يستند القاضى إلى المدارك الموجودة فى إصداره للأحكام والقضاء، فاذا كان هناك من يضعف عن بيان الحق، أو لا ـ يستطيع أن يقدم المدارك المطلوبة فيتعرض إلى نوع من الاجحاف فانّ ذلك لا يخدش البتة فى عدالة القاضى، ولو كان غير ذلك لما أمكن تسميته عادلًا.

ثم اختتم الإمام عليه السلام كلامه بالاشارة إلى الظروف الصعبة والملابسات التى رافقت ظهور النبى صلى الله عليه و آله ليكشف النقاب عن عظمة دعوة النبى صلى الله عليه و آله والجهود الجبارة التى بذلها فى هذا الشأن، فقد بعثه الله بعد مدة طويلة من الرسل (ومن هنا) ابتعد الناس عن العمل الصالح وعاشوا الانحراف، وساروا نحو الجهل والظلام:

«أرسله على حين فترة من الرسل، وهفوة[۳۷۳] عن

العمل، وغباوة[۳۷۴] من الامم»

وتتضح حقيقة هذه العبارات من خلال التأريخ البشرى إبان ظهور الدعوةالإسلامية، ولاسيما أوضاع عرب الجاهلية.[۳۷۵]

ومن الطبيعى أن تكون وظيفة أولياء الله والمصلحين الربانيين ودعاة العدل والحق والاخلاق والفضيلة أصعب وأعقد كلما كانت الظروف السائدة قاسية تدعو إلى الجهل

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۶۵

والبلادة والفساد والانحراف، ومن هنا نكتشف عظمة النبى صلى الله عليه و آله وعظم جهوده فى تغيير ذلك المجتمع.

تأمّلان

۱- منزلة النبى صلى الله عليه و آله لدى الآخرين

لايقتصر ماورد فى هذه الخطبة من صفات عاليات وكرامات شامخات للنبى صلى الله عليه و آله على على عليه السلام واتباعه، بل اننا لنرى حتى كبار الشخصيات الغربية من غير المسلمين ليقفون وقفة إجلال وإكبار لنبى الإسلام صلى الله عليه و آله.

فهذا الفيلسوف والكاتب الانجليزى برناردشو يقول: إنّ دين محمد هو الدين الوحيد الذى يلوح لى أنّه حائز على أهلية الهضم لأطوار الحياة المختلفة بحيث يستطيع أن يكون جاذباً لكل جيل .... أنّ محمداً يجب أن يدعى منقذ الإنسانية، وأعتقد أنّه لو تولى رجل مثله زعامة العالم الحديث لنجح فى حل مشاكله بطريقة تجلب إلى العالم السعادة والسلام، أنّ محمداً أكمل البشر من السابقين والحاضرين، ولا يتصور وجود مثله فى الآتين.[۳۷۶]

۲- اسرة النبى صلى الله عليه و آله

لم يقتصر الحديث عن شرف نسب النبى صلى الله عليه و آله وعظمة طائفته واسرته على ماورد فى كلام أميرالمومنين على عليه السلام فى هذه الخطبة، بل تظافرت أحاديث النبى صلى الله عليه و آله فى مصادر الفريقين بهذا الشأن. ومن ذلك أنّه صلى الله عليه و آله قال:

«إن جبرائيل عليه السلام قال لى: يا محمد! قد طفت الأرض شرقاً وغرباً، فلم أجد فيها أكرم منك، ولا بيتاً أكرم من بنى هاشم»[۳۷۷]

. وجاء فى حديث آخر:

«سادة أهل المحشر سادة أهل الدنيا: أنا وعلى وحسن وحسين وحمزة وجعفر»[۳۷۸]

. وورد فى الحديث أيضاً:

«أنّه لايبغض أحد أهلى إلّاحرمه الله الجنّة»[۳۷۹]

. وروى عن عائشة أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قال:

«قال لى جبرائيل: يا محمد! طفت شرق الأرض وغربها فلم أر أكرم من بنى هاشم»[۳۸۰]

، وجاء فى صحيح مسلم- وهو من المصادر المشهورة لدى العامة- فى بحث

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۶۶

فضائل الصحابة فى قضية الغدير أن النبى صلى الله عليه و آله قال فى خطبته ثلاثا:

«اذكركم الله فى أهل بيتى»[۳۸۱].

والطريف فى الأمر أنّ الإمام الحافظ أبوالعباس أحمد بن عمر بن ابراهيم القرطبى- من مشاهير علماء العامة- صرح فى كتابه المفهم الذى شرح فيه صحيح مسلم حين بلغ هذا الحديث قائلًا: من العجب أن يخالف بنى أمية أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله ويضيعوا حقهم رغم وصايا النبى صلى الله عليه و آله بهم، حتى أراقوا دمائهم وسبوا نسائهم واخربوا بيوتهم وسنوا لعنهم. فويل لهم يوم القيامة.[۳۸۲]

والأعجب من ذلك دفاع البعض عن معاوية رغم فضائح بنى أمية ومدى سعة ظلمهم وجورهم.

على كل حال فانّ شجرة النبى صلى الله عليه و آله وفروعها المباركة مصداق واضح للآية ۲۴ و ۲۵ من سورة ابراهيم: «كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَفَرْعُها فِي السَّماءِ* تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها».

ونختتم حديثنا هذا بهذه الأبيات الرائعة[۳۸۳]:

يا حبذا دوحة فى الخلد نابتةما مثلها نبتت فى الخلد من شجر

المصطفى أصلها والفرع فاطمةثم اللقاح على سيد البشر

والهاشميان سبطاه لها ثمروالشيعة الورق الملتف بالثمر

هذا مقال رسول الله جاء بهأهل الرواية فى العالى من الخبر

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۶۷

القسم الرابع: اعملوا ما استطعتم

«اعْمَلُوا رَحِمَكُمُ اللّهُ، عَلَى أَعْلام بَيِّنَةٍ، فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ يَدْعُو إِلى دَارِ السَّلَام، وَأَنْتُمْ فِى دَارِ مُسْتَعْتَبٍ عَلى مَهَلٍ وَفَرَاغٍ، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَالأَقْلامُ جَارِيَةٌ، وَالأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، وَالأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَالتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ، وَالأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ».

الشرح والتفسير

خاض الإمام عليه السلام فى المقطع الأخير من الخطبة بالنتيجة الأخلاقية والعملية، ليبيّن بعض الامور المفيدة والمهمة بعبارات قصيرة، عظيمة المعنى. فقال عليه السلام:

«اعملوا رحمكم الله»،

ثم أشار عليه السلام إلى المسير الذى ينبغى سلوكه فى العمل وهو الاستناد إلى الكتاب والسنة

«على أعلام بينة».

ثم أشار عليه السلام

إلى أنّ تشخيص هذا المسير ليس بالشيء الصعب فالسبيل واضح يدعو إلى الأمن والأمان والسعادة الخالدة فى الجنّة:

«فالطريق نهج يدعو إلى دار السلام».

ثم تطرق عليه السلام إلى الفرص الثمينة التى زود بها الإنسان، وغالباً ما يهملها، ليوضحها عليه السلام بثمان عبارات ويكشف جميع جوانبها، أشار فى العبارة الاولى إلى أنّكم فى دار يمكنكم فيها تلافى ما يفرط منكم:

«وأنتم فى دار مستعتب».[۳۸۴]

ولديكم الفرصة الكافية والمهلة الوافية للقيام بالصالحات من الأعمال:

«على مهل وفراغ».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۶۸

وصحيفة الأعمال مفتوحة والقلم مشرع للكتابة:

«والصحف منشورة والاقلام جارية»

. وأنتم فى صحة وعافية والسن حاكية:

«والأبدان صحيحة والألسن مطلقة».

ومن ثم:

«والتوبة مسموعة، والأعمال مقبولة».

فوسائل السعادة وأسبابها متوفرة من جانب، وموانع الطريق يمكن ازالتها من جانب آخر؛ فاذا لم تستثمر هذه الفرص. فانّ الأمر يدعو للآسى والأسف حقاً. ولاسيما ليس هنالك من ضمانة باستمرار هذه الفرص. فلعل جميعها تنتهى بلحظة، فتغلق أبواب التوبة وتختم صحيفة الأعمال، وتتوقف الأقلام عن الكتابة، ويعتل البدن، ويعقد اللسان دون أن يكون هناك أى سبيل إلى الرجعة؛ الأمر الذى حذر منه القرآن أن ليس للندم من جدوى بعد الموت ولا سبيل لسؤال الرجعة: «وَأَنْفِقُوا مِمّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصّالِحِينَ» فيأتى الجواب: «وَلَنْ يُؤَخِرَّ اللَّهُ نَفْساً إِذا جاءَ أَجَلُها وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ».[۳۸۵]

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۶۹

الخطبة[۳۸۶] الخامسة والتسعون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

يقرر فضيلة الرسول الكريم صلى الله عليه و آله

نظرة إلى الخطبة

الهدف من هذه الخطبة ذكر عظمة الإسلام من جانب، وعظمة من حمل رسالته من جانب آخر. وذلك لأن الخطبة اشتملت على مقارنة لاوضاع الناس قبل الإسلام وبعده؛ ويفهم من هذه المقارنة عظمة جهود النبى صلى الله عليه و آله التى استطاعت أن تنهض بذلك المجتمع الجاهلى المنحط وتجعله مجتمعاً راقياً متطوراً.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۷۱

«بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضُـلَّالٌ فِی حَیْرَةٍ، وَحَاطِبُونَ فِی فِتْنَةٍ، قَـدِ اسْـتَهْوَتْهُمُ الأَهْوَاءُ، وَاسْتَزَلَّتْهُمُ الْکِبْرِیَاءُ، وَاسْـتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِیَّةُ الْجَهْلَاءُ؛ حَیَارَی فِی زَلْزَالٍ مِنَ الأَمْرِ، وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ، فَبَالَغَ صَلَّی اللَّهُ عَلَیهِ وآلِهِ فِی النَّصِیحَةِ، وَمَضَی عَلَی الطَّرِیقَةِ، وَدَعَا إِلَی الْحِکْمَةِ، وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ».

الشرح والتفسیر

النور الذی کشف الظلمة

خاض الإمام علیه السلام کراراً فی خطبه فی نهج البلاغة بشأن أوضاع الجاهلیة التی کانت علیها العرب، حیث رسم صورة واضحة عن دقائق تلک الفترة، لیلتفت الناس فی عصـر الإمام علیه السـلام ممن لم یدرک ذلک العهد إلی عظمة الدعوة الإسلامیة، ولیعلموا حجم التغییر الذی حدث فی المجتمع، فیتعرفوا أکثر علی منزلة النبی صلی الله علیه و آله وعظم قدره؛ وذلک لأن مثل هذا العمل الجبار إنّما یتطلب إرادة حدیدیة وعزماً راسـخاً وتدبیراً عالیاً وبرامج وخطط واضـحة، جمعت کلها فی شـخص النبی صلی الله علیه و آله. فقد بین الإمام علیه السـلام وضع العصـر الجاهلی بسبع عبارات، أشار فی العبارة الاولی والثانیة إلی أنّ الله بعث النبی صلی الله علیه و آله حین کان الناس یعیشون الحیرة والضلال ویسبحون فی بحر من الفتن:

«بعثه والناس ضلال فی حیرة، وحاطبون فی فتنة».

لا ـ شـک أن الإنسان یمکنه أن ینقـذ نفسه من الضـلالة ما لم تکن مقرونـة بالحیرة والتخبط کالـذی ضل الطریق ثم اکتشـفه من خلال بعض القرائن والعلامات؛ إلّاأنّ المشـکلة تبـدو معقدة إذا اقترنت الضـلالة بالحیرة، وهذا هو الوضع الذی کان علیه الناس فی الجاهلیة. والحـاطب تطلق علی من یجمع الحطب. فالناس فی عصـر الجاهلیـة وفی ذات الوقت الـذی یعیشون فیه الفتن، کان یزیـدون من حطب نیران هذه الفتن.

ثم قال علیه السلام فی العبارة الثالثة والرابعة:

«قد استهوتهم الأهواء، واستنزلتهم الکبریاء».

نفحات الولایة، ج۴، ص: ۱۷۲

فمن البدیهی أن تقود الأهواء المجتمع إلی مستنقع الضلالة، فاذا رافقها العجب والخیلاء لسقط فی ذلک المستنقع.

ثم قال علیه السلام:

«واستخفتهم الجاهلیة الجهلاء، حیاری فی زلزال من الأمر، وبلاء من الجهل».

وهکـذا یتجسم بؤس هؤلاـء القوم وشـقائهم فی الجهـل والضـلال والأـهواء والافتتـان والتکبر؛ الرذائل التی تکفی کل واحـدة منها فی سقوط المجتمع، فضلاعن جمعها مع بعضها فیه.

ومن هنا یتبیّن مـدی حجم مشاکل عصـر الجاهلیة وتعقیدها وتهدیدها للمجتمع، کما یتضح علی سبیل الیقین أنّ من یتغلب علیها، إنّما استند إلی التأیید الإلهی والغیب والامداد.

ثم أشار علیه السـلام فی آخر الخطبة إلی جهود النبی صـلی الله علیه و آله ومدی نصـحه للقوم بذلک الاسـلوب الروحی الذی یسـتند إلی الوحی السماوی حتی نفذ إلی القلوب:

«فبالغ فی النصیحة، ومضی علی الطریقة، ودعا إلی الحکمة والموعظة الحسنة».

فالواقع أن عناصـر تقـدم البعثـة النبویـة والتطور الذی أحرزه النبی صـلی الله علیه و آله علی صـعید الرسالة إنّما یکمن فی أربع: الأول: النصـح وإرادة الخیر، بحیث أیقن الناس أنّه یسـعی جاهداً من أجل نجاتهم. الثانی: کان ممن قرن القول بالعمل، فیأتمربما یأمر وینتهی عما ینهی.

الثالث: قد دعا اولئک الناس الذین أصـیبوا بالجهل والخرافة والحیرة والضلال إلی العلم والمعرفة. وأخیراً کان یدعوا إلی ربّه بالحکمة

والموعظة الحسنة والكلمات الرقيقة التى تخترق القلوب.

وقد ذكر البعض من شرّاح نهج البلاغة تفسيراً آخر للعبارتين الآخيرتين، وهو أنّ النبى صلى الله عليه و آله كان يدعو الناس إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، كما ورد ذلك فى الآية الشريفة:

«اُدْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ»[۳۸۷][۳۸۸].

إلّا أنّ التفسير الأول يبدو أنسب من خلال الالتفات إلى العبارات السابقة التى اعتبر

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۷۳

الإمام عليه السلام عامل بؤسهم يكمن فى:

«الجاهلية الجهلاء» و «بلاء من الجهل».

على كل حال فانّ ماورد فى هذه الخطبة بشأن الأوضاع المأساوية والظروف الشائكة والفضائع التى سادت العصر الجاهلى، تدعو الإنسان إلى التفكير والتأمل، حيث يمكنه الوقوف على عمق هذه المسألة من خلال الرجوع إلى التواريخ والروايات والأخبار التى تناولت تلك الفترة، فهناك المصادر الكافية التى أشارت إلى هذا الأمر. ولما كانت مقارنة تلك الاوضاع والظروف بما حدث بعد انبثاق الدعوة الإسلامية ونهوض رسول الله صلى الله عليه و آله بالأمر والتى تعدّ من معاجز التأريخ الإسلامى، يبدو من الضرورى تسليط الضوء أكثر على هذا الموضوع ودراسته من قبل الجميع، ولا سيما من قبل شريحة الشباب.

هذا وقد قدمنا شرحاً مفصلًا بهذا الشأن فى الخطبة الاولى من المجلد الأول، والخطبة ۳۶ و ۳۳ من المجلد الثانى، ولا نرى هنا من ضوررة للتكرار، إلّاأنا نوصى القراء الأعزاء بالرجوع مرة اخرى إلى هذه الخطب.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۷۵

الخطبة[۳۸۹] السادسة و التسعون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

فى اللَّه وفى الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله

نظرة إلى الخطبة

بحث الإمام عليه السلام بصورة رئيسية فى هذه الخطبة أمرين:

الأول: إشارة إلى بعض أسماء الله الحسنى والثناء عليه بها.

الثانى: بيان بعض مناقب النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وفضائله، إلى جانب الحديث عن نسبه الشريف ومن ثم نهضته الباسلة التى قبرت الفتنة وأطفأت نيران الأحقاد وحصدت الضغائن من القلوب.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۷۷

القسم الأول: الأول والآخر

«الْحَمْدُاللَّهِ الأوَّلِ فَلَاشَىْءَ قَبْلَهُ، وَالآخِرِ فَلاشَىْءَ بَعْدَهُ، وَالظَّاهِرِ فَلَاشىْءَ فَوْقَهُ، وَالْبَاطِنِ فَلَاشَىْءَ دُونَهُ».

الشرح والتفسير

كما ذكر سابقاً فانّ الإمام عليه السلام أشار فى هذا المقطع من الخطبة إلى بعض صفات الله وأسمائه الحسنى، وقدر كز على كونه أول وآخر وظاهر وباطن، فحمد الله وأثنى عليه فى أنّه أول الوجود الذى لم يسبقه شىء، والآخر الذين لاشىء بعده:

«الحمد الله الأول فلاشىء قبله، والآخر فلا شىء بعده».

وهو الظاهر الذى لايوجد أظهر منه، والباطن الذى لايوجد أخفى منه:

«والظاهر فلاشىء فوقه، والباطن فلا شىء دونه».

فأولية وآخرية الحق سبحانه وتعالى تعنى أزلية الذات المطهرة و أبديتها؛ لأن أوليته لا- تعنى الابتداء الزمانى، حيث لو كان الأمر كذلك لحصر فى دائرة الزمان، كما ليس كذلك من حيث المكان، لأنّه لو كان كذلك لحد بدائرة المكان، بل أوليته تعنى أن ذاته الأزلية القدسية مصدر جميع الوجودات، وقد نشأت منها كافة الموجودات. وهكذا تكون آخريته منزهة عن الاخروية الزمانية والمكانية، والمراد منها أنّ ذاته سبحانه أبدية، وبقاء الموجودات متوقف على بقائه، ومن ثم بقائه حين فناء كل شىء: «كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ* وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإِكْرامِ»[۳۹۰].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۷۸

وزبدة الكلام فهو أول عالم الوجود وهو الباقى بعد فناء العالم.

أمّا وصفه بالظاهر والباطن فهو تعبير عن إحاطته المطلقة بجميع الأشياء، فهو أظهر من كل شىء، لأنّ آثاره ملأت أركان كل شىء وغص بها العالم، وهو أخفى من كل شىء، لأنّ كنه ذاته ليس بمعروف!

وقد أورد بعض الشرّاح تفاسير اخرى للظاهر والباطن، منها أنّ المراد بالظاهر الغالب على كل شىء ولايغلبه شىء، كما قيل المراد بالظاهر أفضليته على جميع الأشياء؛ لكن على ضوء هذين التفسيرين لايبدو تفسير مفهوم الباطن بقرينة المقابلة واضحاً مستقيماً، ومن هنا فانّ التفسير الأول أنسب. فى أنّه ظاهر جلى من حيث آثاره الوجودية بحيث لايضاهيه شىء؛ فقد ملأت بآثاره الأرض والسماء والنبات والحيوانات والناس والبحار والقفار، مع ذلك فان كنه ذاته على درجة من الخفاء بحيث لايبلغ أحداً معرفة تلك الذات، فالإنسان متناه وذاته سبحانه ليست متناهية، فانّى للمتناهى أن يحيط باللامتناهى.

فقد ورد فى الدعا المعروف للإمام الحسين عليه السلام المعروف بدعاء عرفة:

«متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل إليك، عميت عين لاتراك عليها رقيباً».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۷۹

القسم الثانى: كلامه بيان وصمته لسان

ومنها: فى ذكر الرسول صلى الله عليه و آله

«مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ، فى مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ، وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ؛ قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ الأبْرَارِ، وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ الأَبْصَارِ، دَفَنَ اللّهُ بِهِ الضَّغَائِنَ، وَأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ، أَلَّفَ بِهِ إِخْوَاناً، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً، أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ، كَلَامُهُ بَيانٌ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ».

الشرح والتفسير

بين الإمام عليه السلام فى هذا الكلام بعض صفات رسول الله صلى الله عليه و آله كل واحدة منها أعمق من سابقتها. وقد انطلق فى البداية من جذوره العريقة وموقع ولادته، ليصف مستقره بأنّه خير مستقر ومكان ترعرعه أفضل مكان:

«مستقره خير مستقر، ومنبته أشرف منبت، فى معادن الكرامة، ومماهد[۳۹۱] السلامة».

والمراد بالمستقر والمنبت الأرحام المطهرة للامهات والاصلاب الموحدة والمؤمنة للآباء؛ الأمر الذى ورد فى زيارة المعصومين عليهم السلام، ومنها زيارة الإمام الحسين عليه السلام المعروفة بزيارة وارث:

«أشهد أنک کنت نورا فی الاصلاب الشامخة، والأرحام المطهرة».

وقد ورد مثل هذا المعنی فی رسول الله صلی الله علیه و آله عنه، حیث روی الفخر الرازی فی تفسیر الآیة

نفحات الولایة، ج۴، ص: ۱۸۰

«وَتَقَلُّبَکَ فِی السّاجِدِینَ»[۳۹۲] أنّه صلی الله علیه و آله قال:

«لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرین إلی أرحام الطاهرات»[۳۹۳]. «معادن الکرامة»

و

«مماهد السلامة»

تأکید لهذا المعنی، أو إشارة إلی أنّ آباء النبی صلی الله علیه و آله وأمهاته إضافة إلی الطهر والإیمان، یتحلون بالفضائل الإنسانیة والنزاهة من المعایب الأخلاقیة.

کما قیل المراد بالمستقر المدینة موضع إقامة النبی صلی الله علیه و آله والمنبت مکة مکان ولادته.

إلّا أنّ التفسیر الأول أنسب، ولا سیما بالالتفات إلی العبارة:

«فی معادن الکرامة، ومماهد السلامة».

ثم خاض علیه السلام فی خلقه الجذاب صلی الله علیه و آله الذی استقطب القلوب وخطف الأبصار وشدها إلیه:

«قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار، وثنیت ۳۹۴] إلیه أزمة الأبصار».

حقاً کان رسول الله صلی الله علیه و آله کذلک فقد استطاع بخلقه وتواضعه وشفقته وعفوه وصفحه المقرون بشجاعته وشهامته أن یستقطب إلیه القلوب کما استطاع أن یشد إلیه الأبصار بجهوده المضنیة فی سبیل هدایة الامّة والأخذ بیدها إلی السعادة والصلاح.

ثم أشار علیه السلام فی هذه المرحلة إلی بعض الأنشطة الاجتماعیة للنبی الأکرم صلی الله علیه و آله ومنها ازالة الاضغان الاحقاد، وأطفا به نیران الفتن والعدوان:

«دفن الله به الضغائن ۳۹۵]، وأطفأ به الثوائر[۳۹۶]».

أضف إلی ذلک فقد ألف به القلوب وآخی به الناس، کما فرق البعض بسبب التعارض بین الإیمان والکفر:

«ألف به‌إخوانا، وفرق به أقراناً»

، کما صرح بذلک القرآن الکریم فی الآیة ۶۲ و ۶۳ من سورة الانفال: «هُوَ الَّذِی أَیَّدَکَ بِنَصْرِهِ وَبِالمُؤْمِنِینَ* وَأَ لَّفَ بَیْنَ قُلُوبِهِمْ»،

نفحات الولایة، ج۴، ص: ۱۸۱

وقال فی الآیة ۱۰۳ من سورة آل عمران «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِیعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْکُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَیْکُمْ إِذ کُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَیْنَ قُلُوبِکُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً».

ثم أشار علیه السلام إلی لطف آخرمن الألطاف الإلهیة ببرکة وجود النبی صلی الله علیه و آله:

«أعز به الذلة، وأذل به العزة».

فقد أعز الله ببرکة نبیه صلی الله علیه و آله تلک الثلة المؤمنة التی وقعت فی مخالب الکفر، وفوض الیهم إرادة شؤون المجتمع الإسلامی، وأقصی تلک العناصر الفاسدة عن الساحة، ثم اختتم کلامه علیه السلام بالاشارة إلی أبرز صفاته صلی الله علیه و آله:

«کلامه بیان، وصمته لسان».

فاذا نطق صلی الله علیه و آله تفتق لسانه باسرار الحکمة وبیان حقائق الوحی، وکشف النقاب عن سبیل النجاة، ومهوی الردی ومستنقع السقوط، وأن سکت وصمت، فکان سکوته یختزن المعنی والمفهوم ولم یکن صمتاً طبیعیاً.

نعم کان سکوته أحیاناً تعبیراً عن انزعاجه وقلقه وعدم رضاه ببعض الأفعال، کما کان یرد بهذا السکوت علی بعض الأسئلة غیر

الموجهة والخاطئة. وأخيراً كان يستعين بهذا الصمت تجاه سوء ألسنة الجهال. كما لاننسى أن سكوته أحياناً (ومن خلال بعض القرائن الحالية) كان يعنى تقرير بعض الأعمال والموافقة عليها).

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۸۳

الخطبة[۳۹۷] السابعة و التسعون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

فى اصحابه، واصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله

نظرة إلى الخطبة

قيل فى الخطبة أنّها وردت- كما ذكر شرّاح نهج البلاغة- حين تمرد جيش الكوفة على أوامر الإمام عليه السلام بمجابهة أهل الشام بعد واقعة النهروان، فقد عرض عليه السلام فى القسم الأول من هذه الخطبة بالذم لأهل الكوفة وعنّفهم أشد التعنيف أملا فى إثارة حميتهم وغيرتهم ليتأهبوا للقاء العدو، بعد إفاقتهم من نوم الغفلة والالتفات إلى مقدراتهم خشية نهبها من قبل الظلمة.

ثم دعاهم فى القسم الثانى من الخطبة إلى إقتفاء آثار أهل البيت واتباعهم بفضلهم سبل النجاة، والواقع هو أنّه عليه السلام قد ذكرهم بمضمون ومحتوى حديث الثقلين.

ثم اختتم عليه السلام الخطبة بالمقارنة بين أهل الكوفة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله، حيث وضح عليه السلام من خلال هذه المقارنة عمق الهوة بين هؤلاء وأصحاب النبى صلى الله عليه و آله من حيث الإيمان والورع والتقوى والعبارة والجهاد والاستقامة والصمود والشجاعة، ومن الواضح أنّ الخطبة بجميع أقسامها إنّما تنشد هدفاً واحداً، وهو تعبئة جيش الكوفة لمواجهة العدو؛ العدو الذى لايأبه بالدين والدنيا ولايقيم وزناً لأى‌شىء.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۸۵

القسم الأول: عبيد كأرباب

«وَلَئِنْ أَمْهَلَ الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ، وَهُوَ لَهُ بِالمِرْصَادِ عَلَى مَجَازِ طَرِيقِهِ، وَبِمَوْضِعِ الشَّجَا مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ. أَمَا وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ، لَيَظْهَرَنَّ هؤُلاءِ الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ، لَيْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ، وَلكِنْ لِاسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ، وَإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ. وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِى. اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا، وَدَعَوْتُكُمْ سِرّاً وَجَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا، أَشُهُودٌ كَغُيَّابٍ، وَعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ! أتلوا عَلَيْكُمُ الْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا، وَأَعِظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا، وَأَحُثُّكُمْ عَلى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتى عَلَى آخِرِ قَولى حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِىَ سَبَا. تَرْجِعُونَ إِلى مَجَالِسِكُمْ، وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ، أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً، وَتَرْجِعُونَ إِلَىَّ عَشِيَّةً، كَظَهْرِ الْحَنِيَّةِ، عَجَزَ الْمُقَوِّمُ، وَأَعْضَلَ الْمُقَوَّمُ».

الشرح والتفسير

كما أشرنا فى السابق- نظرة إلى الخطبة- إلى أنّ الهدف من هذه الخطبة هو حث أهل العراق لمواجهة معاوية وأهل الشام. فقد استهل الإمام عليه السلام خطبته بأنّ إمهال الظالم مدة من الزمان لايعنى خلاصه من المؤاخذة والعقاب:

«ولئن أمهل الظالم فلن يفوت أخذه».

فقد كمن له سبحانه بالمرصاد، وإذا شاء منعه ابتلاع ريقه:

«وهو له بالمرصاد على مجاز

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۸۶

طريقه، وبموضع الشجا[۳۹۸] من مساغ ۳۹۹] ريقه ۴۰۰]»

لعل هذه العبارات إشارة إلى معاوية وأهل الشام، حذراً من تسرب الشك والريب إلى قلوب أصحابه بسبب إمهال الله لهم، كما لايشكوا بأحقية الإمام عليه السلام وبطلان معاوية، فالواقع أنّ الإمام عليه السلام رام رافع معنويات جيشه بالفات نظره إلى هذه الحقائق. كما يحتمل أن يكون المراد بالظالم ذلك الجيش المتمرد، فالواقع عبارته تهديد لهم بأنّكم إن أمهلتم عدّة أيام فلايغرنكم ذلك أنّكم ستفلتون من العذاب والمؤاخذة بسبب هذا العصيان والتمرد، ويبدو التفسير الأول أنسب.

على كل حال، هذا هو الأمر الذى أشار إليه القرآن الكريم كراراً بقوله: «وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَ نَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ»[۴۰۱]. وقال فى موضع آخر «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ»[۴۰۲].

ولا يصدق هذا الموضوع أو يقتصر على ظلمة الشام أو مردة العراق فحسب، بل هو درس وعبرة لنا جميعاً، بأنّ المهلة الإلهية لاينبغى أن تقود إلى الغفلة والغرور.

ورد فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: أنّ الله تبارك وتعالى أهبط ملكا إلى الأرض، فلبث فيها دهراً طويلًا، ثم عرج إلى السماء، فقيل له: مارأيت؟ قال: رأيت عجايب كثيرة، وأعجب مارأيت أنى رأيت عبدا متقلباً فى نعمتك، يأكل رزقك، ويدعى الربوبية، فعجبت من جرئته عليك ومن حلمك عنه. فقال الله جل جلاله: فمن حلمى عجبت؟ قال: نعم.

قال: قد أمهلته أربعمائة سنة لايضرب عليه عرق، ولايريد من الدنيا شيئاً إلّاناله، ولايتغير عليه فيها مطعم ولا مشرب.[۴۰۳]

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۸۷

وبالطبع فانّ كل ذلك اختبار له وللعباد.

ثم تكهن الإمام عليه السلام بمستقبل هؤلاء القوم إزاء عدوهم الطامع قائلًا:

«أمّا والذى نفسى بيده، ليظهرن هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم، ولكن لاسراعهم إلى باطل صاحبهم، وإبطائكم عن حقى».

فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام أشار إلى نقطة مهمّة هنا وهى أنّ هؤلاء القوم سيتغلبون عليكم آخر الأمر، ولكن لاتظنوا أنّ هذه الغلبة نابعة من كونهم على الحق. فلا ينبغى أن يعتقد أحد بأنّهم على الحق فيؤدى به ذلك إلى الضلال. قطعاً أنّهم على باطل، إلّاأنّهم راسخون فى هذا الباطل عاقدون العزم عليه وهم آذان صاغية لمعاوية؛ أمّا أنتم وإن كنتم على حق، إلّاأنّكم ضعفاء، ليس لكم من عزم أو ارادة، ولا تعيرون زعيمكم اذناً صاغية، فدرجتم على التمرد والعصيان، فاذا جمعت هذه الصفات فى شخص أو أمة مهما كانت فسوف لن يكون مصيرها سوى الهزيمة والفشل.

فقد روى أبو مخنف فى قصة يوم الحرة: أنّ مسلم بن عقبة ركب فرساً فأخذ يسير فى أهل الشام ويحرضهم ويقول: يا أهل الشام أنّكم لستم بأفضل العرب فى أحسابها ولا أنسابها، ولا أكثرها عدداً ولا أوسعها بلداً، ولم يخصصكم الله بالذى خصكم به من النصر على أعدائكم، وحسن المنزلة عند أئمتكم إلّابطاعتكم واستقامتكم.[۴۰۴]

ثم أشار عليه السلام إلى نقطة مهمّة بهذا الشأن:

«ولقد أصبحت الامم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيتى».

فالامم والشعوب طيلة التأريخ إنّما تشكو ظلم وجور حكوماتها المستبدة الطاغية، بحيث أصبح هذا أمرا طبيعياً، بينما انقلبت هذه المسألة بالنسبة للإمام عليه السلام فهى على العكس تماماً! لم يكن هناك من يخشى ظلمه عليه السلام، فلم يكن للظلم والجور من

سبيل إلى وجوده عليه السلام، فى حين كان هو عليه السلام يعيش حالة القلق والاضطراب من غدر أصحابه ومكائدهم وما شاكل ذلك؛ والحق أنّ مثل هؤلاء الأفراد إنّما يبتلون عاقبة الأمر بالطغاة فيذيقوهم أنواع الظلم، وهذا ماحدث بالفعل، ثم تطرق عليه السلام إلى نقاط ضعف أهل الكوفة والعراق آنذاك فقال:

«استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، واسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سرا وجهرا فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۸۸

والسؤال المطروح: هل كان جيش العراق يشعر بالخطر، إلّاأنّ الضعف والتقاعس يثبطه بعدم مواجهة العدو؟ أم أنّه لم يكن يشعر بخطر من معاوية وأهل الشام؟ الاحتمالان قائمان، إلى جانب الخوف والجبن والجهل والاختلافات القبلية.

انذاك خاطبهم عليه السلام بعبارات عنيفة- تثير غيرة من كان له أدنى غيرة ورجولة- بغية آثارتهم ودفعهم للنهوض والحركة، فقال عليه السلام:

«أشهود كغياب، وعبيد كأرباب، أتلو عليكم الحكم فتنفرون منها، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها، وأحثكم على جهاد أهل البغى فما آتى على آخر قولى حتى أراكم متفرقين أيادى سبا».

«أيادى سبا»

وبعبارة اخرى

«مثل أيادى سبا»

إشارة إلى مثل معروف بين العرب يضرب للمتفرقين، وقيل أنّ سبأ هو أبو عرب اليمن كان له عشرة أولاد، جعل منهم ستة يميناً له، وأربعة شمالًا تشبيها لهم باليدين، ثم تفرق اولئك الأولاد أشد التفرق.[۴۰۵]

على كل حال فانّ عبارات الإمام عليه السلام تفيد أنّه عليه السلام نصحهم بأدنى الأمر بكلمات حكيمة ومواعظ حسنة، وقد بالغ فى مداراتهم، وما ورد من كلمات عنيفة وحادة تضمنتها بعض عبارات الخطبة فإنّما كانت عقب تلك الكلمات التى تضمنت الوعظ والنصح، هذا فى الوقت الذى كان الطرف الآخر يمتاز بالفضاضة واللجاجة بحيث لا تجعلهم يفيقون من غفلتهم إلّا كلمات الذم والتوبيخ والعتاب.

ثم قال عليه السلام:

«ترجعون إلى مجالسكم، وتتخادعون عن مواعظكم، أقومكم غدوة، وترجعون إلى عشية، كظهر الحنية[۴۰۶]، عجز المقوم، وأعضل ۴۰۷] المقوم».

فالعبارة تنطوى على نقطة مهمّة وهى كثرة المنافقين آنذاك بين أهل العراق، وكانوا يسعون للالتفاف على كلام الإمام عليه السلام، فكانوا يتأثرون بأخلاق الإمام عليه السلام ومواعظه حين يأتوه، ويقتنعون بضرورة الاستعداد والتأهب لقتال العدو، فاذا رجعوا إلى مجالسهم الخاصة والعامة نفثوا سمومهم الشيطانية وشوشوا الأفكار وسعوا لاضعاف الارادات وتصديع عرى الاتحاد والاخوة وبث بذور الشقاق والفرقة.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۸۹

قال نافع بن كليب: دخلت الكوفة للتسليم على على عليه السلام فانى لجالس تحت منبره وعليه عمامة سوداء- إلى أن قال- ثم نزل تدمع عيناه فقال (إنالله وإنا إليه راجعون) أقومهم والله غدوة ويرجعون إلى عشية مثل ظهر الحنية، حتى متى وإلى متى ۴۰۸]؟

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۹۱

القسم الثانى: شهود الابدان وغياب العقول

«أَيُّهَا الْقَوْمُ الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، الْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ. صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللّه وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ، وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِى اللّهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ. لَوَدِدْتُ وَاللّهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَرَفَنى بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ، فَأَخَذَ مِنِّى عَشَرَةً مِنْكُمْ وَأَعْطَانِى رَجُلًا مِنْهُمْ!».

الشرح والتفسير

شدد الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة من تقريعه وصب جام غضبه على أولئك القوم، على أمل انبثاق حركة فى خضم سكونهم المدهش وإرادتهم الخاوية، ليهبوا قبل بروز الخطر فقال عليه السلام

: «أيّها القوم الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم».

فقد ركز الإمام عليه السلام فى هذه العبارة على ثلاث نقاط ضعف: الاولى غياب العقول، وكأنّ عقولهم فارقت أبدانهم فأصبح وجودهم كبلد ليس له من مدير ومدبر. الثانية: عدم وجود عرى التواصل بينهم أبداً، حيث لكل منهم طلباته على ضوء اهوائهم وعقولهم القاصرة. وبالبداهة سوف لن تتمكن محل هذه الفئة من حل مشالكها، فضلًا عن مشاكل الآخرين.

الثالثة: نقطة ضعفهم تكمن فى اضطرار زعمائهم للتاقلم معهم. وقد أدت بهم هذه الصفات إلى الخواء فى ميدان قتال العدو، ثم قال عليه السلام:

«صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصى الله وهم يطيعونه».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۹۲

ياللعجب! فمن أطاع الله أحق بان يطاع، ومن عصاه لابدّ من معصيته والوقوف بوجهه، بينما انعكست القضية هنا؛ فقد عومل مطيع الله بالجفاء، وعاصيه بالحب والاحترام!!

ثم تطالعنا عبارة لامثيل لها فى نهج البلاغة، حيث قال عليه السلام:

«لوددت والله أن معاوية صار فنى بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ منى عشرة منكم، وأعطانى رجلًا منهم»

، فالتأكيدات المتعددة فى هذه العبارة تفيد جدية الإمام عليه السلام دون أدنى مبالغة، وكأنّ أهل الشام بمنزلة سكة ذهبية وأهل العراق فضية. كما تفيد العبارة مدى انضباط أهل الشام آنذاك حيث وقفوا بكل صلابة خلف معاوية رغم خداعه لهم؛ بينما لم يكن هناك أدنى انضباط لأهل العراق فلم يكن قيمة عشرة منهم تعدل قيمة واحد من أهل الشام!

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۹۳

القسم الثالث: العمل بالتكليف

اشارة

«يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَاثْنَتَيْنِ: صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ، وَبُكْمٌ ذَوُو كَلَامٍ، وَعُمْىٌ ذَوُو أَبْصَارٍ، لَاأَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَلا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ! تَرِبَتْ أَيْدِيكُمْ! يَا أَشْبَاهَ الإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا! كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ آخَرَ، وَاللّهِ لَكَأَنِّى بِكُمْ فِيمَا إِخَالُكُمْ: أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى وَحَمِىَ الضِّرَابُ، قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبى طَالِبٍ انفراج الْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا.

وَإِنِّى لَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى، وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّى، وَإِنِّى لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطاً».

الشرح والتفسير

صعد الإمام عليه السلام هنا من حدة كلامه وامطار أرواح القوم بوابل تقريعه ولومه، مع بيان نقاط ضعفهم، علهم يفيقون من غفلتهم ويجدوا فى اصلاح أنفسهم، فقال عليه السلام:

«يا أهل الكوفة منيت منكم بثلاث واثنتين صم ذوو أسماع، و بكم ذوو كلام، وعمى ذوو أبصار».

فالإمام عليه السلام يشير إلى عجزهم عن مشاهدة الأحداث والافتقار إلى تحليلها الصحيح وعدم السعى للعثور على الحلول، فقد قبعوا فى مخادعهم ينتظرون العدو الذى لايأبه بشيىء، دون أن تتحرك لهم قصبة، أو يسمعوا رعيده ووعيده فيستعدوا لمجابهته.

إلى جانب ذلك فهناك خصلتان لم تكن فيهم

«لا أحرار صدق عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء».

لا شك أنّ الحياة مليئة بالأحداث الساخنة والطبيعية: فأحياناً الحرب والقتال والاخرى

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۹۴

الصلح والسلام، وتارة الراحة والأمان واخرى التعب والبلاء. والأصدقاء الأوفياء والاخوة الثقاة لايعرفون عند الراحة والاستقرار، وميدان معرفتهم إنّما يكمن فى الصعوبات والمعضلات والنزاعات والبلايا والأحداث الأليمة، وممّا يؤسف له أهل الكوفة لم ينجحوا آنذاك فى الامتحان، وقد كشفوا مراراً عن غدرهم وضعفهم وعدم صمودهم وثباتهم.

ومن هنا دعا عليهم الإمام عليه السلام فى العبارات القادمة، ثم اختتم كلامه يتشبيهين رائعين لاوضاعهم النفسية فقال:

«تربت ۴۰۹] أيديكم»

، ثم اتبعها بالقول:

«يا أشباه الابل غاب عنها

رعاتها».

فالتشبيه تعبير واضح عن جهل القوم وعدم انضباطهم. فقد شبههم فى البداية بالحيوانات ومن ثم بعدم وجود الراعى النافذ الكلام.

ثم قال عليه السلام بعد أن أقسم أنّهم لو حمى الوطيس ونشبت الحرب لتركوا الإمام عليه السلام وحده فى الساحة وانفرجوا عنه انفراج المرأة عن وليدها حين وضعها لحملها:

«والله لكأنى بكم فيما إخالكم: أن لو حمس ۴۱۰] الوغى ۴۱۱]، وحمى ۴۱۲] الضراب، قد انفرجتم عن ابن أبى طالب انفراج المرأة عن قبلها».

هذا وقد ذكرت عدة تفاسيرللعبارة

«انفرجتم ...»

إلّاأن ما أوردناه سابقا هو الأنسب لمقام أميرالمؤمنين على عليه السلام إلى جانب رعاية الفصاحة والتناسب فى مقام التشبيه. فالمرأة حين الوضع ترجو أن تضع حملها كل لحظة لما تعانيه من الام وأوجاع، والإمام عليه السلام شبه أهل الكوفة بهذه المرأة التى تعد اللحظات أملا فى وضع الحمل، فكانوا يعيشون حالة من الجزع فى ميدان القتال بحيث ينتظرون بفارغ الصبر الفرصة المؤاتية للهروب من ساحة المعركة، وهو الهروب الذى لاعودة فيه، كالوليد الذى ينسلخ عن رحم أمه فلا يعود إليه. وللإمام عليه السلام تشبيه رائع

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۹۵

بهذا الشأن ورد فى الخطبة ۳۴ حيث قال عليه السلام:

«وأيم الله إنّى لأظن بكم أن لوحمس الوغى، واستحر الموت، قد انفرجتم عن إبن أبى طالب انفراج الرأس».

وفى الختام يكشف عن موقفه فى هذه الأحداث فقال عليه السلام

: «وإنّى لعلى بينة من ربّى، ومنهاج من نبيى، وإنى لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطا[۴۱۳]».

فمن الطبيعى أن لايكون هناك من شعور بالفشل أو الهزيمة لمن انطلق فى حركته على هدى من الله ونور من رسوله صلى الله عليه و آله، ولايرى فى كل ما يحدث سوى الغلبة والنصر وأداء التكليف والوظيفة. والعبارة

«ألقطه لقطا»

تعنى جمع الأشياء من نقاط مختلفة، الأمر الذى يحتاج إلى الدقة والفطنة، ومراد الإمام عليه السلام من هذه العبارة أنّى أجد فى الاختيار من أجل التقدم فى مسار الحق وانتخب أفضل السبل من أجل بلوغ الهدف.

تأمّل: مقارنة بين أهل العراق والشام

لقد أورد الإمام عليه السلام عبارة عجيبة فى إطار مقارنته بين أهل العراق والشام لم يرمثيلها حيث قال: لوددت والله أنّ معاوية صرفنى بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ منى عشرة منكم وأعطانى رجلا منهم. والحال كان ينبغى أن تكون القضية معكوسة، فقد عقد القرآن الكريم مثل هذه المقارنة بين المؤمنين والكفار فقال: «إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِاتَيْنِ»[۴۱۴]، ترى لم انقلب هذا المعيار القرآنى بشأن أهل العراق والشام؟

يبدو أنّ التحليلات الدقيقة من شأنها ايقافنا على ماورد فى كلام أميرالمؤمنين عليه السلام بهذا الشأن.

فالكوفة منطقة حربية حديثة، وأنّ أهلها الذين كانوا يمثلون القسم الأعظم من جيش الإمام عليه السلام قد قدموا هناك من عدّة مناطق وهم ينحدرون من مختلف القبائل بحيث لم يكن يسودهم الانسجام والانضباط المطلوب. فكان لكل واحد منهم أهدافه وطموحاته

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۹۶

وطروحاته الفكرية، بينما كانوا أهل الشام كتلة واحدة عاشت هناك ليتحلوا بكافة عناصر الوحدة والانسجام ووحدة الفكر والثقافة. هذا أولا.

وثانياً: كان فى جيش الإمام عليه السلام من قدم بغية الحصول على الغنائم، فان كانت هناك غنيمة سارعوا لميادين القتال، بينما يقبعون فى بيوتهم حيث التضحية والفداء والشهادة.

ثالثاً: كان أهل الشام ينظرون إلى منطقتهم كوطن لابدّ من الدفاع عنه والذود عن حياضه، بينما كان لأغلب أهل الكوفة وطن آخر خارج الكوفة، وكلما ضاقت عليهم السبل فى الكوفة عادوا إلى أوطانهم.

أضف إلى ذلك فانّ ضعف إرادتهم وسرعة خداعهم وانفعالهم بالأعيب العدو، ومن ذلك خديعتهم فى صفين، وعدم معرفتهم بمقام الإمام عليه السلام ومنزلته، والاغماض عن الحوادث المستقبلية، كل هذه الامور كانت تفعل فعلها فيهم فى ميدان القتال.

ومن هنا كانوا يختلقون مختلف الذرائع للهروب من ساحة الحرب، ولايتوانون فى اغتنام أية فرصة تسنح لهم من أجل الفرار، منهم يتذرعون تارة بحرارة الجو، واخرى ببرودته والحال يصرخ فيهم الإمام عليه السلام:

«فاذا كنتم من الحر والقر تفرون، فأنتم والله من السيف أفر».[۴۱۵]

وكأنّ القتال لابدّ أن ينشب فى فصل الربيع؛ على ظلال الأشجار وسط الحقول الخضراء والمياه المتدفقة وتغريد العصافير والطيور.

العنصر الآخر الذى أدى إلى ضعف جيش الكوفة وعدم تحليه بالانضباط هو أنّ أشرافهم كانوا مرفهين على عهد عثمان، حيث كان يقسم أموال بيت المال دون حساب بين الناس، وكانت الحصة العظيمة تمنح للزعماء والاشراف والبطانة والأقرباء. فلما تسلم الإمام عليه السلام زمام الامور تغيرت الأوضاع ليعيشوا مرارة العدالة بعد أن أنسوا بالظالم والجور، ومن هنا كانوا لا ينفكون عن الشكوى، هذا من جانب ومن جانب آخر فانّ معاوية كان يسعى جاهداً لتحقيق أهدافه دون الاكتراث لدين الله والقيم الإسلامية والموازين الشرعية،

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۹۷

فكان يبذل الآف الدنانير لشراء هذا الفرد أو ذاك من أجل ترسيخ دعائم حكومة، فان لم يسعفه ذلك عمد إلى التهديد والارعاب والقتل.

ومن هنا نقف على عمق حكمة الإمام عليه السلام وبعد أفقه وتدبيره فى كيفية تمكنه من زج هؤلاء القوم فى الجمل وصفين والنهروان، وإن شهدت هذه الوقائع بعض الانكسارات بسبب تمرد البعض وعدم طاعتهم لأوامر الإمام عليه السلام.

وهنا نكتشف عمق ماقاله ابن أبى الحديد: إنّ سياسة على عليه السلام إذا تأملها المنصف متدبراً لها بالاضافة إلى أحواله التى دفع اليها مع أصحابه، جرت مجرى المعجزات، لصعوبة الأمر وتعذره ثم كسربهم الأعداء، وقتل بهم الرؤوساء، فليس يبلغ أحد فى حسن السياسة وصحة التدبير مبلغه ۴۱۶].

والحق إننا إذا أردنا أن نصدر حكمنا على سياسة أميرالمؤمنين عليه السلام ونعلن رأينا بهذا الشأن، كان علينا أن نأخذ هذه الامور بنظر الاعتبار. وناهيك عن كل ما سبق فانّ الإمام عليه السلام لم يكن ليعتمد أية وسيلة من أجل بلوغ الهدف، حيث يمنعه دينه وعدله وورعه وتقواه عن ذلك.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۱۹۹

القسم الرابع: صحب النبى صلى الله عليه و آله

اشارة

«انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ، وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدىً، وَلَنْ يُعِيدُو كُمْ فِي رَدىً، فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا، وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا.

وَلا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا. لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّهُ عَلَيهِ و آلِهِ، فَمَا أَرَى أَحَداً يُشْبِهُهُمْ مِنْكُمْ! لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعثاً غُبْراً، وَقَدْ بَاتُوا سُجَّداً وَقِيَاماً، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ الْمِعْزَى مِنَ طُولِ سُجُودِهِمْ! إِذَا ذُكِرَ اللّهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ، وَمَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ، خَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ، وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ!».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام- فى المقطع الأخير من هذه الخطبة- إلى نقطتين مهمتين؛ الاولى تعريفه بالقادة الذين لايضلون أبداً، بهدف تمسك الامّة بهم وعدم الانفراج عنهم والتماس الهداية عن طريقهم بغية الفوز بالفلاح والسعادة- والثانية: يتحدث عن صفات أصحاب النبى صلى الله عليه و آله لتكون نموذجاً للاخرين، فيكونوا مصداقاً لمضمون الآية الشريفة: «وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ»[۴۱۷]، فيجدوا ويجتهدوا فى هذا السبيل ويسعوا لأن يتحلوا بصفاتهم. فقال عليه السلام:

«انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم فى ردى».

فهذا الكلام فى الواقع إشارة إلى حديث الثقلين الذى يعتبرمن الأحاديث المتواترة والذى

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۰۰

أوصى بالتمسك بالقرآن وأهل البيت اللذان لن يفترقا حتى يردا الحوض، ولن تضل الامة أبدا إن تمسكت بهما.

ومن الواضح طبعاً أنّ المراد بأهل البيت، هم أئمة العصمة عليهم السلام الذين قال فيهم الحق سبحانه وتعالى «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»[۴۱۸].

ثم أمرهم عليه السلام بالحركة خلفهم أن تحركوا ونهضوا، والقعود أن جلسوا وصمتوا:

«فان لبدوا فالبدوا[۴۱۹]، وإن نهضوا فانهضوا».

فالحق أن الشرائط والظروف الزمانية والمكانية فى تغير مستمر؛ فان كانت الظروف تقتضى القيام والنهضة وخوض غمار الجهاد، فان السكوت يقود قطعاً إلى البؤس والشقاء، وان كانت الظروف لاتسمح بالقيام، فانّ النهضة لاتنطوى سوى على الخيبة والخسران وهدر

الطاقات. وأئمّة العصمة من أهل البيت عليهم السلام أعلم من غيرهم بهذه الظروف والشرائط وينطلقون فى حركتهم وسكونهم من خلالها، وعليه فعدم الاقتداء بهذا الاسلوب إنّما يؤدى إلى الخسران.

ومن هنا قال عليه السلام:

«ولاتسبقوهم فتضلوا، ولاتتأخروا عنهم فتهلكوا»،

فالمجتمعات لاتخلو على الدوام من الأفراد الذين يعيشون حالة الافراط والتفريط. فالمفرطون يحكمون يبطىء حركة الزعماء الحق فيتقدموا عليهم، ليقودوا المجتمع إلى الهاوية. والمفرطين على العكس يرون حركتهم مستعجلة فيتأخرون عنهم بذريعة الحزم والاحتياط وإجالة الفكر؛ الأمر الذى يؤدى إلى هلاكهم واختلال حركة المجتمع.

والواقع هو أنّ عبارة الإمام عليه السلام تنسجم والحديث النبوى المشهور:

«مثل أهل بيتى فكيم، مثل سفينة نوح من ركيها نجى ومن تخلف عنها هلك»،

وقد ورد هذا الحديث بعبارات مختلفة فى مصادر الفريقين، وهو يكشف عن علم أهل بيت النبى عليهم السلام المستقى من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، كونهم السفينة الوحيدة للنجاة فى هذه البحار العاصفة؛ على غرار الطوفان الذى لم يكن فيه من وسلية للنجاة سوى سفينة نبى الله نوح عليه السلام ۴۲۰].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۰۱

والجدير ذكره ماورد شبيه هذه العبارة فى الخطبة ۸۷ بشأن القرآن فى وصفه خلص عباد الله الذين جعلوه محوراً فى حياتهم

«فهو قائده وإمامه، يحل حيث حل ثقله، وينزل حيث كان منزله».

وهذا تأكيد آخر لحديث الثقلين.

ثم تطرق عليه السلام إلى خصائص طائفة معينة من صحب النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ليقتدى بها صحبه، فقال عليه السلام:

«لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، فما أرى أحدا يشبههم منكم لقد كانوا يصبحون شعثا[۴۲۱] غبراً».[۴۲۲]

ثم قال فى صفتهم الثانية:

«وقد باتوا سجداً وقياماً، يراوحون ۴۲۳] بين جباههم

وخدودهم ۴۲۴]».

وقال أيضاً:

«ويقفون على مثل الجمر[۴۲۵] من ذكر معادهم».

نعم فقد شعروا بعظم العذاب الإلهى بكل كيانهم، فلم يهدأ بالهم ويسكن روعهم

: «كأنّ بين أعينهم ركب ۴۲۶] المعزى ۴۲۷] من طول سجودهم»

، فقد ذاقوا حلاوة العبودية، فتراهم يطيلون سجودهم، حتى بدت آثار السجود على جباههم.

«إذا ذكر الله هملت ۴۲۸] أعينهم حتى تبل جيوبهم».

فقد تنهمر دموعهم حياً لله تارة، وخوفاً من العقاب وخشية الفراق تارة اخرى

«ومادوا[۴۲۹] كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب، ورجاءا للثواب».

والتشبيه بالشجر الذى يميد من جراء الريح العاصف، هو تشبيه رائع، وقد أشار عليه السلام إلى

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۰۲

دليل ذلك والذى يكمن فى خوف العقاب تارة ورجاء الثواب تارة اخرى

فهم يبكون بعين شوقا إلى لقاء ربّهم، بينما تهمل الاخرى خشية من عقاب ربّهم! وهذا هو ديدن الصالحين من عباد الله الذين يعيشون

بين الخوف والرجاء.

تأمّلات

۱- ولاية أهل البيت وعصمتهم

تتضح عصمة أهل البيت عليه السلام بجلاء من خلال عبارات الإمام عليه السلام وذلك أنّه عليه السلام:
«انظروا أهل بيت نبيكم والزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم فى ردى فان لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولاتسبقوهم فتضلوا، ولاتتأخروا عنهم فتهلكوا».
فالعبارات من أوضح الادلة على مقام عصمتهم عليهم السلام؛ لأنّ مثل هذه الوصايا لاتصح فى غير المعصومين من الذنب والخطأ.
كما تدل من جانب آخر على أنّ امامة المسلمين دائما فى أهل البيت وذلك لأنّ الإمام عليه السلام لم يقيد وصاياه بزمان معين.
كما تدل من جهة اخرى على أنّ مفهوم الولاية لاينسجم وانتقاء أوامر أهل البيت عليهم السلام، بل الولاية الحقيقية فى امتثال أوامرهم فى كل شىء وعلى أى حال. أمامن يتبع أهل البيت على مستوى اللسان والقول أو بعض التصرفات الفردية والاجتماعية، فلايمكن اعتباره من الموالين الواقعيين، بل ذلك زعم وإدعاء فقط. ومن البديهى أنّ مراد الإمام عليه السلام لايقتصر على عصره أو زمانه؛ لأنّه يعرف بأهل البيت بصفتهم أئمة وولاة وليس فقط شخصه والشاهد الحى على هذا الكلام ما ورد فى الحديث النبوى الشريف أنّ النبى صلى الله عليه و آله قال:
«انى وأهل بيتى مطهرون، فلا تسبقوهم فتضلوا، ولاتتخلفوا عنهم فتزلوا، ولا تخالفوهم فتجهلوا، ولا تعلموهم فانّهم أعلم منكم. هم أعلم الناس كباراً، وأحلم الناس صغاراً؛ فاتبعوا الحق وأهله حيث كان»[۴۳۰]
نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۰۳

۲- مميزات أهل الكوفة والشام

هناك رابطة لطيفة بين القسم الأخير من هذه الخطبة، الذى يدعو الناس من جانب إلى اتباع اهل البيت، ومن جانب آخر إلى بيان خصائص أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله، والاقسام السابقة من الخطبة التى عرضت بالذم الشديد لأهل العراق والكوفة. وذلك لأنّها تفهمهم من جانب أن ليس لكم من عذر عند الله، لأنّ قادتكم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله، الذين ما انفك رسول الله صلى الله عليه و آله يوصى الامّة بالتمسك بهم وعدم مفارقتهم، فهم عدل القرآن وسفن النجاة، والحال زعيم اهل الشام معروف بالظلم والانحراف والسلب والنهب، وعليه فقد تمت عليكم الحجة.
والآخر أنّ ضعفكم وهو أنّكم ليس لعدم قدرتكم البدنية، بل لضعف ارتباطكم بالله وخواؤكم الروحى وانعدام معنوياتكم، ومن هنا دعاهم لاقتفاء آثار تلك الثلة من صحب رسول الله صلى الله عليه و آله بصورة عملية حيث كانت لها أعظم رابطة بالله سبحانه وتعالى ثم تطرق عليه السلام إلى بيان صفاتهم التى تدعوا إلى الغلبة والنصر فقال: لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم. إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب، ورجاء للثواب. و قد كان هذا التعبد و الإلتزام هو سر إنتصارهم على خصومهم.

۳- حقيقة الصحابة

لعل هناك من يفهم من اطلاق كلام أميرالمؤمنين على عليه السلام أنّ هذه الخصائص قد جمعت فى كافة أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله، وعليه فهو دليل على ماذهبوا إليه من نظريتهم المعروفة فى تنزيه الصحابة، والحال أنّ هذه الخصائص إنّما تتصف بها فئة خاصة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله كسلمان وأبى ذر وعمار والمقداد ومن كان على شاكلتهم، لا جميع الصحابة. وذلك لأنّه أولًا: أنّ هذا الموضوع يخالف السير والتواريخ، حيث لم تدون لهم كل هذه الصفات، ثانياً: تفيد أغلب آيات القرآن الكريم أنّ بينهم من عرف بالنفاق والذنوب والخطايا والمعاصى. ومن

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۰۴

ذلك أن بعضهم قد خان رسول الله صلى الله عليه و آله وجيش المسلمين، وقد تابوا بعد أن افتضح أمرهم؛ كحاطب بن أبى بلتعة وأبى لبابة، وقصتهم معروفة، وعمود التوبة فى مسجد النبى صلى الله عليه و آله شاهد حى على هذه الحقيقة.

وفيهم من اعترض على رسول الله صلى الله عليه و آله فى حكم الزكوة، والمال و منهم من عاهد الله بالانفاق أن آتاهم من فضله ومنهم ثعلبة بن حاطب الانصارى الذى وردت قصته فى الآيات ۷۵- ۷۷ من سورة التوبة.

وفيهم من تخلف عن غزوة تبوك وتمرد على أوامر رسول الله صلى الله عليه و آله، وقد وردت قصتهم فى ذيل الآية ۱۱۸ من سورة التوبة.

وفيهم الجِواسيس الذين وصفتهم الآية ۴۷ من سورة التوبة: «وَفِيكُمْ سَمّاعُونَ لَهُمْ».

وفيهم من بنى مسجد ضرار بهدف ايجاد الفرقة والاختلاف بين صفوف المؤمنين، وقد وردت قصتهم فى الآيات ۱۰۷- ۱۱۰ من سورة التوبة.

وفيهم من سار على الصراط على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله ثم انقلبوا بعده فاثاروا الفتن واشعلوا نيران الحروب وسفكوا دماء المسلمين، كطلحة والزبير الذين أججا نار الجمل وخرجا على إمام المسلمين، ومعاوية الذى آثار الفتن ومنها فتنة صفين.

وعليه يبدو من السذاجة أن نتغاضى عن هذه الحقائق والوقائع التأريخية وصريح الآيات القرآنية، لنعتبر الصحابة منزهين جميعاً يتصفون بالطهر والعفاف والورع والتقوى.

وبناءاً على ما تقدم فان أميرالمؤمنين على عليه السلام إذا مدح الصحابة وأثنى عليهم- فى هذه الخطبة أو سائر الخطب- فالمفروغ منه أن مراده خاصة صحب رسول الله صلى الله عليه و آله لاجميعهم.

وهم ثلة معدودة من صحابه كانت تقتفى آثار رسول الله صلى الله عليه و آله وتلتحق به فى كافة المعارك والغزوات، حتى استشهد أغلبهم على عهده صلى الله عليه و آله.

على كل حال فانّ هذه الثلة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله التى انطوت على أعظم دروس العبودية والاستقامة والصمود والتضحية فى سبيل الله والإسلام، وتعلمتها من معلم البشرية الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله لجديرة بان تكون قدوة للمسلمين فى كل عصر وزمان.

وهم الذين قال فيهم المؤرخون أنّهم كانوا يتلون لبعضهم البعض الآخر سورة العصر حين

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۰۵

يفترقون، ليوصى كل منهم الاخربالايمان والعمل الصالح والتحلى بالحق والصبر.[۴۳۱]

وصفهم القرآن بقوله: «سِيماهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ».[۴۳۲]

وهم المعروفون بشدتهم وصلابتهم تجاه الاعداء، واللين والرحمة تجاه الأصدقاء: «وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلى الكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ»[۴۳۳].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۰۷

الخطبة[۴۳۴] الثامنة والتسعون

اشارة

ومن كلام له عليه السلام

يشير فيه إلى ظلم بنى أمية

نظرة إلى الخطبة

تحدث الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة بعبارات قصار عن فجائع حكومة بنى أمية وظلمهم وانحرافهم، بحيث صور جميع مظالمهم وفضائحهم فى هذه الكلمات المختصرة، وهى تفيد وخامة العواقب التى تنتظر المجتمع الإسلامى إذا ضعفت إرادته فى المجابهة والتصدى.

التأريخ من جانبه أشار إلى تحقق كافة تكهنات الإمام عليه السلام، وأنّ عدم الالتفات إلى تحذيراته عليه السلام فساد ذلك الظلم والجور الذى عم المسلمين بما لم يشهد له التأريخ مثيلًا.

والخطبة ضمنياً رد قاطع على أولئك الذين يترددون فى قتال الإمام عليه السلام لبنى أمية، على أنّه قتال المسلمين للمسلمين.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۰۹

«وَاللّهِ لايَزَالُونَ حَتَّى لايَدَعُوا لِلّهِ مُحَرَّماً إِلَّا اسْتَحَلُّوهُ، وَلَا عَقْداً إِلَّا حَلُّوهُ، وَحَتَّى لَا يَبْقِى بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلّادَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ، وَحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ: بَاكٍ يَبْكِى لِدِينِهِ، وَبَاكٍ يَبْكِى لِدُنْيَاهُ، وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ، إذا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ، وَحَتَّى يَكُونَ أَعَمَكُمْ فِيهَا عَنَاءً أَحْسَنُكُمْ بِاللّهِ ظَنّاً، فَإِنْ أَتَاكُمُ اللهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوا، وَإِنِ ابْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ «الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ»».

الشرح والتفسير

مظالم بنى أمية

أشار الإمام عليه السلام بهذه العبارات القصار إلى مصير بنى أمية، كما يشير إلى الفجائع التى ارتكبتها هذه الطغمة الفاسدة. حيث أقسم على امتداد حكومتهم حتى تستحل كل حرام وتنتهك كافة المواثيق والعهود:

«والله لايزالون ۴۳۵] حتى لا يدعوا لله محرماً إلّااستحلوه، ولا

عقداً إلّاحلوه».

وقد قام بعض الأعلام باحصاء بدع بنى أمية والمحارم التى انتهكوها واستحلوها، والعهود التى نقضوها، سنستعرضها فى الأبحاث القادمة. ويتضح من خلالها عمق الفجائع التى جروها على العالم الإسلامى.

ثم أشار عليه السلام إلى الفضائع التى ارتكبوها بحق المسلمين وعموم ظلمهم وشموله بحيث لايفلت منه بيتاً من البيوت:

«وحتى لايبقى بيت مدر، ولا وبر إلّادخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم»،

والمراد ببيوت المدر المبنية من الطوب والحجر ونحوهما وهى بيوت المدينة عادة. أمّا

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۱۰

الوبر فيرادبه صوف الناقة، فالمراد ببيت الوبر الخيام التى كانت تقام فى القرى والبوادى، والحق أنّ هذا أروع تعبير لشمولية الظلم بحيث لايسع أحد النجاة من ذلك الظلم. وهو الظلم الذى قد يدفع بالبعض إلى الفرار من بيوتهم.

ثم تطرق عليه السلام إلى أنّ الناس آنذاك على طائفتين؛ طائفة تبكى دينها، واخرى تبكى دنياها:

فی تصویره للفاجعة الثالثة

«وحتی یقوم الباکیان یبکیان: باک یبکی لدینه، وباک یبکی لدنیاه».

نعم فالمتدینون یبکون خشیة علی دینهم من الأخطار التی تهدده من هذه الطغمة سلیلة الجاهلیة، بینما یبکی أصحاب الدنیا علی دنیاهم، فالظلمة قد ساموا الناس الظلم فی دینهم ودنیاهم.

ثم قال علیه السلام: فی بیانه للفاجعة الرابعة

«وحتی تکون نصرة أحدکم من أحدهم کنصرة العبد من سیده، إذا شهد أطاعه، وإذا غاب اغتابه».

فی أشارة إلی أنّهم یستعبدون الناس، ولیتها کانت من نوع العبودیة التی تسودها علاقة الحب والرأفة بین العابد والمعبود، بل العبودیة التی تختزن کل معانی الظلم والتحقیر والاستخفاف؛ وکأنّهم قیدوا أعناق الناس وسحبوهم بالاتجاه الذی یریدون.

ذهب بعض شراح نهج البلاغة إلی أنّ المراد بالعبارة طلب الناس العون من هؤلاء، لاعون الناس لهم بمعنی نصرتهم (فالاضافة إلی المفعول لا إلی الفاعل): وعلیه مفهوم العبارة أنّکم إذا طلبتم عونهم فانّ ذلک کطلب الغلام العون من سیده الظالم، لا طلب الرفیق من رفیقه. إلّاأنّ عبارتی:

«إذا شهد أطاعه، وإذا غاب اغتابه»

تؤیدان المعنی الأول.

ثم وصف فاجعتهم الأخیرة بأنّها أشد وأعظم علی ذلک الأقرب لله والأکثر عبودیة له:

«وحتی یکون أعظمکم فیها عناء أحسنکم بالله ظنا».

وهل ینتظر غیر هذا من حکومة ظالمة مستبدة مجرمة، لادین لها ولا أخلاق، قطعاً محنة العبد فی ظل هذه الحکومة تکون أعقد وأصعب کلما کان لربه أطوع وأقرب.

ثم اختتم علیه السلام کلامه بتسلیة أصحابه وأنصاره لما ینتظرهم من أحداث ألیمة:

«فان أتاکم الله بعافیة فاقبلوا، وإن ابتلیتم فاصبروا فان العاقبة للمتقین».

نفحات الولایة، ج۴، ص: ۲۱۱

فالذی یفهم من هذه العبارة أنّ حکومة بنی أمیة وإن مارست ظلمها وضغوطها بحق الامّة، فجرعتها أنواع العذاب، إلّاأنّ هناک البعض الذی نجی من هذه الحوادث الخطیرة والمؤطة، وقد أوصی الإمام علیه السلام الطائفة الاولی بالصبر والتحمل وانتظار الفرج، بینما أوصی الثانیة بالحمد والشکر.

تأمّل: بدع بنی أمیة

لقد حصلت کافة تکهنات الإمام علیه السلام التی أوردها فی هذه الخطبة بشأن شمولیة فجائع بنی أمیة، حیث لم تأل هذه الحکومة المستبدة جهدوا عن مقارفة أنواع الظلم والجور، کما سفکت بحاراً من الدماء من أجل ترسیخ دعائم سلطتها الغاشمة، إلی جانب ملئ السجون بالأبریاء من المومنین وسومهم سوء العذاب، وممارسة أقصی درجات العنف والبطش، فعم الخوف والرعب کافة أبناء الامّة، بما فیهم مقربی هذه الحکومة وبطانتها. وقد قام المرحوم العلّامة الأمینی بجمع کافة الانتهاکات والبدع التی ارتکبها بنی أمیة، مع ذکر اسنادها فی کتابه الغدیر، نورد طائفة منها، ونترک للقارىء العزیز الوقوف علی تفاصیلها فی المجلد الحادی عشر من کتاب الغدیر أنّ معاویة:

أوّل من أحدث الاذان فی صلاة العیدین؟!

أوّل من رأی الجمیع بین الأختین إحیاء لما ذهب إلیه عثمان؟!

أوّل من غيّر السنّة فى الديات وأدخل فيها ما ليس منها؟!

أوّل من ترك التكبير فى الصلوات عند كلٍّ هوىّ وانتصاب وهى سنّة ثابتة؟!

اوّل من ترك التلبية وأمر به خلافاً لعلىّ أمير المؤمنين عليه السلام العامل بسنّة اللَّه ورسوله؟!

أوّل من قدم الخطبة على الصلاة فى العيد لإسماع الناس سبّ علىّ عليه السلام؟! وقد صحّ عن نبىّ الإسلام: «من سبّ علياً فقد سبّه، ومن سبّه فقد سبّه اللَّه».

أوّل من عصى ربّه بترك حدوده وإقامة سنّته؟! «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خالِداً فِيها وَلَهُ عَذابٌ مُهِينٌ».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۱۲

أوّل من نقض حكم العاهر، وأحيى طقوس الجاهليّة، وخالف دين محمد صلى الله عليه و آله: «الولد للفراش وللعاهر الحَجر»؟!

أوّل من تختّم بالسيار؟ فأخذ المروانية بذلك إلى أن نقله السفّاح إلى اليمين فبقى إلى أيّام الرشيد فنقله إلى اليسار.

أوّل من سنّ سبّ علىّ وقنت به وجعله سنّة جارية فى خلفه الذين أضاعوا الصلاة واتّبعوا الشهوات، وشوّة خطب المنابر بذلك الحادث النخرى؟!

أوّل من بغى على إمام وقته وحاربه وقاتله وقتل أُمّة كبيرة من صلحاء الصحابة البدريّين وأهل بيعة الشجرة الذين رضىاللَّه عنهم ورضوا عنه؟!

أوّل من أعطى المال لوضع الحديث وتحريف كتاب اللَّه وكلمته الطيّبة عن مواضعها؟!

أوّل من اشتراط البراءة من علىّ عليه السلام من بايعه فى خلافته الغاشمة أو فى ملكه العضوض؟!

أوّل من حُمل إليه رأس الصحابّى العادل عمرو بن الحمق وأُدير به فى البلاد؟!

أوّل من قتل عدول الصحابة الأوّلين والتابعين لهم بإحسان من عيون الأُمّة وعبّادها ونسّاكها لمحض ولائهم سيّد العترة، وقد جعله اللَّه أجر رسالة نبيّه الخاتم صلى الله عليه و آله؟!

أوّل من قتل نساء كلّ وإلى أهل بيت النبىّ وذبح صبيانهم ونهب أموالهم، ومثّل بقتلاهم وشتّت شملهم، وفّرق جمعهم، واستأصل شأفتهم، ونفاهم عن عقر دورهم، وأبادهم تحت كلّ حجر ومدَر؟!

أوّل من عبثت به رعيّته، وسنَّ العمل بالشهادات المزوّرة، وسلّط ورجال الشرِّ والغىّ والجور علىصلحاء أُمة محمد صلى الله عليه و آله.

أوّل من همَّ بنقل منبر رسولاللَّه صلى الله عليه و آله عن المدينة المشرّفة إلى الشام؟! ولّما حرّك المنبر خسفت الشمس فترك.

أوّل من بدّل الخلافة الإسلاميّة إلى شرّ ملك وسلطة سوء؟!

أوّل من ملك وتجبّر فى الإسلام بلبس الحرير والديباج، وشرب فى آنية الذهب والفضّة، وركب السروج المحلّاة بهما؟!

أوّل من سمع الغناء وطرب عليه وأعطى ووصل إليه وهو يرى نفسه أميرالمؤمنين؟!

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۱۳

أوّل من هتك دين اللَّه باستخلاف جروه الفاجر المستهتر التارك الصلاة؟!

أوّل من شنَّ الغارة على مدينة الرسول صلى الله عليه و آله حرم أمن اللَّه، وأخاف أهليها، وما رعى حرمة ذلك الجوار المقدّس؟!

إلى جرائم وبوائق تجر الرجل فيها هو السابق الأوّل إليها.

أصحيحٌ أنَّ مثل هذا الطاغية تصدر فيه كلمة إطراء من مصدر النبوّة؟ أو يأتى عن نبىِّ العدل والحقِّ والصدق ما يوهم الثناء عليه؟ لا، لا يمكن ذلك؛

۲- غيض من فيض فضائع بنى أمية

ذكر أبوالفرج الاصفهانى وهو من مشاهير علماء القرن الرابع الهجرى فى كتابه المعروف «الاغانى» بعض الامور العجيبة بشأن بنى أمية،

نورد طائفة منها:

۱- خالد بن عبداللَّه القسرى و الى هشام بن عبدالملك على الكوفة كان زنديقا و أمه نصرانيه و كان يوّلى النصارى و المجوس على المسلمين.[۴۳۶]

۲- بنى كنيسة لأمه خلف قبلة مسجد الكوفة فكان يضرب فيها الناقوس حين يرتفع صوت الأذان ۴۳۷].

۳- كان يقول- و العياذ باللَّه- بأفضلية الخليفة هشام على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و كان يقول بكل و قاحة: و اللَّه لو أمرنى الخليفة لهدمت الكعبة و نقلت حجرها إلى الشام.[۴۳۸] و العجيب عزله هشام بعد مدة إثر تعرضه لبنى أمية.[۴۳۹]

روى ابن أبى الحديد المعتزلى ۴۴۰] فى شرح نهج‌البلاغة عن أبى عثمان الجاحظ أن بنى هاشم كانوا يفخرون على بنى أمية أنا لم نقم بهذه الأعمال:

أ هدم الكعبة (إشارة لما فعله الحجاج على عهد عبد الملك)

ب- تغيير القبلة (إشارة لصلاة الوليد لغير القبلة ثملا و هو يقول أينما تولوا فثم وجه اللَّه)

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۱۴

ج- لم يجعلوا الخليفة أفضل شأنا من النبى صلى الله عليه و آله (إشارة لما ورد فى كتاب الأغانى)

ع- لم يختموا رقاب المسلمين (إشارة إلى ختم بنى أمية لرقاب المسلمين كعبيد كما كانوا يختمون الخيل).

ه- لم ينهبوا حرم النبى صلى الله عليه و آله و ينتهكوا حرمة المسلمات (إشارة إلى قصة مسلم بن عقبة الذى إستباح المدينة بأمر يزيد فارتكب فيها من الجرائم ما يعجز القلم عن وصفها).

و قد وجّه معاوية قبل ذلك يسر بن أرطاة ليهجم على المدينة و يطوف فى مسجد النبى صلى الله عليه و آله دعيا الناس لبيعته و قتل من تخلف و هدم بيته و مصادرة أمواله.

و نختتم الكلام بما ذكره ابن عساكر- المؤرخ السنى المعروف- فى كتابه تأريخ دمشق أن عبداللَّه بن حنظلة- و أبوه غسيل الملائكة من كبار صحابة النبى صلى الله عليه و آله- خاطب الناس حين أمر يزيد مسلم بن عقبة بالهجوم على المدينة فقال: يا قوم اتقوا اللَّه وحده لاشريك له، فواللَّه ماخرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء- إن رجلا ينكح الأمهات و البنات و الأخوات و يشرب الخمر و يدع الصلاة- و اللَّه لو لم يكن معى أحد من الناس لأبليت للَّه‌فيه بلاء حسناً.[۴۴۱]

و هنا نقف على عمق كلام أميرالمؤمنين عليه السلام «لكل أمة آفة، و آفة هذه الأمة بنو أمية»[۴۴۲] و يالهم من جهال أولئك الذين يطرون معاوية و يتغنون بأمجاد بنى أمية رغم هذه الفجائع.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۱۵

الخطبة[۴۴۳] التاسعة والتسعون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

فى التزهيد من الدنيا

نظرة إلى الخطبة

تفيد بعض الروايات أنّ الإمام عليه السلام خطب بهذه الخطبة فى صلاة الجمعة، فأوصى فيها الناس بالزهد فى الدنيا، وقد صور غدرها

وتقلب أحوالها بالشكل الذى جعل طلابها يمجونها ولايركنون اليها؛ ولا سيما أنّه تحدث عن اولئك الذين يذرفون الدمع حزنا على فقد أعزتهم، وآخرين يعزونهم، وطائفة من الناس قد رقدت على فراش المرض تنتظر الموت، بهدف ايقاظهم من غفلتهم وسيطرة أهوائهم وهوسهم. فالخطبة موعظة لمرضى القلب من عبدة الدنيا.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۱۷

القسم اول: السلامة فى الدين والبدن

«نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرنا عَلَى مَا يَكُونُ، وَنَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَدْيَانِ، كَمَا نَسَأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَبْدَانِ».

الشرح والتفسير

إستهل الإمام عليه السلام خطبته بحمد الله والثناء عليه لتتهيى القلوب لسماع الكلمات القادمة فى الوعظ والنصح، فقال عليه السلام:

«نحمده على ما كان»

فمفهوم هذه العبارة واسع شامل، حيث تشمل النعم التى يفيضها الله سبحانه وتعالى على العباد، كما تشمل الحوادث المريرة والأليمة. وذلك لأنّ خاصة عباد الله تعد كل ما صدر من الله نعمة ورحمة، فترى عليها شكره على كل حال.

ثم قال عليه السلام:

«ونستعينه من أمرنا على ما يكون»

، فمن الطبيعى أن يكون الحمد والثناء على الماضى، والاستعانة على المستقبل، وهذا هو ديدن العباد المخلصين الذى يكمن فى شكر البارىء على ماكان والاستعانة به على ما يكون.

ثم قال عليه السلام

: «ونسأله المعافاة فى الأديان، كما نسأله المعافاة فى الأبدان»

، فالعبارة إشارة إلى نقطة لطيفة وهى أنّ الناس لو أولوا سلامة دينهم ذات الأهمية التى يولونها لسلامة ابدانهم ودنياهم، لأخذوا العافية بطرفيها ونجوا. إلّاأنّ المؤسف له أنّ الإنسان قد يتعرض إلى مرض بسيط فتراه يراجع عدداً من الأحياء، بينما لا يتجه إلى طبيب واحد حتى لو أصابته عشرات الأمراض الروحية والأخلاقية الخطيرة.

هذا وقد أورد بعض شرّاح نهج البلاغة عن بعض المفكرين قوله لو سكبت عشر هذه الدموع التى تسكب على البطون الجائعة والأبدان العارية على الأرواح الجائعة للمعرفة

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۱۸

والعارية من الفضائل لزال كل هذا الجوع والعرى البدنى، كما زال كل هذا الجوع والعرى المعنوى.[۴۴۴]

جدير بالذكر أن الأديان بصيغة الجمع إشارة إلى تدين أفراد البشر، لامختلف الأديان، على غرار الأبدان جمع البدن.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۱۹

القسم الثانى: سرعة زوال الدنيا

«عِبَادَ اللّهِ، أوصِيكُمْ بِالزَّهْدِ لِهذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا، وَالْمُبْلِيَةِ لأَجْسَامِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تحبون تجديدها، فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفْرٍ، سَلَكُوا سَبِيلًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ، وَأَمُّوا عَلَماً فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ. وَكَمْ عَسَى الْمُجْرِى إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِىَ إِلَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَهَا! وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَايَعْدُوهُ، وَطَالِبٌ حَثِيثٌ مِنَ الْمَوتِ يَحْدُوهُ وَمُزْعِجٌ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا رَغْماً! فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا، وَلَا تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا، وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَبُؤْسِهَا، فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ، وَإِنَّ زِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ،

وَضَرَّاءَهَا وَبُؤْسَهَا إلى نَفَادٍ، وَكُلَّ مُدَّةٍ فِيهَا إلَى انْتِهَاءٍ، وَكُلَّ حَيٍّ فِيهَا إلَى فَنَاءٍ».

الشرح والتفسير

بعد أن حمد الإمام عليه السلام الله وأثنى عليه شرع فى هذا المقطع من الخطبة حث الناس على الزهد فى هذه الدنيا بعبارات نافذة مؤثرة، إلى جانب تصويره لتفاهة هذه الدنيا فقال عليه السلام:

«عباد الله أوصيكم بالرفض ۴۴۵] لهذه الدنيا التاركه لكم وان لم تحبوا تركها».

ويالها من فاجعة ان يسعى الإنسان بكل كيانه وذاته نحو معشوق يسعى بكل ما أوتى من قوة للهروب منه! فقد قال عليه السلام: إذا كانت الدنيا تاركة لكم فاتركوها، وان شق ذلك على

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۲۰

أهوائكم ورغباتكم، وذلك امتثالًا لقوله سبحانه: «وَعَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ»[۴۴۶]، فلعل هناك بعض الامور التى تبدو حسنة الظاهر يحبها الإنسان، بينما تستبطن السم الزعاف.

ثم قال عليه السلام:

«والمبلية[۴۴۷] لأجسامكم وإن كنتم تحبون تجديدها».

فكل فرد يلاحظ على نفسه آثار العجز والتعب بمرور الزمان من قبيل ذهاب النشاط والحيوية وذبول الجلد وضعف العظام وضعف البصر وثقل السمع وتمتمة اللسان وانحناء الظهر وضعف العضلات والاعصاب وما إلى ذلك من الامور التى تؤرق الإنسان وتجعله يشعر بالاسى والحزن. ومن هنا يسعى احيانا وبشتى الوسائل لا ستعادة حيويته ولكن هل يصلح العطار ما أفسد الدهر، طبعاً قد يحقق بعض النجاحات الطفيفة فى هذا المجال، إلّاأنّ هناك مسيرة لابدّ له من اجتيازها والوصول إلى مصيره المحتوم، فهل من الصحيح أن يولى الإنسان ظهره لكل هذه الامور ويتعلق بالدنيا؟! الجدير بالذكر أن الدنيا لاتبلى الكائنات الحية ولاسيما بدن الإنسان فحسب، بل يشمل هذا القانون عالم المادة برمته من المجرات حتى الذرات. بل حتى هذه الشمس المشرقة التى تبعث بأشعتها إلى كل مكان إنّما تبلى بالتدريج حتى تنتهى يوماً إلى الزوال؛ الأمر الذى أشار إليه القرآن الكريم «تكوير الشمس» وأيده العلم الحديث.

ثم قال عليه السلام:

«فانما مثلكم ومثلها كسفر[۴۴۸] سلكوا سبيلًا فكأنّهم قد قطعوه، وأموا[۴۴۹] علماً

فكأنّهم قد بلغوه، وكم عسى المجرى ۴۵۰] إلى الغاية أن يجرى إليها حتى يبلغها».

نفحات الولاية ؛ ج۴ ؛ ص ۲۲۰

أكد ذلك عليه السلام بقوله، كيف يمكن أن يؤمل البقاء من كان له يوم لابدّ من بلوغه ولايمكنه تجاوزه، والموت يجرى خلفه ليسوقه إلى حتفه وان كان كارها:

«وما عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه، وطالب حثيث ۴۵۱] من الموت يحدوه ۴۵۲]، ومزعج ۴۵۳] فى الدنيا حتى يفارقها رغما[۴۵۴]».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۲۱

فالعبارات بمجموعها تكشف النقاب عن ذات الحقيقة وهى تقلب الدنيا وانعدام قيمتها؛ الحقيقة التى يغفلها أغلب الناس، فتقودهم هذه الغفلة إلى البؤس والشقاء والحرمان من السعادة.

ثم يخلص الإمام عليه السلام من هذا البحث بشأن تفاهة الدنيا إلى نتيجة ينبغى أن يبلغها الجميع، وهى مادامت الدنيا كذلك فلا ينبغى اضاعة الجهود من أجل الحصول على مفاخرها الزائفة وعزتها الموهومة، كما لاينبغى الانخداع بزينتها وزخارفها الزائلة،

ولاينبغى الشعور بالامتعاض والغصة على آلامها وأحزانها:

«فلا تنافسوا[۴۵۵] فى عز الدنيا وفخرها، ولا

تعجبوا بزينتها ونعيمها، ولاتجزعوا من ضرائها وبؤسها».

وذلك لأنّ فخرها آيل إلى الزوال ونعمتها إلى الفناء، وآلامها إلى انقضاء

«فان عزها وفخرها إلى انقطاع، وان زينتها ونعيمها إلى زوال، وضراءها وبؤسها إلى نفاد[۴۵۶]، كل مدة

فيها إلى انتهاء، وكل حى إلى فناء».

فقد ركز الإمام عليه السلام فى هذه العبارات الرائعة على عزة الدنيا وفخرها ونعمها وزينتها وآلامها ومصائبها، ليرى فناء كل شىء فيها وزواله، ثم عرض لقانون كلى إلى أنّ كل عز فيها إلى انقطاع وزينة ونعيم إلى زوال وضراء وبؤس إلى نفاد وكل مدة فيها إلى انتهاء، وكل حى فيها إلى فناء؛ فاذا كان الأمر كذلك فما معنى كل هذا النزاع والتنافس والجزع؟! فقد صرح أحد شرّاح نهج البلاغة بأن الماضين قد ذهبوا وأصبحوا ترابا واننا لنطى ترابهم ثم نكون مثلهم، ثم يعبر علينا الآخرون من بعدنا. ومع كل هذا لا نفيق من غفلتنا!!

وما أروع حديث الإمام الباقر عليه السلام الذى شبه نعم الدنيا بالمال الذى يراه النائم فان نهض من نومه لم ير شيئاً:

«أو كمال وجدته فى منامك، فاستيقظت وليس معك منه شىء»[۴۵۷].

أو كما صورها الشاعر:

ألا إنّما الدنيا كمنزل راكب‌أناخ عشياً وهو فى الصبح راحل

وكل شباب، أو جديد إلى البلاءوكل امرء يوماً إلى الله صائر

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۲۳

القسم الثالث: دروس الدنيا وعبرها

«أَوَلَيْسَ لَكُمْ فِي آثارِ الأَوَّلِينَ مُزْدَجِرٌ، وَفى آبَائِكُمُ الْمَاضِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُون! أَوَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْماضِينَ مِنْكُمْ لَايَرْجِعُونَ، وَإِلَى الْخَلَفِ الْبَاقِينَ لَايَبْقَوْنَ! أَوَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُصْبِحُونَ وَيُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى فَمَيِّتٌ يُبْكَى وَآخَرُ يُعَزَّى وَصَرِيعٌ مُبْتَلَىً، وَعَائِدٌ يَعُودُ، وَآخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ، وَطَالِبُ لِلدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ؛ وَعَلَى أَثَرِ الماضِى مَا يَمْضِى الْبَاقِى!».

الشرح والتفسير

واصل الإمام عليه السلام هذا المعلم الربانى العظيم كلامه السابق من أجل نفخ اليقظة فى هذه الأرواح التى تعيش السبات والغفلة من خلال للدنيا وتقلب أحوالها فقال عليه السلام:

«أو ليس لكم فى آثار الأولين مزدجر[۴۵۸]، وفى آبائكم الماضين تبصرة ومعتبر، ان كنتم تعقلون».

ثم وضح عليه السلام هذه العبارة بقوله:

«أولم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون، وإلى الخلف الباقين لا يبقون».

إشارة إلى قانون الموت والفناء؛ القانون العام الشامل الذى ليس فيه أى إستثناء، فمن ذهب لايعود، ومن بقى فهو سائر اثر تلك القافلة إلى الزوال وعدم العودة. مع هذا الفارق وهو أنّ البعض فى الصفوف المقدمة والبعض الآخر فى الصفوف المؤخرة؛ على غرار عباراته التى

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۲۴

خاطب بها الأموات ممن دفنوا ظهر الكوفة:

«أنتم لنا فرط سابق، ونحن لكم تبع لاحق»[۴۵۹].

ثم خاض عليه السلام فى بيان هذا الكلام بعبارات أدق وأوضح و تحليل دقيق و بليغ بعد أن قسم أحوال أهل الدنيا فى مصابهم بالحوادث إلى سبعة أقسام ليقول:

«أولستم نزون أهل الدنيا يصبحون ويمسون على أحوال مشتى: فميت يبكى، وآخر يعزى، وصريح مبتلى، وعائد[۴۶۰] يعود، وآخر بنفسه يجود[۴۶۱]، وطالب للدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس

بمغفول عنه؛ وعلى أثر الماضى مايمضى الباقى».

يا لها من عبارات رائعة وشاملة عظيمة الثأثير إذا استطاع الإنسان أن يتمثل صورها للناس وهم يتحركون؛ فهذا يموت ويبكى عليه، وهنالك مجلس للعزاء تتوافد عليه الناس جماعات ليعزوا ذوى الفقيد. وهناك من رقد على فراش المرض وقد عاده جمع من الاخوة والأصدقاء. وهناك من يعالج سكرات الموت ويحتضر وليس لأحد أن يفعل له شيئاً. وهناك صورة اخرى يطالعك فيها الناس وهم يسارعون فى الركض والحركة دون الالتفات إلى الحلال والحرام والمشروع والممنوع بغية الحصول على شىء من حطام الدنيا؛ بينما كمن لهم الموت فى الطريق؛ وإذا به يباغتهم ليقضى على جميع آمالهم وأحلامهم. وبالتالى هناك فئة غافلة مشغولة بالذائذ العيش وسكر النعم والفرح والسرور دون أن تلتفت إلى الموت الذى ينتظرها؛ فاذا هجم الموت على أحدهم أحال فرحهم حزناً وغماً.

هذه هى صور الحياة السائدة طيلة تاريخ البشرية وستكون كذلك، ويا لها من صور تنطوى على الدروس والعبر، إلّاأنّ القلة القليلة من تعتبر.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۲۵

القسم الرابع: هادم اللذات

اشارة

«أَلَا فَاذْكُرُوا هَادِمَ اللَّذَّاتِ، وَمُنَغِّصَ الشَّهَوَاتِ، وَقَاطِعَ الْأُمْنِيَاتِ، عِنْدَ الْمُسَاوَرَةِ لِلْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ، وَاسْتَعِينُوا اللَّهَ عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ، وَمَا لَايُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى ختام هذه الخطبة الفصيحة والبليغة النافذة إلى نقطتين تكملان البحث السابق:

الاولى: الإشارة إلى الموت الذى يدعو ذكره إلى يقظة الإنسان من سباته وغفلته:

«ألا فاذكروا هادم اللذات، ومنغص ۴۶۲] الشهوات، وقاطع الامنيات، عند المساورة[۴۶۳] للأعمال

القبيحة».

فقد وصف الإمام عليه السلام الموت هنا بثلاث: الأول: أنّه هادم اللذات؛ لأن أغلب الناس يفنون أعمارهم ليوفرا لأنفسهم العيش الهنيئ واللذيذ، بالضبط فى الوقت الذى تهجم فيه الأمراض على الإنسان وترديه ميتاً. أضف إلى ذلك كثيراً ما تشاهد مجالس السرور واللذة وقد تعكرت وتبدلت عزاءا إثر بعض الحوادث، والعجيب ليس هنالك من ضمانة لأحد بعدم وقوع هذه الحوادث.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۲۶

الثانى: منغص الشهوات؛ لأن الموت- الذى ليس له من زمان معين ولا يمكن التكهن به قط- يهجم على الإنسان فى تلك اللحظة التى ينعم فيها بالشهوات.

الثالث: قاطع الامنيات؛ فامانى الإنسان كثيرة طويلة لاتعرف الحدود ولا يقطعها ويعطلها سوى الموت. فهذه العبارات على درجة من القوة. بحيث تؤثر على كل إنسان. و الرائع أنه قال «الا فاذكروا هادم اللذات ... عند المساورة للأعمال القبيحة» إشارة إلى أن القبائح

كثيرا ما تتزين بحيث يهجم عليها الإنسان كالوحش الذى ينقض على فريسته- ففى هذه اللحظة يمكن أن يصده عن ذلك ذكر الموت.

ثم أوصى عليه السلام بذكر نعم الله التى تحول دون ارتكاب الذنوب على أنها العامل الثانى الذى يصد عن المعاصى

«واستعينوا الله على أداء واجب حقه، وما لا يحصى من أعداد نعمه وإحاسنه».

فشكر المنعم لايؤدى إلى معرفة الله فحسب، بل يلعب دوراً مباشراً فى دفع الإنسان لاداء الواجبات وترك المحرمات.

تأمّلان

۱- خداع الدنيا محدود

يزعم أغلب الناس أن الدنيا خادعة بزينتها وزخرفها؛ وقد اشير إلى هذا المعنى فى الآيات القرآنية والروايات الإسلامية. إلّاأننا إذا فكرنا بصورة سليمة لتوصلنا إلى أنّ هذا الخداع إنّما يطيل السذج والحمقى من الناس. وهذا ما أورده الإمام عليه السلام حيث صور الدنيا وقد ملئت بحوادث الغدر والخيانة والتنكر والتقلب. كما حفلت بالآف الصور التى تبعث على الاعتبار من قبيل المرض والموت والعزاء والحوادث الاليمة وماشاكل ذلك، فهل خادعة هى الدنيا وهى بهذه الصفات.

ومن هنا قال عليه السلام وقد سمع رجلًا يذم الدنيا، أيها الذام للدنيا، المغتر بغرورها، المخدوع بأباطيلها! أتغتر بالدنيا ثم تذمها؟ أنت المتجرم عليها، أم هى المتجرمة عليك؟ متى استهوتك، أم متى غرتك؟ أبمصارع آبائك من البلى أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى كم عللت بكفيك،

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۲۷

وكم مرضت بيديك! تبتغى لهم الشفاء، وتستوصف لهم الأطباء، غداة لا يغنى عنهم دواؤك، ولايجدى عليهم بكاؤك.[۴۶۴]

كما قال عليه السلام: مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها، والسم الناقع فى جوفها، يهوى اليها الغر الجاهل، ويحذرها ذواللب العاقل.[۴۶۵]

۲- أكيس الناس

ورد فى بعض الروايات سئل رسول الله صلى الله عليه و آله من أكيس المؤمنين؟

فقال صلى الله عليه و آله:

«أكيس المؤمنين أكثرهم ذكرا للموت، وأشدهم له استعدادا»[۴۶۶].

وفى حديث آخر عنه صلى الله عليه و آله تحت عنوان:

«أكيس الناس وأحزمهم»

جاء فى آخره:

«أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة»[۴۶۷].

والدليل على ذلك واضح لأن ذكر الموت وفناء الحياة عامل مهم فى الصد عن الذنوب والمعاصى التى تنشأ عادة من حب الدنيا والتعلق بزخارفها والحرص والطمع الذى ينسى ذكر الموت والآخرة «فَإِذا رَكِبُوا فِى الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمّا نَجّاهُمْ إِلى الْبَرِّ إِذا هُمْ يُشْرِكُونَ»[۴۶۸].

ومن الامور التى حث عليها الإسلام زيارة القبور التى تهدف إلى احترام أرواح الأموات من المؤمنين، إلى جانب كونها من العوامل

المهمة فى إيقاظ الإنسان، حيث لايملك الإنسان هناك سوى الأذعان لهذه الحقيقة.

كل فتى وان طالت سلامتهلابدّ يوماً على آلة الحدباء محمول

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۲۹

الخطبة[۴۶۹] مأة

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

فى رسول الله وأهل بيته عليه السلام

نظرة إلى الخطبة

كما أشرنا فى سند الخطبة فانّ الإمام عليه السلام خطبها أوائل خلافته. حيث استهلها بحمد الله والثناء عليه، ثم تطرق إلى رسالة النبى صلى الله عليه و آله وضرورة طاعته واتباعه. ثم أشار عليه السلام إلى بعض الأخبار عنه وعن أهل العراق فقال: فاذا أنتم ألنتم له رقابكم، وأشرتم إليه باصابعكم، جاءه الموت فذهب به.

ثم يختتم الخطبة بالحديث عن عظمة آل محمد صلى الله عليه و آله وبركتهم واستمرار هدايتهم، و كلما ذهب منهم أحد خلّفه آخر.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۳۱

القسم الأول: راية الحق

اشارة

«الْحَمْدُ لِلّهِ النَّاشِرِ فى الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ. نَحْمَدُهُ فِى جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَااِلهَ غَيْرُهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى أَمِيناً، وَمَضَى رَشِيداً؛ وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، دَلِيلُهَا مَكِيثُ الْكَلام، بَطِىءُ الْقِيَام، سَرِيعٌ إِذَا قَامَ، فَإِذَا أَنْتُمْ أَلْنْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ، وَأَشَرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللّهُ حَتَّى يُطْلِعَ اللّهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ، فَلا تَطْمَعُوا فِى غَيْرِ مُقْبِلٍ، وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ، فَإِنَّ الْمُدْبِرَ عَسَى أَنْ تَزِلَّ بِهِ إِحْدَى قَائِمَتَيْهِ، وَتَثْبُتَ الْأُخْرى فَتَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا جَمِيعاً».

الشرح والتفسير

لاشك أنّ الهدف الأصلى للخطبة بيان أوصاف رسول الله صلى الله عليه و آله ومقامات أهل بيته عليهم السلام، ولكن وعلى ضوء الحديث المعروف:

«أن كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء»[۴۷۰]

، فانّ الإمام عليه السلام إستهل كلامه بحمد الله والثناء على والشهادة له بالوحدانية وللرسول الأكرم صلى الله عليه و آله بالنبوة، لتستنير القلوب بهاتين الشهادتين وتتأهب لسماع المطالب القادمة.

فقال عليه السلام:

«الحمد الله الناشر فى الخلق فضله، والباسط فيهم بالجود يده».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۳۲

فوصف بالله بهذه الصفات هو فى الواقع دليل على تفرده سبحانه بكل حمد وثناء، نعم فهو الجدير بكل مدح وحمد وثناء، كيف لا وقد عم فضله وانتشر جوده وملأت أركان العالم نعمه وآلائه. و لا ينبغى ذلك لمن سواه، فهم عيال على نعمه.

ثم أشار إلى سعة حمده و الثناء عليه قال عليه السلام:

«نحمده فى جميع أموره، ونستعينه على رعاية حقوقه».

فالعبارة

«جميع أموره»

تفيد أننا لانحمده عند النعم والرفاه والدعة والعافية فحسب، بل نحمده ونشكره فى البلاء والشدة وحين الوقائع الخطيرة، وذلك لأنه أولًا: كل ما يفعله الله يتفق والحكمة والمصلحة، حتى المصائب التى تصب علينا إختباراً فهى كفارة لذنوبنا، أو أنّها سبب ليقظتنا من نوم الغفلة.

وثانياً: أنّ هذه الحوادث تجعلنا ننال أجر وثواب الصابرين وجزاء الشاكرين وهذه نعمة كبرى

والعبارة

«ونستعينه ...»

أى إننا يجب أن نستمد العون منه لطاعته وإمتثال أوامره ورعاية حقوقه، حيث لايسعنا فعل شىء دون عونه، وهذا ما نردده ليل نهار فى صلواتنا «إِيَّاكَ نَعبُدُ وَإِيَّاكَ نَستَعِين» ولما فرغ عليه السلام من حمد الله والثناء عليه، شهد لله بالوحدانية وأن لا معبود سواء

«ونشهد أن لا إله غيره».

لأننا إذ سلمنا أنّ النعم منه، فانّ العبودية والطاعة لاتليق الا به سبحانه وبذاته المقدسة.

ثم اتبعها بالشهادة للنبى صلى الله عليه و آله بالنبوة والعبودية:

«وأن محمدا عبده ورسوله»

أمّا تقديم العبودية على الرسالة، فتفيد نفيها لكافة أنواع الشرك عن المؤمنين، إلى جانب كون مقام العبودية أفضل وأسمى من مقام النبوة! لأنّ العبد الكامل المخلص لله يرى تمام وجوده لله، فلايفكر فى سواه ولايرجو غيره، وهذا بحد ذاته أوج تكامل الإنسان الذى ليس بعده من مقام. ثم أشار عليه السلام إلى بعض صفات النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى أنّه صدح بالحق، وأدى رسالته بكل أمانة حتى مضى إلى ربّه بعد أن ثبت دعائم الحق:

«أرسله بأمره صادعاً،[۴۷۱] وبذكره ناطقاً،

فأدى أمينا، ومضى رشيدا؛ وخلف فينا راية الحق».

فقد أشار الإمام عليه السلام بهذه العبارة إلى الخدمات الجليلة التى أسداها النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، إلى جانب ابلاغه لأوامر الحق ونواهيه، كما شرح من جانب آخر كل مايلزم لمعرفة الله سبحانه، وأنّه صلى الله عليه و آله كان أميناً فى قيامه بهذه المهمة فى أداء الرسالة، كما عمل صلى الله عليه و آله بما قال ليكون للُاخرى أسوة صالحة، كما كان حريصاً على الأجيال القادمة فنصب لهم راية الحق، حيث خلف فى الامّة كتاب الله وسنته.

واختلف الشرّاح فى تفسير المراد بقوله:

«راية الحق»

فذهب البعض الر أن المراد به القرآن الكريم، وقيل الكتاب والسنة، كما فسر بالكتاب والعترة اللذان وردا فى حديث الثقلين.

إلّا أنّ تفسيرها بالكتاب والسنة (لأنّ الكتاب دعا إلى السنة) أنسب بالنظر لتصدر الكلام بالعبارة:

«دليلها مكيث الكلام».

ثم أضاف عليه السلام قائلًا:

«من تقدمها مرق ۴۷۲]، ومن تخلف عنها زهق ۴۷۳] ومن لزمها لحق».

فالعبارة تشير إلى كيفية التعامل الطوائف الثلاث من الناس مع الحق: طائفة مفرطة تتقدم على الحق فتصيبها الحيرة والضلال كالخوارج الذين ذهبت بهم الظنون بأنّهم إنّما يعملون بالقرآن فتقدموا على إمام زمانهم فعاشوا بحماقتهم ذلك التناقض، أو كأولئك الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله فرأوه أفطر حين سافر فزعموا أنّهم لايفطرون رعاية طرحة شهر رمضان حتى تسموا بالعصاة[۴۷۴] الطائفة الثانية من أهل التفريط الذين يتقدمون بضع خطوات فى الحق ثم تحول أهوائهم وضعفهم دون مواصلة الطريق. والطائفة الثالثة الملازمة للحق التى لا تتقدم عليه ولا تتخلف عنه؛ فهى تتحرك دائماً فى ضل الحق حتى تبلغ أهدافها.[۴۷۵]

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۳۴

ثم قال عليه السلام:

«دليلها مكيث ۴۷۶] الكلام، بطيىء القيام، سريع إذا قام».

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا: هل المراد بالدليل فى العبارة حامل الراية؟ أم الشخص الذى يتحرك فى مقدمة العسكر والعارف بالطريق الذى يهدى الآخرين إلى جادة الصواب؟

يبدو الاحتمال الأول هو الاقوى، لأنّ حامل الراية ينهض بمسؤولية الهداية أيضاً، والعسكر مكلف باتباعه أينما حل.

على كل حال فقد صرح أغلب شرّاح نهج البلاغة أنّ المراد به شخص أمير المؤمنين عليه السلام أو جميع أهل البيت عليهم السلام؛ فقد قرنوا عليه السلام- حسب حديث الثقلين- بالقرآن وأنّهم لن يفترقوا عنه أبداً، حيث جاء فى الحديث:

«إنّى تارك فيكم الثقلين ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وعترتى أهل بيتى وقد نبأنى اللطيف الخبير أنّها لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما».

وأميرالمومنين على عليه السلام من قال له رسول الله صلى الله عليه و آله حسب مصادر الفريقين:

«انت مع الحق والحق معك حيثما دار»[۴۷۷].

فقد كان عليه السلام القرآن الناطق ومبين سنة رسول الله صلى الله عليه و آله.

والعبارة

«مكيث الكلام»

لا تعنى أنّه قليل الكلام؛ بل تعنى تريثه فى الكلام، وبعبارة اخرى أنّه رزين فى كلامه فلا يبادر من غير روية. والعبارة

«بطيئى القيام، سريع إذا قام»

تأكيد لهذا المعنى وهو أنّ أعماله هى الاخرى رزينة كأقواله، فلايعجل فى قيامه بالأعمال، ولكن إذا حان العمل لم يفوت الفرصة، فيقدم عليه بكل صرامة دون أدنى ترديد. والحق أنّ من عرف

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۳۵

سيرة أميرالمؤمنين على عليه السلام يذعن بهذه الصفات التى انطوت عليها شخصيته. فقد تواتر عليه بعض الأفراد بعد رحيل النبى صلى الله عليه و آله وناشدوه القيام؛ إلّاأنّه لم يجبهم بسبب عدم توفر الشرائط اللازمة إلى جانب خشيته من الأعداء المتربصين بالإسلام، بينما نهض بالأمر لما تغيرت الظروف.

وهناك شواهد اخرى كثيرة وردت فى كلماته عليه السلام بهذا الشأن ۴۷۸].

ثم قال عليه السلام:

«فاذا أنتم ألنتم له رقابكم، وأشرتم إليه باصابعكم، جاءه الموت فذهب به».

إشارة إلى أنّه يعانى الأمرين حتى يجمعكم تحت رايته، وتسلمون لإمامته بحيث تشيرون إليه من كل جانب، ولكن ما أن تتمهد مقومات الاتحاد وعناصر النصر والغلبة حتى تأخذه يد القدر منكم فتتفرقون ثانية ويتسلط عليكم الأعداء.

ولعل العبارة إشارة لما أوردناه سابقاً فى سند الخطبة فى أنّ الناس اجتمعوا على الإمام عليه السلام فى الشهر الذى قتل فيه بحيث اجتمع له مأة الف سيف، عقد كل عشرة الآف لرجل، فخرج عليه السلام يريد الشام، فحال ابن ملجم بينه وبين ذلك. إلّاأنّ بعض شرّاح نهج البلاغة فسروها بعصره عليه السلام، إلّاأنّ هذا التفسير يبدو بعيداً، وذلك لأن العبارات قبل هذه الجملة تفيد خلاف هذا المعنى، ولاسيما أنّ الخطبة بعد خلافة عليه السلام وفيها اشارات إلى المستقبل.

ثم حاول الإمام عليه السلام الحيلولة دون شعور أصحابه باليأس، فبشرهم بالنصر القادم قائلًا:

«فلبثتم بعده ماشاء الله حتى يطلع الله لكم من يجمعكم، ويضم نشركم».

أمّا من المقصود بهذا القيام؟ فقد أورد الشرّاح احتمالين: أحدهما: أن يكون المراد قيام الإمام المهدى عليه السلام، والآخر قيام بنى العباس الذى أنهى حكومة بنى أمية واجتث جذور ظلمهم وفسادهم، وان ما رسوا بدورهم نوعاً آخر من الجرائم والجنايات. ويبدو الاحتمال الأول أنسب، فلم تكن لبنى العباس مثل هذه الجدارة فى عباراته عليه السلام، كما لم تكن جناياتهم بحق شيعة على عليه السلام وأهل العراق بأقل من جنايات بنى أمية. أضف إلى ذلك فالكلام فى رافع راية

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۳۶

الحق، ومن المسلم به أنّ راية بنى العباس كانت باطلة.

كما قيل فى تفسير العبارة المذكورة أنّ المراد بذلك الاجتماع لأصحابه هو الاجتماع الفكرى والثقافى إلى جانب الاجتماع السياسى والعسكرى، وهو المعنى الذى تحقق على عهد الإمام الباقر والصادق والرضا عليه السلام، والعبارات الأخيرة من الخطبة إنّما تؤيد هذا المعنى.

إلّا أنّ هذا الاحتمال يبدو مستبعداً بالنظر إلى عدم انسجام هذا التفسير مع العبارات السابقة التى أشارت إلى الاجتماع السياسى والعسكرى. ولكن على كل حال، فالهدف من هذه العبارة نفى ما يسيطر على الأفكار عادة بعد الهزيمة و هو اليأس و التشاؤم. فوصفها بأنها أمواج عابرة و هنالك المستقبل المشرق الذى ينتظر المجتمع الإسلامى. و من هنا ذكر ما يؤيد ذلك.

ثم قال عليه السلام:

«فلا تطمعوا فى غير مقبل، ولاتيأسوا من مدبر، فانّ المدبر عسى أن تنزل به إحدى قائمتيه، وتثبت الاخرى فترجعا حتى تثبتا جميعاً».

قالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام بين قاعدتين كليتين لابدّ من الاهتمام بهما فى الحوادث الصعبة:

الاولى لاينبغى التفاؤل المفرط فى مثل هذه الحالات والاعتماد على شىء لم تتوفر بعد مقدماته.

الثانية: ألاتدعو الهزيمة إلى اليأس والقنوط- فيشبه الإمام عليه السلام ذلك بمن يتحرك فى جادة فتزل احدى قدميه، فيظن الناس أنّه سقط ولاسبيل إلى قيامه ثانية، إلّاأنّه سرعان مايعتمد على قدمه الاخرى فينهض من سقطته ويجد فى الحركة ثانية.

بناءاً على هذا لاينبغى اليأس عند الحوادث الاجتماعية الصعبة والاستسلام لمعاناتها، كما لاينبغى التعلق بالحركات الطائشة.

وذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ سائر الأئمة عليه السلام غير الإمام المهدى عليه السلام هم المرادون بقوله «غير مقبل»، وأنّ قوله عليه السلام لاتطمعوا فى غير مقبل، إشارة إلى الشرائط اللازمة لقيامهم عليه السلام ليست متوفرة، ومدبر إشارة إلى الإمام المهدى عليه السلام فلاينبغى اليأس من ظهوره فى أى زمان.

إلّا أنّ هذا التفسير لاينسجم قط والعبارات فى آخر هذا المقطع من الخطبة؛ لأنّ زلل القدم

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۳۷

والاعتماد على الاخرى لاينطبق عليه عليه السلام إلّابتكلف شديد.

اضافة إلى أنّ التعبير بمقبل ومدبر بصيغة التنكير يدل على أنّ المراد بيان قاعدة كلية، لا الإشارة إلى مصداق شخصيى، وإلّا كان من المناسب تحليتها بالالف واللام.

تأمّلان

۱- أولياء الله

إنّ الخصائص التى ذكرها الإمام عليه السلام بحقه بصورة غير مباشرة فى العبارة المذكورة، هى فى الواقع إشارة إلى الصفات التى ينبغى أن يشتمل عليها كل زعيم ربانى مدير ومدبر:

الأول: لابدّ أن يكون رزينا فى كلامه إلى جانب التريث والتروى قبل المبادرة. كما ورد ذلك فى ماروى عن أميرالمومنين عليه السلام قوله

«لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه».[۴۷۹]

فالعاقل يفكر أولًا ثم يتكلم، أمّا الأحمق فهو يتكلم ثم يفكر.

الثانى: أعماله هى الاخرى رزينة كأقواله، فهو يفكر فى عواقب العمل، فاذا احاط به وعرفه أقدم عليه دون تردد- فقد جاء فى الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته، فان يک خيراً ورشداً فاتبعه، وان يک غياً فاجتنبه»[۴۸۰].

۲- الفشل قنطرة النجاح

هناک من يشعر باليأس لأدنى حادثة صعبة، فيما رس بعض ردود الفعل الساذجة، ومثل هذا اليأس يحول دون القيام بالأنشطة والمواقف المطلوبة مستقبلًا؛ الأنشطة التى قد تحيل النشل نجاحا والهزيمة نصراً. والالتفات إلى أمرين مهمين أوردهما الإمام عليه السلام فى الخطبة من شأنه أنّ يعالج هذه المواقف السلبية.

الأول: إجتناب الاستعجال فى الأعمال والتعويل على مالم تتوفر مقدماته، الثانى: عدم

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۳۸

اليأس من جراء بعض الاخفاقات المرحلية؛ لأنّ الاخفاق يتحول إلى نجاح بالتجارب.

أضف إلى ذلک فانّ الألطاف الإلهية قد تشمل الإنسان وتهمد له كل أسباب النجاح ومقومات النصر. فقد ورد عن أميرالمؤمنين على عليه السلام طبق رواية الشيخ الصدوق فى الامالى أنّه قال

«كن لما لاترجو أرجى منک لما ترجو»

، ثم يوضح ذلک عليه السلام بذكر ثلاثة نماذج رائعة بقوله أنّ موسى بن عمران خرج يلتمس لاهله ناراً فعاد نبياً، كما قدمت ملكة سبأ للقاء نبى الله سليمان عليه السلام فأسلمت وآمنت، كما خرج السحرة يبغون العزة لفرعون فانقلبوا مؤمنين بالله وبموسى عليه السلام.[۴۸۱]

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۳۹

القسم الثانى: هدى آل محمد صلى الله عليه و آله

اشارة

«أَلَا إِنَّ مَثَلَ آل مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللّه عَلَيْهَ وَآلِهِ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّماءِ، إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكامَلَتْ مِنَ اللّه فِيكُمُ الصَّنَائِعُ، وَأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ».

الشرح والتفسير

خاطب الإمام عليه السلام كافة الناس فى آخر الخطبة داعيا اياهم إلى الحركة خلف آل النبى صلى الله عليه و آله بصفتهم الكواكب الزاهرة، وكلما غاب كوكب خلفه آخر

«ألا إنّ مثل آل محمد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء، إذا خوى ۴۸۲] نجم طلع نجم».

ثم قال عليه السلام:

«فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع ۴۸۳]، وأراكم ماكنتم تأملون»،

فقد أشار الإمام عليه السلام بهذه العبارة القصيرة إلى عدّة أمور: منها أنّ آل محمد صلى الله عليه و آله كالنجوم التى قال بشأنها الحكيم فى كتابه الكريم:

«وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ»[۴۸۴]

، كما قال فى موضع آخر:

«وَهُوَ

الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِى ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالبَحْرِ»[۴۸۵]

فالقوافل كانت تهتدى فى الصحارى والبحار فى الليالى الظلماء بنجوم السموات، حيث لم يخترع آنذاك البوصلة، كما لم تكن الطرق معبدة بالشكل الذى هى عليه اليوم.

فالنجاة فى الدنيا والآخرة ونيل السعادة إنّما تتحقق فى ظل هدى آل محمد صلى الله عليه و آله والأمر الآخر أنّ السماء لاتخلو لياليها من النجوم، فاذا غابت نجمة، أشرقت اخرى فى أفقها؛ وهكذا

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۴۰

أهل البيت عليه السلام إذا رحل امام خلفه آخر حتى يقوم آخرهم المهدى عليه السلام فيملأ الدنيا قسطا وعدلا، فالعبارة تفيد اتصال سلسلة الإمامة التى تأبى القطع. بعبارة اخرى فانّ الأرض لاتخلو من حجة الله. والعجيب ما أورده بعض شرّاح نهج البلاغة كابن أبى الحديد حين بلغ العبارة المذكورة اذ قال: وهذا إشارة إلى المهدى الذى يظهر فى آخر الوقت، وعند أصحابنا أنّه غير موجود الان وسيوجد ويملأ الأرض قسطاً وعدلًا.

ولو أمعن هذا القائل فى العبارات التى وردت فى ذيل الخطبة لوقف على خطأه فى ما ذهب إليه؛ ولكن للأسف! فانّ التعصب قد لايسمح أحياناً بان يلتفت الإنسان إلى القرائن الواضحة.

وأخيراً قال الإمام عليه السلام بأنّ اتباع أهل البيت عليه السلام يؤدى إلى نيل كافة الأمانى وبلوغ جميع النعم، وهذا ما يكشف بدوره عن دور أهل البيت فى التكامل الدينى والدنيوى فى كافة الازمنة، وماذهب إليه بعض الشرّاح من أنّه إشارة إلى زمان ظهور الإمام المهدى عليه السلام فهو كلام يفتقر إلى الدليل.

كما يكمن ان يكون المراد بالعبارة هو أنّ الإمام عليه السلام قال: إنّ الله سبحانه وفرّ لكم كل أسباب السعادة ومنها وجود آل محمد صلى الله عليه و آله.

تأمّلان

۱- حديث النجوم

ما أورده الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة شأن آل محمد صلى الله عليه و آله وتشبيههم بنحوم السماء، هو فى الواقع اقتباس من الحديث النبوى المعروف الذى قال فيه صلى الله عليه و آله:

«النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتى أمان لأمتى من الاختلاف».

رواه الحاكم النيشابورى من علماء العامة فى كتاب المستدرك عن ابن عباس وقال:

«هذا حديث صحيح الاسناد»[۴۸۶].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۴۱

كما رواه عدد من محدثى العامة ومنهم الحموينى فى فرائد السمطين وابن حجر فى الصواعق ومحمد بن صبان فى اسعاف الراغبين وغيرهم ۴۸۷] وقد أفرد المرحوم العلّامة المجلسى فى بحث الإمامة من كتابه بحار الانوار عنواناً أسماه:

«إنّهم أمان لأهل الأرض من العذاب»

، وقد نقل فيه عدة أحاديث عن طرق أهل البيت، كما صرح قائلًا: رواه أحمد بن حنبل فى مسنده عن النبى صلى الله عليه و آله.[۴۸۸]

ومن الواضح أنّ تشبيه أهل البيت عليه السلام بالنجوم يدل على ما أورده الإمام عليه السلام فى الخطبة أيضاً بدليل الدلالة الالتزامية، لأنّ طبيعة نجوم السماء بهذه الشاكلة إذا غرب أحدها فى أفق المغرب، طلع الآخر فى أفق المشرق- أضف إلى ذلك فان التعبير بأمتى تفيد أن جميع أمّة النبى صلى الله عليه و آله على طول الزمان يمكنها أن تهتدى بأهل البيت عليه السلام، وبالنتيجة فانه سيكون هناك إماماً على الدوام من اهل البيت عليه السلام فى الامّة.

۲- آخر مراحل تكامل النعم الإلهية

هذه النقطة جديرة بالالتفات أيضاً وهى أنّ تكامل النعم الإلهية فى ظل أهل البيت عليه السلام سيكون فى كل زمان، إلّاأنّ ذروة كما لها ستكون فى عصر ظهر الإمام المهدى عليه السلام أرواحنا فداه.

فقد نقل المرحوم ابن ميثم حديثا فى شرح هذه الخطبة وقال: رأيت حديثا للإمام عليه السلام يمكنه أن يوضح هذه الخطبة:

«يا قوم اعلموا علما يقيناً، إن الذى يستقبل قائمناً من أمر جاهليتكم ليس بدون ما استقبل الرسول من أمر جاهليتكم ... ولعمرى لينزعن عنكم قضاة السوء، وليقبضن عنكم المراضين (المرائين) وليعزلن عنكم أمراء الجور، وليطهرن الأرض من كل غاش، وليعملن فيكم بالعدل، وليقومن فيكم بالقسطاس المستقيم».[۴۸۹]

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۴۳

الخطبة[۴۹۰] المأة وواحد

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

وهى إحدى الخطب المشتملة على الملاحم

نظرة إلى الخطبة

هذه الخطبة كما ينهم من عنوانها تتحدث بصورة رئيسية عن الحوادث القادمة، والأخطار التى تهدد المسلمين، خاصة أهل العراق.

الا ـ أنّها تتناول أمرين قبل ذلك: الأول: حمد الله والثناء عليه والشهادة له بالوحدانية مع ذكر بعض الامور. والثانى: الاعراب عن القلق من بعض من يسمع كلمات الإمام عليه السلام واخباراته على سبيل الشك والترديد.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۴۵

القسم الأول: الشهادة المطلقة

«الْحَمْدُ لِلّهِ الأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ، وَالْآخِرِ، بِعْدَ كُلِّ آخِرٍ، وَبِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَاإِلَهَ إِلّااللّهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الإِعْلَانَ، وَالْقَلْبُ اللِّسَانَ».

الشرح والتفسير

استهل عليه السلام هذه الخطبة كسائر الخطب بحمد الله والثناء عليه والشهادة له بالوحدانية، ثم تطرق إلى ذكر صفات الحق سبحانه:

«الحمد لله الأول قبل كل أول، والآخر بعد كل آخر».

فالإمام عليه السلام انطلق هنا نحو أزلية الله وأبديته سبحانه التى تعد من أهم صفاته وتعود اليها سائر الصفات؛ وذلك لأننا قلنا فى بحث الصفات: أنّ أساس صفاته الجمالية والجلالية عدم تناهى ذاته المقدسة من جميع الجهات، والازلية والأبدية هى بيان آخر لعدم محدودية تلك الذات المقدسة.

ثم خاض عليه السلام فى بيان الدليل أو وضح ذلك بقوله

«وبأوليته وجب أن لا أول له، وبآخريته وجب أن لا آخر له».

فالعبارة تشتمل على نقطة لطيفة وهى أنّ أوليته سبحانه وتعالى ليست أولية زمانية، بل أولية ذاتية وبمعنى الأزلية، ومن الواضح أنّ الذاتى الذى هو أزلى ليس له من أولية زمانية.

وكذلك آخريته هى الآخرى ذاتية، لا زمانية وبمعنى الأبدية، وما كان أبدياً فلاآخر زمانى له.

وقد أورد بعض شرّاح نهج البلاغة احتمالات اخرى فى تفسير هذه العبارة لا تنسجم وسائر عبارات الإمام عليه السلام.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۴۶

ثم شهد لله بالوحدانية والعبودية له على مستوى اللسان والقلب:

«وأشهد أن لا إله إلّا الله شهادة يوافق فيها السر الاعلان، والقلب اللسان».

فالعبارة تفيد ان الشهادة المطلوبة التى تشمل تمام وجود الإنسان والكيان والتى ينسجم فيها الظاهر والباطن والقلب واللسان.

فالأعم الأغلب يشهد بالوحدانية لساناً، بينما يعيش الوثنية والصنمية فى قلبه. وكذلك الكثير ممن يشهد قلباً بهذه الوجدانية، بينما تخالط الشرك أعمالهم وأفعالهم. فهم يسجدون للمال والمقام ويركعون أمام الشهوات؛ بينما قد يرددون صباح مساء على ألسنتهم أو قلوبهم

«لا إله إلّاأنت»

، و نعلم أنّ كل هذا من شعب النفاق، ومثل هؤلاء الأفراد بحق فى زمرة المنافقين.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۴۷

القسم الثانى: الحق ما أقول

«أَيُّهَا النَّاسُ، لَايَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِى، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِى، وَلَا تَتَرَامَوْا بِالأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّى. فَوَ الَّذِى فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّ

الَّذِی أَنَبِّئُکَمْ بِهِ عَنَ النَّبِیِّ الأمِّیِّ صَلَّی اللّهُ عَلَیْهِ وَآلِهِ، مَا کَذَبَ الْمُبَلِّغُ، وَلَا جَهِلَ السَّامِعُ».

الشرح والتفسیر

مهد الإمام علیه السلام فی الواقع بکلامه ما أراد أنّ یورده هنا فی إماطهٔ اللثام عن بعض الحوادث الآتیهٔ هو عین الیقین والحق الذی سمعه من رسول الله صلی الله علیه و آله ولا ـ سبیل إلی مخالفته. وتفید هذه العبارات أن الإمام علیه السلام قد أخبر سابقاً عن بعض الحوادث فانکرها علیه بعض المنافقین أوضعاف الإیمان. فو عظهم علیه السلام بأنّ عدائی ومخالفتکم لی لا تدفعکم إلی مقارفهٔ الذنب، ولاینبغی أن تسوقکم معصیتکم لی إلی اتباع هوی أنفسکم، فاذا سمعتم ما أقول أنکرتم علیَ

«أیّها الناس لا یجرمنکم ۴۹۱] شقاقی ۴۹۲]، ولا یستهو ینکم ۴۹۳] عصیانی، ولا تتراموا بالأبصار،

عند ما تسمعونه منّی».

ومراده علیه السلام أنّ الحقد والحسد والضغینهٔ تسوق الإنسان فی أغلب الأحیان إلی ارتکاب الذنب والمعصیهٔ، فتکون حجاباً علی بصره لتمنعه عن رؤیهٔ الحقائق.

نفحات الولایهٔ، ج۴، ص: ۲۴۸

ثم قال علیه السلام:

«فو الذی فلق ۴۹۴] الحبهٔ وبرأ[۴۹۵] النسمهٔ[۴۹۶] إن الذی أنبئکم به عن النبی الامّی ۴۹۷]

صلی الله علیه وآله، ما کذب المبلغ، ولا جهل السامع»

والعبارهٔ التی صدرت بالقسم لمن ابداعات أمیرالمؤمنین علیه السلام التی ذکرت لمرات فی خطب نهج البلاغهٔ، حیث یشیر إلی نقطهٔ مهمّهٔ وهی أنّ أهم وأعقد مسألهٔ فی نظام عالم الوجود هی مسألهٔ الحیاهٔ؛ سواء فی عالم النباتات أوفی عالم البشریهٔ، ورغم الجهود المضنیهٔ التی بذلها الإنسان فی هذا المجال، مازالت هنالک الأسرار التی تختزنها هذه الحیاهٔ لم تکتشف بعد. وبناءاً علی هذا فانّ الحیاهٔ رائعهٔ الخلق و هو الشیء الذی یربطنا تأمله باللّه و یدل علی أن هذه الظاهرهٔ العجیبهٔ لیست بالشیء الذی انبثق دون علم الله وقدرته، فالاستفادهٔ من هذه الأوصاف حین القسم تجسد مفهوما بارزاً فی الأذهان.

علی کل حال فانّ هدف الإمام علیه السلام طمأنهٔ مخاطبیه إلی أنّ مایقوله بشأن الحوادث المستقبلیهٔ لایستند إلی الحدس والتخمین، ولا ـ من قبیل نبوءات الکهنهٔ، بل هو واقع وحق سمعه من رسول الله صلی الله علیه و آله ولیس الإمام علیه السلام من یخطیء فی إدراک کلام النبی صلی الله علیه و آله. وعلیه فما یقوله هو عین الحقیقهٔ والصواب، واطلاعهم علی هذه الأحداث من سبیله الحد من أخطارها.

فقد ورد فی الخبر حین نزلت الآیهٔ الشریفهٔ:

«وَتَعِیَها أُذُنٌ واعِیَهٌ»[۴۹۸].

قال رسول الله صلی الله علیه و آله لعلی علیه السلام

: «سألت الله تعالی أن یجعلها أذنک یا علی! قال علیه السلام فما نسیت شیئاً بعد ذلک»[۴۹۹].

نفحات الولایهٔ، ج۴، ص: ۲۴۹

القسم الثالث: فتنهٔ ضلیل الشام

اشارهٔ

«لَکَأَنّی أَنْظُرُ إِلَی ضِلِّیلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ بِرَایَاتِهِ فِی ضَوَاحِی کُوفَانَ، فَإِذَا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ، وَاشْتَدَّتْ شَکِیمَتُهُ، وَثَقُلَتْ فِی الأَرْضِ

وَطْأَتُهُ، عَضَّتِ الْفِتْنَةُ أَبْناءَهَا بِأَنْيَابِهَا، وَمَاجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا، وَبَدَا مِنَ الأَيَّامِ كُلُوحُهَا، وَمِنَ اللَّيَالِي كُدُوحُهَا. فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ، وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ، عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَةِ، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَالْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ. هذا، وَكَمْ يَخْرِقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ، وَيُحْصَدُ الْقَائِمُ، وَيُحْطَمُ الْمَحْصُودُ!».

الشرح والتفسير

كشف الإمام عليه السلام فى هذا الكلام- الذى يمثل فى الواقع جوهر الخطبة- النقاب عن الحوادث المستقبلية الخطيرة التى تنتظر أهل العراق، ثم يشرح عليه السلام بعض تفاصيل وجزئيات هذه الحوادث المروعة، بغية أعداد الامّة للحد من أخطارها:

«لكأنّى أنظر إلى ضليل ۵۰۰] قد نعق ۵۰۱]

بالشام، وفحص ۵۰۲] برایاته فى ضواحى كوفان»[۵۰۳].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۵۰

ثم خاض فى توضيح هذه الفاجعة الكبرى

«فاذا فغرت ۵۰۴] فاغرته، واشتدت شكيمته ۵۰۵]

وثقلت فى الأرض وطأته، عضت الفتنة أبناءها بانيابها، وماجت الحرب بامواجها، وبدا من الايام كلوحها[۵۰۶]، ومن الليالى كدوحها[۵۰۷]».

هناك قولان رئيسيان لشرّاح نهج البلاغة فى المراد بالضليل فى عبارة الإمام عليه السلام:

الأول: أن يكون المراد به معاوية الذى أحكم قبضته على العراق بعد شهادة أميرالمومنين على عليه السلام وصلحه مع الإمام الحسن عليه السلام، وقد نفذ كل ماورد فى العبارة عملياً، والثانى: أن يكون المراد به عبدالملك بن مروان الذى سلط ذلك المجرم المعروف الحجاج على الكوفة فسام الناس سوء العذاب وجرعهم أنواع الظلم، ومهما كان فالعبارة إشارة إلى الطغاة من حكام بنى أمية.

والعبارة

: «عضت الفتنة أبناءها بأنيابها»

إشارة إلى أن هذه الفتن ستطيل حتى أولئك الذين يثيرونها! فعادة ماتعصف بهم الاختلافات الداخلية، أو أن يتسلط عليهم أعداؤهم فيذيقونهم أشد العذاب.

ثم قال عليه السلام

: «فاذا أينع زرعه وقام على ينعه ۵۰۸]، وهدرت شقاشقه ۵۰۹]، وبرقت بوارقه،

عقدت رايات الفتن المعضلة، وأقبلن كالليل المظلم، والبحر الملتطم».

فى إشارة إلى أنّ حكومة هؤلاء لن تدوم، كما لن يلتذ هؤلاء الضلال الظلمة بفتنهم، وسرعان ما تحيط بهم رايات المخالفين.

ويمكن أن تكون هذه العبارة إشارة إلى قيام بنى العباس ضد بنى أمية.

ثم اختتم عليه السلام الخطبة بالقول:

«هذا، وكم يخرق الكوفة من قاصف، ويمرعليها من

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۵۱

عاصف، وعن قليل تلتف القرون بالقرون، ويحصد القائم، ويحطم المحصود».

والعجيب أن ما تكهن به الإمام عليه السلام فى هذه العبارات القصار قد وقع سريعاً، فقد طحنت الكوفة بفتن بنى أمية ومن بعدهم بنى العباس؛ لتصبح هذه المنطقة مركزاً المختلف الحوادث العنيفة، وكل من كان له أدنى المام بتاريخ الكوفة يدرك بسهولة عمق كلمات الإمام عليه السلام التى أوردها فى هذه الخطبة.

والعبارة:

«تلتف القرون بالقرون»

إشارة إلى الحروب الطاحنة التى خاضها مختلف الأقوام فى العراق والكوفة، ولاسيما حروب بنى أمية وبنى العباس.

والعبارة:

«يحصد القائم، ويحطم المحصود»

كناية لطيفة عن الاضرار والخسائر التى تلحق بالامّة طيلة هذه الحوادث. فمن كان قائما صرع، و من كان مصروعا تحطم.

أمّا ابن أبى الحديد فقد قال فى شرحه للعبارة:

«يحصد القائم»

كناية عن قتل أمراء بنى أمية فى الحرب و

«يحطم المحصود»

كناية عن قتل المأسورين منهم صبراً، وهكذا وقعت الحال.

والحق أن ماذكره ابن أبى الحديد هو بعض مصاديق المفهوم الواسع للعبارة المذكورة.

تأمّلان

۱- الملاحم

ملاحم جمع ملحمة تعنى فى الأصل الواقعة المهمة المقرونة بالفتنة، وقد طالعتنا أغلب خطب نهج البلاغة فى بعض الموارد التى يتحدث فيها أميرالمومنين على عليه السلام عن الفتن المهمة التى تنتظر الناس، ثم يشرح جزئياتها، ويعلن صراحة أنه سمع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه و آله. ويبدو أن الإمام عليه السلام يهدف شيئين من هذه الأخبار: الأول: حب الإمام عليه السلام للناس الذى يدفعه لاخبارهم بغية تأهبهم واستعدادهم ليحذروا من أخطار هذه الفتن؛ بالضبط كمن يخبر الآخرين قبل وقوع الزلزال أو السيل؛ وان تعذر منعها، إلّاأنّ العلم المسبق يحد من هذه الاخطار، الثانى: افهامهم أنّ التوانى عن الجهاد والضعف والاختلاف إنّما يقود إلى مثل هذه الحوادث، علهم يفيقون إلى أنفسهم فيتوبون وينيبون إلى الله.

وسنبحث نظير هذه الامور فى شرحنا للخطب ۱۲۸ و ۱۳۸ من هذه الكتاب.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۵۲

۲- الكوفة مركز الازمات والعواصف

لاشك أنّ من له أدنى معلومات مختصرة بتأريخ الكوفة، ليعلم أنّ الكوفة من المناطق التى شهدت أقسى الأحداث وأخطرها طيلة التأريخ الإسلامى. بعبارة اخرى فان الكوفة كانت مسرحاً لاحداث دامية، وجرائم وجنايات بشعة مارستها بحقها طغاة بنى أمية وبنى العباس، بما يندى لها جبين البشرية حين يتصفح التاريخ.

هذا وقد أوردنا شرحاً مفصلًا فى الخطبة ۲۵ و ۴۷ من المجلد الثانى والخطبة ۸۷ من المجلد الثالث بشأن الحوادث البشعة التى تعرضت لها الكوفة، ولا نرى من ضرورة لإعادتها.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۵۳

الخطبة[۵۱۰] المأة واثنان

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

تجرى هذا المجرى وفيها ذكر يوم القيامة وأحوال الناس المقبلة

نظرة إلى الخطبة

تتالف هذه الخطبة من قسمين:

القسم الأول: وهو قصير، إشارة إلى الحوادث الصعبة ويوم القيامة، الذى يجمع الله فيه الاولين والاخرين للحساب والثواب والعقاب

القسم الثانى: إشارة إلى الفتن المرعبة التى تهجم على الناس كقطع الليل المظلم فتضيق الخناق على الناس، حتى يهب لها جماعة من المجاهدين. ثم يركز الإمام عليه السلام فى كلامه على البصرة التى ستكون مسرحا لهذه الفتن.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۵۵

القسم الأول: هول المحشر

«وَذلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللهُ فِيهِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لِنِقَاشِ الْحِسَابِ، وَجَزَاءِ الأَعْمَالِ، خُضُوعاً، قِياماً، قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الأَرْضُ، فَأَحْسَنُهُمْ حَالًا مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً، وَلِنَفْسِهِ مُتَّسَعاً».

الشرح والتفسير

كما أوردنا سابقاً أن الإمام عليه السلام أشار فى القسم الأول من الخطبة إلى وضع الناس فى يوم القيامة بعبارات قصار مؤثرة وقد ذكر المميزات المهولة لذلك اليوم.

فقد قال عليه السلام:

«وذلك يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين لنقاش الحساب، وجزاء الاعمال، خضوعاً قياماً».

فالعبارة

«الأولين» و «الآخرين»

تشير إلى حقيقة وهى أنّ القيامة والحساب سيشمل جميع الناس فى يوم واحد، كما ورد ذلك فى القرآن الكريم «وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ القِيامَةِ فَرْداً»[۵۱۱]. وورد فى موضع آخر: «قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ* لَمجْمُوعُونَ إِلى مِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ»[۵۱۲].

والتعبير بالنقاش يفيد الدقة فى الحساب حيث تخضع أصغر الأعمال ذلك اليوم للحساب فيعاقب الإنسان أو يثاب عليه.

والتعبير بالخضوع والقيام إشارة إلى أنّ الناس يوم القيامة كمثل من يحضر فى المحكمة ويمثل بين يدى القاضى العادل، حيث تظهر عليه آثار الخوف والخشية.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۵۶

وقد أشارت بعض الآيات القرآنية إلى هذه المعانى، ومن ذلك الآية الشريفة: «خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ ...»[۵۱۳] والآية «يَوْمَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبِّ العالَمِينَ»[۵۱۴].

ثم قال عليه السلام:

«قد الجمهم العرق، ور جفت ۵۱۵] بهم الأرض».

فهل هذا العرق بسبب حرارة محيط المحشر، أم من شدة الخجل، أم كلاهما؟ وهل رجف الأرض بسبب أعمالهم، أم هكذا هى طبيعة محكمة العدل الإلهى، بحيث ينشغل الجميع بأنفسهم ويعترفوا بكل ما اقترفوا؟

كيفما كان فالاجواء هناك مرعبة مهولة للغاية.

وقد صرحت الآيات والروايات الإسلامية بالعوامل التى تدعو إلى الخوف والخشية فى ذلك اليوم (نسأل الله أن يشملنا جميعاً برحمته وألطافه ويجنبنا هلع ذلك اليوم).

وقد ذهب بعض شرّاح نهج البلاغة- كديدنهم فى سائر الموارد- إلى أن الألفاظ المذكورة كناية عن الامور الباطنية والروحية، والحال ليست هناك آية قرينة تدعو إلى مثل هذا التأويل- ولو فتح الباب لمثل هذه التأويلات بشأن الآيات والرويات وباب التفسير بالرأى وأن يسطر الإنسان كل ما يفهمه من الآية والرواية، أو الاسلوب الذى يعتمده بعض من يتسمى بالانفتاحى والذى يكمن فى القراءات الجديده للآيات والروايات، فمن المسلم به لسوف تزول إصالة المتون الدينية، ولايبقى من شىء للاستدلال بالمسائل العقائدية والعلمية.

ثم أشار عليه السلام فى ختام هذا القسم من الخطبة إلى معضلة اخرى من معضلات القيامة:

«فأحسنهم حالًا من وجد لقدمية موضعاً، ولنفسه متسعاً».

فالعبارة تشير إلى زحام الناس وضيق المكان، حيث يفهم من الروايات أنّ هول المحشر ووحشة حساب الأعمال مسألة عامة تشمل كافة أهل المحشر؛ وذلك لأن خلص عباد الله أيضاً يخشون الحساب! فلهول المحشر عدة عوامل، يكمن أحدها فى ضيق المكان الذى ورد فى هذه العبارة.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۵۷

القسم الثانى: فتنة البصرة

ومنها:

«فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، لَاتَقُومَ لَهَا قَائِمَةٌ، وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً: يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا، وَيَجْهَدُهَا رَاكِبُهَا، أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلَبُهُمْ، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ، يُجَاهِدُهُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ، فِى الأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وَفى السَّماءِ مَعْرُوفُونَ. فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذلِكَ، مِنْ جَيْشٍ مَنْ نِقَمِ اللهِ! لا رَهَجَ لَهُ، وَلاَ حَسَّ، وَسَيُبْتَلَى أَهْلُكِ بِالْمَوتِ الأَحْمَرِ، وَالْجُوعِ الأَغْبَرِ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذا الكلام من الخطبة إلى فتنة اخرى تنتظر أهل العراق ولا سيما البصرة، لعل الامّة تستعد للدفاع وتقلل من خسائرها فى هذه الفتنة، وكذلك تخشى العقاب الإلهى الذى يتمثل أحياناً بظهور الفتن فلا تحيد عن الطريق وتلتزم بدينها. فقد وصف عليه السلام هذه الفتن بأنّها كقطع ۵۱۶] الليل المظلم، والتى لايسع أحد الوقوف برجهها والتغلب عليها

«فتن كقطع

الليل المظلم، لا تقوم لها قائمة، ولا ترد لها راية».

فى إشارة إلى أنّ مثيرى هذه الفتن يردون الميدان بكل قوة واقتدار فيأتون على كل ما يقف فى طريقهم.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۵۸

ثم يواصل الإمام عليه السلام كلامه بتشبيه هذه الفتن بالناقة التى وضع عليها رجلها ويسوقها سائقها بسرعة:

«تأتيكم مزمومة[۵۱۷] مرحولة[۵۱۸] يحفزها[۵۱۹] قائدها، ويجهدها راكبها».

ثم أشار عليه السلام إلى شدة هذه الفتنة وجسامة خسائرها بعد أن شبهها بالناقة المعدة للركوب وقد استسلمت لراكبها بعبارة أخرى

فإن كل شيء جاهز للفتنة بحيث تكون ضربة أصحابها غاية في الشدة و تلفاتها قليلة:

«أهلها قوم شديد كلبهم ۵۲۰] وقليل سلبهم ۵۲۱]».

فالإمام عليه السلام بين خصائص هؤلاء القوم الذين يقتحمون الميدان بكامل العدة والعدد، وسنرى لاحقاً ومن خلال ما ورد في التواريخ من تنطبق عليه هذه الأوصاف.

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى نقطة مهمّة وهي عدم تداوم هذه الفتنة لمدة طويلة، حيث يتصدى لها طائفة من أولياء الله فيهبون للوقوف بوجه أصحاب هذه الفتن (ويقضون عليهم)، ثم وصف هذه الطائفة بأنّها ذليلة لدى المتكبرين، فهي ليست معروفة في الأرض، لكنها معروفة في السماء:

«يجاهدهم في سبيل الله قوم أذلة عند المتكبرين، في الأرض مجهولون، وفي السماء معروفون».

فهذه الطائفة من أولياء الله ذات المقام الرفيع لديه والشديدة في الجهاد في سبيل الله ستخمد نار الفتنة، كما تفقد هذه الطائفة منزلتها لدى المتكبرين بسبب زهدها في الدنيا وبعدها عن التظاهر والرياء، فهي مجهولة في الأرض بين الناس، بينما معروفة لدى ملائكة السماء الخبيرة بباطن هذا العالم.

أمّا من هم هؤلاء القوم الذين أخبر الإمام عليه السلام عن فتنتهم وفجائهم، ومن هم المجاهدون الذين سيتصدون لهم ويخمدوا نيران الفتنة، فيبدوهنالك اختلاف بين شرّاح نهج البلاغة بهذا الشأن.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۵۹

فقد ذهب البعض إلى أنّ المراد بأصحاب الفتن هم أنصار رجل يدعى صاحب الزنج واسمه على بن محمد وقد نسبوه إلى سلالة النبي صلى الله عليه و آله (وإن كان هنالك شك في نسبه) حيث يجمع عددا من الزنوج حوله ومن هنا لقب بصاحب الزنج. فقد نهض في نصف القرن الثالث وأثار فتنة عظيمة أطراف البصرة، ثم قتل على يد المجاهدين بعد ۱۲ سنة من حكومة لتلك المنطقة.

كما فسرها البعض الآخر بفتنة المغول، الذين لم يسيطروا على العراق فحسب، بل سيطروا على أجزاء واسعة من العالم الإسلامي، ثم تصدى لهم المجاهدون المسلمون بعد مدة طويلة وقضوا عليهم. وأخيرا فسرها البعض بحوادث آخر الزمان وتعم الفتنة أغلب العالم الإسلامي فلا تقتصر على العراق، ثم يهب لهم جيش الإمام المهدى عليه السلام فيقضى عليهم.

ولما كان أغلب شرّاح نهج البلاغة يرون هذه الخطبة جزءا من الخطبة ۱۲۸، لذلك نرجح تناول هذا الموضوع بصورة أعمق حين نخوض في شرح تلك الخطبة.

ثم اختتم الإمام عليه السلام خطبته مخاطبا البصرة:

«فويل لك يا بصرة عند ذلك، من جيش من نقم الله! لارهج ۵۲۲] له ولا حس ۵۲۳]، وسيبتلى أهلك بالموت الأحمر، والجوع الأغبر[۵۲۴]».

والعبارة عند ذلك تشير إلى أنّ حادثة البصرة ليست حادثة منفصلة، بل البصرة إحدى مراكز الفتنة التي يتعرض أهلها إلى أشد الضربات والعقوبات.

والعبارة نقم الله تفيد أنّ هذه الفتنة المرعبة جزاء لاعمالهم.

والعبارة لارهج له ولا حس إشارة إلى الاستعداد التام للقوات المهاجمة بحيث تدخل المدينة وفق خطة دقيقة دون أن تثير بعض الاصوات والجلبة فتسلب زمام المبادرة من الطرف الآخر بحيث لايبقى أمامه من مجال للمقاومة.

والعبارة الموت الاحمر إشارة إلى عظم المقتلة التي تقع في البصرة، فقد ورد في تاريخ صاحب الزنج أنّه قتل ثلاثمئة ألف من الناس حين دخل البصرة.[۵۲۵]

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۶۰

والعبارة الجوع الأغبر إشارة إلى القحط الشديد إثر الحروب والاضطرابات بحيث يشحب وجههم.

وقد صرح بعض المؤرخين بأنّ الظروف الصعبة جعلتهم يقتلون بعض الحيوانات من قبيل الكلب والقط والفأر ويأكلونها، كما كانوا أحياناً يأكلون ميتة الإنسان ۵۲۶].

وقد فسّر بعض شرّاح نهج البلاغة الموت الأحمر والجوع الأغبر بالطاعون والوباء والغرق أثر السيول وهجوم أمواج البحر، ولا يبدو مثل هذا التفسير مناسباً.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۶۱

الخطبة[۵۲۷] المأة و ثلاث

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

فى التزهيد فى الدنيا

نظرة إلى الخطبة

يستفاد من تعبيرات المرحوم السيد الرضى (ره) (منها ومنها) أنّه لم يأت بتمام الخطبة هنا، بل اقتطف بعضها كعادته. ويبدو بصورة عامة أنّ لهذه الخطبة عدة أهداف: الأول: الحث على الزهد والتقوى والرغبة عن الدنيا. الثانى التفكر والاعتبار والتبصر فى الامور، ثم التعريف بالعالم الحق وبيان اتباع الحق من اتباع الباطل من خلال ذكر الصفات، ثم اختتام الخطبة ببيان محن المؤمنين فى آخر الزمان ومصير الإسلام فى ظل تلك الشرائط، بغية تأهب المؤمنين والحد من الاضرار على مستوى الإيمان والأخلاق.

والخطبة على العموم ارشاد معنوى ومادى للإنسان يجعله يتغلب على ما يواجهه من مشاكل.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۶۳

القسم الأول: الدنيا الفانية

اشارة

«أَيُّهَا النَّاسُ! انْظُرُوا إلى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا، الصَّادِفِين عَنْهَا؛ فَإِنَّهَا وَاللّهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّاوِىَ السَّاكِنَ، وَتَفْجَعُ الْمُتْرَفَ الآمِنَ؛ لَايَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَدْبَرَ، وَلَا يُدْرى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرَ. سُرورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ، وَجَلَدُ الرِّجَالِ فِيهَا إلَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ، فَلا يَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَآ يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا».

الشرح والتفسير

كما ذكرنا سابقاً فانّ الإمام عليه السلام تطرق فى هذا الكلام من الخطبة إلى مسألة الزهد فى الدنيا الذى يقود إلى كافة الصالحات والفضائل.

فقال عليه السلام:

«أيّها الناس! انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها، الصادفين ۵۲۸] عنها»،

طبعاً لا تعنى هذه العبارة أنّ الإنسان ينبغى أن يترك الدنيا ويعيش الرهبنة فيها، بل الهدف عدم فقدان النفس، وعدم الركون إلى الدنيا والاغترار بها. فقد ثبت بوضوح أنّ التعلق بالدنيا والاغترار بما لها وجاهها ولذاتها يشكل حجاباً على سمع الإنسان وبصره، فيؤدى

به إلى مقارفة الذنب والمعصية.

فقد ورد فى الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قال:

«حب الدنيا رأس كل خطيئة»[۵۲۹].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۶۴

إنّ الذنب هو المادة التى تفضى إلى كافة الحروب والنزاعات والجنايات وسفك الدماء وما إلى ذلك من انحرافات.

ثم تطرق الإمام عليه السلام بعبارات قصيرة لأدلة اثبات تلك الحقيقة فأوجزها فى ستة أدلة:

«فانّها والله عما قليل تزيل الثاوى ۵۳۰] الساكن».

نعم لابدّ لكل إنسان دون استثناء ان يودع يوماً هذا العالم، بعضهم يودع أبكر، والبعض الآخر قليل يتأخر، ولكن لامناص من تذوق هذه المرارة: «كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ المَوْتِ»[۵۳۱].

والفارق بين ثاوى وساكن هو أنّ الثاوى تطلق عن من أقام بصورة مستمرة فى مكان وقد استقر فيه، وقد يكون الساكن كذلك أو لايكون، وبناءاً على هذا فالشباب الذين يعتقدون باستقرارهم لمدة مديدة فى هذه الدنيا معرضون للزوال، وكذلك الكهول يبدو سكنهم مؤقتاً ومحدوداً، فالجميع يسير نحو الفناء والزوال، إلى عالم البقاء والخلود.

ثم قال فى الدليل الثانى أنّ الدنيا تفجع بمصائبها من غرق فى النعم واغتربها:

«وتفجع المترف ۵۳۲] الأمن».

نعم بينما ترى هذا الإنسان غارقاً فى لذاته ونعمه وإذا نقل إليه خبر موت فلان. ويالها من عبرة هذه الوفيات المفاجئة، وما أكثرها فى هذا الزمان. ويالها من عبرة أنّ تراه غارقاً ليلًا فى نعمه وملذاته فيصحوا صباحاً وقد فقد كل شىء.

أمّا الدليل الثالث والرابع فهو أنّ ما يذهب من الدنيا لايعود أبداً، ولا يعلم كيف سيكون المستقبل:

«لايرجع ما تولى منها فأدبر، ولايدرى ما هو آت منها فينتظر».

ويالها من محنة إلّايعثر الإنسان على ضالته قط، كما يفقد الأمل بالمستقبل! فهو فى حسرة دائمة! فلا الشباب يعود إليه، ولا قواه وطاقاته التى ذهبت أدراج الرياح مع تقادم العمر، هذا كله من جانب، ومن جانب آخر فالخوف من المستقبل الغامض الذى يهز كيانه ويؤرق تفكيره ويقض مضجعه.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۶۵

ثم أورد عليه السلام الدليل الخامس والسادس الذى يدعو إلى الزهد فى الدنيا وهو أنّ فرحها مقرون بالحزن وسرورها بالهم وقدرة الرجال وقوتهم إلى الضعف والوهن:

«سرورها مثوب بالحزن وجلد[۵۳۳] الرجال فيها إلى الضعف والوهن».

فمشكلة النعم المادية الدنيوية قد أشار اليها الإمام عليه السلام فى موضع آخر فقال:

«لاتنالون منها نعمة إلّابفراق اخرى [۵۳۴]

، على سبيل المثال فالعقيم يتصدع قلبه بفعل عدم وجود الأولاد؛ إلّا أنّ مشكلته قد تحل بأن يمنح الأولاد، فسرعان ما تهجم عليه سائر المشاكل! ليس له ثروة كافية فيؤرقه ألم الفقر والحاجة، فاذا ما أصاب ثروة، واجهته مشاكل الحسد وخيانة الخونة وطمع اللصوص بثروته، حتى يفقد سكينته واستقراره. نعم فسرور الدنيا مشوب بالهم والغم والحزن، وقوة الإنسان آيلة فيها إلى الوهن، وهكذا يخلص الإمام عليه السلام من هذه الأدلة إلى نتيجة مؤداها:

«فلا يغرنكم كثرة ما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها».

صحيح أنّ الدنيا مليئة بمعانى الزينة والجمال والمظاهر الخلابة، إلّاأنّها وعلاوة على استبطانها للمشاكل والمحن، فهى متقلبة سائرة نحو

الفناء والزوال. وعليه فلا يجدر بالعاقل الاهتمام بها والركون إليها.

على كل حال فانّ أدنى تأمل لهذه الأدلة يكفى لافاقة الغافلين من سباتهم، إلّاأنّ المؤسف هو أنّ أغلب الناس يبخل على نفسه حتى بتلك اللحظة من التأمل.

تأمّل: الزهد فى الدنيا

قد يتصور أحياناً بأنّ مفهوم الزهد هو التخلى التام عن الدنيا، والتقوقع فى زاوية والابتعاد عن المجتمع، والحال لاينسجم هذا المعنى والروح الاجتماعية للإسلام؛ الأمر الذى ورد النهى عنه فى الروايات الإسلامية.

والحق أنّ للزهد معنى آخر وهو ترك التعلق المفرط بالدنيا وعدم الوقوع أسيراً فى قبضة

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۶۶

زخارفها ومفاتنها؛ وبخلافه فانّ الإنسان يسير نحو الذنب والخطيئة ويبيع دينه وآخرته بمتاع الدنيا الفانى وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام بقوله:

«إنّ من أعون الاخلاق على الدين، الزهد فى الدنيا»[۵۳۵].

وقال الإمام الصادق عليه السلام بهذا الخصوص:

«إذا تخلى المؤمن من الدنيا لسما، ووجد حلاوة حب الله»[۵۳۶]

. وورد فى الحديث أنّ علياً عليه السلام رأى جابر بن عبدالله وهو يتنهد فقال:

«يا

جابر علام تنفسك؟ أعلى الدنيا؟»

قال جابر: بلى.

فتطرق الإمام عليه السلام إلى بيان لذات الدنيا وأنّها لا تعدو أن تكون فى المأكل أو المشرب أو اللباس الفاخر، أو اللذة الجنسية أو المركب الهنيئ، ثم شرح ذلك قائلًا: فألذ المأكولات العسل وهو بصق من ذبابة، وأحلى المشروبات الماء؟ وكفى باباحته وسياحته على وجه الأرض، وأعلى الملبوسات الديباج وهو من لعاب دودة، وأعلى المنكوحات النساء وهو مبال فى مبال، ومثال لمثال، وإنّما يراد أحسن ما فى المرأة لأقبح ما فيها، وأعلى المركوبات الخيل وهو قواتل، وأجمل المشمومات المسك وهو دم من سرة دابة، وأجل المسوعات الغناء والترنم وهو إثم، فما هذه صفته لم يتنفس عليه عاقل.

قال جابر بن عبدالله: فو الله ما خطرت الدنيا بعدها على قلبى ۵۳۷].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۶۷

القسم الثانى: سرعة العمر

اشارة

«رَحِمَ اللهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ، فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ، وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ، وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ».

الشرح والتفسير

قال عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة- والذى يعتبر فى الواقع نتيجة لما تقدم-

«رحم الله امرأ تفكر فاعتبر، واعتبر فأبصر».

طبعاً مراد الإمام عليه السلام التفكر فى مصير الدنيا الذى تطرق إليه سابقاً، فانّ مثل هذا التفكير يؤدى إلى الاعتبار واليقظة. ومن الواضح أنّ من يعتبر ويتعظ يتبصر الامور ويقف على بواطن الأشياء بدلًا من ظواهرها، ويفكر فى المقدمات والنتائج فيلتمس سبيل النجاة فى ظل هذا الاعتبار والأبصار. وبعبارة اخرى فانّ الإنسان ليتعرف على سلسلة من الحقائق من خلال تأمل حوادث الماضى والحاضر، فيحتذيها فى مسيره ليميز الحق من الباطل.

فقد ورد فى الحديث أنّ رجلًا سأل الإمام الصادق عليه السلام عن صحة هذا الخبر

«إن تفكر ساعة خير من قيام ليلة»

، فأجاب عليه السلام: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

«تفكر ساعة خير من قيام ليلة».

فسأل الراوى:

«كيف يتفكر؟»

. قال عليه السلام:

«يمر بالدور الخربة، فيقول: أين بانوك؟ أين ساكنوك؟ مالك لا تتكلمين؟»[۵۳۸].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۶۸

ولو كانت له أذن سامعة لسمعها وهى تناديه: لقد ارتحلوا جميعاً بعد أن توسدوا التراب ولم يبق سوى آثارهم.

ثم قال عليه السلام:

«فكأن ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن، وكأن ما هو كائن من الآخرة عما قليل لم يزل».

أى أنّ الدنيا لتمضى بسرعة، والآخرة تأتى بسرعة بحيث يتصور الإنسان أنّه لم تكن هناك من دنيا، والآخرة هى التى كانت موجودة دائماً.

وقد جربنا هذه المسألة فى العديد من حوادث الدنيا؛ فقد نمر أحياناً بدار بعض الاشراف وقد كانت داره تغص بالناس والذهاب والاياب، وإذا بها صامتة هادئة وكأن لم تشهد تلك الضجة.

ثم اختتم عليه السلام خطبته بثلاث عبارات غاية فى الروعة والدقة، فى أنّ ما كان معدوداً (كساعات عمر الإنسان) فهو إلى انقضاء، وما كان منتظرا فهو إلى قدوم ووقوع، وما كان قريباً فهو حاصل:

«وكل معدود منقض، وكل متوقع آت، وكل آت قريب دان».

فالعبارة الاولى إشارة إلى قاعدة كلية فلسفية فى محدودية كل ما دخل تحت العدد، وما كان محدوداً فهو إلى انقضاء، ولما كان عمر الإنسان والدنيا برمتها داخل فى العدد والارقام، فلابدّ من انتظار انقضائه، والعبارات اللاحقة مكملة لذلك؛ لأنّ ما ننتظره سيأتينا يوماً لا محالة، وما يأتينا ليس ببعيد عنا! وعليه فلا ينبغى الاعتقاد ببعد الموت وخلود الحياة، والعمر ليس بباق. و الواقع هو أن هذه العبارات الثلاث بمنزلة الدليل على العبارات السابقة.

تأمّل: فى الاعتبار

مليئة حياة الإنسان فى كل عصر ومصر بالدروس والعبر؛ الدروس التى توقظ القلب وترفع الحجب وتفضح ماهية الحياة الدنيا؛ إلّاأنّ الموسف قلة الاعتبار. فالناس عادة ما تمر مرّ الكرام على الحوادث التى من شأنها اثارة الاعتبار لديهم، كما أنّ تكرارها يدعوهم لاهمالها.

العامل الآخر الذى يقف وراء عدم الاعتبار إنّما يكمن فى حصر مكاره الدهر فى الآخرين،

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۶۹

وكأنا بمعزل عن تلك المكاره وأنا مخلدون فى هذه الدنيا. ولو كانت هناك بصيرة حقا فإن كل شىء فى الأرض يشتمل على عبرة تدعونا للإعتبار.

جاء فى الأخبار أن هارون الرشيد كتب رسالة إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام طلب فيها أن يعظه قائلًا

«عظنى وأوجز»

(طبعا من المستبعد أن يكون مثل هؤلاء الأفراد صادقين وأنّهم يطلبون النصح والوعظ والارشاد؛ لأنّ هذه الامور إنّما تكون عادة جزءاً من مخططاتهم السياسية، ليوحوا للآخرين أنا من اهل الوعظ الذى نسأله من ابن رسول‌اللّه).

فأجابه عليه السلام:

«ما من شىء تراه عينك ألّاوفيه موعظة»[۵۳۹].

نعم فالأرض والسماء والكائنات والاشجار والحوادث وأنين المرضى ومشيب الشعر وانحناء الظهر والمقابر والقصور الخاوية للملوك، كلها تغص بالدروس والعبر فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام اراد أن يقول له لوكان لك عين باصرة لاعتبرت.

فقصور الملوك مملوءة بالعبر، ولكن لايعتبر بها سوى من له آذانا صاغية.

و كفى بالقرآن واعظا بهذا الشأن: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ* وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ* كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ* فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ».[۵۴۰]

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۷۱

القسم الثالث: العلماء والمتشبهون بهم

اشارة

ومنها:

نفحات الولاية ؛ ج۴ ؛ ص۲۷۱

«الْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ، وَكَفَى بِالْمَرءِ جَهْلًا أَلّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ؛ وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى لَعَبْداً وَكَلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ، جَائِراً عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، سَائِراً بَغَيْرِ دَلِيلٍ؛ إِنْ دُعِىَ إِلَى حَرْثِ الدُّنْيَا عَمِلَ، وَإِنْ دُعِىَ إِلَى حَرْثِ الْآخِرَةِ كَسِلَ! كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ؛ وَكَأَنَّ مَا وَنَى فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ!».

الشرح والتفسير

اتجه الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة- والذى يبدو منفصلًا، وان كان له نحو ارتباط بالمقاطع الماضية- صوب التعريف بالعلماء الحق ومن تشبه بالعلماء (العلماء الحقيقيون والعلماء المزيفون) حيث يعرض لصفات كل منهما، فقال عليه السلام:

«العالم من عرف قدره».

ثم أكد هذه العبارة بقوله عليه السلام

«وكفى بالمرء جهلا ألا يعرف قدره».

وقد وردت عدة احتمالات فى تفسير هاتين العبارتين كلها مناسبة، ويمكن جمعها فى مفهوم كلامه عليه السلام.

الأول: أنّ العالم الحقيقى من يعرف قيمته وقدره ازاء عظمة الله سبحانه فى هذا العالم، فيرى أنّه ليس بشىء يذكر بالنسبة لذلك الوجود المطلق، وأنّه تابع له، فيحث الخطى للفوز بقربه، ولعل هذا هو المعنى الذى هدف إليه الحديث:

«من عرف نفسه فقد عرف ربّه»[۵۴۱].

والثانى: أن المراد معرفة القيم والمكانة الواقعية فى المجتمع، وبعبارة اخرى العالم الحقيقى من

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۷۲

يبتعد عن الامال التى لا تستند لأى‌المنطق، ولايتجاوز حدود نفسه، ولايضع نفسه فى موضع ليس له باهل، فلا يعبث بماء وجهه وقدره. على غرار ما ورد فى بعض الروايات:

«رحم الله من عرف قدره، ولم يتجاوز حده»[۵۴۲].

والثالث: أنّ المراد هو أنّ الإنسان موجود قيم له استعدادته العاليه، فلا ينبغى أن يبيع هذه الجوهرة الثمينة برخص ولايزهد فى نفسه وإمكاناته؛ الأمر الذى ورد فى الشعر المنسوب لأمير المومنين على عليه السلام إذ قال:

أتزعم أنك جرم صغيروفيك انطوى العالم الأكبر

وبالنظر إلى إمكانية استعمال اللفظ لأكثر من معنى، حيث يعد ذلك من جمالية الكلام وبدائعه، فلا يبدو من المستبعد الجمع بين هذه الاحتمالات الثلاث فى تفسير الكلام المذكور؛ وإن كانت العبارات القادمة أنسب للمعنى الثانى والثالث.

ثم واصل عليه السلام كلامه بالتعريف بمن تشبه من العلماء من الجهال البعيدين عن الحق والصواب فقال عليه السلام:

«وإن من أبغض الرجال إلى الله تعالى لعبدا وكله الله إلى نفسه، جائراً عن قصد السبيل، سائراً بغير دليل».

طبعا لايسع الإنسان ما لم تحفه عناية الله والطافه ان يتجاوز هذه الموانع والآفات الخطيرة التى تعترض طريقه، فاذا وكلّ إلى نفسه فسوف لن تكون عاقبته سوى المهلكة؛ فهو ينحرف عن الصراط، ويفقد الدليل فيسير على عمى وضلال.

ثم وضح ذلك عليه السلام بالقول أنّه اغتر بالدنيا وخدع بها بحيث لايعمل إلّالها ولا يجهد نفسه إلّا من أجل الحصول على متاعها:

«إن دعى إلى حرث الدنيا عمل، وإن دعى إلى حرث الآخرة كسل».

فهو نشط من أجل الدنيا، كسل من أجل الآخرة، وذلك لضعف ايمانه بالآخرة وعدم اعتقاده بالوعد والوعيد الإلهى. فلم يبصر سوى الدنيا و ينسى الآخرة.

ومن هنا إختتم عليه السلام كلامه بهذا الشأن بالقول:

«كأن ما عمل له وأحب عليه، وكأن ما ونى فيه ساقط عنه»[۵۴۳].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۷۳

والتعبير بالزرع عن الدنيا والآخرة هو اقتباس من الآية الشريفة: «مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَما لَهُ فِى الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ»[۵۴۴].

يمكن للدنيا أن تكون مزرعة الآخرة، كما يمكنها أن تكون مزرعة لنفسها. ويذرها الأعمال الحسنة والسيئة، وأعمالها الحسنة كالحبة التى تنبت سبع سنابل وفى كل سنبلة مأة حبة، أمّا الأعمال السيئة فهى البذور التى تزرع فى الأراضى المالحة: «لا يَخْرُجُ إِلّا نَكِداً»[۵۴۵].

وتشير العبارة الأخيرة ضمنيا إلى أنّ الأعمال الصالحة والطالحة إنّما تفرزها طبيعة الاعتقادات القوية والضعيفة.

تأمّل: العلماء الحقيقيون

أوضح الإمام عليه السلام بجلاء فى هذه الخطبة صفات العلماء، و من تشبه بهم من علماء السوء، فكان فى مقدمتها عدم معرفة قدر

النفس. عـدم معرفـة قـدر النفس ازاء عظمة الله، ولا قدره تجاه المجتمع، ولا قدر نفسه حيال نفسه. ومن لم يعرف قدر نفسه فانّه سـيتيه فى أمواج من الجهـل والبؤس والحيرة والشـقاء، حتى يكله الله إلى نفسه فيضل فى خضم هـذه الحياة؛ فهو لا يرى سوى النعم الماديـة، وعليه فالـدنيا عنده ماء، والآخرة سـراب من الهواء. والحلال والحرام والحق والباطل لديه على حد سواء؛ وهو ينطلق نحو المال والمقام وكأنّها أوجب الواجبات، بينما يتقاعس عن واجباته وكأنّها من المحرمات.

وقد اوردنا شرحاً مفصلًا بهذا الخصوص فى الخطبة السابعة عشر من المجلد الأول، ولا حاجة للتكرار.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۷۵

القسم الرابع: علامات آخر الزمان

اشارة

ومنها:

«وَذلِك زَمَانُ لَايَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَـةٍ، «إِنْ شَـهِدَ لَمْ يُعْرَفْ، وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَـدْ، أُولَئِكَ مَصَابِيـحُ الْهُـدى » وَأَعْلَامُ السُّرَى لَيْسُوا بِالْمَسَابِيحِ، وَلَاالْمَذَابِيعِ الْبُذُرِ، أُولَئِكَ يَفْتَحُ اللهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ.

أَيُّهَـا النَّاسُ، سَـيَأْتى عَلَيْكُمْ زَمَـانٌ يُكْفَـأُ فِيهِ الإِسْـلَامُ، كَمَا يُكْفَأُ الإِنَاءُ بِمَا فِيهِ، أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ قَـدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ، وَلَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيكُمْ، وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: «إِنَّ فى ذلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ»».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذا المقطع الذى يمثل آخر الخطبة إلى الوضع فى آخر الزمان، وبعبارة اخرى الزمان الذى يسوده الشر قبل الإمام المهدى عليه السـلام. فكان عليه السـلام يتطرق إلى خصائص المؤمنين فى ذلك الزمان أحياناً، وأحياناً اخرى إلى وضع الإسلام والأحكام الإسلامية.[۵۴۶]

فقال عليه السلام:

«وذلك زمان لا ينجو فيه إلّاكل مؤمن نومة، إن شهد لم يعرف وإن غاب لم يفتقد».

صحيـح أنّ النومـة من النوم بمعنى الشـخص الكثير النوم؛ إلّاأنّه من الواضح هنا أنّ ذلك كناية عن الفرد المجهول وغير المعروف، ولا سيما أنّ الإمام عليه السلام وضح ذلك بالعبارات القادمة.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۷۶

طبعاً من البـديهى فى الظروف التى يعم فيها الفساد المجتمع، ويكون زعماء المجتمع وقادته من الفسـدة والمنحرفين، ألا يكون الأفراد المؤمنين من الشخصـيات المعروفـة فى المجتمع، لأنّهم سـيكونون فريسـة للجبـابرة الـذين لن يتركوهم وشأنهم أبـداً؛ فأما أن يتسـلموا ويكونوا عوناً لهم، وامّا ان يقاوموا ويمتنعوا وفى هذه الحالة ليس لهم سوى الحديد والنار.

وبناءاً على هـذا يتوجب على الأفراد المؤمنين فى ظل هـذه الظروف أن يختفوا عن الأضواء ويعيشوا بعيداً عن الشـهرة والمعرفة، كى لا يكون هناك من يتعقبهم ويبحث عنهم.

وبـالطبع فـان هـذه المجهوليـة لن تحـط من قـدرهم وتقلـل من مكـانتهم، وأنّهم لن يتخلـوا عن دورهم المعنوى فى المجتمع، ومن هنا وصفهم الإمام عليه السلام بقوله:

«أولئك مصابيح الهدى وأعلام السرى»[۵۴۷].

فهم صامتون خاملون، إلّاأنّهم قدوة للاخرين، فهم مصابيح هدى كتلك العلامات التى تنصب على الطريق لكى لا يضل السائر فيه ليلًا.

ثم قال عليه السلام فى وصف هذه الطائفة من المؤمنين:

«ليسوا بالمساييح، ولا المذاييع البذر».

قال المرحوم السيد الرضى المساييح جمع مسياح وهو الذى إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها، والبذر جمع بذور وهو الذى يكثر سفهه ويلغو منطقه.

وعليه فمعنى العبارة هو أنّ هذه الطائفة من المؤمنين ليست بمفسدة ولا مثيرة للفتنة وليست سفيهة تشيع الفاحشة.

ثم قال:

«أولئك يفتح الله لهم أبواب رحمته، ويكشف عنهم ضراء نقمته»

. فالعبارة تفيد أنّ الله سبحانه وتعالى لم يسلب الطائفة المؤمنة الحقة عنصر هدايتها فى تلك الظروف العصيبة، وهو حافظهم من شر الظلمة ومكاره ذلك الزمان وحوادثه.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بنبوءة صريحة وتوضيح أكثر لذلك الزمان، فقال عليه السلام:

«أيها الناس! سيأتى عليكم زماناً يكفا[۵۴۸] فيه الإسلام، كما يكفأ الاناء بما فيه».

فالعبارة

«يكفأ فيه الإسلام»

كناية لطيفة عن انقلاب كافة المفاهيم الإسلامية رأساً على

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۷۷

عقب وذهاب حقيقتها وجوهرها، لأنّها شبهت الإسلام بالاناء الذى وضعت فيه المعارف والقوانين والأحكام والأخلاق الإسلامية، وكما يضيع كل الماء إذا قلب الاناء، فكذلك الإسلام فى ذلك الزمان يضيع كل محتواه، ولايبقى منه سوى القشور.

ويبدو أنّ عصرنا يشهد مثل هذه العلامات حيث يكتفى أغلب المسلمين بذكر اسم الإسلام فقط، دون أن يكون هناك أى أثر للأخلاق أو انفتاح على السنة النبوية؛ فليس هناك سوى الشهوات والمال والمقام واللذة المادية والشهوات الحيوانية.

ولا ـ شك أنّ احد عوامل البؤس والشقاء هو التفسير بالرأى والقراءات الكاذبة والمنحرفة للإسلام، حيث يقوم بعض الأفراد خداعاً لأنفسهم وللأخرين بتقديم بعض التفاسير المشبوهة للحقائق الإسلامية المسلمة انسجاماً مع أهوائهم وأفكارهم؛ الأمر الذى يجعل الإسلام العوبة بيدهم يفعلون به ما يشاؤون.

فقد ورد فى الحديث أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قال لعلى عليه السلام:

«يستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة، والأهواء الساهية»[۵۴۹].

ثم اختتم الإمام عليه السلام كلامه بالاجابة على سؤال مقدر وهو: لم يبتلى الله المسلمين بهذه الحوادث والاضطرابات؟ فقال عليه السلام:

«أيها الناس إنّ الله قد أعاذكم من أن يجور عليكم، ولم يعذكم من أن يبتليكم، وقد قال جل من قائل إن فى ذلك لآيات وإن كنّا لمبتلين»[۵۵۰].

فى إشارة إلى أنّ مثل هذه الحوادث اختبار للناس وامتحان لهم، ولابدّ أن يخوض عامة الناس- بما فيهم الأنبياء وسائر الأفراد- هذا الامتحان الإلهى! الامتحان الذى قد ينطوى أحياناً على بعد فردى، وأحياناً جماعى؛ كما ورد فى العبارة المذكورة من شمول الجميع بالامتحان، لتمييز الصادق من الكاذب والمؤمن من المنافق.

كلام السيد الرضى (ره)

قال السيّد الشرّيف الرّضى: أَمَّا قَوْلُهُ عليه السلام:

«كُلَّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ»

فَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ الْخَامِلَ الذِّكْرِ، الْقَلِيلَ الشَّرِّ.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۷۸

وَ «الْمَسَايِيحُ» جَمْعُ «مِسْيَاحٍ» وَهُوَ الَّذِى يَسِيحُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْفِسادِ وَالنَّمَائِم. وَ «الْمَذَايِيعُ» جَمْعُ «مِذْيَاعٍ» وَهُوَ الَّذِى إِذَا سَمِعَ لِغَيْرِهِ بِفَاحِشَةٍ أَذَاعَهَا، وَنَوَّهَ بِهَا. وَ «الْبُذُرُ» جَمْعُ «بَذُورٍ» وهُوَ الَّذِى يَكْثُرُ سَفَهُهُ وَيَلْغُو مَنْطِقُهُ.

تأمّل: الفساد فى آخر الزمان

وردت عدة روايات التى تذم آخر الزمان، حيث فسر آخر الزمان عادة بالزمان القريب من ظهور الإمام المهدى عليه السلام: والواقع هو كثرة الفساد الذى يجتاح العالم بأسره:

«كما ملئت ظلما وجورا»

فيعد القلوب الواهة إلى تقبل وجوده عليه السلام بصفته مظهر العدل والصلاح.

هذا ومن جملة العوامل التى تؤدى إلى سعة حجم الفساد فى آخر الزمان ما يلى:

۱- الابتعاد عن تعاليم الأنبياء وارشادات الاوصياء عليهم السلام.

۲- إزدياد وسائل الفساد والشهوات.

۳- اتساع حجم الوسائل الدعائية التى تقوم بنشر الفساد إلى مختلف الأماكن لمجرّد حصوله فى زاوية من الأرض.

۴- إزدياد الشبهات فى المبانى الدينية والأخلاقية من خلال التفسير بالرأى والقراءات المختلفة للمعارف والمفاهيم الدينية.

۵- تسلط حكام الجور والفساد الذين لايهمون سوى بتحقيق منافعهم المادية، إلى جانب بذلهم الجهود الحثيثة من أجل افساد الناس ولا سيما الشباب من اجل الوصول إلى اهدافهم الخبيثة.

حقاً أنّ التدين لصعب فى مثل هذه العصور والأزمنة، بل الواقع هو أنّ هذا العصر من أصعب العصور اختباراً وامتحاناً. ولا يمكن للصالحين إجتياز هذا الامتحان العسير إلّامن خلال الاستغاثة بالله ليشملهم بلطفه وعنايته.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۷۹

الخطبة[۵۵۱] المأة واربع

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

نظرة إلى الخطبة

أشار الإمام عليه السلام فى القسم الأول من هذه الخطبة إلى قيام النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى وسط جاهلية العرب وجهوده المضنية فى سبيل هداية الامّة.

وأشار فى القسم الآخر من الخطبة إلى سعى بعض المنحرفين لاحياء تقاليد الجاهلية: ثم قال عليه السلام أنى سأواصل طريق رسول الله صلى الله عليه و آله ولأبقرن الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته، لتعلم الامّة كيف تنهض بتكاليفها وتتعامل معه، وتتاهب لمحاربة أعراف الجاهلية.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۸۱

القسم الأول: النهضة التغييرية للنبى عليه السلام

اشارة

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، وَآلِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَلَا يَدَّعى نُبُوَّةً وَلَا وَحْياً، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ، يَسُوقُهُم إِلَى مَنْجَاتِهِمْ؛ وَيُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ، يَحْسِرُ الْحَسِيرُ، وَيَقِفُ الْكَسِيرُ، فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ، إِلَّا هَالِكاً لَاخَيْرَ فِيهِ، حَتَّى أَرَاهُمْ مَنْجاتَهُمْ وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ، وَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ».

الشرح والتفسير

استهل الإمام عليه السلام الخطبة- بعد الحمد والثناء الذى لم يذكر فى العبارة- بالحديث عن بعثة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى ذلك الوسط الجاهلى فقال عليه السلام:

«أمّا بعد، فان الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه و آله وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً، ولا يدعى نبوة ولا وحياً».

فالعبارة إشارة إلى الأغلبية الساحقة من العرب آنذاك التى كانت تعبد الأوثان والأصنام وقد تناست دعوة الأنبياء السابقين. وبناءاً على هذا فليس هناك من منافاة بين هذا الحكم العام الناظر للأغلبية العظمى ووجود الأقليات الدينية آنذاك كاليهود والنصارى أضف إلى ذلك فانّ الأقلية اليهودية كانت مهاجرة أتت إلى الحجاز من الشام، كما قدمت الأقلية النصرانية من اليمن، فهما لا تنتميان إلى العرب. كما يحتمل أن يكون المراد بالكتاب، الكتاب السماوى غير المحرف، الذى لم يكن موجودا آنذاك. أمّا ما قيل من أنّ المراد بالكتاب هنا هو القراءة والكتابة فيبدو بعيداً، لا سيما أنّ العبارة القادمة على الخلاف من ذلك.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۸۲

أضف إلى ذلك فقد كا هناك من يحسن القراءة والكتابة آنذاك.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بتقسيم الناس ازاء الدعوة الإسلامية إلى ثلاث طوائف: الطائفة التى تقبلت الإسلام بكل كيانها، واخرى التى استجابت بعد جهود، والثالثة التى اعتمدت التعصب واللجاجة فوقفت بقوة بوجه الدعوة، فلم تتعاطف معها أبدا، وقد قضى عليها.

فقال عليه السلام بشأن الطائفة الاولى:

«فقاتل بمن أطاعه من عصاه، يسوقهم إلى منجاتهم، ويبادر بهم الساعة أن تنزل بهم».

والمراد بالساعة فى هذه العبارة القيامة الصغرى يعنى الموت، لا القيامة الكبرى التى تقوم بعد نهاية العالم.

وقال بشأن الطائفة الثانية:

«يحسر الحسير[۵۵۲]، ويقف الكسير، فيقيم علمه حتى يلحقه

غايته».

ثم أشار إلى الطائفة الثالثة وهى الطائفة الضالة التى لايؤمل هدايتها:

«إلّا هالكاً لا خير فيه».

فما ورد فى الحديث الشريف هو عين ماورد فى عبارة أميرالمؤمنين عليه السلام، ثم عاد عليه السلام إلى أصل المطلب:

«حتى أراهم منجاتهم وبوأهم محلتهم، فاستدارت رحاهم ۵۵۳]، واستقامت

قناتهم ۵۵۴]».

تأمّلان

۱- هل بعث نبى من العرب؟

تضمنت بداية الخطبة إشارة إلى عدم قيام نبى من العرب؛ وهذا فى الواقع اقتباس من الآية الشريفة:

«لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ».[۵۵۵]

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۸۳

وهنا يمكن أن يطرح هذا السؤال: إنّ القرآن صرّح فى موضع آخر قائلًا:

«وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلّا خَلا فِيها نَذِيرٌ»[۵۵۶].

أضف إلى ذلك فانّ قاعدة اللطف تقتضى أن يكون لكل أمّة رسول مبعوث من الله.

ونقول فى الجواب: أنّ المراد بالآية وما ورد فى الخطبة كبار أنبياء الله الذين ذاع صيتهم فى الارجاء، وإلّا فليس هناك من زمان ليس لله فيه من حجة بين الناس. ومن هنا يصطلح بالفترة على الفاصلة الواقعة بين بعث السيد المسيح عليه السلام والنبى صلى الله عليه و آله؛ والحال كان هناك أوصياء المسيح عليه السلام من بعده.

أضف إلى ذلك لم يدع أحد من العرب فى زمان بعثة النبى صلى الله عليه و آله- المراد بهذه الخطبة- النبوة والاتصال بالوحى والإتيان بكتاب سماوى.

۲- القوة فى الدين

يستفاد من عبارات الإمام عليه السلام الواردة فى هذه الخطبة أنّ ظهور الإسلام لم يقتصر على اصلاح دين الناس فقط، بل حل إلى جانب ذلك الكثير من مشاكلهم الدنيوية.

وهكذا تبلورت أمة قوية وحكومة مقتدرة فى ظل الدين الجديد، تمكنت من إدارة شؤون الامّة وزعامتها لسنوات طويلة؛ ولعل هذه الحكومة كانت ستخلد لو لم تنحرف عن المسار الإسلامى الصحيح. اضافة إلى ذلك نهضت الحضارة وتطورت الثقافة لتشهد اتساعاً ورقياً فى ظل التعليمات الإسلامية، حتى كانت صفحة جديدة فى فصل التأريخ البشرى.

كل هذه أدلة على أن اتباع التعاليم الإسلامية إنّما يؤدى إلى ضمان سلامة دين الإنسان وعمارة دنياه.

والعبارات الاربع الواردة فى الخطبة شاهد على هذا الادعاء، فقد قال عليه السلام: حتى أراهم منجاتهم، وبوأهم محلتهم، فاستدارت رحاهم، واستقامت قناتهم. لتصف بمجموعها سعادتهم المعنوية والمادية.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۸۵

القسم الثانى: بقر الباطل واخراج الحق

«وَايمُ اللّهِ، لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا، وَاسْتَوْسَقَتْ فِي قِيَادِهَا؛ مَا ضَعُفْتُ، وَلَا جَبُنْتُ، وَلَا خُنْتُ، وَلَا وَهَنْتُ وَايْمُ اللّهِ، لَأَبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ!».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام هنا إلى دوره فى انتشار الدعوة الإسلامية ودحر عسكر الكفر فقال عليه السلام:

«وايم الله، لقد كنت من ساقتها حتى تولت بحذافيرها[۵۵۷]، واستوسقت قيادها»[۵۵۸].

ساقه جمع سائق. وقد كان سائداً فى السابق أن يتقدم حركة الركب أو القافلة شخص يسمى القائد، ويقال عن خلفه السائق.

وهكذا كان الأمر بالنسبة للجيوش فقد كان القادة فى مقدمة الجيش و الأمراء خلفه.

فالإمام عليه السلام يشير إلى أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله كان القائد للجيش وهو بمنزلة السائق، كما ورد السائق أحياناً بمعنى القائد. أضف إلى ذلك فان ساقة الجيش وردت بمعنى القسم الخلفى منه و فى هذه الحالة لاتكون جمع سائق.

على كان حال فانّ العبارة تكشف عن دور الإمام عليه السلام فى زعامة جيش الإسلام وهزيمة جيش الكفر.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۸۶

ثم قال عليه السلام:

«ما ضعفت، ولا جبنت، ولا خنت، ولا وهنت»

فالواقع هو أنّ الهزيمة إنّما يفرزها أحد هذه العناصر الأربعة: الضعف الخوف، الخيانة والوهن.

والفارق بين الضعف والوهن هو أنّ الضعف يعنى العجز وعدم وجود القدرة، بينما هناك قدرة فى الوهن، غير أنّ هناك مسامحة فى الاستعمال. وعليه فلا يمكن العثور على أى من هذه العناصر فى شخص الإمام عليه السلام، ومن هنا كان منتصراً على الدوام.

ثم اختتم الخطبة بالقول:

«وايم الله، لأبقرن الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته».

فالعبارة تفيد وجود الحق فى الدنيا دائماً، وإن غطاه الباطل وعليه فبقر الباطل وطرح حجابه يظهر منه الحق. و هى نقطة رائعة أشار إليها الإمام عليه السلام بكلامه.

كلام السيد الرضى:

قال السيّد الشرّيف الرّضى: وَقَدْ تَقَدَّمَ مُخْتَارُ هذِهِ الْخُطْبَةِ، إِلَّا أَنِّى وَجَدْتُهَا فِى هذِهِ الرِّوايَةِ عَلَى خِلَافِ مَا سَبَقَ مِنْ زِيَادَةٍ وَنُقْصَانٍ، فَأَوْجَبَتِ الْحَالُ إِثْبَاتَهَا ثَانِيَةً. (و هذا يكشف بدوره عن مدى دقة السيد الرضى (ره) فى ذكر الخطب حيث لم يهمل حتى إختلاف الروايات).

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۸۷

الخطبة[۵۵۹] المأة و خمس

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

فى بعض صفات الرسول الكريم صلى الله عليه و آله وتهديد بنى أمية وعظة الناس

نظرة إلى الخطبة

يتضح من عنوان الخطبة أنّها تشتمل على ثلاثة أقسام:

القسم الأول فى ذكر بعض صفات الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله ويصرح الإمام عليه السلام فيه بأنّ الرسول صلى الله عليه و آله خير الخليقة طفلًا وأعظمها كهلًا. حيث هدف الإمام عليه السلام فى الواقع إلى لفت إنتباه الناس إلى أهمية موروث النبى صلى الله عليه و آله و حفظ القرآن و الإسلام.

القسم الثانى يذم فيه بنى أمية و يلفت إنتباههم إلى الدنيا التى أقبلت عليهم، ويحذرهم من غضب الله لما سفكوه من دماء بريئة،

مؤكداً على أنّ هذه الخلافة ستؤول قريبا إلى الاعداء.

القسم الثالث فى وعظ الناس ونصيحتهم بعدم الاستجابة للاهواء، والسعى لتحصيل العلم وعدم ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۸۹

القسم الأول: صفات النبى صلى الله عليه و آله

«حَتَّى بَعَثَ اللّهُ مُحَمَداً صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ، شَهِيداً وبَشيراً، وَنَذيراً، خَيرَ الْبَرِيَّةِ طَفْلًا، وَأَنْجَبَها كَهْلًا، وأَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً، وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى القسم الأول من هذه الخطبة إلى النعمة الوفيرة بظهور نبى الإسلام صلى الله عليه و آله وقد أثنى على سبع من صفاته البارزة، فقال عليه السلام: (أن الناس كانوا فى هالة من الضلال) حتى بعث الله سبحانه محمداً صلى الله عليه و آله شهيدا على أعمالهم وبشيراً (بالثواب الإلهى على الأعمال الصالحة) ونذيراً (بين يدى عذاب شديد على السيئات) وقد كان خير الخلق طفلًا وانجبهم كهلًا، أخلاقه تفوق أخلاق الجميع، وكرمه وسخاؤه ليس له من مثيل

«حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه و آله لشهيداً وبشيراً ونذيراً، خير البرية طفلًا، وانجبها كهلًا[۵۶۰]، وأطهر المطهرين شيمة[۵۶۱]، وأجود المستمطرين ديمة»[۵۶۲].

فصفة الشهيد إشارة لما ورد فى الآية الشريفة:

«وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى هؤُلاءِ»[۵۶۳]

. وصفة البشير والنذير إشارة لما وردت كراراً فى الآيات القرآنية كالآية

«إِنّا أَرْسَلْناكَ بِالحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً»[۵۶۴].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۹۰

ثم تحدث الإمام عليه السلام عن طفولته صلى الله عليه و آله حيث كان متميزاً فيها. حيث ورد فى مناقب ابن شهر آشوب عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه و آله كان يخالط الأطفال دون أن يأتى ببعض أعمالهم التى تستند إلى الجهل. كما ورد عن أبى طالب قوله: لم أعهد فيه كذبة ولم يتخلق بأخلاق الجاهلية، و لم يضحك عبثا. كما يروى أن عبدالمطلب كان يفرش فى ظل الكعبة ولم يجلس على فرشه أحد حتى يخرج سوى رسول اللّه صلى الله عليه و آله و حين يحاول أعمامه إبعاده كان يرد عليهم عبدالمطلب: دعوه، فواللّه إن له لشأنا عظيما.[۵۶۵]

و قد أنشد ابوطالب فى خلقه هذين البيتين:

ولقد عهدتك صادقافى القول لا تتزيد

ما زلت تنطق بالصواب و أنت طغل أمرد[۵۶۶]

و العجيب ما روى أنه كان يكتفى بالثدى الأيمن من مرضعته حليمة السعدية و كأنه كان حريصا على العدل ليترك الثدى الايسر لولد حليمة.[۵۶۷]

ثم أشار عليه السلام إلى نجابة النبى صلى الله عليه و آله وكرامته فى الكهولة؛ الأمر الذى يشهد به التأريخ، كما لايخفى على أحد.

أماتواضعه ورأفته وفطنته وعفوه وصفحه فقد دوت فى أرجاء كافة المعمورة وهى أشهر من نار على علم. كان يهب كل مالديه

للآخرين ويجود بالعطاء.

كان أسخى الجميع بحيث لم يبق عنده دينار أو درهم، وان زاد لديه شيء لم تكن تغمض عينيه دون أن يوصله إلى المحتاجين.

كان يكرم الفضلاء، و يجهد فى صلة الأرحام، وكان يقبل العذر ويصفح عن المسيىء.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۹۱

القسم الثانى: زوال حكومة بنى أمية

«فَمَا احْلَوْلَتْ لَكُمُ الدُّنْيا فِي لَذَّتِهَا، وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ أَخْلَافِهَا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلًا خِطَامُهَا، قَلِقاً وَضِينُهَا، قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ، وَحَلَالُهَا بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُودٍ، وَصَادَفْتُمُوهَا، وَاللّهِ، ظِلّاً مَمْدُوداً إِلى أَجَلٍ مَعْدُودٍ. فَالأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ. وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ؛ وَأَيْدِى الْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ، وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مَسَلَّطَةٌ، وَسُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ. أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِراً، وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِباً وَإِنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فى حَقِّ نَفْسِهِ، وَهُوَ اللّهُ الَّذِى لَايُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ، وَلَا يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ. فَأُقْسِمُ بِاللّهِ، يَا بَنى أُمَيَّةَ، عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِى غَيْرِكُمْ وَفِى دَارِ عَدُوِّكُمْ! أَلَا إِنَّ أَبْصَرَ الأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفُهُ! أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكِيرَ وَقَبِلَهُ!».

الشرح والتفسير

صرح أغلب شرّاح نهج البلاغة بأنّ هذا المقطع من الخطبة- والذى يبدو أنّ هناك حذف بينه وبين القسم الأول، جريا على عادة السيد الرضى فى اقتطاف بعض كلمات الإمام عليه السلام- فى بنى أمية، والشاهد على ذلك أن اسمهم ورد صراحة فى أواخر هذا القسم، بينما يرى جمع من شرّاح نهج البلاغة أنّ المخاطب هو من تبقى من الصحابة والتابعين، وذيلها فى بنى أمية، والعبارات التى استهل بها هذا القسم إنّما تؤيد المعنى الثانى؛ لأنّ هذه العبارات تبين أن الإمام عليه السلام إنّما عاتب أفرادا لم يكن يتوقع منهم الانحراف عن جادة الحق، ونعلم أنّ بنى أمية

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۹۲

طائفة ظالمة طيلة التاريخ معروفة بانحرافها عن الإسلام. على كل حال قال الإمام عليه السلام:

«فما احلولت [۵۶۸] لكم الدنيا فى لذتها، ولا تمكنتم من رضاع اخلافها[۵۶۹] إلّامن بعد ما صادقتموها

جائلا[۵۷۰] خطامها،[۵۷۱] قلقا[۵۷۲] وضينها[۵۷۳]».

المراد أنّكم تكالبتم على لذات الدنيا وزخارفها فى عهد عثمان وبعد الفتوحات الإسلامية والتطاول على بيت المال، وهذا ماجعلكم تبتعدون عن الله، فقد انهمك الحكام بجمع الثروات، بينما انشغلت الامّة بدنياها ولذاتها.

ومن هنا قال عليه السلام أنّ حرام الدنيا أصبح سهلًا يسيراً كالسدر الخالى من الشوك، بينما أصبح الحلال بعيداً غائباً:

«قد صار حرامها عند أقوام بمنزلة السدر المخضود، وحلالها بعيداً غير موجود»

، فقد انهال البعض على بيت المال فنهب ماشاء، ثم اتسعت هذه الأموال الحرام بين الناس.

العبارة

«السدر المخضود»

إشارة إلى أن نهى الله وتحريمه كالشوك تجاه لذات الدنيا المحظورة، أمّا الأفراد من عديمى الورع والتقوى فهم لايكترثون للنواهى الإلهية، والحرام عندهم كالسدر المخضود، وقد صرح ارباب اللغة أنّ شجرة السدر أنواع، لبعضها ثمار شديدة الحلاوة فواحة العطر تفيض رائحته على يد الإنسان وثيابه إذا ما تناول منه.[۵۷۴]

نعم فاصحاب الدنيا يبتلعون الأموال الحرام وكأنّها ثمار لذيذة كالسدر المنضد الذى قطع شوكه، ولا يلتفتون إلى أوامر الله ونواهيه،

وبالطبع فانّ الحرام إنّما ينتشرويعم مثل هذا الوسط فلا يبقى للحلال من مكان.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۹۳

ثم قال عليه السلام:

«وصاد فتموها والله، ظلًا ممدوداً إلى أجل معدود، فالأرض لكم شاغرة[۵۷۵]،

وأيديكم فيها مبسوطة؛ وأيدى القادة عنكم مكفوفة، وسيوفكم عليهم مسلطة، وسيوفهم عنكم مقبوضة».

فهذه العبارات تبيّن أنّ الكلام هنا بخصوص فريق من المؤمنين من بقية الصحابة والتابعين الذين لم يتمالكوا أنفسهم حين الاختبار الإلهى، فيميلون حيثما مالت الريح.

فقد شغلتهم الدنيا وغرتهم بزينتها وزخرفها وبالطبع قد حصل هذا فى وقت لم يسع الإمام عليه السلام حتى فى زمان حكومته أن يصدهم عنه؛ وذلك لأنّهم غرقوا فى هذه الدنيا على عهد عثمان بالشكل الذى لم يبق معه من أمل لانقاذهم بسهولة.

ثم هددهم عليه السلام ليعلموا أن المسألة ليست بهذه السهولة وهناك الحساب الذى ينتظرهم، محذرهم قائلًا: اعلموا أنّ لكل دم شائراً، ولكل حق طالباً:

«ألا وإن لكل دم ثائراً،[۵۷۶] ولكل حق

طالباً، وإن الثائر فى دمائنا كالحاكم فى حق نفسه، وهو الله الذى لايعجزه من طلب، ولا يفوته من هرب».

فاذا تأخر العذاب والانتقام الإلهى عن بعض العصاة المردة الذين يجاهرون بجناياتهم، فهذا لايعنى نسيان هذه الأعمال الشائنة، أو قدرة هؤلاء الجناة على الفرار من مخالب العدل الإلهى.

والعبارة

«إن الثائر فى دمائنا ...»

تعنى أنّ الثائر لدمائنا أهل البيت والتى تسفك بغير حق هو الله سبحانه وتعالى فهى تسفك فى سبيل الله ومن أجل إعلاء كلمته، فلا تشتمل هذه الدماء على جانب شخصى أو قبلى، وقطعاً أن مثل هذا الثائر لايعجزه شىء، ولايفوته شىء وهو بالمرصاد.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۹۴

ثم حذر بنى أمية قائلًا:

«فاقسم بالله، يا بنى أمية، عما قليل لتعرفنها فى أيدى غيركم وفى دار عدوكم».

إيّاكم والظن بأنّكم أن سفكتم دماء الأبرياء ولم ترحموا صغيراً وتوقروا كبيراً، ورسختم دعائم حكومتكم على الظلم والعدوان ونهب الأموال وقتل الناس، فانّ هذه الحكومة دائمة لكم! فسرعان ما ينهض لكم الأعداء ويسددوا لكم ضرباتهم الماحقة حتى يطيحوا بحكومتكم ويقضوا عليكم، بل سوف لن يرحموا حتى موتاكم، فسيخرجونهم من قبورهم ويحرقون أجسادهم.

ويشير التأريخ إلى تحقق كل ما أخبر به الإمام عليه السلام، وقد مر شرح ذلك فى الخطبة ۸۷.[۵۷۷]

ثم إختتم الكلام بقوله عليه السلام:

«ألا إنّ أبصر الأبصار ما نفذ فى الخبر طرفه! ألا إنّ أسمع الاسماع ما وعى التذكير وقبله».

أى إن كان لكم بصر وسمع مفتوح، لم تعد عليكم من صعوبة فى الظفر بسبيل الخير والسعادة، غير أنّه لمن المؤسف أن أهوائكم النفسية وطغيانكم قد غطى أبصاركم وأسماعكم بالحجب، بحيث لايسعكم رؤية الحق ولاسماع المواعظ.

جدير ذكره سئل بعض شيوخ بنى أمية عقيب زوال الملك عنهم:

ما كان سبب زوال ملككم؟ فقال: جار عمالنا على رعيتنا، فتمنوا الراحة منا، وتحومل على أهل خراجنا فجلوا عنا، وخربت ضياعنا فخلت بيوت أموالنا، ووثقنا بوزرائنا فآثروا مرافقهم على منافعنا، وأمضوا أموراً دوننا، أخفوا علمها عنا، وتأخر عطاء جندنا فزالت

طاعتهم عنا، واستدعاهم عدونا فظافروه على حربنا، وطلبنا أعداءنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا، وكان استتار الأخبار عنّا من أوكد أسباب زوال ملكنا.[۵۷۸]

ونرى هنا يوضوح عمق ما أخبر به الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۹۵

القسم الثالث: التمسك بالإمام

«أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ، وَامْتَاحُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدَرِ.

عِبَادَ اللّهِ، لَاتَرْكَنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ، وَلَا تَنْقَادُوا لِاهْوَائِكُمْ، فَإِنَّ النَّازِلَ بِهذَا الْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفٍ هَارٍ، يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْىٍ؛ يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لَايَلْتَصِقُ، وَيُقَرِّبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ! فَا للّهَ اللّهَ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لَايُشْكِى شَجْوَكُمْ، وَلَا يَنْقُضُ بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أَبْرَمَ لَكُمْ».

الشرح والتفسير

خاض الإمام عليه السلام هنا فى نصح الناس ووعظهم فقال فى البداية لإعداد أنفسهم:

«أيّها الناس، استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متعظ، وامتاحوا[۵۷۹] من صفو عين قد روقت ۵۸۰]

من الكدر».

كما أنّ الاشارات الضوئية تنير للإنسان طريقه إذا مشى ليلًا فى الظلام وتقيه الوقوع فى المطبات أو أن يضل الطريق، فانّ نصائح الواعظ المتعظ تصون الإنسان فى مسيرته وسلو كه المعنوى والفكرى والأخلاقى من الانحرافات العقائدية، وكما أنّ الماء الزلال والخالى من الكدر هو مادة حياة جسم الإنسان وسائر الكائنات الحية؛ كذلك نصائح دعاة الحق تشكل مادة حياة روح الإنسان ونفسه.

ومن الواضح أنّ المراد بهذا الواعظ المتعظ الذى ينبغى الاستصباح من شعلته والتروى من

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۹۶

صفو عينه هو الإمام عليه السلام الذى وظفت الناس بالتمسك به والاستفادة منه: أمّا للأسف لم يفعلوا واننا لنهتدى اليوم بما وصلنا من كلماته عليه السلام ونستقى من عينه الصافية.

ثم واصل عليه السلام كلامه بخطاب كافة عباد الله وحذرهم من الجهل والهوى والأفكار الباطلة المنحرفة.

فقال عليه السلام:

«عباداللّه، لاتركنوا إلى جهالتكم، ولا تنقادوا لأهوائكم»

ثم بين عليه السلام دليل ذلك قائلًا:

«فان النازل بهذا المنزل نازل بشفاً[۵۸۱] جرف هار، ينقل الردى على ظهره من موضع

إلى موضع»

، ثم قال عليه السلام:

«لرأى يحدثه بعد رأى؛ يريد أن يلصق ما لا يلتصق، ويقرب ما لا يتقارب».

فقد بين الإمام عليه السلام بهذه العبارات البليغة حقيقة مهمّة وهى أنّ أحد مصادر الضلال إنّما يكمن فى الاستناد إلى الاوهام والظنون الباطلة والآراء الفاسدة البعيدة عن البرهان والدليل.

وقد شبههم الإمام عليه السلام بحافة النهر حيث يتمتعون بظاهر خلاب، فى حين يستبطن الخلاء والجوفية! فاذا وطى الجهال تلك الحافة هووا فى القعر.

ثم خلص الإمام عليه السلام إلى هذه النتيجة:

«فالله الله أن تشكوا إلى من لا يشكى شجوكم ۵۸۲]،

ولا ينقض برأيه ما قد أبرم لكم».

ولعل هـذه العبارة إشارة إلى أن أحـد منابع الجهل وعدم العلم والوقوع فى متاهات الظنون الباطلة إنّما يتمثل باسـتشارة غير الاكفاء من الأفراد الذين يفتترون إلى الفكر السليم والرأى القاطع والاطلاع الكافى واللازم للتغلب على المشاكل والصعوبات، فاذا ما استشير حمل معه من استشاره إلى وادى الضلال والهلكة.

كمـا يحتمـل أن تكون إشـارة إلى ضـرورة عـدم الاـغترار بالقـدرات الكاذبـة والجبارة التى لا تفكر سوى فى تحقيق أطماعها ومآربها (كبنى أمية). وعليه فلا ينبغى لهم الاستعانة بهؤلاء من أجل حل مشاكلهم. فهم ليسوا فقط غير قادرين على حل هذه المشاكل فحسب، بل غالباً ما يسهمون فى مضاعفة هذه المشاكل.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۹۷

القسم الرابع: وظائف الإمام والامّة

«إِنَّهُ لَيسَ عَلَى الإِمَـامِ إِلَّا مَـا حُمِّلَ مِـنْ أَمْرِ رَبِّهِ: ألإِـبْلَـاغُ فِى الْمَوْعِظَـةِ، وَالاجْتِهَـادُ فِى النَّصِـيحَةِ، وَالإِحْيَـاءُ لِلسُّنَّةِ، وَإِقَامَـةُ الْحُـدُودِ عَلَى مُسْـتَحِقِّيهَا، وَإِصْـدَارُ السُّهْمَـانِ عَلَى أَهْلِهَا. فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيـحِ نَبْتِهِ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْـغَلُوا بِأَنْفُسِـكُمْ عَنْ مُسْـتَثَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، وَانْهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْ عَنْهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بالنَّهْى بَعْدَ التَّنَاهِى!».

الشرح والتفسير

أشـار الإمام عليه السـلام فى هـذا الموضع من الخطبـة إلى الوظائف الخمس لإمام المسـلمين و وظائف المسـلمين فـذكر بعض الامور المهمـة بهذا الشأن، وكأن ما أورده الإمام عليه السـلام سابقاً يدعو إلى سؤال يقتدح فى الاذهان، وهو أننا إذا وقعنا فى وادى الجهل أو شكونا ما يحل بنا لغير أهله، فذلك لأنّ الإمام لم يأخذ بايدينا ويهدينا ويدلنا على الطريق.

فقد ردّ الإمام عليه السلام على مثل هذا السؤال المقدّر بالقول:

«إنّه ليس على الإمام إلّاما حمل من أمر ربّه».

والوظائف الملقاة على عاتقه هى:

۱- الوعظ لعامة الناس

«الا بلاغ فى الموعظة».

۲- الجد والاجتهاد فى الخير والنصح

«والاجتهاد فى النصيحة».

-۳

«والإحياء للسنة».

-۴

«وإقامة الحدود على مستحقيها».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۹۸

-۵

«واصدار السهمان ۵۸۳] على أهلها».

هذه هى وظائف حاكم المسلمين. فعليه أن يوصل الأحكام الإسلامية كاملة إلى الامّة بحيث يخرج من نشد الحق عن الجهل والضلال ولا يبقى له من عذر فى الجهل بهذه الأحكام.

هذا من جانب.

ومن جانب آخر: يسعى ويجتهد من أجل خير المسلمين وإصلاح أوضاعهم الدينية والدنيوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

ومن جانب ثالث: أن يسعى لاحياء السنة النبوية والأحكام الشرعية من خلال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، أو سائر الوسائل.

ومن جانب رابع: إجراء الحدود بحق المستحقين دون التمييز بين أحد وآخر والتساهل فى إقامتها بهدف منع الجرائم والجنايات.

ومن جانب خامس: دفع حقوق المستحقين والمحتاجين من بيت المال.

فاذا فعل امام المسلمين ذلك فقد أدى دينه تجاه عبادالله، فان كان هناك من اشكال واضطراب فانّما يعود إلى الناس.

ثم خاض عليه السلام فى وظائف الامّة ليوجزها فى ثلاث، تعلم العلم من قبل أن تجف شجرته، وقبل أن ينشغلوا بأنفسهم ويتلوثوا بالدنيا، كما عليهم أن يستقوا هذا العلم من منابعه:

«فبادروا العلم من قبل تصويح ۵۸۴] نبته، ومن قبل أن تشغلوا بأنفسكم عن مستثار[۵۸۵] العلم

من عند أهله».

ولعل المراد بجفاف شجرة العلم شهادته عليه السلام، والمراد شخصه عليه السلام أيضاً بمركز فيض العلم- ومن هنا فقد لفت انتباههم إلى ضرورة السؤال والاستفسار مادامه عليه السلام بينهم.

والعبارة تشبه تلك التى أطلقها عليه السلام أواخر عمره الشريف:

«سلونى قبل أن تفقدونى»[۵۸۶].

كما يحتمل ان يكون المراد بهذه العبارة جفاف شجرة وجود الإنسان، لأنّ الإنسان لايمتلك

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۲۹۹

القدرة الكافية على تناول العلم فى أى سن وعمر وينسجم هذا الاحتمال والعبارة القادمة، لأنّ الإنسان كلما تقدم به العمر ازدادت مشاكله وهمومه، كما يقل استعداده- كما يمكن الجمع بين الاحتمالين.

ثم أشار إلى الوظيفة الثانية والثالثة للُامّة بالقول:

«وانهوا عن المنكر وتناهوا عنه، فانّما أمرتم بالنهى بعد التناهى».

وعليه فوظيفة الناس أولًا: ان يرفع من مستواه العلمى ويزيد من معارفه، لأنّ الجهل من عوامل التخلف.

وثانياً: الجد فى امتثال أوامر الله وعدم نسيان وظيفة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر التى تعد وظيفة عامة. والحق أنّ السعادة ستعم الامّة لو عملت بوظائفها ونهض أئمة المسلمين بوظائفهم.

وقد برز سؤال بين شرّاح نهج البلاغة- وهو السؤال الذى يتبادر إلى ذهن كل متتبع- وهو؛ كيف اشترط الإمام عليه السلام النهى عن المنكر بانتهاء، الشخص عنه فقال:

«فانما أمرتم بالنهى بعد التناهى»؟

رد ابن أبى الحديد على هذا السؤال بالقول: لم يرد عليه السلام أنّ وجود النهى عن المنكر مشروط بانتهاء ذلك الناهى عن المنكر، وإنّما أراد: أنى لم آمركم بالنهى عن المنكر إلّا بعد أن أمرتكم بالانتهاء عن المنكر.[۵۸۷]

بينما اعتبر الشارح الخوئى هذا الرد تكلفاً وقال: الأفضل أن يقال للسائل: أنّه عليه السلام أوجب الأمرين (دون اشتراط أحدهما بالآخر) والعبارة الأخيرة إشارة إلى الانتهاء عن المنكرات التى أكدت اكثر عن وجوب النهى عن المنكر. لانّ اصلاح النفس مقدم على اصلاح

الآخرين.[۵۸۸]

إلّا أنّ الأفضل أن يقال: إنّ الانتهاء عن المنكر لشرط كمال النهى عنه، لا شرط وجوبه، لأنّ الإنسان حين يرتكب الذنب ويريد نهى الآخرين عنه، سوف لن يكون لكلامه من تأثير، ولو علم الناس منه ذلك لسخروا منه وقالوا:

«طبيب يعالج الناس وهو عليل».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۰۰

ومن هنا أكد أئمة الدين عليه السلام أننا لا ننهاكم عن شيء حتى ننتهى عنه قبلكم.

فقد قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

«أيها الناس، إنى والله ما أحثكم على طاعة إلّاوأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلّاوأتناهى قبلكم عنها»[۵۸۹].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۰۱

الخطبة[۵۹۰] المأة وست

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

وفيها يبين فضل الإسلام ويذكر الرسول الكريم صلى الله عليه و آله ثم يلوم أصحابه

نظرة إلى الخطبة

كما يتضح من عنوان الخطبة أنّها تتألف من ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يتحدث عن أهمية الإسلام وبركاته وآثاره والتركيز على بعض النقاط المهمة بهذا الشأن.

القسم الثانى: يتحدث عن شخصية الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله بعبارات قصار عميقة المعنى، ثم يختتمه بالدعاء للنبى صلى الله عليه و آله وعامة المؤمنين.

القسم الثالث: يلوم أصحابه على سكوتهم على الظلم والفساد رغم ما آتاهم من النعم، والسماح لهؤلاء الظلمة بانتهاك الحرمات. و ممارسة كل ما يحلو لهم من أعمال.

وجاء فى بعض الرّوايات أن رجلًا سأل أميرالمؤمنين عن الإسلام والإيمان والكفر والنفاق فخطب عليه السلام بهذه الخطبة. وفى خبر عن الاصبغ بن نباتة أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام خطبها فى داره أوفى دار الامارة ثم أمر بكتابتها.[۵۹۱]

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۰۳

القسم الأول: خصائص الإسلام

اشارة

«الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذى شَرَعَ الإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ، فَجَعَلَهُ أَمْناً لِمَنْ عَلِقَهُ، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ عَنْهُ، وَنُوراً لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْماً لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبّاً لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ، وَعِبْرَةً لِمَنِ اتَّعَظَ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ، فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَاهِجِ، وَأَوْضَحُ الْوَلَائِجِ؛ مُشْرَفُ الْمَنَارِ، مُشْرِقُ الْجَوَادِّ، مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ، كَرِيمُ الْمِضْمَارِ، رَفِيعُ الْغَايَةِ، جَامِعُ الْحَلْبَةِ، مُتَنَافِسُ السُّبْقَةِ، شَرِيفُ الْفُرْسَانِ. التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ،

وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ، وَالْمَوْتُ غَايَتُهُ، وَالدُّنْيَا مِضْمارُهُ، وَالْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ، وَالْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة ضمن الخطبة ۲۶ إلى الخصائص المهمة للإسلام والمميزات التى ينطوى عليها بعبارات قصيرة ذات معان عميقة. وكما أوردنا سابقاً- نظرة إلى الخطبة- أنّ الإمام عليه السلام خطب بهذه الخطبة فى المسجد لعامة الناس، رداً على من سأله عن خصائص الإسلام والكفر والإيمان والنفاق. فقد استهل عليه السلام خطبته بحمد الله والثناء عليه قائلًا:

«الحمد لله الذى شرع الإسلام فسهل شرائعه لمن ورده»

. حيث نعلم أن الشريعة تعنى الطريق الذى يشقه الناس إلى جانب الأنهار الكبيرة نحو الماء لستفيد منه الناس.

فقد بين الإمام عليه السلام أنّ الإسلام أشبه بالنهر العظيم و وصف طرق الوصول إليه بأنها سهلة

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۰۴

يسيرة. كما أنّ اعتناق الإسلام سهل يخلو من أى تكلف؛ فيكفى فيه أن ينطق الإنسان من صميم قلبه بالشهادتين ليخرج من صف الكفر والنفاق ويلتحق بصفوف المسلمين والمؤمنين، كما أنّ البرامج الإسلامية هى الاخرى سهلة يسيرة سمحاء، فهناك الأدلة من قبيل «لاضرر» و «نفى الحرج»

التى رفعت أى تكلف وثقل عن كاهل الإنسان! كما منحت الاصالة فى الشرع للبراءة وحمل أفعال الآخرين على الصحة. كما رفضت أى إكراه أو إجبار، كما حكم ببطلان كافة العقود التى تبرم على أساس الإكراه والاجبار والاضطرار. كما صرحت ببعض الواجبات التى لاتدعو إلى المشقة والعسر والحرج. وزبدة الكلام فقد قال النبى صلى الله عليه و آله:

«بعثت إليكم بالحنيفية السمحة السهلة البيضاء»[۵۹۲].

إلّا أن لسهولتها لا تعنى قدرة أرباب السوء على السيطرة عليها والتغلب عليها، ومن هنا قال:

«وأغر أركانه على من غالبه»

، ثم بحكم: «أَشِدّاءُ عَلى الْكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ»[۵۹۳] فانّ المسلمين مكلفون بالقوة والشدة تجاه الأعداء والرحمة والرأفة ازاء المؤمنين.

ثم واصل ذكر الصفات الاخرى للإسلام كونه ملاذاً آمناً لمن لجأ إليه من الأفراد وسلاماً وأمناً لمن دخل حصنه وولج حريمه، ودليلًا وبرهاناً قاطعاً لمن اعتمده فى منطقه، وحجة دامغة لمن احتج به على خصمه:

«فجعله آمناه لمن علقه ۵۹۴]، وسلماً لمن دخله، وبرهاناً لمن تكلم

به، وشاهداً لمن خاصم به».

نعم فالمسلمون جميعاً يتمتعون بالأمن قاطبة دون استثناء فى الإسلام، وأسسه ودعائمة رصينة قوية تدعو دعاة الحق للاستدلال بها، كما تسوقهم للدفاع عنها تجاه خصوم الدعوة وأعدائها.

ثم قال عليه السلام فى ذكره لعدة صفات أخرى:

«ونوراً لمن استضاء به، وفهماً لمن عقل، ولباً لمن تدبر»

، فبلوغ الحقيقة يمر عبر ثلاث مراحل: الظفر بموقعها ومن ثم إدراكها وفهمها وأخيراً تحليلها بصورة دقيقة. وقد بين الإمام عليه السلام هذه المراحل الثلاث بالعبارات الثلاث

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۰۵

المذكورة، فقال أولًا أنّ الإسلام نور يستقطب نحوه الأفراد ليصلوا إليه. ثم قال: إنّ من تعقله سيد ركه ويفهمه. وأخيراً من تدبر بلغ حقيقته.

والحق أنّ الإسلام يتمتع بكل هذه الصفات، فالقرآن الذى تكفل بشرح الإسلام وتوضيحه إنّما يستند على الدوام إلى الدليل والبرهان

والمنطق والعقل؛ الأمر الذى نلمسه بوضوح فى الآية ۱۵ و ۱۶ من سورة المائدة: «قد جاءكم من اللَّه نور و كتاب مبين* يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ».

ثم قال عليه السلام:

«وآية لمن توسم، وتبصرة لمن عزم، وعبرة لمن اتعظ»

، توسم من مادة وسم وضع العلّامة، والمتوسم تطلق على من يفهم الواقعة من خلال أبسط أثر أو علامة، وهى الفراسة التى ذكرها القرآن فى الآية الشريفة:. «إِنَّ فِى ذ لِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ»[۵۹۵]. فعبارته فى الواقع إشارة إلى أمور مهمة و ظريفة فى القرآن يدركها ممن تحلى بالفراسة.

ثم واصل عليه السلام ذكره لسائر صفات الإسلام بصفته وسيلة النجاة لمن صدق به، والاطمئنان والثقة لمن استند إليه وتوكل عليه، كما يغرق الإنسان بالهدوء والراحة إذا ما وكلّ أعماله إليه وهو الجنّة الواقية لمن استقام وصبر:

«ونجاة لمن صدق، وثقة لمن توكل، وراحة لمن فوض، وجنّة لمن صبر».

فالعبارة تتحدث عن أربع فضائل أخلاقية هى: التصديق والتوكل والتفويض والصبر.

فتصديق الإسلام فى الاعتقاد والعمل إنّما يودى بلا شك إلى النجاة، كما أن الاعتماد على المعارف الإسلامية يقود إلى الاطمئنان بالمستقبل والحاضر للدنيا والآخرة، وتفويض الامور إلى اصول الإسلام وفروعه بمعنى الحركة فى ظله هى سبب الهدوء والسكينة والاستقرار والراحة، وأخيراً فان الصبر والاستقامة فى هذه المسيرة وتحمل الشدائد فى سبيل حفظ العقيدة والعمل على ضوء أحكام الشريعة إنّما تجعل الفرد فى جنّة وثيقة تجاه الامور التى تهدد سعادته أو سعادة المجتمع.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۰۶

والواقع هو أنّ الإنسان إنّما يطلب النجاة والاطمئنان والهدوء والراحة والأمن؛ وهى الامور التى لاتحصل الأمن خلال العمل بالبرامج الإسلامية وعلى ضوء التعاليم السماوية.

ثم تطرق عليه السلام إلى خمس صفات اخرى تمثل فى الواقع النتيجة لما سبق من أوصاف، وهى أنّ طرق الإسلام أوضح الطرق ومداخلها من أظهر المداخل، وعلاماتها جلية ظاهرة، ومسالكها بينه منيرة

«فهو أبلج ۵۹۶] المناهج ۵۹۷] وأوضح الولائج ۵۹۸]؛ مشرف المنار[۵۹۹] مشرق الجواد[۶۰۰]،

مضيىء المصابيح».

فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام رسم هنا صورة للجادة التى تضم كافة الامتيازات.

فهى على درجة من الوضوح بحيث يبلغها كل شخص بسهولة. ولها أبواب متعددة ماثلة امام اصحاب الحق واضحة لديهم. وتتطلب هذه الجادة بعض العلامات التى تبدو من بعيد؛ وهذه فى الواقع جادة الإسلام.

(فقد كانوا يعمدون فى السابق إلى بناء الأبراج فى الطرق ثم ينصبون المصابيح فوقها لتبدو للعيان من مسافات بعيدة وتحول دون ضلال الطريق ويطلقون عليها اسم المنار؛ أى موضع النور، إلّاأنّ المعنى الواسع لهذه الكلمة يشمل جميع العلامات التى تمنع السالكين من الانحراف).

ولعل هذه العبارات كناية عن محكمات الآيات القرآنية وصريح السنة النبوية والمعجزات والكرامات وأدلة العقل والنقل التى تضيئى معالم الطريق للموحدين السائرين على هدى الإسلام.

ثم شبه عليه السلام الإسلام بالمسابقة التى تمثل أركانها ذروة الحسن والكمال.

فللمسابقة عادة بعض الأركان من قبيل:

۱- ميدان التمرين ۲- نقطة انتهاء المسابقة ۳- الخيل الجاهزة ۴- الجائزة الكبيرة ۵- الفرسان النجباء.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۰۷

فقال عليه السلام أنّ ميدان السباق الإسلامى طاهر مطهر وكريم، ونقطة انتهاء السباق هى نقطة رفيعة سامية، وفرسان هذه المسابقة معروفون بالاصالة والاستعداد، أمّا الجائزة المترتبة على هذه المسابقة فهى عظيمة للغاية، وأهلها من النجباء

«كريم المضمار[۶۰۱]، رفيع الغاية، جامع

الحلبة[۶۰۲]، متنافس ۶۰۳]، السبقة[۶۰۴]، شريف الفرسان».

ثم أضاف عليه السلام بأنّ التصديق واليقين هو سبيل (الوصول إلى الأهداف) الإسلام، وعلامة ذلك الأعمال الصالحة (فالواقع هو أنّ الإيمان والعمل الصالح هما العنصران الذان يؤديان إلى الفوز فى هذا السباق).

«التصديق منهاجه، والصالحات مناره».

ثم اختتم عليه السلام كلامه بالقول:

«والموت غايته، والدنيا مضماره، والقيامة حلبته، والجنّة سبقته».

ليشخص بصورة جزئية ما ورد سابقاً بنحو الكلية.

أمّا عدم ذكر فرسان المسابقة فلوضوح الأمر؛ فهم ليسوا سوى المؤمنين من ذوى الأعمال الصالحة.

وقد مرعلينا مثل هذا التشبيه الرائع مع إختلاف طفيف فى الخطبة ۲۸ إذ قال عليه السلام:

«ألا وإنّ اليوم المضمار، وغدا السباق، والسبقة الجنّة والغاية النار».

تأمّلان

۱- منزلة الدنيا والآخرة فى النظرة الإسلامية

تمثل الدنيا بالنسبة لطلابها ولاولئك الذين ينكرون الآخرة علماً أو عملًا منتهى الطموح والهدف، وعليه فهم يضحون بكافة القيم و المثل من أجلها.

ولعل البؤس والشقاء الذى يعيشه المجتمع العالمى هو وليد هذا النوع من التفكير. أمّا

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۰۸

الإسلام فهو لايرى الدنيا سوى مرحلة عابرة ومقدمة للآخرة، حتى وردت الروايات والأخبار التى شبهتها بالمزرعة والقنطرة والمتجر (وقد مر شرح ذلك فى الخطبة ۲۸).

أمّا فى هذه الخطبة والبعض الآخر من خطب نهج البلاغة فقد شبهت الدنيا بميدان التمرين والآخرة بميدان السباق؛ وهو تشبيه رائع غاية فى الدقة والروعة. فالإنسان إنّما يتزود بالقوة والقدرة فى هذا الميدان بواسطة التعاليم العقائديّة والتربوية والأخلاقية، بما يمكنه من إجتياز مسابقة الاخرى بسرعة لدخول الجنّة والفوز برضوان الله وقربه. والتصديق الذى ورد فى الخطبة بصفته المنهاج والصالحات بصفتها المنار إنّما يشيران إلى هذه التربية والتعليم الربانى.

فالذى نستفيده من هذا التشبيه مايلى!

۱- أنّ السعادة والنجاة فى الآخرة ليست عبثاً؛ بل تتأتى فى ظل البناء الفكرى والأخلاقى والعقائدى.

۲- إنّما تغلق صحيفة الأعمال بانتهاء الدنيا، والقيامة يوم حساب ولا عمل، كما أنّ ميدان المسابقة للسباق لا للتمرين.

۳- جائزة هذه المسابقة من أعظم الجوائز، وذلك لان هذه المسابقة من أعظم المسابقات

۴- يعتمد تفاوت واختلاف درجات الناس ومقاماتهم على أعمالهم وعقائدهم وأخلاقهم.

فقد يدخل الإنسان الجنّة إلّاأنّ درجته تختلف عن غيره، على غرار الفائزين فى السباق، فهناك الفائز الأول والثانى والثالث وهكذا.

۵- ليس هنالك أى عمل من أعمالنا فى هذه الدنيا يمكنه أن يزول وأنّ آثاره باقية، على غرار آثار التمارين التى يقوم بها المتسابقون. وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بالقول: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ»[۶۰۵].

وجاء فى الحديث عن الإمام الحسن عليه السلام بعد أنّ وصف شهر رمضان بصفته مضمار الخلق وميدان التمرين أنّه قال:

«وايم الله لو كشف الغطاء لعلموا أنّ المحسن مشغول باحسانه، والمسيئى مشغول باسائته»[۶۰۶].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۰۹

۲- الشريعة السمحاء

كما أوردنا فى الخطبة المذكورة والرواية التى نقلناها فى شرحها أنّ الإسلام لشريعة سهلة سمحاء؛ أى ليس هنالك من تكلف ولا عسر ولا حرج فى ممارسته وطقوسه فهى لاتدعو إلى الضجر والتعب.

والتمعن فى أحكام الإسلام سواء فى العبادات والمعاملات والروابط الإنسانية أو فى العقوبات والجزاء يفيد أنّها برمجت على ذلك الأساس أيضاً. فقد روعى هذا الأصل حتى فى أشد العقوبات الإسلامية من قبيل قتل الزانى بالمحصنة، وذلك لأنّ العقاب ان كان شديداً تعذر بسهولة إثبات الجرم. فعادة ما تثبت الدعاوى بشاهدين، بينما يلزم هنا اربعة شهود. وهكذا الحال فى اجراء بعض الحدود من قبيل الجلد، فقد أوصى باجرائه فى الجو البارد فى فصل الصيف، والحار فى فصل الشتاء، وعدم رفع اليد إلى مكان مرتفع وعدم ضرب المواضع الحساسة وما إلى ذلك من الأوامر.

من جانب آخر فانّ هؤلاء المجرمين ينالون العفو عما ارتكبوا فيما إذا تابوا قبل القبض عليهم، اضافة إلى العمل بقاعدة درء الحدود عند الشبهات فى كافة الجرائم وعند بروز أدنى شك أو شبهة.

وقد جاء فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال لأحد أصحابه كلفوا الناس من دينهم ما يطيقون، ثم نقل له عليه السلام قصة ذلك المسلم الذى كان له جار كافر رغب فى الإسلام، فكان يحمله صباحا وظهراً وليلًا إلى المسجد، بحيث كان يقضى أغلب وقته فيه فى أداء الواجبات والمستحبات. حتى فارق هذا الرجل الإسلام بعد أن شق عليه الأمر وقال: لا طاقة لى بهذا الدين. ثم قال الإمام عليه السلام:

«إن إمارة بنى أمية كانت بالسيف والعسف، وإن إمارتنا بالرفق، والوقار، والتقية، وحسن الخلطة، والورع، والاجتهاد. فرغبوا الناس فى دينكم، وفيما أنتم فيه»[۶۰۷].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۱۰

ولا يخفى أن الحب والرفق والمداراة والخلطة الحسنة إنّما تكون مع الأفراد الذين لا يعملون بالشر وإلّا فالإسلام صلب المعاملة لشديد فيها تجاه الظلمة والطغاة والاشرار والأوباش، بغية الحفاظ على سلامة المجتمع وأمنه.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۱۱

القسم الثانى: صفات النبى صلى الله عليه و آله ومقاماته

اشارة

ومنها فى ذكر النبى صلى الله عليه و آله

«حَتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِسٍ، وَأَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ نِعْمةً وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً، اللَّهُمَّ

اقْسِمْ لَهُ مَقْسَماً مِنْ عَدْلِكَ، وَاجْزِهِ مُضَعَّفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ. اللَّهُمَّ أَعْلِ على بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَآءَهُ! وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ، وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَهُ، وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ، وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا، وَلَا نَادِمِينَ، وَلَا نَاكِبِينَ، وَلَا نَاكِثِينَ، وَلَا ضَالِّينَ، وَلَا مُضِلِّينَ، وَلَا مَفْتُونِينَ».

الشرح والتفسير

أشار عليه السلام فى هذا الموضع من الخطبة إلى خصائص النبى صلى الله عليه و آله وعلو صفاته، ثم سأل الله تعالى له رفيع الدرجات، كما اختتم بالدعاء لنفسه ولجميع المؤمنين بالحشر فى زمرة الرسول الكريم صلى الله عليه و آله. فقال عليه السلام:

«حتى أورى ۶۰۸] قبساً[۶۰۹] لقابس، وأنار علماً لحابس ۶۱۰]».

وبالنظر إلى أنّ هذا القسم من الخطبة- كما صرح المرحوم السيد الرضى (ره)- رواية اخرى للخطب السابقة (۷۲)، فالذى يفهم أن «حتى»

غائية بالنسبة لسعى النبى صلى الله عليه و آله وجهده،

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۱۲

كما يمكن القول بأنّ الفاعل فى عبارة أورى وأنار هو لشخص النبى الأكرم صلى الله عليه و آله. وعليه فقد قام صلى الله عليه و آله بعملين مهمين هما:

الأول: أنّه أمد طلاب الحق بقبسات النور، والثانى أنّه نصب مصابيح الهداية فى طريق الحيارى

وكأنّ العبارة الاولى إشارة إلى علماء الامّة الذين يأخذون بشعلة الهدى فيواصلون مسيرتهم ويحملون الآخرين معهم. والعبارة الثانية إشارة إلى الأفراد العاديين الذين ليست لديهم مثل هذه القبسات وعيونهم متطلعة إلى مصابيح الهدى الموضوعة على جانب الطريق.

وبعبارة اخرى فان النبى صلى الله عليه و آله قد أمد دعاة الحق بالهداية العامة والخاصة.

ثم قال عليه السلام على سبيل النتيجة الواضحة و الرائعة:

«فهو أمينك المأمون، وشهيدك يوم الدين، وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة».

وقوله عليه السلام أمينك المأمون تأكيد لمطلق أمانته وكمالها، وشهيد يوم الدين ويوم الحساب والجزاء إشارة للآية الشريفة ۸۹ من سورة النحل: «وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى هؤُلاءِ».

ويمكن أن تكون هذه الشهادة على الاصول الكلية التى تضمنتها دعوة كافة الأنبياء، أو على جزئيات الأعمال، بفعل الشهود العلمى للنبى صلى الله عليه و آله بالنسبة لأعمال كافة الامُم.

وقوله عليه السلام:

«بعيثك نعمة»

إشارة إلى أنّ بعثة النبى صلى الله عليه و آله كانت نعمة كبيرة من جانب الله سبحانه، كما كانت نموذجاً بارزاً لرحمته الواسعة سبحانه، فقد اهتدت به الملايين من أفراد البشرية وانقادت إلى الحق فى ظل تعاليمه السامية، وهذا الكلام فى الواقع اقتباس من الآيات القرآنية ومنها: «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلى المُؤْمِنِينَ إِذ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ»[۶۱۱] و «وَما أَرْسَلْناكَ إِلّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ»[۶۱۲].

ثم واصل عليه السلام كلامه فى إطار امتنانه وتقديره لجهود النبى صلى الله عليه و آله العظيمة، فرفع يده بالدعاء مبتهلًا إلى الله بافاضة نعمه على النبى صلى الله عليه و آله فقال:

«اللّهم اقسم له مقسماً من عدلك، واجزه

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۱۳

مضعفات الخير من فضلك، اللّهم أعل على اباء البانين بناءه وأكرم لديك نزله ۶۱۳]، وشرف

عندك منزله، وآته الوسيلة، واعطه السناء[۶۱۴] والفضيلة».

ويختزن الدعاء الأول والثانى هذه النقطة، وهى أنّ النبى صلى الله عليه و آله يستحق مزيد الثواب بمقتضى العدل الإلهى، كما يتضاعف هذا الثواب بمقتضى الفضل الإلهى. قال القرآن الكريم:

«مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها»[۶۱۵].

وسؤال الله علو بناء النبى صلى الله عليه و آله على بناء جميع البانين إمّا إشارة إلى علو دينه على جميع الاديان بمقتضى «لِيُظْهِرَهُ عَلى الدِّينِ كُلِّهِ»[۶۱۶].

وإمّا علو مقاماته فى الجنّة، أو علو فضائله المعنوية صلى الله عليه و آله.

ويبدو التفسير الأول أنسبها جميعاً.

والعبارة

«آية الوسيلة»

إشارة إلى المقام العالى للقرب ونتيجة ذلك الدرجات الرفيعة فى الجنّة، فقد ورد فى الحديث النبوى أنّه صلى الله عليه و آله خاطب أصحابه قائلًا:

«سلوا الله لى الوسيلة»،

ثم أضاف:

«هى درجتى فى الجنّة، وهى ألف مرقاة ... فلا يبقى يومئذ نبى ولا صديق ولا شهيد إلّاقال طوبى لمن كان هذه الدرجة درجته»[۶۱۷].

ثم اختتم كلامه عليه السلام بهذا الدعاء:

«واحشرنا فى زمرته غير خزايا[۶۱۸]، ولا نادمين، ولا

ناكبين، ولا ناكثين، ولا ضالين، ولا مضلين، ولا مفتونين»

فى إشارة إلى أن الأفراد يسعهم بالعمل والعلم أن يكونوا فى زمرة النبى صلى الله عليه و آله ويجتازوا هذه الفضائح السبع، فلا يندمون ويفتضحون يوم القيامة، وإذا رأوا أعمالهم لا يشعرون بالندم، فلا يكونوا فى صف الناكثين، ولايحملون أوزار الآخرين ولايخدعون بالشياطين.

فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام اشار إلى طوائف أمة النبى صلى الله عليه و آله حين ترد المحشر حيث ترد كل

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۱۴

واحدة منها وادياً من الأودية المذكورة السبع، ولعل هذه الطوائف كانت موجودة وقد خاطبها عليه السلام محذراً إياها بهذا الدعاء.

كلام المرحوم السيد الرضى

قال المرحوم السيد الرضى (ره) ذيل هذا الكلام:

«وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم؛ إلّا أننا كررناه هنا لما فى الروايتين من الاختلاف».[۶۱۹]

تأمّل: إعتراف مهم

قال ابن أبى الحديد فى ذيل هذا المقطع من الخطبة: سألت استاذى النقيب أبا جعفر، وكان منصفاً بعيداً عن الهوى والعصبية عن هذا الموضع، فقلت له: وقد وقفت على كلام الصحابة وخطبهم فلم أر فيهم من يعظم رسول الله صلى الله عليه و آله تعظيم هذا الرجل، ولايدعو كدعائه: فانا قد وقفنا من نهج البلاغة ومن غيره على فصول كثيرة مناسبة لهذا الفصل، تدل على إجلال عظيم، وتبجيل شديد منه لرسول الله صلى الله عليه و آله. فقال: ومن أين لغيره من الصحابة كلام مدون يتعلم منه كيفية ذكرهم للنبى صلى الله عليه و آله؟

وهل وجد لهم إلّاكلمات مبتدرة، لاطائل تحتها! ثم قال: إنّ علياً عليه السلام كان قوى الإيمان برسول الله صلى الله عليه و آله والتصديق له، ثابت اليقين، قاطعاً بالامر، متحققاً له، وكان مع ذلك يحب رسول الله صلى الله عليه و آله لنسبته منه، وتربيته له، واختصاصه به من دون أصحابه، وبعد، فشرفه له، لانّهما نفس واحدة فى جسمين، الأب واحد، والدار واحدة، والأخلاق متناسبة، فاذا عظمه فقد عظم نفسه، وإذا دعا إليه فقد دعا إلى نفسه، ولقد كان يود أن تطبق دعوة الإسلام مشارق الأرض ومغاربها؛ لأنّ جمال ذلك لا حق به، وعائد عليه، فكيف لا يعظمه ويبجله ويجتهد فى إعلاء كلمته.[۶۲۰]

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۱۵

القسم الثالث: تضييع النعم

ومنها فى خطاب أصحابه

«وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ تَعَالى لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ وَتَوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ، وَيُعَظِّمُكُمْ مَنْ لَافَضْلَ لَكُمْ عَلَيهِ، وَلَا يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لَا يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً، ولَا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللَّهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ! وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ! وَكَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ، وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ، فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ، وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ، وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ فِى أَيْدِيهِمْ، يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِى الشَّهَوَاتِ، وَايْمُ اللَّهِ، لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ، لَجَمَعَكُمُ اللَّهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ!».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذا الموضع من الخطبة إلى أمرين مهمين مرتبطين مع بعضهما ارتباطاً واضحاً وهما:

الأول: أنّ المجد والعظمة التى بلغها المسلمون فى ظل الإسلام لهى عظمة فريدة لدى العدو والصديق.

الثانى: أنّ اولئك الناس لم يعرفوا قدر هذه النعمة، وقد آلت أمورهم إلى الحكام الظلمة من عديمى الإيمان وأصحاب الشهوات بفعل ضعفهم وذلهم وهو انهم، وهذا بحد ذاته جحود عظيم فقال عليه السلام:

«وقد بلغتم من كرامة اللّه تعالى لكم منزلة تكرم بها إماؤكم وتوصل بها جيرانكم».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۱۶

واثر ذلك أخذ يعظكم من لستم خيرا منه، وليس لكم من حق عليه

«ويعظمكم من لا فضل لكم عليه، ولا يد لكم عنده».

كما يهابكم ويبجلكم من ليس لكم قدرة عليه، ولا حكومة أو سيطرة عليه

«ويها بكم ۶۲۱]

من لا يخاف لكم سطوة[۶۲۲]، ولا لكم عليه إمرة»

فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام قد بيّن بهده العبارات الرائعة البليغة منزلة المسلمين فى ظل الإسلام، ولم تقتصر حرمة العدو والصديق لهم فحسب، بل شملت حتى جواريهم، كما عومل جيرانهم باللطف والرحمة كرامة لهم، كما كان يكبرهم ويجلهم من الأقوام من ليس لهم عليهم سطوة ولا قوة ولافضل ولا احسان، بل كان يهابهم حتى من لم يكن تابعاً لبلادهم.

فمن الواضح وعلى ضوء الحديث الشريف:

«من خاف اللّه أخاف اللّه منه كل شىء ومن لم يخف اللّه أخافه اللّه من كل شىء»[۶۲۳]

، أنّ المسلم إذا التزم بجوهر الإسلام وعمل باحكامه وما أمر به اللّه سبحانه واعتمد الورع والتقوى فى مسيرته الدينية، يحظى باحترام الآخرين وإجلالهم. فهذه حقيقة لامبالغة فيها.

فقد أصبح المسلمون وفى ظل الإيمان يتمتعون بكافة معانى الشجاعة والاقدام والتضحية والقوة والمنعة.

نفحات الولاية ؛ ج۴ ؛ ص۳۱۶

نف إلى ذلك فقد حفتهم العناية الإلهية والامدادات الغيبية.

فقد نقل ابن أبى الحديد قصة رائعة بهذا الشأن. حيث قال: قيل إنّ العرب لما عبرت دجلة إلى القصر الأبيض الشرقى بالمدائن عبرتها فى أيام مدها، وهى كالبحر الزاخر على خيولها وبأيديها رماحها، ولا درع عليها ولا بيض؛ فهربت الفرس بعد رمى شديد منها للعرب بالسهام؛ وهم يقدمون ويحملون، ولا تهولهم السهام، فقال فلاح نبطى، بيده مسحاته وهو يفتح الماء إلى زرعه لأسوار من الاساورة معروف بالبأس وجودة الرماية: ويلكم! أمثلكم فى سلاحكم يهرب من هؤلاء القوم الحاسرين! ولذعه باللوم والتعنيف: فقال له: أقم مسحاتك،

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۱۷

فأقامها فرماها، فخرق الحديد حتى عبر النصل إلى جانبها الآخر، ثم قال: انظر الآن، ثم رمى بعض العرب المارين عليه عشرين سهما لم يصبه ولا فرسه منها بسهم واحد؛ وأنّه لقريب منه غير بعيد. ولقد كان بعض السهام يسقط بين يدى الاسوار، فقال له بالفارسية: أعلمت أنّ القوم مصنوع لهم! قال: نعم.[۶۲۴]

ثم أشار عليه السلام فى القسم الأخير من هذا الموضع من الخطبة إلى جحد الناس لتلك النعم والقدرة، فقال عليه السلام رغم كل ذلك لاتهتز لكم قصبة وأنتم ترون كل هذه الانتهاكات ونقض العهود والقوانين والأحكام الإلهية! فى حين تشتاطون غضباً فيما إذا نقضت ذمم آبائكم:

«وقد ترون عهود اللَّه منقوضة فلا تغضبون! وأنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون ۶۲۵]».

أى لو نقضت سنة قبلية أو طائفية كانت شائعة بينهم لارتفعت أصواتهم، فى حين ينتهك بنى أمية السنن الإلهية بمرأى ومسمع منهم دون أن ينبسوا ببنت شفة، وهذا قمة جحود النعم الإلهية.

ثم قال عليه السلام:

«وكانت امور اللَّه عليكم ترد، وعنكم تصدر، وإليكم ترجع، فمكنتم الظلمة من منزلتكم، وألقيتم إليهم أزمتكم، وأسلمتم امور اللَّه فى أيديهم».

وهذا جحود آخر، فبعد كل تلك القوة والقدرة- بحيث كان كل شىء بأيديهم وتابع لارادتهم- أخلوا الساحة للظلمة ودعوهم يجلسون على منبر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ويتحكموا بأمور المسلمين.

ثم قال عليه السلام فى وصف هؤلاء:

«يعملون بالشبهات، ويسيرون فى الشهوات».

نعم فقد فوضت الامور على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى الصالحين فكانوا يعملون على ضوء التعاليم الإسلامية، إلّاأنّ الغفلة والضعف وجحود النعم أدى لأنّ يتزعم الامور تلك الثلة من سليلى الجاهلية وبقايا أهل الشرك والعصبية، حيث تربع ابن أبى سفيان- أعدى أعداء الإسلام- على عرش الحكومة الإسلامية فقلب امور الإسلام رأساً على عقب.

ذهب بعضى شرّاح نهج البلاغة إلى المراد بالعبارة ۱۱:

«وكانت امور اللَّه عليكم ترد ...»

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۱۸

الأحكام الشرعية، لا الحكومة وقالوا: كانت الأحكام الشرعية اليكم ترد من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ومن الإمام عليه السلام، ثم

تصدر عنكم إلى من تعلمونه إيّاها من اتباعكم وتلامذتكم، ثم يرجع إليكم بأن يتعلمها بنوكم وإخوتكم من هؤلاء الاتباع. أو المراد الحكم فى الأحكام الإلهية.

وتبدو هذه الاحتمالات ضعيفة، ولا تنسجم والعبارة

«فمكنتم الظلمة من منزلتكم»

التى تشير إلى أمر الحكومة.

والمراد بالعبارة

«يعملون بالشبهات»

هو أنّ بنى أمية كانوا يتمسكون بمتشابه القرآن أو كلمات النبى صلى الله عليه و آله- حيث كانوا يكيفونها بالاستعانة بالقراءات الجديدة على مقاصدهم الانحرافية- من أجل توجيه أعمالهم الشائنة، وهم لايفكرون سوى فى حفظ مصالحهم وشهواتهم الحيوانية واحياء سنن الجاهلية.

ثم إختتم خطبته قائلًا:

«وايم اللَّه، لو فرقوكم تحت كل كوكب، لجمعكم اللَّه لشر يوم لهم».

وقد ذهب أغلب شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ المراد بهذه العبارة قيام أبى مسلم الخراسانى وقيام أهل العراق ضد بنى أمية بحيث ينتقمون منهم شر انتقام ويجتثون جذورهم، بل قيل أنّهم ارتكبوا مالم يحفل التاريخ بمثيله.

ولايبدو صحيح الاحتمال الذى أورده بعض شرّاح نهج البلاغة من أنّ المراد بالعبارة المذكورة قيام المهدى عليه السلام حيث لاينسجم وسائر عبارات الخطبة.

وتشير العبارة:

«لو فرقوكم تحت كل كوكب»

كناية إلى ذروة التشتت والفرقة، وإلّا لايمكن جعل كل إنسان تحت كوكب.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۱۹

الخطبة[۶۲۶] المأة و سبع

اشارة

ومن كلام له عليه السلام

فى بعض أيام صفين

نظرة إلى الخطبة

بالنظر إلى أنّ الإمام عليه السلام اورد هذه الخطبة فى أحد أيام صفين، وأنّها ناظرة إلى حادثه فى بداية صفين حيث انسحب أصحاب الإمام عليه السلام وتراجعوا ثم عادوا فانتصروا على العدو، فمقصود الإمام عليه السلام هو ذم تراجعهم بالفاظ لطيفة رقيقة، ومن ثم الإشارة بحملتهم ثانية إلى جانب حثهم وتشجيعهم على الصمود والمقاومة. ولايخفى التأثير الذى يلعبه الكلام حين يتصدر ببيان نقاط الضعف، ثم يتتابع بذكر عناصر القوة.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۲۱

«وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ، وَانْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ، تَحُوزُكُمُ الْجُفَاةُ الطَّغَامُ، وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ، وَيَآفِيخُ الشَّرَفِ، وَالأَنْفُ الْمُقَدَّمُ، وَالسَّنَامُ الأَعْظَمُ. وَلَقَدْ شَفَى وَحَاوِحَ صَدْرِى أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَةٍ تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ، وَتُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ؛ حَسّاً بِالنِّصَالِ، وَشَجْراً بِالرِّمَاحِ، تَرْكَبُ أُولاهُمْ أُخْرَاهُمْ كَالإِبِلِ الْهِيمِ الْمَطْرُودَةِ؛ تُرْمَى عَن حِيَاضِهَا؛ وَتُذَادُ عَن مَوَارِدِهَا!».

الشرح والتفسير

أثلجتم صدرى

ذكر بعض شرّاح نهج البلاغة أنّ الإمام عليه السلام خطب هذه الخطبة حين تراجعت ميمنة أهل العراق، ثم عادت لتهجم ثانية بعد أن قادها مالك الاشتر وحمل على أهل الشام ففرقهم.[۶۲۷]

فلما رأى ذلك الإمام عليه السلام خطب بهذا الكلام. فقد قال عليه السلام: إنّى شاهدت فراركم وهزيمتكم وتراجعكم عن صفوفكم بعد أن ذادكم عنها الجفاة من العرب من أهل البادية:

«وقد رأيت جولتكم ۶۲۸]، وانحيازكم ۶۲۹] عن صفوفكم تحوزكم الجفاة[۶۳۰] الطغام ۶۳۱] وأعراب أهل الشام».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۲۲

والحال لا يليق هذا بكم

«وأنتم لها ميم ۶۳۲] العرب، ويا فيخ ۶۳۳] الشرف، والانف ۶۳۴] المقدم،

والسنام الاعظم».

ولم أكن أتوقع هذا التراجع منكم، كما لا يليق بكم، إلّاأنّ الذى اثلج صدرى معاودتكم الكر وازاحتكم لهم عن مواضعهم:

«ولقد شفى وحاوح ۶۳۵] صدرى أن رأيتكم بأخرة

تحوزونهم كما حازوكم، وتزيلونهم عن مواقفهم كما أزالوكم».

ثم وصف ذلك عليه السلام بقوله

«حسا[۶۳۶] بالنصال ۶۳۷]، وشجراً[۶۳۸] بالرماح، تركب أولاهم أخراهم

كالابل الهيم ۶۳۹] المطرودة، ترمى عن حياضها، وتذاد[۶۴۰] عن مواردها».

وممّا لا شك فيه أن صفين كانت مقابلة بين عسكرين، ضم أحدهما أغلب الشخصيات الإسلامية من قبيل بعض صحابة النبى صلى الله عليه و آله وابناء الصحابة ومن البيوتات الصالحة السابقة إلى الإسلام والإيمان، وقد كانت هذه الجماعة تحت إمرة الإمام على عليه السلام. وبالمقابل كان الطرف الآخر يتمثل فى الواقع ببقايا الجاهلية والشرك والاراذل والاوباش من طلاب الدنيا وعبدة الأهواء الذين قدموا الميدان بدينار معاوية ودرهمه واجزل لهم فى العطاء، وفى مقدمتهم عمرو بن العاص الذى لم يبايع لمعاوية حتى اشترط عليه ولاية مصر.

وعليه فعبارات الإمام عليه السلام بشأن أهل الشام والعراق كانت تمثل عين الواقع، بعيداً عن اسلوب الحث والتشجيع والمبالغة.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۲۴

الخطبة[۶۴۱] المأة و ثمان

اشارة

ومن خطبة عليه السلام

وهى من خطب الملاحم

نظرة إلى الخطبة

تتالف هذه الخطبة من أقسام: استهل عليه السلام القسم الأول: كسائر الخطب بحمد اللّه والثناء عليه وبيان أوصاف الجلال والجمال وأدلة إثبات وجوده سبحانه. والقسم الثانى: جرى كسائر الخطب فى الحديث عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وفضائله وكمالاته.

القسم الثالث: الحديث عن طبيب دوار يتفقد مرضاه وقد اعد كافة وسائل العلاج، وفسره أغلب شرّاح نهج البلاغة بان المراد شخصه عليه السلام أو النبى صلى الله عليه و آله.

القسم الرابع: لوم الأصحاب الضعفاء وتذكيرهم بأنّ هذا الضعف والاختلاف يؤدى إلى عاقبة وخيمة يسلط فيها العدو عليكم، فيسدد ضرباته إليكم ولا يبقى لكم باقية.

القسم الخامس: وهو أهم قسم فى الخطبة فى الوعظ والنصح. والقسم السادس والأخير اخبار عن الحوادث المستقبلية فى قطع الأرض والسماء لبركتهما، وظهور التحريف وتحول المعروف إلى منكر والمنكر إلى معروف.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۲۵

القسم الأول: تجلى اللّه للعباد

اشارة

«الْحَمْدُ لِلّهِ الْمُتَجَلِّى لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ، وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ. خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ، إِذْ كَانَتِ الرَّوِيَّاتُ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِذَوِى الضَّمَائِرِ، وَلَيْسَ بِذِى ضَمِيرٍ فِى نَفْسِهِ. خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّتُرَاتِ، وَأَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ».

الشرح والتفسير

كما أوردنا سابقاً فانّ الإمام عليه السلام استهل الخطبة بحمد اللّه والثناء عليه وذكر جماله وجلاله وأدلة وجوده سبحانه بعبارات قصار رائعة وهو يشير إلى أدلة التوحيد، فقال عليه السلام:

«الحمد للّه المتجلى»

. والواقع هو أنّ العبارة تشير إلى برهان النظم الذى ورد فى عدة آيات قرآنية التى تأخذ بيد الإنسان أحياناً إلى السموات والسيارات والثوابت والمجرات العظيمة كما تصحبه أحيانا اخرى إلى عمق الذرة ودقة بنائها العجيب وتنتقل به تارة إلى عجيب خلقة الطيور، كما تريه تارة اخرى اسرار البحار والمحيطات، فهى تريه عظمة الخالق من خلال المخلوقات، ويتضح ممّا تقدم ان الخلق فى (لخلقه) تشير إلى الإنسان، وفى بخلقه إلى جميع المخلوقات فاحدها خاص والآخر عام.

ثم أشار عليه السلام فيما بعد إلى برهان الفطرة فقال:

«والظاهر لقلوبهم بحجيته».

فأية حجة أعظم من هذه، وهى حين يعود الإنسان إلى قلبه وروحه يستمع نداء التوحيد يأتيه من كل مكان. ومن هنا مهما سعت الشياطين لانكار ذاته، وجهدت من أجل انحراف العباد، فبمجرّد زوال هذه التزيينات، وتلاشى السحب القاتمة للوساوس الشيطانية، تتجلى

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۲۶

هذه الفطرة التوحيدية فى الإنسان فيعود إلى ربّه وخالقه.

ثم أشار فى العبارة الثالثة إلى ما يمكن تسميته ببرهان الابداع فقال عليه السلام:

«خلق الخلق من غير روية، إذ كانت الرويات لاتليق إلّابذوى الضمائر[۶۴۲]، وليس بذى ضمير فى نفسه».

نعلم أنّ جميع المصنوعات البشرية إنّما تعود إلى الفكر والبرمجة والخطط والمشاريع المسبقة، وهذه بدورها إلى المخلوقات والمصنوعات فى هذا العالم. أى كل ما يصنعه الإنسان فقد شاهد شبيهه فى عالم الخلقة، كما قد يركب أحيانا بين عدة أشياء ليصنع منها شيئاً معيناً، فقد يحتذى بطيور البحر فى صنعه للسفينة وبخلقة الطيور فى صنعه للطائرة وهكذا، وعليه فهو يحتاج إلى التفكير فى صناعته من جانب، ويحتاج إلى موجودات اخرى لكى يقلدها ويستعين بها فى صناعته من جانب آخر. أمّا الابداع بمعنى الخلق دون الحاجة إلى التفكير أو النموذج للاقتداء فانّما يختص به وحده سبحانه. ثبت اليوم أن على الأرض فقط ملايين الأنواع من النباتات و الحيوانات و الحشرات، حيث لم تكشتف بعد للإنسان لأنها تعيش فى أعمال البحار أو فى متاهات الغابات أو فى الصحارى النائية و المناطق القطبية، و كل ذلك يرمز إلى الإبداع الإلهى فى عجائب خلقتها، و يشير هذا الإبداع إلى وجوده و علمه و قدرته.

و بغض النظر عن كل ذلك فإن الصناعات البشرية إنما تتكامل مع تقادم الزمان و الإنفتاح على تجارب الآخرين، و الحال مخلوقات اللّه ليست كذلك، فتكاملها يستند إلى ذاتها، لا إلى التجارب الجديدة.

ثم فسر قوله السابق عليه السلام قائلًا:

«خرق علمه باطن غيب السترات ۶۴۳]، وأحاط بغموض

عقائد السريرات ۶۴۴]».

فان كان غنياً سبحانه فى تنويعه لخلقه عن التفكير والمثال الذى يحتذيه فانّما ذلك لعلمه المطلق النافذ فى كل شىء والمحيط بكل شىء.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۲۷

نعم فمن يحتاج إلى الفكر والانفتاح على تجارب الآخرين، من كان علمه محدوداً، جاهلًا بما غاب عنه.

والعبارة السابقة من قبيل ذكر الخاص بعد العام؛ أى أنّها تحدثت أولًا عن علم اللّه بباطن جميع الأشياء، ثم علمه بالعقائد الخفية للإنسان.

تأمّل: فى سعة علم اللّه

تعتبر مسألة علم اللّه من المسائل المهمة من خلال النظرة المعرفية، وكذلك من حيث الآثار الأخلاقية والتربوية.

وهى المسألة التى أورد القرآن بشأنها عدة أبحاث مهمة، وقد كشف عن سعتها بأمثلة رائعة، من ذلك: «وَلَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»[۶۴۵].

ولو تأملنا هذا المثال وتصورنا معناه، لا كتشفنا هذه الحقيقة وهى أنّ علمه سبحانه أوسع وأشمل ممّا نعتقد.

ومن البداهة أنّ هذا العلم ليس بعلم حصولى يتأتى عن طريق التصور والتصديق، بل هو علم حضورى. أى أن حضور الحق سبحانه فى كل زمان ومكان وحضور جميع الأشياء لدى ذاته المطهرة يقتضى ألايخفى عليه شىء، لأنّ حقيقة العلم تعنى حضور المعلوم لدى العالم. غير أنّه فى العلم الحصولى لايحضر شخصاً لدى العالم، بل تحضر صورته فى الذهن عن طريق التصور أو التصديق. أمّا فى العلم الحضورى فالذى يحضر لدى العالم ذات المعلوم، وجميع الأشياء والحوادث فى كل زمان ومكان، باطنها وظاهرها عن طريق هذا العلم الحضورى واضحة لدى اللّه. ومن هنا قال عليه السلام: خرق علمه باطن غيب السترات، وأحاط بغموض عقائد السريرات.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۲۸

قد يتعذرفهم العلم الحضورى لدى البعض، ولكن توضيحه بمثال وهو: إنّ ممّا لاشك فيه أنّ علمنا بصورنا الذهنية والتصورات

والتصديقات التى ترتسم فى أذهاننا عن العالم الخارجى، والعلم الحضورى يعنى أن هذه الصور الذهنية حاضرة لدى روحنا ولا تنفصل عنها.

نعم هذا هو علم اللَّه بجميع عالم الوجود، لا أنّ لديه صور ذهنية عنها، بل وجودها العينى حاضر لديه، لأننا نعلم أنّه معنا فى كل مكان: «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ»[۶۴۶] و «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ»[۶۴۷].

ومن هنا نكتشف الآثار المهمة التربوية من خلال الالتفات إلى سعة علمه المطلق. لأنّ الإنسان إذا علم بأنّ العالم حاضر لدى اللَّه وعلمه محيط بأسرار الأشياء وخفاياها فباليقين سيعيش حالة من مراقبة أعماله، بل حتى أفكاره ونياته.[۶۴۸]

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۲۹

القسم الثانى: وصف النبى صلى الله عليه و آله

ومنها فى ذكر النبى صلى الله عليه و آله

«إِخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الأَنْبِيَاءِ، وَمِشْكَاةِ الضِّيَاءِ، وَذُؤَابَةِ الْعَلْيَاءِ، وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ، وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ، وَيَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ».

الشرح والتفسير

بعد أنّ حمد الإمام عليه السلام اللَّه سبحانه وتعالى وأثنى عليه وأشار إلى أدلة وجوده، تطرق فى القسم الثانى من الخطبة إلى ذكر فضائل النبى صلى الله عليه و آله حيث عدد فضائله الفريدة ببضع عبارات قصيرة و ستة تشبيهات فقال عليه السلام:

«إختاره من شجرة الأنبياء، ومشكاة الضياء، وذؤابة العلياء، وسرة البطحاء، ومصابيح الظلمة، وينابيع الحكمة».

فكل تشبيه واستعارة فى هذه العبارة تشير إلى فضيلة من فضائل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

التشبيه الأول- حسب قول أغلب شرّاح نهج البلاغة- إشارة إلى آل ابراهيم عليه السلام الذى ظهر منه الأنبياء العظام، وينتمى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى نبى اللَّه ابراهيم عليه السلام عن طريق إسماعيل.

التشبيه الثانى: إشارة إلى أنّ أنوار المعارف الإلهية فى مشكاة وجود الأنبياء، وحامل هذه الأنوار هو رسول اللَّه صلى الله عليه و آله. والمشكاة وعاء لحفظ السراج لاتطفأه الريح، وعليه فالأنبياء حفظة أنوار المعارف الإلهية.

التشبيه الثالث: بالالتفات إلى أنّ ذؤابة شعر مقدم الرأس، وعلياء المرتفع، فهى إشارة إلى أنّ نسب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ينتهى إلى أفضل السلالات البشرية وقد ورث عنها ذلك الشرف والمجد.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۳۰

التشبيه الرابع: بالنظر إلى أنّ البطحاء جزء من مكة سكنته قبيلة قريش، والسرة تعنى المركز، فهى إشارة إلى أنّ النبى صلى الله عليه و آله قد انحدر من مركز قبيلة تعتبر أشرف القبائل (وإن دفع حب الدنيا البعض منها إلى عدم اجابة دعوة النبى صلى الله عليه و آله حتى عرفوا بكفار قريش).

التشبيه الخامس: أنّ الأنبياء والرسل هم مصابيح الهدى ومشكاة الأنوار التى تكشف ظلمات الكفر والجهل، وأنّه صلى الله عليه و آله مركز هذه الأنوار وحاملها.

التشبيه الأخير الذى شبه الأنبياء بينابيع العلم والحكمة وأنّ النبى صلى الله عليه و آله أحد هذه الينابيع.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۳۱

القسم الثالث: طبيب سيار

ومنها: «طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ، يَضَعُ ذلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ الَيْه، مِنْ قُلُوبٍ عُمْى، وَآذَانٍ صُمٍّ، وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ؛

مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ، وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ؛ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ؛ وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ؛ فَهُمْ فِي ذلِكَ كَالأَنْعَامِ السَّائِمَةِ، وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ».

الشرح والتفسير

ذهب أغلب شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ المراد بهذه الصفات التى ذكرها الإمام عليه السلام إنّما تعود إليه، حيث خاض فى بيان صفاته بعد أنّ بين صفات رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، واصفا نفسه بأنّه طبيب سيار وقد حمل معه كافة أسباب العلاج التى تشفى المرضى- ولم يشذ من الشرّاح فى نسب هذه الصفات إلى شخص الإمام عليه السلام سوى شخص واحد نسبها إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله- فقد صرح الآمدى فى كتاب غرى الحكم قائلًا:

«إنّه فى ذكر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله»[۶۴۹].

إلّا أنّ ارتباط هذه العبارة بالعبارات السابقة من جهة، وانطباقها على الأوضاع التى كانت سائدة على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من جهة اخرى تؤيد أنّ هذه الصفات فى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله. وأننا لنتعجب كيف لم يطرح قاطبة الشرّاح هذا الأمر على الاقل- على نحو الاحتمال والحال أنّهم لم يقيموا أى دليل لاثبات صحة مدعاهم. صحيح أنّ النبى صلى الله عليه و آله وعلى عليه السلام من شجرة واحدة، وهما

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۳۲

روح واحدة فى جسمين وعامة الصفات تصدق عليهما معا؛ غير أنّه لابدّ من الدقة فى ارجاع الضمائر إلى أصولها.

على كل حال فقد قال عليه السلام:

«طبيب دوار بطبه، قد أحكم مراهمة[۶۵۰] وأحمى مواسمه،[۶۵۱]

يضع ذلك حيث الحاجة إليه: من قلوب عمى، واذان صم، والسنة بكم، متتبع بدوائه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة».

يا لها من تعبيرات رائعة تشبه النبى صلى الله عليه و آله (أو الإمام) بالطبيب!

لأنّ الأطباء يتولون علاج مرضى الأبدان، وينهمك هو فى علاج مرضى الروح والأخلاق الذى يفوق بمراتب مرضى البدن.

حيث أشار إلى ثلاثة منها فى العبارة: أولئك الذين تعمى أبصار قلوبهم ويفقدون السمع واستقبال الحق وعجز اللسان عن ذكر الحق بفعل الذنب والمعصية والغفلة واتباع الهوى

ثم وصفه بأنّه (دوار) فى إشارة إلى أنّه ليس على غرار أطباء الابدان الذين يجلسون فى عياداتهم وينتظرون مراجعة المريض.

بل يحمل وسائله وعلاجه معه ويتجول بحثاً عن المريض، وهذا هو منهج الأنبياء والأوصياء وروثتهم من العلماء، الذين ينبغى لهم أن يقتدوا بالأنبياء ولايروا أنفسهم كالكعبة وأنّ أفراد الامّة مطالبون بالطواف حولهم، بل عليهم أن يكونوا كالصياد الذى يبحث عن صيده، فيفيضوا علومهم على الناس ويأخذوا بأيديهم إلى الحق.

ثم قال عليه السلام واصفاً ما أورده سابقا من مواضع الغفلة ومواطن الحيرة؛ وأصحابها من أهل الغفلة والحيرة:

«لم يستضيئوا بأضواء الحكمة، ولم يقدحوا[۶۵۲] بزناد[۶۵۳] العلوم الثاقبة، فهم

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۳۳

فى ذلك كالانعام السائمة،[۶۵۴] والصخور القاسية».

فالعبارة لم يستضيئوا ولم يقدحوا تفيد أنّهم كانوا يستطيعون حتى قبل قيام الأنبياء أنّ يتخلصوا من جانب من غفلتهم وحيرتهم بنور الحكمة والعلم ودليل العقل، إلّاأنّهم لم يلتفتوا قط للعلم والعقل.

ولعل

«لم يستضيئوا ...»

و

«لم يقدحوا ...»

إشارة إلى طائفتين من الأفراد الضالين الـذين كان يمكن أن يتبدل ضـلالهم نوراً ولو لومضة من العلم والمعرفة التى تصل إلى قلوبهم، والطائفة الاخرى التى كان لها أن تهدى نفسها وان عجزت عن هداية الآخرين.

كما يمكن أن تكون العبارة

«أنعام سائمة»

و

«صخور قاسية»

إشـارة إلى فئتين: فئـة ضالـة وهى كالأنعـام التى لها إلى حـد امكانيـة التعليم والتربيـة، والفئـة الاخرى كالصـخرة الصـماء التى يصـعب اختراقها.

جـدير بالـذكر هناك تفاوت بين مواضع الغفلـة ومواطن الحيرة؛ فالغفلـة تطلق حيث لايلتفت الإنسان إلى أمر ولايرى أخطاره المحدقة به؛ أو كالأمراض الخالية من الألم وفجأة يصاب بها الإنسان فلا يشفى منها.

أمّا مواطن الحيرة؛ فالإنسان يلتفت فيها إلى الأخطار، إلّاأنّه لايعرف كيف يواجهها.

على كل حال فانّ هذا الطبيب الروحى السيار إنّما يتجول بحساب وبرنامج حيثما حل، فيشفى المرضى ويمنحهم العافية والسلامة.

نفحات الولايه، ج۴، ص: ۳۳۵

القسم الرابع: اشباح بلا أرواح

اشارة

«قَدِ انْجابَتِ السَّرائِرُ لِاهْـلِ الْبَصـائِرِ، وَوَضَـحَتْ مَحَجَّةُ لِخَابِطِهَا وَأَسْـفَرَتِ السَّاعَـةُ عَنْ وَجْهِهَا، وَظَهَرَتِ الْعَلامَـةُ لِمَتَوسِّمِهَا. مَا لى أرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلَا أرْوَاح، وَأرْوَاحاً بِلَا أَشْـبَاحٍ، وَنُسَّاكاً بِلَا صَـلَاحٍ، وَتُجَّاراً بِلَا أَرْبَاحٍ، وَأيْقَاظاً نُوَّماً، وَشَـهُوداً غُيَّباً، وَنَاظِرَةً عَمْيَاءَ، وَسَامِعَـةً صَـمَّاءَ، وَنَاطِقَةً بَكْمَاءَ!».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السـلام فى هذا الموضع من الخطبة إلى وضع المنافقين والمعاندين من بنى أمية، فقال عليه السـلام سرائرهـم وبواطنهم ظاهرة لأهل البصائر، وقد إتضح سبيل الحق لسالكه (وعليه فقد تمت الحجة على الجميع)

«قد انجابت ۶۵۵] السرائر لأهل البصائر، ووضحت محجة الحق

لخابطها[۶۵۶]».

ثم قال عليه السلام:

«واسفرت ۶۵۷] الساعة عن وجهها، وظهرت العلّامة لمتوسمها».

يمكن أن يكون المراد من علامات ظهور القيامة، بعثة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بصفته خاتم

نفحات الولايه، ج۴، ص: ۳۳۶

الأنبياء عليه السـلام وآخر بنى من أنبياء اللّه، وكذلك ظهور الفتن فى العالم الإسلامى وعلى الأرض، وليست هناك من منافاة بين هذا الأمر ومرور آلاف السنين، لأنّ هذا الزمان قصير جداً إذا ماقورن بعمر الدنيا.

فقد ورد فى الحديث النبوى أنّه صلى الله عليه و آله قال:

«بعثت أنا والساعة كها يتن وضم السبابة والوسطى»[۶۵۸].

ونخلص ممّا سبق إلى أن اتضاح السرائر ووضوح سبيل الحق واقتراب الساعة لمن دواعى يقظة الغافلين من نوم الغفلة والتوبة إلى اللّه من الذنوب والمعاصى وسلوك طريق الحق والاستقامة عليه.

ومن هنا يتعجب الإمام عليه السلام لعدم وجود ردود الفعل المناسبة من قبل الناس ازاء هذه الامور فقال عليه السلام:

«مالى أراكم اشباحا بلا أرواح، وأرواحاً بلا أشباح، ونساكاً[۶۵۹] بلا صلاح،

وتجاراً بلا أرباح وأيقاظا[۶۶۰] نوماً[۶۶۱]، وشهوداً غيباً، وناظرة عمياء، وسامعة صماء،

وناطقة بكماء».

العبارة:

«أشباح بلا أرواح، وأرواح بلا أشباح»

بعض الجماعات التى لها قدرة ظاهرية بينما ليس لها من تفكير أو تدبر، أو أنّها مفكرة ومدبرة لكنها تفتقر إلى قدرة الاستخدام. ومن الطبيعى ألا- تكون كلا- الجماعتين على صواب وليس من شأنها فعل شىء، كخواء الجسم الذى لاروح فيه والروح التى لاجسم لها.

والعبارة:

«نسا كابلا صلاح»

إشارة إلى العبادات الجوفاء لعباد ذلك الزمان. لأنّ الأثر الأول للعبادة إنّما يتمثل بالتربية والصلاح الإنسانى؛ فاذا لم يكن العبد صالحاً كان ذلك دليل على أنّ عبادته قشر لا لبّ فيه.

والعبارة

«تجاراً بلا أرباح»

يمكن أن تكون إشارة إلى ماورد فى سورة العصر: «وَالعَصْرِ* إِنَّ الإِنْسانَ لَفِى خُسْرٍ* إِلّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ وَتَواصَوْا بِالحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۳۷

والعبارة

«أيقا ظانوماً»

والعبارات الأربع القادمة إشارة إلى الأفراد اليقظين ظاهراً ولهم حضور فى الساحة ويتمتعون بالسمع والبصر والنطق، إلّاأنّهم لايبدون أى رد فعل تجاه الحوادث الحسنة والسيئة، وكأنّهم نيام غير شهود، ولا سمع لهم ولابصر ولا كلام.

نعم فالإسلام يرى وجود كل شىء فى آثاره، والإنسان الحى الذى لا اثر له كأنّه فى عداد الأموات، ومن لابصيرة له فهو أعمى، وقد ورد هذا المعنى كراراً فى القرآن بشأن المنافقين من الأفراد عديمى الإيمان، كالاية: «صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لا يَعْقِلونَ»[۶۶۲] وما شابه ذلك فالذى يستفاد من كلامه عليه السلام أنّه وبخ بشدة أصحابه على عدم ابداء أى رد فعل تجاه بنى أمية بعد أن اتضح لهم باطنهم وخبث مقاصدهم، وكأنّهم نيام فقدوا السمع والبصر والنطق، فلا يأبهون بجنايات بنى أمية. و لا يعلمون أى مصير مظلم ينتظر الإسلام و المسلمين.

تأمّل: الوجود الباهت كالعدم

عادة ما ينظر إلى وجود الأشياء وعدمها من خلال عينيتها فى الخارج، بينما ينظر إليها فى المنطق القرآنى والروائى على أساس الآثار

والمعطيات. وعليه فقد يرى بعض الأحياء فى عداد الموتى إذا ما انعدمت آثارهم والعكس الصحيح فقد يرى الموتى أحياءاً بفعل عطائهم وآثارهم.

وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى كراراً. فقد خاطب النبى الاكرام صلى الله عليه و آله بالقول: «إِنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ»[۶۶۳].

ومن المسلم به أنّ المراد بالموتى والصم هنا الأفراد الذين يتمتعون بظاهر والحياة لهم أذان سامعة؛ إلّاأنّ القران عدهم أمواتاً حين اتخذوا موقف المتفرج ازاء دعوة النبى صلى الله عليه و آله.

ثم قال فى موضع آخر: «وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِى لَهُ إِنْ هُوَ إِلّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ* لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيّاً»[۶۶۴].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۳۸

قال أمير المؤمنين على عليه السلام لكميل بن زياد:

«هلك خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقى الدهر: أعيافهم مفقودة، وأمثالهم فى القلوب موجودة»[۶۶۵].

ولو اعتمدنا المقياس القرآنى والروائى فى تقييم الأفراد والحضارات والمدنيات وسائر الامور، لرأينا العالم بحلة جديدة اخرى، والحق لابدّ أن يكون هذا هو المعيار والمقايس، وذلك لأنّ الكائن الحى من كان له آثار حيوية، ومن افتقر لهذه الآثار فهو ميت. والأموات الذين يخلفون بعض الآثار فهم أحياء مادامت آثارهم الوجودية قائمة فى المجتمع البشرى. ولما كانت آثار الشهداء فى سبيل اللّه باقية، فهم أحياء خالدون (بغض النظر عن الحياة البرزخية). ليس للظلمة والطغاة سوى الموت كيف لا- وهم يخلفون هذا الفساد والدمار.

ومن هنا نعت الإمام عليه السلام تلك الجماعة من أهل الكوفة والعراق بأنّها أشباح بلا أرواح وايقاظ نوماً وشهود غيباً من خلال ذلك المعيار القرآنى والروائى.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۳۹

القسم الخامس: طغاة بنى أمية يأتون على الأخضر و اليابس

اشارة

«رَايَةُ ضَلَالٍ قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا، وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا، تَكِيلُكُم بِصَاعِهَا، وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا. قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنْ الْمِلَّةِ، قَائِمٌ عَلَى الضِّلَّةِ؛ فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ الَّا ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ الْقِدْرِ، أوْ نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ الْعِكْمِ، تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الأدِيمِ، وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ الْحَصِيدِ، وَتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمُ اسْتِخْلاصَ الطَّيْرِ الَحَبَّةَ الْبَطِينَةَ مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ».

الشرح والتفسير

ذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ هذا المقطع من الخطبة منفصلا عن الاقسام السابقة، ويرون أنّ بينهما مطالب اخرى حذفها السيد الرضى (ره) جريا على عادته فى اقتطاف بعض المقاطع من الخطب على أساس فصاحتها وبلاغتها. ومن هنا اعتبر اولئك الشرّاح هذا المقطع إشارة إلى حوادث وفتن آخر الزمان. فى حين لايرى البعض الآخر من الشرّاح انفصالًا بين هذه المقاطع، ومنهم ابن ميثم البحرانى، فيرى هذا الكلام فى طغاة بنى أمية وحكامهم الظلمة، ويبدو هذا الاحتمال قريباً لأنّ عادة السيد الرضى (ره) حين يحذف بعض مقاطع الخطبة يذكرها بقوله (ومنها ومنها)، الأمر الذى شاهدناه بوضوح فى الخطب السابقة.

على كل حال قال الإمام عليه السلام:

«راية ضلال قد قامت على قطبها، وتفرقت بشعبها»

. ورغم أنّ ذلك اخبار عن الحوادث الآتية ليتأهب الناس ويقللوا من اضرارها وخسائرها إلى أقل حد ممكن، مع ذلك فقد أوردها بصيغة الفعل الماضى، أى أنّ مثل هذه الامور واقعه لا محالة!

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۴۰

كما صرّح بذلك الادباء بأنّ المضارع المتحقق الوقوع بمنزلة الماضى. والعبارة

«قد قامت على قطبها»

إشارة إلى أنّ راية الضلالة التى سترفعها الطغمة الفاسدة والمفسدة من بنى امية على درجة من الثبات والرسوخ بحيث لايمكن الاطاحة بها بهذه السهولة.

والعبارة

«تفرقت بشعبها»

وإن بدت ظاهراً فى تفرق فروع هذه الراية، إلّاأنّ المراد فى الواقع فرقة الانصار فى البلاد الإسلامية، ثم قال عليه السلام:

«تكيلكم ۶۶۶] بصاعها، وتخبطكم بباعها[۶۶۷]»

فى إشارة إلى أنّهم يحملونكم على أساس معاييرهم، فمن وافقها رغبوا فيه وإلّا فلا، كما يحتمل أن يكون المراد بالعبارة الاولى أنّهم يمسكون بجميع مقدراتكم، ويعطون لكل شخص ما يريدون.

والعبارة

«تخبطكم بباعها»

بالنظر إلى «تخبط» التى تعنى تساقط ورق الأشجار بضرب الخشب وباع بمعنى الأيدى المفتوحة إشارة إلى أنّهم يستذلونكم بكل ما اوتوا من قوة، وهذا هو اسلوب الحكام الظلمة الذين يحرقون الاخضر واليابس فى البلاد. و هذا هو أسلوب الحكومات المستبدة التى تسوق الجميع حسب معاييرها و يفنى كل من يخالف تلك المعايير.

ثم يصف عليه السلام هذه الحكومة الجائرة بأنّها خارجة عن الإسلام، وقائمة على أساس الضلال والفساد:

«قائدها خارج من الملة، قائم على الضلة»

. هذه العبارة التى تشير إلى معاوية أو سائر حكام بنى أمية، ناظرة إلى هذه المعنى وهو أنّ زعماء هذه الجماعة ليس فقط لايعملون على ضوء قوانين الإسلام ويتجاوزون ضروريات الدين فحسب، بل أساس عملهم ونشاطهم هو الضلال؛ الأمر الذى يشهد به التأريخ.

ثم أشار عليه السلام إلى النهاية المأ ساوية لهذه الأحداث فى أنّه لا يبقى منكم آنذاك إلّاالنزر اليسير كالذى يتبقى فى قعر القدر فاذا حرك وقع:

«فلا يبقى يومئذ منكم إلا ثفالة[۶۶۸] كثفالة القدر، أو

نفاضة[۶۶۹] كنفاضة الحكم ۶۷۰]».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۴۱

فالعبارة تفيد عدم سلامتهم فيها سوى القلة القليلة منهم، لأنّ هؤلاء الظلمة لا يدعون بقاء أحد من المؤمنين الصالحين.

ولا يكتفون بذلك بل:

«تعركم ۶۷۱] عرك الأديم ۶۷۲] وتدوسكم ۶۷۳] دوس الحصيد»

. ويفصلون أهل الإيمان منكم فيقضون عليهم كما تلتقط الطيور الحبوب القوية من الضعيفة:

«وتستخلص المؤمن من بينكم استخلاص الطير الحبّة البطينة[۶۷۴] من بين هزيل ۶۷۵] الحبّ».

فى إشارة إلى أنّ ظلمهم يعم الجميع، إلّاأنّ ظلمهم وجورهم يتضاعف تجاه المؤمنين من الأفراد.

تأمّل: الحكومات المستبدة

إنّ ما اورده الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة وإن كان أخباراً عن بنى أمية وحكومتهم فى المستقبل، إلّاأنّه يبدو أنّ ذلك يمثل قانوناً عاماً كلياً بشأن كافة الحكومات المستبدة الجائرة، فهى تجهد من أجل ترسيخ دعائمها واعتماد المعايير اللازمة لضمان منافعها وديمومتها، والتعامل بمنتهى العنف والقوة مع من يهب لمعارضتها، فتقمع العناصر المؤمنة ولا سيما الناشطة منها، فهى لا تعرف أية قيمة لقانون أو رأفة ورحمة وإنسانية، كما لا تأبه بحقوق الناس؛ الأمر الذى نلمسه بوضوح فى الحكومات المعاصرة.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۴۳

القسم السادس: احذروا المستقبل المشؤوم

«أَيْنَ تَـذْهَبُ بِكُمُ الْمَـذَاهِبُ، وَتَتِيهُ بِكُمُ الْغَيَاهِبُ وَتَخْدَعُكُمُ الْكَوَاذِبُ؟ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ اِيَابٌ، فَاسْـتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ، وَأَحْضِـرُوهُ قُلُوبَكُمْ، وَاسْتَيقِظُوا انْ هَتَفَ بِكُمْ. وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ، وَلْيَحْضِرْ ذِهْنَهُ، فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ الأَمْرَ فَلْقَ الْخَرَزَةِ، وَقَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ. فَعِنْـدَ ذلِكَ أَخَـذَ الْبَاطِلُ مَآخِـذَهُ، وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ، وَعَظُمَتِ الطَّاغِيَـةُ، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ، وَصَـالَ الـدَّهْرُ صِـيَالَ السَّبُعِ الْعَقُورِ، وَهَـدَرَ فَنِيقُ الْبَاطِـلِ بَعْـدَ كُظُومٍ، وَتَوَاخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ، وَتَهـاجَرُوا عَلَى الـدِّينِ، وَتَحَـابُّوا عَلَى الْكَذِبِ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ».

الشرح والتفسير

خاطب عليه السلام صحبه من أجل الفات نظرهم إلى ما ينتظرهم من حوادث صعبة مأساوية- ستصيب المسلمين فى المستقبل- بهدف كبس خسائرها واضرارها أو إرشادهم إلى طرق الإبتعاد عنها، فقال عليه السلام:

«أين تذهب بكم المذاهب، وتتيه ۶۷۶] بكم الغياهب ۶۷۷] وتخدعكم

الكواذب؟ ومن أين تؤتون، وأنّى تؤفكون»

. وهكذا قام عليه السلام هذا الزعيم الربانى بايقاظ مخاطبيه من نوم الغفلة واعدهم لسماع قول الحق، ثم لفت انتباهم إلى الموت وانتهاء أجل الإنسان، فقال عليه السلام:

«فلكل أجل كتاب، ولكل غيبة إياب».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۴۴

فلا تتصوروا أنّ أعماركم ممتدة لانهاية لها وأنّ الفرصة سانحة على الدوام لتدارك مافرط، ولا تظنوا أنّ أعمالكم خافية مستترة ولا تعود عليكم، فالموت حق والعمر محدود والأعمال محفوظة عند اللّه تنتظر الثواب أو العقاب.

وعليه فالمراد بقوله:

«لكل غيبة إياب»

إمّا الموات وأعمال الإنسان!

كما نرى مثل هذا التعبير فى سائر خطب نهج البلاغة. فقد خاطب عليه السلام الامّة فى الخطبة ۸۳ داعياً إياها إلى التوبة قبل حلول الموت الذى عبر عنه بالقول:

«قبل قدوم الغائب المنتظر».

كما ورد مثل هذا المعنى فى الخطبة ۶۴[۶۷۸].

ثم قال عليه السلام:

«فاستمعوا من ربانيكم، واحضروه قلوبكم، واستيقظوا إن هتف ۶۷۹] بكم»

. ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بالنصح والوعظ والتحذيرات، على أنّ الزعيم لابدّ أن يتحدث بصدق إلى اتباعه، ويحرص على لم شملهم وجمع كلمتهم، ويحضر لديهم ذهنه بغية نجاتهم وانقاذهم وهذا ما عليه الحال بالنسبة لزعيمكم

«وليصدق رائد[۶۸۰] أهله، وليجمع شمله ۶۸۱]،

وليحضر ذهنه»

. وخلاصة القول فانّ لزعيم الجماعة وظيفة، كما للُامّة وظيفة أيضاً، فهو يجب عليه أنّ يبيّن للُامّة الواقع والحقائق من جانب، ومن جانب آخر عليه أن يجمع أفراده وينظمهم ويمنحهم فكره وذهنه، فاذا قام الإمام بهذه الامور، كانت وظيفة الامة تتمثل بالجد والاجتهاد من أجل امتثال أوامره.

ثم قال عليه السلام:

«فلقد فلق ۶۸۲] لكم الأمر فلق الخرزة[۶۸۳]، وقرفه ۶۸۴] قرف الصمغة»

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۴۵

فالعبارة كناية عن بيان الحقائق والواقعيات واظهار باطن الامور، والعبارة:

«قرفه قرف الصمغة[۶۸۵]»

إشارة إلى أنى أخرجت لكم عصارة المطالب وجوهرتها، كما تجرى تلك المادة اللزجة من الأشجار. خاض الإمام عليه السلام هنا ثانية فى الحديث عن الحوادث القادمة التى ذكرها سابقاً حيث أتمها ببيان الوقائع الإجتماعية و الأخلاقية و الدينية للحكومات المستبدة، و قد أوضح الآثار المختلفة الإجتماعية و الدينية لهذه الحكومات. و إرتباط هذا القسم من الخطبة بالأقسام السابقة واضح تماما، و إن تخللها بعض العبارات لإيقاظ أصحابه. و العجيب ما ذهب إليه بعض شراح نهج البلاغة من مجانبة هذا القسم للأقسام السابقة بفعل عادة السيد الرضى (ره) فى الإقتطاف، و كأن هذا الإقتطاف الرائع للسيد أصبح ذريعة لمن لم يتأمل الإرتباط بين أقسام الخطبة ليحملها جامع نهج البلاغة.

ثم قال عليه السلام:

«فعند ذلك أخذ الباطل ماخذه، وركب الجهل مراكبه، وعظمت الطاغية، وقلت الداعية».

يمكن أن يكون للطاغية هنا معنى مصدرى: أى أنّ الطغيان يكبر ويتسع على مستوى المجتمع، كما يمكن أن يكون لها معنى اسم الفاعل؛ أى يستفحل أمر طائفة طاغية، ويقل عدد دعاة الحق أمامها، فأمّا أن تقضى عليهم أو تقصيهم عن الساحة الاجتماعية، وهذه أهم الأخطار التى تنبثق من هذه الحكومات الباطلة المستبدة التى تجهد فى كم أفواه دعاة الحق.

ثم قال عليه السلام:

«وصال الدهر صيال السبع العقور، وهدر فنيق الباطل بعد كظوم».

نعم فقد اقتحمت الساحة ثانية من قبيل الجماعات المنافقة وسليلة الجاهلية- التى طردت من الميدان- أثر ضعف دعاة الحق. وعلى هذا الضوء تقلب كافة الموازين والقيم:

«وتوافى الناس على الفجور، وتهاجروا على الدين، وتحابوا على الكذب، وتباغضوا على الصدق».

وهكذا وبمقتضى

«الناس على دين ملوكهم»

فانّ هؤلاء الحكام الفسقة والفجرة عديمى الدين يجدون فى طبع الامّة بهذه الصفات الخبيثة بحيث يحيلون الساحة الإسلامية إلى جحيم

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۴۶

لايطاق.

ورغم أنّ الـدين يشـمل ترك الكـذب والفجور، وهجر الدين يعنى هجر القيم والمثل، إلّاأنّ الإمام عليه السـلام يركز بالخصوص على مسألة الفجور والكذب، لأنّ هذه الرذائل لمن من أخطر الرذائل التى تفرزها طبيعة الحكومات المستبدة الفاقدة للدين، حيث تركز على الفساد والتحلل الأخلاقى والكذب.

أمّا التعبير

«توافى وتهاجروا وتحابوا وتباغضوا»

تشير إلى نقطة لطيفة وهى أنّ الناس فى مثل هذه المجتمعات تتجه زرافات وجماعات نحو الكذب والفجور، وبعبارة اخرى ليس لها من بعد فردى، بل بعد اجتماعى عظيم الخطر.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۴۷

القسم السابع: الانقلاب رأس على عقب

اشارة

«فَاذَا كَانَ ذلِكَ الوَلَدُ غَيْظاً، وَالْمَطَرُ قَيْظاً، وَتَفِيضُ اللِّئَامُ فَيْضاً، وَتَغِيضُ الْكِرَامُ غَيْضاً، وَكَانَ أهْلُ ذلِكَ الزَّمَانِ ذِئَاباً، وَسَلَاطِينُهُ سِبَاعاً، وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالًا، وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً؛ وَغَارَ الصِّدْقُ، وَفَاضَ الْكَذِبُ، وَاسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ، وَتَشَاجَرَ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ، وَصَارَ الفُسُوقُ نَسَباً، وَالْعَفَافُ عَجَباً، وَلُبِسَ الإسْلَامُ لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً».

الشرح والتفسير

واصل الإمام عليه السـلام بحثه السابق فى الأخبار عن المسـتقبل وسيطرة الحكام الظلمة والأعمال الوحشية التى يمارسونها بحق الناس، فى التعرض إلى جـانب آخر من الآثـار المشؤومـة لهـذه الحكومـات، والوضع الأخلاقى والاجتماعى والاقتصادى للناس فى ظل هـذه الحكومات.

فتطرق عليه السلام بادى الأمر إلى الأولاد الذين يثيرون غضب آبائهم، وأصبح المطر قيظاً، وانتشر اللئام فى كل مكان وقل الاخيار:

«فاذا كان ذلك كان الولد غيظا[۶۸۶] والمطر قيظاً[۶۸۷]

وتفيض اللئام فيضاً[۶۸۸] وتغيض الكرام غيضاً[۶۸۹]».

فى إشارة إلى أنّ رذائل السوء للحكام الظلمة إنّما تخترق الأسر والعوائل، والأولاد الذين

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۴۸

ينبغى أن يكونوا قرة أعين والديهم ومصدر سعادتهم وخيرهم، يكونون سبب شقائهم وبؤسهم.

من جـانب آخر تتضـح الآثار الوضـعية لهـذه الأعمال السـيئة فى عالم الطبيعـة والنعم الإلهيـة، كما ينزل المطر فى الصـيف فيـدعو إلى الانزعاج وضياع المحاصيل الزراعية بدلًا من نزوله فى فصل الشتاء فيؤدى إلى برودة الجو وتلطيفه.

أضف إلى ذلـك وإثر انقلاب القيم وضـياعها يفتـح الميـدان لحثالـة المجتمع فيصولون ويجولون فيه، الأمر الـذى يعنى إقصاء الأخيار والصالحين من الساحة، فهذه العناصر الأربعة تشاهد بوضوح فى كل حكومة طاغية مستبدة.

ثم واصل كلامه عليه السلام بالإشارة إلى أربع صفات حيث قسم الفئات الاجتماعية آنذاك إلى أربع وقال:

«وكان أهل ذلك الزمان ذئاباً، وسلاطينه سباعاً، وأوساطه أكالًا،[۶۹۰] وفقراؤه

أمواتاً».

والمراد بأهل ذلك الزمان أعوان الحكام الظلمة وعمالهم وولاتهم.

فاذا كان السلطان ذئباً ضارياً، كان من الطبيعى أن تكون هذه هى صفة بطانته، كما أنّ من الطبيعى أيضاً أن تكون الطبقة المتوسطة من المجتمع فريسة لهذه الذئاب، أمّا الفقراء فيعتريهم النسيان وكأنّهم أموات محوا من صفحة التاريخ.

وكأنّ الإمام عليه السلام قد طالع عن كثب كافة تفاصيل التاريخ البشرى، فكشف النقاب بهذه العبارات القصيرة عن عمق مميزات الحكومات المستبدة الطاغية.

ثم إختتم عليه السلام خطبته بالاشارة إلى سبع ظواهر مقيتة فى هذه المجتمعات والتى تمثل قمة البؤس والشقاء. حيث قال سيزول الصدق فى ذلك الزمان ويكثر الكذب وظهرت المودة على اللسان فى حين انطوت القلوب على البغض والعدوان، ويتفاخر بالذنب ويندهش من العفة والطهر،

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۴۹

فيلبس الإسلام ثوباً مقلوباً:

«وغار[۶۹۱] الصدق، وصار الفسوق نسبا، والعفاف عجباً،

ولبس الإسلام لبس الفرو[۶۹۲] مقلوباً».

يمكن أن تكون العبارة

«غار الصدق، وفاض الكذب»

وبالالتقات إلى معنى الغور الذى يعنى الانتشار داخل الأرض وفاض من فيض بمعنى الماء الوفير أو المطر وأمثال وذلك، إشارة إلى ذلك الزمان وكأنّ عيون الصدق قد غارت فيه فى الأرض بينما جفت بساتين الحياة الإنسانية اثر ابتعادها عن هذه المياه، وبدلا من ذلك فقد عم وانتشر الكذب وكأنه الماء المالح الذى يخرب كل شىء.

والعبارة

«صار الفسوق نسباً»

تفيد مدى اقتراب الفسقة من بعضهم وتوطيد أواصرهم وكأنهم قرابة ونسب.

وقد فسر بعض شرّاح نهج البلاغة الفسوق هنا بالزنا؛ أى يكثر أولاد الحرام فى المجتمع، وينسجم هذا التفسير والعبارة:

«والعفاف عجباً».

الاحتمال الآخر فى تفسير هذه العبارة أنّ الفسقة يفتخرون بفسقهم، كما تفتخر العرب بنسبها، وعلى العكس من ذلك فانّ الأفراد من أهل الطهر والعفاف يشعرون بالخجل إثر ذم المجتمع وملامتهم لهم.

والعبارة:

«لبس الإسلام لبس الفرو مقلوباً»

إشارة إلى نقطة لطيفة وهى أنّ حكام الجور والفسقة والفجرة لايسعون إلى القضاء على الإسلام وسلب الناس دينهم، بل يحرفون الإسلام ويقلبون محتواه من أجل تحقيق أطماعهم ومآربهم. وشهد تاريخ الحكومات المستبدة ولاسيما حكومة بنى أمية على صدق هذا الكلام.

طبيعى أنّ اللباس إذا قلب لم يعد له من شبه بثياب الناس، بل يبدو من يرتديه حيواناً، أما ذكر هذه العبارة بعد الحديث عن مفاسد ذلك الزمان يمكن أن يكون من قبيل ذكر العام بعد الخاص؛ لأنّ الإسلام إذا قلب كان الكذب بدل الصدق والفسوق بدل العفاف وسائر الرذائل بدل الفضائل والقيم.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۵۰

تأمّل: آثار سلطة الأوباش

لقد رسم الإمام عليه السلام فى هذه الأقسام الثلاثة من الخطبة صورة واضحة ببيانه للاحداث القادمة التى ستواجه المجتمع الإسلامى عن كافة الحكومات الطاغية والمستبدة على مدى التاريخ.

حيث تسعى هذه الحكومات لتقوية دعائمها فان استتبت لها الامور واستقرت أقصت كافة الأخيار والشرفاء عن الميدان، واستقطبت بطانتها من حثالة المجتمع ليمارسوا أبشع الأساليب بحق الناس ولا سيما المؤمنين، كما يسعون إلى سوق الناس لأن يعيشوا فى هالة من الجهل والتخبط.

الكذب هو السائد والصدق غائب، والفسوق عامر والطهر ضامر. أضف إلى ذلك فانّ الناس سرعان ما تكتسب رذائل الحاكم، ولاغرو فالناس على دين ملوكهم. وزبدة الكلام فانّ قيم المجتمع ومثله تقلب تماماً على سبيل المثال يكون الفسق والفجور فخراً، بينما يصبح الطهر والعفاف نقصاً.

وبالطبع فانّ مثل هذه الحكومات لا تقف بوجه الدين فى الأوساط الدينية بل تسعى جاهدة لتحريفه واخلائه من محتواه بغية تمرير مخططاتها، إلى جانب تعبئة الرأى العام لصالحها من خلال ترويجها للخرافات التى تستهوى العوام.

والحق اننا إذا اعتمدنا هذه المعايير التى أوردها الإمام عليه السلام تجاه عالمنا المعاصر ولاسيما غالبية البلدان الإسلامية لرأيناها مصداقا واضحاً لما ذكر، وكأن الإمام عليه السلام كان ينظر لكافة الأحداث التى تشهدها مجتمعاتنا اليوم.

أمّا ما أورده الإمام عليه السلام من نبوءة فى هذه الخطبة فانّما يشبه بعض مضامين الروايات التى نقلت عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقد جاء فى الحديث الشريف أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال:

«يَأْتِى عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ وُجُوهُهُمْ وُجُوهُ الادَمِيِّينَ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينَ، كَأَمْثَالِ الذِّئَابِ الضَّوارِى، سَفَّاكُونَ لِلدِّمَاءِ، لَايَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ، إِنْ تَابَعْتَهُمُ ارْتَابُوكَ وَإِنْ حَدَّثْتَهُمْ كَذَّبُوكَ، إِنْ تَوَارَيْتَ عَنْهُمُ اغْتَابُوكَ. أَلسُّنَّةُ فِيهِمْ بِدْعَةٌ والبِدْعَةُ فِيهِمْ سُنَّةٌ،

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۵۱

والْحَلِيمُ مِنْهُمْ غَادِرٌ، وَالْغَادِرُ بَيْنَهُمْ حَلِيمٌ، ألْمُؤمِنُ فِيما بَيْنَهُمْ مُسْتَضْعَفٌ، وَالْفَاسِقُ فِيما بَيْنَهُمْ مُشَرَّفٌ ... فَعِنْدَ ذلِكَ يَحْرِمُهُمُ اللَّهُ قَطْرَ السَّمَاءِ فِى أوانه، و يُنْزِلُهُ فِى غَيْرِ أَوَانِهِ، وَيُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ شِرَارَهُمْ ...»[۶۹۳].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۵۳

الخطبة[۶۹۴] المأة و تسع

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

فى بيان قدرة اللّه وانفراده بالعظمة وأمر البعث

نظرة إلى الخطبة

تعد هذه الخطبة من أفصح وأبلغ خطب نهج البلاغة إلى جانب عظم محتواها ومن هنا أسموها بالزهراء. حتى صرح ابن أبى الحديد قائلًا: من أراد أن يتعلم الفصاحة والبلاغة، ويعرف فضل الكلام بعضه على بعض فليتأمل هذه الخطبة، فانّ نسبتها إلى كل فصيح من

الكلام نسبة الكواكب المنيرة الفلكية إلى الحجارة المظلمة الأرضية، ثم لينظر الناظر إلى ماعليها من البهاء، والجلالة والرواء والديباجة وما تحدثه من الروعة والرهبة والمخافة والخشية؛ حتى لو تليت على زنديق ملحد مصمم على اعتقاد نفى البعث والنشور لهدت قواه، وأرعبت قلبه، وأضعفت على نفسه، وزلزلت اعتقاده.[۶۹۵]

والخطبة تتألف بصورة عامة من ثمانية أقسام:

القسم الأول: يتحدث عن عظمة قدرة اللَّه وعجز المخلوقات أمامه حيث يورد بعض الامور الدقيقة بهذا الشأن.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۵۴

القسم الثانى: فى خلقة الملائكة وبعض صفاتها وخصائصها، التى ستحقر عبادتها تجاه عظمة الحق، لو اطلعت على اسرار الغيب، رغم اجتهادها وذوبانها فى العبادة والطاعة.

القسم الثالث: عن غفلة العباد واقبالهم على الدنيا وابتعادهم عن دعوة الأنبياء مع وجود الآخرة ونعمها الدائمة.

القسم الرابع: يعالج عشاق الدنيا من أهل الذنوب والمعاصى حين الموت، بعبارات بليغة مؤثرة تسوق الغافل إلى التفكير وإعادة النظر فى سلوكه وتصرفاته.

القسم الخامس والسادس: حول القيامة ومقدمات يوم الحساب وسؤال الإنسان عن أعماله، وسعادة المؤمنين، وتعاسة المذنبين وعاقبة كل من هاتين الطائفتين.

القسم السابع: عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وزهده بالدنيا ورغبته عنها. و كونه الأسوة التى ينبغى لأهل الايمان الاقتداء بها.

القسم الثامن: عن أهل البيت عليهم السلام واتباعهم وعظم منزلتهم.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۵۵

القسم الأول: الصفات الكمالية للَّه

«كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ: غِنى كُلِّ فَقِيرٍ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَمَفْزَعُ كُلِّ ملْهُوفٍ. مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ. لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ، بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ. لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ، وَلَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ، وَلَا يَسْبِقُكَ. مَنْ طَلَبَتَ، وَلَا يُفْلِتُكَ، مَنْ أَخَذْتَ، وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ، وَلَايَزِيدُ فِى مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ، وَلَايَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ، وَلَا يَسْتَغْنى عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ. كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ، وكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ. أَنْتَ الأَبَدُ فَلَا أَمَدَ لَكَ، وَأَنْتَ الْمُنْتَهَى فَلَا مَحِيصَ عَنْكَ، وَأَنْتَ الْمَوْعِدُ فَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ. بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ. سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ! سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ! وَمَا أَصْغَرَ كُلَّ عَظِيمَةٍ فِى جَنْبِ قُدْرَتِكَ! وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ! وَمَا أَحْقَرَ ذلِكَ فِيما غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ! وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِى الدُّنْيَا، وَمَا أَصْغَرَهَا فِى نِعَمِ الآخِرَةِ!».

الشرح والتفسير

كما ذكرنا سابقاً فانّ هذه الخطبة من أعمق خطب نهج البلاغة و أروعها و أجملها، وقد تطرق عليه السلام فى بداية الخطبة إلى أوصافه سبحانه وتعالى الجمالية والجلالية وصفات الأفعال بصورة واسعة جامعة.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۵۶

فاشار عليه السلام إلى عشر صفات من صفات الكمال:

«كل شىء خاشع له، وكل شىء قائم به:

غنى كل فقير، وعزّ كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف».

فهذه الصفات الست تعود إلى قدرته المطلقة سبحانه ووجوده المطلق اللامحدود وحاجة جميع الممكنات إليه.

«خاشع»

من مادة

«خشوع»

تعنى فى الأصل الخضوع؛ مع ذلك لها مفهوم أوسع يشمل الخضوع الظاهرى والباطنى والتشريعى والتكوينى. وعليه فخشوع كل شىء له بمعنى التسليم للَّه والانصياع لقوانينه.

وقيام كل شىء باللَّه من حيث إنّه واجب الوجود وغيره ممكن الوجود، والممكن يتوقف على الواجب، كتوقف ضياء الشمس عليها. وإليه يعزى أيضاً غنى كل فقير وعز كل ذليل وقوة كل ضعيف؛ وذلك لأنّ الممكنات والمخلوقات لا تملك لنفسها شيئاً، وكل ما لديها من اللَّه، وكل كمال تحصل عليه فانّما هو فيض من كماله المطلق.

ملهوف من مادة لهف تعنى فى الأصل الغم والهم الذى يعانى منه الإنسان اثر فقدانه لشىء:

كما تستعل أحياناً لمن يظلم من الأفراد ويصرخ مستغيثاً. ولما كانت قدرة الناس زهيدة لا تمكنهم من تحقيق كافة رغباتهم أو الحفاظ على مالديهم، فان حالة الهم والغم والحزن تسيطر عليهم حين يفقدون سندهم المادى والمعنوى، فليس أمامهم من سبيل سوى اللجوء إلى تلك الذات القادرة المقتدرة من أجل حل مشاكلهم والتغلب على مصاعبهم.

والواقع هو أن ماورد سابقاً إنّما اقتبس من عدّة آيات قرآنية اشارت إلى هذه الصفات. فقد صرح القرآن فى موضع: «وَلِلَّهِ يَسْجُدُ ما فِى السَّمواتِ وَما فِى الأَرضِ»[۶۹۶]. وقال فى موضع آخر: «اللَّهُ لا إِلهَ إِلّا هُوَ الحَىُّ القَيُّومُ»[۶۹۷]. وقال: «يا أَيُّها النّاسُ أَنْتُمُ الفُقَراءُ إِلى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الغَنِىُّ الحَمِيدُ»[۶۹۸]. وقال: «قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ المُلْكِ تُؤْتِى المُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٌ»[۶۹۹].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۵۷

ثم اردفها عليه السلام بست صفات اخرى

«ومن تكلم سمع نطقه، ومن سكت علم سره، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فاإليه منقلبه»

. نعم فهو عليم بظاهرنا وباطننا، وهو العالم بحياتنا وموتنا، وإنا إليه راجعون لا محالة.

والحق لو عشنا الإيمان على مستوى القلب والعمل بهذه الصفات التى بينها الإمام عليه السلام لكفتنا فى اصلاح أنفسنا، لابدّ أن نعلم بأنّ كل كالدينا منه سبحانه، وعلينا أن نسأله كل ما نريد، فهو العالم باسرارنا، وأنّ يوماً سنعود إليه ونمثل بين يديه فى محكمته العادلة.

ثم قال عليه السلام و قد ذكر بعضا من صفات الخالق السلبية:

«لم ترك ۷۰۰] العيون فتخبر عنك، بل

كنت قبل الواصفين من خلقك»

. فالعبارة «لم ترك العيون» إشارة إلى أنّه ليس بمخلوق ولا بجسم ليرى، وتبيّن صفاته من خلال الرؤية والمشاهدة.

والعبارة اللاحقة بمنزلة العلة؛ لأنّ اللَّه كان منذ الأزل، ولا يمكن أن يكون جسماً. فالجسم حادث. وعليه فان أردنا أن نصف الذات المقدسة علينا ان نستعين بما أورده انبياء اللَّه وكتبه السماوية.

ثم اشار عليه السلام إلى ثمان صفات اخرى من صفات الجلال ذات البعد السلبى، وفى الواقع نتحدث عن غنى الحق المطلق.

«لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ، وَلَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ، وَلَا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ، وَلَا يُفْلِتُكَ ۷۰۱]

مَنْ أَخَذْتَ، وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ، وَلَا يَزِيدُ فِى مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ، وَلَايَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ، وَلَايَسْتَغْنى عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ».

نعم فهو الغنى عن الجميع، وكل كماله مصدره الحق سبحانه و ليس لشيء من قدرة على تحدى إرادته- و عليه فخلقه للمخلوقات يستند إلى فيضه لالدفع وحشة وحدة أو جلب

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۵۸

منفعة، فلا عبادة العباد تزيد من جلاله، ولاكفرهم ينال من كبريائه، فمن تولى عنه لم يستغن عنه، و من إعترض على قضائه لم يسعه دفعه. ثم ذكر الإمام عليه السلام خمس من صفاته الجمالية فقال:

«كل سر عندك علانية، وكل غيب عندك شهادة، أنت الابد فلا أمد لك، وأنت المنتهى فلا محيص ۷۰۲] عنك، وأنت الموعد فلا منجى منك إلا إليك»

. قد تبدو للوهلة الاولى مفردة

«سر» و «غيب»

بمعنى واحد، وكذلك مفردتى

«علانية» و «شهادة»

، ولكن لايبعد أن يكون المراد بالسر، الأسرار الباطنية للعباد التى يعلمها اللّه، وبعبارة اخرى فانّ كل سر علانية لديه، أمّا الغيب فيعنى الحوادث الآتية، أو الماضية الغائبة على حسناً وشعورناً، أو الكائنات الموجودة حاليا فى هذه السموات والأرض والتى لايبلغها حسنا.[۷۰۳]

والعبارة أنت الأبد تأكيد لأبدية اللّه سبحانه. فهو على درجة من الأبدية وكأنه عينها وذاتها، فهو واجب الوجود، ومن هنا لابداية له ولا نهاية، فالبداية والنهاية من صفات المخلوقات المحدودة من مختلف الجهات.

والتعبير بالمنتهى والموعد صفتان متفاوتان بشأن اللّه سبحانه وتعالى فهو المنتهى بمعنى كل شيء ينتهى إليه:

«انا للّهوانا إليه راجعون»

، وليس لأحد القدرة على الفرار من محكمة عدله.

وقد قال القرآن الكريم صراحة: «وَعُرِضُوا عَلى رَبِّكَ صَفّاً لَقَدْ جِئْتُمُونا كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً»[۷۰۴].

والرسالة التى تحملها هذه الصفات هو أن نعلم ونؤمن بان اللّه خبير عليم بكل شيء بما فى ذلك بواطن أسرارنا وخفاياانا، فما نكتمه على الخلق ليس بمكتوم على الخالق، واننا مرجعنا يوماً إلى محكمة العدل الإلهى، واخيراً لايخفى الدور التربوى والحيلولة دون الوقوع فى الذنب والمعصية إذا ما التفتنا ألى هذه الصفات.

ثم واصل عليه السلام كلامه مؤكداً على قدرة اللّه وعودة جميع الكائنات الحية إليه فقال:

«بيدك ناصية كل دابة، وإليك مصير كل نسمة»

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۵۹

فالتعبير بالناحية كناية عن تسليم المخلوقات لإرادة اللّه المطلقة. والتعبير بكل نسمة يعنى فى الأصل هبوب الرياح المعتدلة، ثم اطلق على روح الكائنات الحية، فى إشارة إلى أنّ كل موجود راجع إليه ماثل فى محكمته.

ثم اختتم الإمام عليه السلام الخطبة بالقول:

«سبحانك ما أعظم شأنك! سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك! وما أصغر كل عظيمة فى جنب قدرتك! وما أهول ما نرى من ملكوتك! وما أحقر ذلك فيما غاب عنا من سلطانك».

والحق ان عظمة هذا العالم وعمق غرائبه تتسع لدينا شيئاً فشيئاً كلما تقدمت مسيرة العلم وتطورت الأجهزة. وقد عبرّ أحد العلماء بأنّ عالم الخلقة- حسب ما لدينا من معلومات- بمثابة المكتبة العظيمة التى تضم ملايين الكتب، وكرتنا الأرضية بكل ما فيها بمنزلة نقطة

فی صفحة من صفحات کتاب من تلک المکتبة الضخمة. کما صرح آخر بأن ما ثبت الیوم أن کواکب السماء علی قدر من الکبر بحیث تذهل الإنسان. فکوکب الجوزاء یبلغ أکبر من کرتنا الأرضیة ثلاثین ملیاردا، هذا بالنسبة لکواکب واحد- و ما أروع ما قاله الإمام علیه السلام بأن ماخفی عنا لأعظم مما نری و قد قال ذلک حیث تنعدم الإکتشافات آنذاک و حین کانت الهیئة البطلیموسیة التی تری صغر عالم الوجود هی السائدة فی کافة الأوساط العلمیة.

فقد انطلق الإمام علیه السلام فی الواقع من خلال الرؤیة القرآنیة لهذه المسألة «لَخَلْقُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ أَکْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّاسِ وَلکِنَّ أَکْثَرَ النّاسِ لا یَعْلَمُونَ»[۷۰۵].

ثم اختتم علیه السلام کلامه فی بیان نعم الدنیا والآخرة فقال:

«وما أسبغ ۷۰۶] نعمک فی الدنیا، وما

أصغرها فی نعم الآخرة».

نفحات الولایة، ج۴، ص: ۳۶۱

القسم الثانی: عبودیة الملائکة

ومنها:

«مِنْ مَلائِکَةٍ أَسْکَنْتَهُمْ سَماوَاتِکَ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِکَ؛ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِکَ بِکَ، وَأَخْوَفُهُمْ لَکَ، وَأَقْرَبُهُمْ؛ لَمْ یَسْکُنُوا الأَصْلَابَ، وَلَمْ یُضَمَّنُوا الأَرْحَامَ، وَلَمْ یُخْلَقُوا «مِنْ مَاءٍ مَهِینٍ» وَلَمْ یَتَشَعَّبْهُمْ «رَیْبَ الْمَنُونِ»؛ وَإِنَّهُمْ عَلَی مَکَانِهِمْ مِنْکَ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَکَ، وَاسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِیکَ وَکَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَکَ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِکَ، لَوْ عَایَنُوا کُنْهَ مَا خَفِیَ عَلَیْهِمْ مِنْکَ لَحَقَّرُوا أَعْمَالَهُمْ، وَلَزَرَوْا عَلَی أَنْفُسِهِمْ، وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ یَعْبُدُوکَ حَقَّ عِبَادَتِکَ، وَلَمْ یُطِیعُوکَ حَقَّ طَاعَتِکَ».

الشرح والتفسیر

لما فرغ الإمام علیه السلام من الحدیث فی الأقسام السابقة عن عظمة خلق اللَّه وملکوت السموات، وأنّ ما نراه لأصغر بکثیر عما خفی علینا من أسرار، أشار هنا إلی الملائکة بفضلها دلالة علی عظمة خلق اللَّه فقال علیه السلام:

«من ۷۰۷] ملائکة أسکنتهم سماواتک، ورفعتهم عن أرضک»

. لاشک أنّ ملائکة لا تقتصر علی سکنة سماواته، فهناک ملائکة الأرض التی تحفظ أعمال الانس وتدبر الامور باذن اللَّه وتتولی قبض الأرواح. لکن بالنظر إلی أن الإمام علیه السلام لم یبین بالعبارة المذکورة حکما کلیا بشأن الملائکة بل تحدث عن طائفة منها فلیست هناک من مشکلة- و لا ضرورة لتلک التوجیهات التی ذکرها هنا بعض شراح نهج‌البلاغة.

نفحات الولایة، ج۴، ص: ۳۶۲

ثم واصل الإمام علیه السلام کلامه فی الإشارة إلی بعض الصفات الثبوتیة والسلبیة لملائکة قائلًا:

«هم أعلم خلقک بک، وأخوفهم لک، وأقربهم منک».

فالصفات الثلاث مرتبطة مع بعضها؛ لأنّه المعرفة العظمی للملائکة بالنسبة لذات اللَّه تؤدی إلی خوفها، الخوف من التقصیر فی إداء الوظائف والمسؤولیات، والخوف الناشیء من عظمته وهیبة مقامه. والصفتان تؤدیان إلی قرب الملائکة من اللَّه.

وهنا یبرز هذا السؤال کیف أنّ الملائکة أعلم من جمیع المخلوقات باللَّه وأقربها إلیه، والحال أنا نعلم أنّ أنبیاء اللَّه- ولاسیما نبی الإسلام- وحتی بعض الصالحین أفضل من الملائکة، وأفضل دلیل علی ذلک سجود کافة الملائکة لآدم، وأفضلیته علیهم من حیث العلم والمعرفة، وقد ورد فی الحدیث أنّ طائفة من الملائکة تقوم علی خدمة الأنبیاء والصلحاء والمؤمنین، کما هناک الحدیث المشهور عن ترکیب خلق الإنسان من العقل والشهوة والملائکة من العقل دون الشهوة، فانّ غلب عقله شهوته کان أفضل من

الملائكة، هو الآخر دليل على أفضلية الإنسان على الملائكة[۷۰۸] ويمكن القول فى الاجابة على هذا السؤال: المراد الأعلمية والقرب النسبى، وبعبارة اخرى فانّ العبارة المذكورة شبيه الحصر الاضافى، كما يمكن القول أنّ العبارة حكم عام يستثنى منه الأنبياء والأولياء.

ثم أشار إلى صفاتهم السلبية بعدم وجود نواقص فى الملائكة على غرار الناس، فذكر أربع صفات منها:

«لم يسكنوا الأصلاب، ولم يضمنوا الأرحام، ولم يخلقوا من ماء مهين ۷۰۹] ولم

يتشعبهم ۷۱۰] ريب ۷۱۱] المنون».

من الواضح أنّ الاستقرار فى مكان محدود كصلب الأب ومن ثم رحم الام، والخلق من قطرة ماء تبدو تافهة، لهو نقص فى الإنسان؛ والحال ليست الملائكة كذلك، فلا من زواج ولا ولادة كالإنسان.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۶۳

أضف إلى ذلك فهى لا تموت ولا تتغير بسبب الزمان، ولا تمرض ولا تشيب وتعجز.

فوجود هذه المميزات وإن كانت من علامات شرف خلقة الملائكة، وأنّ الإنسان لاشك هو أسمى مقاماً منها من هذه الناحية. إلّاأنّ سبب عظمة الإنسان وأفضليته على الملائكة إنّما تعود إلى روحه التى أشارت إليها الآية الشريفة: «نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى»[۷۱۲].

ومن هنا سجد الملائكة كلهم أجمعون لآدم عليه السلام.

أمّا هدف بيان الإمام عليه السلام لكل هذه الصفات ما أراد ذكره فى العبارات اللاحقة

«وأنّهم على مكانهم منك، ومنزلتهم عندك، واستجماع أهوائهم فيك، وكثرة طاعتهم لك، وقلّة غفلتهم عن أمرك، لو عاينوا كنه ما خفى عليهم منك لحقروا أعمالهم، ولزروا[۷۱۳] على أنفسهم،

ولعرفوا أنهم لم يعبدوك حق عبادتك، ولم يطيعوك حق طاعتك».

نعم فالملائكة ورغم تلك المعرفة والمقام الشامخ، فهى قاصرة عن معرفة عظمته ودائرة صفاته فى الجمال والجلال، وعليه فلو فرض تعرفها على اللَّه كما هو، لأكتشفوا أنّهم لم يعبدوه كما هو أهله ولم يطيعوه كما يستحقه. وكل ما أدوه ذرة لاقيمة لها ولاوزن.

فالعبارة تفيد من جانب أنّ معرفة الإنسان باللَّه كلما تسامت، تضاعفت عبادته وطاعته للَّه. كما تفيد من جانب آخر أنّ أحداً لم يعبد اللَّه حق عبادته، كما أنّ أحداً لم يعرف اللَّه حق معرفته، وذلك لأنّ الإنسان والملك- حتى أعظم الناس والملائكة- إنّما هو وجود محدود، والذات الإلهية ليست محدودة، فليس لهذا المحدود أن يؤدى حق عبادة اللَّه ولاطاعته ولامعرفته. أمّا التعبير بالأهواء جمع هوى فى العبارة

«واستجماع أهوائهم فيك»

فلا- تعنى هوى النفس وشططها، بل تعنى الحب والرغبة، لانّ لهذا اللفظ معنيان. وبعبارة اخرى يستعمل أحياناً فى الحب الإيجابى واخرى فى السلبى. والمراد بالعبارة أنّ الملائكة ركزت حبّها وعشقها فى اللَّه سبحانه والعبارة

«قلة غفلتهم عن أمرك»

تفيد امكانية غفلة الملائكة، إلّاأنّها طفيفة جداً. وشاهد ذلك الروايات الواردة فى بعض الملائكة فى ترك الاولى وعليه فلا حاجة لذلك التكلف الذى صرح به بعض شرّاح نهج البلاغة من أنّ القلة هنا تعنى العدم.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۶۴

على كل حال هذا هو حال الملائكة بهذه العبادة والطاعة لالآف السنين فما ظنك بعباداتنا وطاعاتنا البخسة؟ والجدير بالذكر أنّ الرسول الأكرام صلى الله عليه و آله وبالنظر إلى الحديث المعروف

«ما عبدناك حق عبادتك، وما عرفناك حق معرفتك»[۷۱۴]

، قد التفت إلى هذه الحقيقة، أى عدم معرفة الله وعبادته كما يستحق، بينما تبيين العبارة المذكورة للإمام عليه السلام عدم التفات

الملائكة لهذه المسألة، ولعل الآية الشريفة: «وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ»[۷۱۵] دليل آخر على هذا المعنى، وهذا ما يوضح أفضلية الإنسان على الملائكة.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۶۵

القسم الثالث: عالم الآخرة

اشارة

«سُبْحَانَكَ خَالِقاً "وَمَعْبُوداً! بِحُسْنِ بَلَائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ. خَلَقْتَ داراً، وَجَعَلْتَ فِيهَا مَأْدُبَةً: مَشْرَباً وَمَطْعَماً، وَأَزْوَاجاً وَخَدَماً، وَقُصُوراً، وَأَنْهَاراً، وَزُرُوعاً، وَثِمَاراً؛ ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِياً يَدْعُو إِلَيْهَا، فَلا الدَّاعِيَ أَجَابُوا، وَلَا فِيما رَغَّبْتَ رَغِبُوا، وَلَا إِلَى مَا شَوَّقْتَ إِلَيْهِ اشْتَاقُوا. أَقْبَلُوا عَلَى جِيفَةٍ قَدْ افْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا، وَاصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ، قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَوَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا، وَلِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، حَيْثُما زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا، وَحَيْثُما أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا؛ لَا يَنْزَجِرُ مِنَ اللَّهِ بِزَاجِرٍ، وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ، وَهُوَ يَرَى الْمَأْخُوذِينَ عَلَى الْغِرَّةِ، حَيْثُ لَا اقَالَةَ وَلَارَجْعَةَ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ، وَقَدِمُوا مِنَ الاخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ.

فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ».

الشرح والتفسير

تحدث الإمام عليه السلام هنا عن الدار الآخرة وخلق الجنّة وما تضمه من نعم جمة فقال عليه السلام:

«سبحانك خالقاً ومعبوداً! بحسن بلائك عند خلقك»

فقد خلقت تلك الدار العظيمة (الآخرة) وجعلت فيها مختلف النعم من مشارب ومطاعم وأزواج وخدمة وقصور وأنهار

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۶۶

وزرع وثمار

«وجعلت فيها مأدبة[۷۱۶]: مشرباً ومطعماً وأزواجاً وخدماً وقصوراً وأنهاراً

وزروعاً وثماراً».

قطعاً أنّ الهدف من بيان هذه الامور هو تطهير الإنسان من الرذائل والادناس والذنوب والمعاصي وسوقه إلى القرب من اللّه سبحانك: وقد وفرها الحق جميعا لعباده بصفتها تشجع الإنسان على الثبات فى الطريق القويم ومواصلته.

ثم قال عليه السلام:

«ثم أرسلت داعياً يدعو إليها، فلا الداعى أجابوا، ولا فيما رغبت رغبوا، ولا إلى ما شوقت إليه اشتاقوا».

فهم لم يكتفوا بعدم الرغبة بتلك النعم المطهرة الخالدة، بل اقبلوا على جيفة نتنة افتضحوا بأكلها والعجيب فى الأمر أن كلمتهم اتفقت على حبها:

«أقبلوا على جيفة[۷۱۷] قد افتضحوا

بأكلها، واصطلحوا على حبّها».

طبعاً مراد الإمام عليه السلام من ارسال الداعى هو بعث الأنبياء ولاسيما نبى الإسلام صلى الله عليه و آله والمراد بعدم إجابة الدعوة لاتشمل جميع الناس؛ بل الأغلبية من أهل الدنيا المفارقين للآخرة من اتباع الهوى والشهوات.

ومن هنا فقد شبههم بالحيوانات المفترسة التى تنهال على جيفة فتفضح نفسها؛ وذلك لأنّ الرائحة النتنة لتلك الجيفة تفوح من فمها

ويدها.

وقوله عليه السلام:

«واصطلحوا على حبها»

لا يعنى عدم وجود النزاع بين أهل الدنيا، بل هم دائماً كالحيوانات التى تجتمع حول جيفة نتنة وتهجم عليها ليتناول كل قطعة منها. والمراد أنّهم اتفقوا على حبها.

وتشبيه الدنيا بالجيفة، هو تشبيه ورد فى بعض الروايات، وذلك للتعفن الكامن فى باطن

نفحات الولاية ؛ ج۴ ؛ ص۳۶۶

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۶۷

الدنيا التى تختزن أنواع الظلم والذنب، أو لأنّ أصحاب الدنيا يهبون للتنازع والاقتتال بهدف سلبها من بعضهم البعض الآخر.

ثم بيّن الإمام عليه السلام نتيجة هذا الحب للدنيا بشكل قاعدة كلية وعامة وهى:

«ومن عشق ۷۱۸]

شيئاً أعشى ۷۱۹] بصره، وأمرض قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة، ويسمع باذن غير

سميعة».

فقد ركز الإمام عليه السلام على نقطة يكشف فيها عن حقيقة وهى أنّ حب الدنيا وعشق زخرفها وزبرجها وزينتها المادية إنّما يسلب الإنسان اصدار الأحكام بصورة صحيحة، بحيث يحسب أنّ سعادته وموفقيته إنّما تتمثل بالوصول إلى هذه الدنيا المادية، مهما كان وكيفما كان الطريق المؤدى اليها.

ومن الطبيعى أن يتعذر على مثل هذا الفرد تشخيص الحق من الباطل والمصالح من المفاسد. فهو ينطلق بشكل جنونى نحو لذات الدنيا، فاذا أفاق رأى نفسه وقد فقد كل شىء.

وسنتحدث فى البحث القادم ان شاء اللَّه عن حقيقة العشق وآثاره.

وتختتم هذا البحث بالحديث النبوى الشريف:

«من جعل الدنيا أكبر همه، فرق اللَّه عليه همه، وجعل فقره بين عينيه»[۷۲۰].

ثم قال عليه السلام:

«قد خرقت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه، وولهت عليها نفسه».

فقد شبه الإمام عليه السلام العقل فى العبارة الاولى بالثوب، الذى يمكنه أن يحفظ الإنسان ويكون له زينة، أمّا الشهوة فهى تمزق ثوب العقل الجميل. وفى العبارة الثانية وصف غلبة الشهوات على العقل بأنّه موت للعقل. كما أشار عليه السلام فى العبارة الثالثة إلى أنّ حب الدنيا والرغبة فيها قد أحاط بجميع كيان أهل الدنيا وطلابها.

وعليه فمثل هذا الإنسان عبد للدنيا، ولمن فى يده شىء من حطامها:

«فهو عبد لها، ولمن يده شىء منها، حيثما زالت زال إليها، وحيثما أقبلت أقبل عليها».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۶۸

فهو لاينزجر بأى زاجر ولا يكترث لأىناهى، ولايتعظ بموعظة واعظ ولا يصغى إلى نصح ناصح، والحال يرى بأم عينيه من يؤخذ بغتة لاصفح ولاعقو ولارجعة

«لا ينزجر من اللَّه بزاجر، ولا يتعظ منه بواعظ، وهو يرى المأخوذين على العزة[۷۲۱] حيث لا إقالة[۷۲۲]

ولارجعة، كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون، وجاءهم من فراق الدنيا ما كانوا يأمنون، وقدموا من الآخرة على ما كانوا يوعدون، فغير موصوف ما نزل بهم».

نعم فمن يرى بعينه كل يوم تقلب أحوال الدنيا وغدرها بأهلها لابدّ أنّ يكون يقظاً، يستمع إلى الوعظ والنصح وينتهى بنهى الآخرين، إلّاأنّ المؤسف له هو أنّ حب الدنيا والتكالب عليها والاغترار بزخارفها ليعمى عين الإنسان ويصم سمعه ويستحوذ على فكره بحيث لايسمح له بأن يفيق إلى نفسه.

تأمّل: العشق المقدس والهجين

لقد أشار الإمام عليه السلام بعبارة قصيرة بليغة إلى حقيقة مهمة، طالما استغرق فيها العلماء والعرفاء والشعراء والادباء.

فقد قال عليه السلام:

«من عشق شيئاً أعشى بصره، وأمرض قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة، ويسمع باذن غير سميعة»

، وقد دفعتنا هذه العبارة لأن نتحدث عن العشق، المقدس منه الايجابى، والمستهجن السلبى. فقد قيل الكثير فى العشق وعظمته وجنونه وأمراضه، ولعلها من الكلمات القل التى وردت بشأنها كل هذه التعبيرات والتعاريف المختلفة والمتناقضة. فقد سمى به بعض الكتاب إلى درجة جعلتهم يرونه بمثابة ضابط الحياة والسعادة الأبدية! أو أنّ العشق معمار عالم الوجود.

كما أنّ تحدثوا عن إعجازاته بالنسبة للإنسان حيث ينشط روح الإنسان ويملأ قلبه حيوية وحركة، بل قيل بانعدام طعم الحياة بدونه.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۶۹

وبالمقابل فهناك طائفة من الكتاب والفلاسفة الذين صعدوا من حملاتهم واتهاماتهم للعشق ليصوره كمرض مقيت يدعو إلى التقزز.

فقد قال أحد الكتاب المعروفين: علينا أن نرى العشق عبارة عن عصارة الأدمغة الخاوية إن لم نقل بأنّه نوع من الجنون.

وقال كاتب آخر: أنّ العشق كمرض السرطان والنقرس الذى ينبغى أنّ يفر منه الإنسان العاقل.

فالتفسيرات المتناقضة للعشق تشير إلى أنّ العلماء والمفكرين لم يتحدثوا جميعاً عن شىء واحد. فهناك من تكلم عن العشق المقدس الذى يضفى القدسية والطهارة على الإنسان، ويشده بقوته الفائقة نحو معشوقه الحقيقى خالق الوجود.

أمّا من ذمه منهم فانما قصد به ذلك العشق المادى والمفعم بالخطايا والرذائل والجنايات الذى يفضى غالباً إلى المرض والفضيحة والشقاء.

فالإنسان فى العشق المادى يقبل بجنون على الشىء الذى يتعلق به ويعشقه، ويضحى بكل مالديه من أجله. فالمراد بهذا العشق هو تلك القوة السحرية التى تقود الإنسان إلى المعصية والذنب والخطيئة، وكل ما قيل فى ذمه فهو قليل.

فهذه القوة الطاغية تخرب العقل وتشل حركته وفاعليته بحيث يقدم الإنسان على الأعمال الجنونية الطائشة.

وتتمثل اولى مخاطر ذلك بتعظيمه العيوب والقبائح. فمثل هؤلاء العشاق يبتكرون أنواع التفاسير المذهلة لأقبح العيوب.

فهم لايقبلون النصح ولا يصغون إلى الوعظ، بل يهبون أحياناً للوقوف بشدة بوجه الناصحين والوعاظ.

والغريب فى الأمر أنّ الأشخاص الذين يعيشون مثل هذا العشق المادى الجنونى يشعرون أنّهم بلغوا إدراكاً حرم منه معظم الآخرين.

فهم يعيشون فى هالة من الأوهام والخيالات ولايفهمون سوى لغة العشق الطائش، فلا يفهمون لسان العلم والمنطق الذى يحدثهم به الآخرون.

وبالطبع فان جذبة هذا العشق غالباً ما تطفىء بالمجامعة!

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۷۰

آنذاك تطرح الحجب فيلتفت إلى الواقع. وكان هذا العاشق قد نهض من سبات عميق ليتبدل لديه ذلك العشق إلى نفرة ومقت،

وذلك لأنّه يرى نفسه قد فقد كل شيء مقابل ذلك المعشوق؛ الأمر الذى يقود بالتالى إلى الفضيحة والخزى.

الفضيحة التى لايمكن تلافيها بعد اليقظة.

وبالطبع فانّ أغلب حالات الانفصال والانتحار إنّما تفرزه هذه الحالة من العشق لعمق الهوة بين الخيال والواقع.

ولا تقتصر هذه النتائج المريرة على العشق الجنسى، بل تترتب نفسها على عشق المال والمقام والجاه والجلال المادى.

ولعل هذا هو المعنى الذى أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام حين سأله أحد أصحابه فقال عليه السلام

: «قلوب خلت عن ذكر اللَّه، فأذاقها اللَّه حب غيره»[۷۲۳].

وورد فى حديث عن على عليه السلام فى عجز العاشق عن رؤية الحقائق إذ قال:

«عين المحب عمية عن معايب المحبوب، وأذنه صماء عن قبح مساويه»[۷۲۴].

وإلى هذا العشق المجازى أشار الحديث النبوى الشريف:

«من عشق فعف ثم مات، مات شهيداً»[۷۲۵].

كما قال صلى الله عليه و آله:

«من عشق وكتم وعف وصبر، غفر اللَّه له، وأدخله الجنّة»[۷۲۶].

وعلى العكس من ذلك فى العشق الحقيقى والمقدس فانّ روح الإنسان تعيش حالة من الصفاء والنور، فلا يرى سوى معشوقه الحقيقى مظهر الكمال المطلق، فيتحمل فى سبيله كافة الشدائد. فقد ورد فى الحديث القدسى:

«إذا كان الغالب على العبد الاشتغال بى جعلت بغيته ولذته فى ذكرى، فاذا جعلت بغيته ولذته فى ذكرى، عشقنى وعشقته، فاذا عشقنى رفعت الحجاب فيما بينى وبينه»[۷۲۷].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۷۱

وما مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام بالاسحار ودعاء الصباح ودعاء كميل وتضرع الإمام الحسين عليه السلام فى يوم عرفة فى تلك الصحراء والمناجاة الخمس عشرة للإمام السجاد عليه السلام التى وردت فى الصحيفة السجادية ودعاء الندبة الذى يلهج به لسان المنتظر لظهور إمام العصر والزمان عليه السلام الامعطيات وآثار هذا العشق الطاهر. وعليه يتضح ممّا مر معنا أنّ الذم الذى أورده بعض العلماء لمفردة العشق وتلك الحساسية التى ابدوها تجاهه إنّما مرادهم العشق الملوث المشوب بالخطيئة، وإلّا فالعشق المقدس من أعظم القوى المحركة للإنسان والتى تدفع به نحو اللَّه سبحانه والقيم والمثل الإنسانية النبيلة، ويخطىء كل من يتصور خلو كلمات المعصومين عليهم السلام من هذه المفردة التى كثرت فى روايات النبى صلى الله عليه و آله وأئمة العصمة عليهم السلام.

ومن ذلك مارواه المرحوم الكلينى عن النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها، وأحبها بقلبه، وباشرها بجسده، وتفرغ لها»[۷۲۸].

وورد فى حديث آخر بشأن الصحابى الجليل سلمان:

«إن الجنّة لأعشق لسلمان من سلمان للجنّة»[۷۲۹].

قال العلامة المجلسى فى ذيل الحديث الأول العشق يعنى الإفراط فى الحب و قد تصوروه يختص بالأمور الباطلة دون حب اللَّه، بينما تفيد هذه الرواية ليس الأمر كذلك، و إن إقتضى الإحتياط أن لانستعمل مفردة العاشق و المعشوق على اللَّه.

عالم الآخرة

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۷۳

القسم الرابع: سكرات الموت

اشارة

«اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْفَوْتِ، فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ، ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ، عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ، يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمْرَهُ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ! وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالًا جَمَعَهَا، أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا، وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَمُشْتَبِهَاتِهَا، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا، وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا، تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا، فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ، وَالْعِبءُ عَلَى ظَهْرِهِ. وَالْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا، فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَزْهُدُ فِيما كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمُرِهِ، وَيَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ! فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَايَنْطِقُ بِلِسَانِهِ، وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ:

يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وجُوهِهِمْ، يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلَايَسْمَعُ رَجْعَ كَلامِهِمْ. ثُمَّ ازْدَادَ زاد الْمَوْتُ الْتِيَاطاً بِهِ، فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ، وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ، فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ، قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِه، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ. لَا يُسْعِدُ بَاكِياً، وَلَا يُجِيبُ دَاعِياً. ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخَطٍّ فِي الأَرْضِ، فَأَسْلَمُوهُ فيهِ الَى عَمَلِهِ، وَانْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ».

الشرح والتفسير

تطرق الإمام عليه السلام هنا إلى سكرات الموت بعبارات تهز أعماق الإنسان وتلفت انتباهه إلى

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۷۴

تلك الحقيقة:

«اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت».

فالواقع هناك هجوم ثقيل على الإنسان وهو على أعتاب الموت: الأول هجوم سكرات الموت، وهو حالة تشبه السكر تحدث للإنسان حين يحل أجله، وقد تستولى أحياناً على عقله فتجعله يعيش حالة من الاضطراب والقلق العظيم.

والآخر حسرة فقد ان كل شيء كان قد أجهد نفسه عمراً طويلًا من أجل الحصول عليه وعانى فى سبيله الأمرين.

وهى امور تعلق وشغف بها وكأنّها أصبحت جزءاً من وجوده وكيانه، وإذا به يرى الآن أنّه يودعها إلى غير رجعة، وهذا ما يضاعف من قلقه واضطرابه ثم خاض عليه السلام فى شرح تفاصيل تلك السكرات، حيث تضعف حينها الأعضاء والجسد بعد أن يتغير لونها، ثم يدب فيها الموت بالتدريج، فيفصلها عن اللسان، والحال هو جالس بين أهله يراهم بعينه ويسمع كلامهم باذنه، وهو على سلامة من عقله:

«ففترت لها أطرافهم، وتغيرت لها أطرافهم، ثم ازداد الموت فيهم ولوجاً، فحيل بين أحدهم وبين منطقه، وإنّه لبين أهله ينظر ببصره، ويسمع باذنه، على صحة من عقله، وبقاء من لبه».

فالذى يستفاد من هذه العبارات أنّ أول ما يتوقف عن العمل هو لسان الإنسان. اللسان الذى يعدّ أكبر سند للإنسان من أجل حل مشاكله، ويالها من حسرة وفاجعة أن يرى الإنسان بعينه ويسمع باذنه وهو على سلامة من عقله ولبه، لكنه لا يستطيع أن ينبس ببنت شفة فيلهج بما يريد. ذكر أحد شراح نهج‌البلاغة هنا مثالا من التوراة عن الموت حيث شبهته بالشجرة ذات الأشواك التى تغوص فى جميع البدن، و يغرس كل شوكة فى عصب من عصبه فتمزقها جميعاً و تقضى عليه.

ثم واصل عليه السلام كلامه بشأن من هجم عليه سكرة الموت فى أنّه فاق من غفلته واستغرق فى التفكير فهو يفكر فيم أقضى عمره وذهب به أدراج الرياح وكيف أفنى دهره:

«يفكر فيم أفنى عمره، وفيم أذهب دهره».

يتذكر هنا الأموال والثروات التى جمعها وقد أغمض عينيه عن الكيفية التى جمعت بها

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۷۵

دون الاكتراث إلى الحلال والحرام والمحظور والممنوع:

«ويتذكر أموالًا جمعها، أغمض ۷۳۰] فى

مطالبها، وأخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها، قد لزمته تبعات جمعها، وأشرف على فراقها».

نعم فهو يفيق إلى نفسه وأول كـابوس يقض مضـجعه ويهيمن على كيانه هو كابوس أمواله؛ الأموال التى لم يفكر بالحلال والحرام فى جمعها بعد أن أعماه حبّ الدنيا، أو أنّه اعتمد بعض التوجيهات المشـبوهة ليستحوذ على بعض الأشياء، والآن بعد أن رفع عنه الحجاب فهو يرى العبىء الثقيل الـذى طال عاتقه متمثلًا بحق اللَّه وحق الناس، والأنكى من ذلك عدم وجود سبيل إلى الفرار. ليس له من لسان لبيـان هـذه المشـكلة، وإن كـان له من بيـان، فليس هنالك من يسـمع! ولو سـمعه من حوله من قرابته ووارثيه اكتفوا بالقول (أنّه ليهجر حيث فقد عقله وفكره) ليتمكنوا من مصادرة أمواله بسهولة.

وهـذا هو البؤس الحقيقى فى أن يشـقى الإنسان بجمع هـذه الأموال وتبقى عليه تبعتها ومسؤوليتها، بينما يخلفها الآن إلى غيره ويفارقها إلى غير رجعة.

ومن هنا قال عليه السلام:

«تبقى لمن وراءه ينعمون فيها، ويتمتعون بها، فيكون المهنأ لغيره، والعب ۷۳۱] على ظهره، والمرء قد غلقت رهونه ۷۳۲] بها».

يالها من مصـيبة! أن يرى الإنسان كل هـذه القصور الفخمـة والأجهزة المتطورة والثياب الفاخرة ووسائل الراحـة الراقية والأموال الوفيرة التى عـانى مـا عـانى فى الـدنيا من أجـل الحصول عليها وهو يهبها الان لقمـة سائغـة لمن وراءه! والأدهى من ذلك ذهبت لـذتها لغيره وبقيت تبعتها عليه.

وليت شعرى ليس له الآن سوى الحسرة والندم فلم تعد هناك من فرصة لتلافى ما فرط

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۷۶

منه وتدارك ما قصر فيه ولذلك قال عليه السلام:

«فهو يعض يده ندامة على ما أصحر له ۷۳۳] عند

الموت من أمره، ويزهد فيما كان يرغب فيه أيام عمره».

وهنا يتذكر الحساد الذين واجهوه فى حياته وحاولوا الاستيلاء على أمواله وثرواته ويسـلبوه ملكيتها، إلّاأنّه حال دونهم بفكره وشـطارته ولم يدعهم ينيلون منها، إذ ذاك تمنى حين هجم عليه الموت ألا يكون قد أخذها، وليتها صارت من نصيب من حسده وغبطه عليها:

«ويتمنى أن الذى كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه».

ثم خاض عليه السلام فى تفاصيل الموت بعبارات تهز النفس وتوقظ الضمير، وكأنّه يعيش تلك الحالة ويوشك أن يودع الدنيا الفانية:

«فلم يزل الموت يبالغ فى جسده حتى خالط لسانه سمعه، فصار بين أهله لاينطق بلسانه، ولايسمع بسمعه».

فأخذت الأعضاء تموت الواحد بعد الآخر ولم يبق له من لسان ناطق أو أذن سامعة:

«يردد طرفه بالنظر فى وجوههم، يرى حركات ألسنتهم، ولايسمع رجع كلامهم»

أنّهم يسعون لأنّ يرتبطوا به ولكن لم يعد هنالك من سبيل.

ثم قال عليه السلام:

«ثم ازداد الموت التياطاً[۷۳۴] به، فقبض بصره كما قبض سمعه، وخرجت

الروح من جسده، فصار جيفة بين أهله، قد أو حشوا من جانبه، وتباعدوا من قربه، لا يسعد باكياً، ولا يجيب داعياً».

ثم بلغ مرحلته الأخيرة:

«ثم حملوه إلى مخط[۷۳۵] فى الأرض، فأسلموه إلى عمله،

وانقطعوا عن زورته ۷۳۶]».

لقد ألفوه سنوات، كان يضحكون معه وربما لم يطيقوا بعده، أمّا الآن بعد أنّ حل الموت بساحته، فهم لم يعودوا يتحملوا الجلوس بقربه ولو لساعه، وكأنهم لم يألفوه وكانوا غرباء عنه.

تأمّل: سكرة الموت والاحتضار

ليست هناك من لحظة يتعرض فيها الإنسان لأعظم خطر طيلة حياته أبلغ وأوجع من لحظة الاحتضاره فهى.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۷۷

لحظة انتهاء الامال والأمانى.

لحظة الاغماض عن كافة وسائل الحياة.

لحظة مفارقة الأهل والأقرباء والأصدقاء.

لحظة وداع الدنيا وما فيها.

وبالتالى لحظة الانتقال إلى عالم جديد ربما انطوى على كثير من المشاكل والمعضلات الخطيرة.

وقد صور الإمام عليه السلام هذه اللحظات بصورة دقيقة متابعا الموت مرحلة مرحلة تملأ القلب رعبا وخشية إذا ما تمثلها على حقيقتها.

فقد هدف الإمام عليه السلام إلى ايقاظ الإنسان من غفلته قبل أن يفيق فى اللحظة حين لا يجديه نفعاً، فيستعد لها ويهيى الزاد اللازم لها.

وهنا لاينبغى أن ننسى بأنّ أولياء اللّه والصالحين من العباد إنّما يستقبلون الموت برحابة صدر وطلاقة وجه؛ وذلك لأنّهم يرون الموت طفرة نحو السعادة والخلود والحياة الابدية، وبعبارة اخرى فانّ سكرات الموت إنّما تتوقف على أعمال الإنسان، وعليه فيمكن أن تكون من أخطر اللحظات وأصعبها، كما يمكن أن تكون من أجملها وأروعها.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۷۹

القسم الخامس: قيامة الناس

«حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَالامْرُ مَقَادِيرَهُ، وَأُلْحِقَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ، أَمَادَ السَّماءَ وَفَطَرَهَا، وَأَرَجَّ الأَرْضَ وَأَرْجَفَهَا، وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا، وَدَكَّ بَعْضَهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلَالَتِهِ وَمَخُوفِ سَطْوَتِهِ، وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا، فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلَاقِهِمْ، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِما يُرِيدُهُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا الأَعْمَالِ وَخَبَايَا الافْعَالِ، وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَنْعَمَ عَلَى هؤُلَاءِ وانْتَقَمَ مِنْ هؤُلَاءِ».

الشرح والتفسير

خاض الإمام عليه السلام فى مرحلة اخرى تواجه الإنسان، بعد أنّ أشار إلى دنيا الطالحين واللحظات المريرة التى يعيشونها آخر حياتهم حين الاحتضار. فقد تطرق عليه السلام هنا إلى القيامة والحساب ليكمل بحث مصير الإنسان ويكون عبرة للاخرين، بهدف اليقظة والابتعاد عن الانحراف وسلوك الصراط المستقيم.

فقال عليه السلام:

«حتى إذا بلغ الكتاب أجله، والأمر مقاديره، وألحق آخر الخلق بأوله، وجاء من أمر اللّه ما يريده من تجديد خلقه»،

نعم فحياة الإنسان فى هذه الدنيا ليست هدفاً غائياً، بل هى مقدمة لتلك الحياة الخالدة فى ذلك العالم الخالد.

«أماد[۷۳۷] السماء و فطرها، و أرج ۷۳۸] الأرض و أرجفها،[۷۳۹] و قلع جبالها و نسفها،[۷۴۰]

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۸۰

ودک ۷۴۱] بعضها بعضا من هيبة جلالته ومخوف سطوته».

حيث يقع انفجار عظيم فى السموات والأرض فيضنى عالم المادة تماماً فيظهر عليه عالم جديد، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك العالم كونه العالم الذى تقام عليه القيامة والحساب:

«يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرضُ غَيْرَ الأَرضِ وَالسَّمواتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الواحِدِ القَهّارِ».[۷۴۲]

والواقع هو أنّ الإمام عليه السلام قد اقتبس هذه العبارة من الآية الشريفة:

«إِذا السَّماءُ انْفَطَرَتْ* وَ إِذا الكَواكِبُ انْتَثَرَتْ»[۷۴۳].

كما قال بشأن الأرض: «إِذا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً* وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسّاً* فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثّاً»[۷۴۴].

وقال: «يَوْمَ تَرْجُفُ الرّاجِفَةُ* تَتْبَعُها الرّادِفَةُ»[۷۴۵]

ثم قال عليه السلام:

«وأخرج من فيها، فجددهم بعد إخلاقهم جمعهم بعد تفرقهم».[۷۴۶]

وهذه بداية قيامة الإنسان، حيث يعود إلى حياة جديده يرد بها المحشر.

والعبارة

«جددهم»

إشارة واضحة إلى المعاد الجسمانى واعادة بناء الإنسان وتكامله الجسمى فى المحشر.

والعبارة

«وجمعهم بعد تفرقهم»

ممكن أن تكون إشارة إلى تجمع الناس فى المحشر، أو جمع الذرات المتفرقة لكل إنسان من أجل تجديد حياته، ولا مانع أن تكون العبارة إشارة إلى كلا المعنيين.

ثم قال عليه السلام:

«ثم مميزهم لما يريده من مسألتهم عن خفايا الأعمال، وخبايا الأفعال،

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۸۱

وجعلهم فريقين: أنعم على هؤلاء وانتقم ۷۴۷] من هؤلاء».

والعبارة:

«خبايا الأفعال، وخفايا الأعمال»

يمكن أن يرادبها مطلب واحد، يعنى الأعمال الخفية: كما يحتمل أن تكون

«خفايا الاعمال»

إشارة إلى الأعمال التى تتم فى الخفاء وان أتى بها وسط الناس، و

«خبايا الأفعال»

إشارة إلى الأعمال التى تتم فى الخلوات، لأنّ خبايا جمع خبيئة الشىء المخبوء.

على كل حال ليس هنالك من عمل من أعمالنا بخفى على اللّه، لأنّه حاضر فى كل مكان و العالم حاضر لديه.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۸۳

القسم السادس: الثواب والعقاب

اشارة

«فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ، وَخَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ، حَيْثُ لَايَظْعَنُ النُّزَّالُ، وَلَاتَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ، وَلَا تَنُوبُهُمُ الافْزَاعُ، وَلَاتَنَالُهُمُ الْاسْقَامُ، وَلَاتَعْرِضُ لَهُمُ الاخْطَارُ، وَلَا تُشْخِصُهُمُ الاسْفَارُ. وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَغَلَّ الْأَيْدِيَ إِلَى الْأَعْنَاقِ، وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْاقْدَامِ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ، وَمُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ، فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ، فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ وَلَجَبٌ، وَلَهَبٌ سَاطِعٌ، وَقَصِيفٌ هَائِلٌ، لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يُفَادَى أَسِيرُهَا، وَلَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا. لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى .

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذا الموضع من الخطبة- الذى يمثل فى الواقع آخر مرحلة سير الإنسان- إلى جانب من ثواب المحسنين وعقاب المسيئين فقال:

«فأما أهل الطاعة فأثابهم بجواره، وخلدهم فى داره».

ثم تحدث عليه السلام عن خصائص تلك الدار بعبارات قصار بعيدة المعنى

«حيث لايظعن ۷۴۸]

النزال، ولا تتغير بهم الحال».

وإلى جانب ذلك فلا من خوف ولا مرض ولاخطر ولاسفر يخرج من الديار

«ولا تنوبهم الأفزاع ۷۴۹]، ولا تنالهم الأسقام، ولا تعرض لهم الأخطار ولا

تشخصهم ۷۵۰] الأسفار».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۸۴

وعليه فالحوادث المزعجة والعوارض المقلقة التى تصدع باستمرار هدوء الإنسان فى الحياة الدنيا، لا وجود لها فى الآخرة، والإنسان فى راحة تامة هناك ينعم بالسكينة والاستقرار والحياة المملوءة بالفرح والسرور، فليس هنالك من خطر يهدده، ولامرض ولا عوامل طبيعية مرعبة من قبيل السيول والزلازل والقحط وسائر الحوادث الاجتماعية التى تدعوا إلى النزاع والحرب فتهدد أمنه.

والفارق بين العبارة

«لايظعن النزال»

والعبارة

«ولا تشخصهم الأسفار»

فى أنّ الاولى إشارة إلى السفر الاضطرارى الذى قد يجبر عليه الإنسان فى الدنيا أحياناً فيترك وطنه بالمرة، والثانية إشارة إلى الأسفار التى يضطر لها الإنسان فى الدنيا بهدف تلبية حاجاته ومتطلباته فيتحمل المشاق والمصاعب، وليس هنالك أى من هذين السفرين فى الدار الآخرة.

نعم فالحياة الدنيا مهما كانت مريحة مفعمة بالنعم إلّاأنّها ليست حلوة مرجوة بسبب تلك الآفات والعوارض؛ بينما حلوة هى الدار الآخرة لخلوها من هذه الآفات والعوارض.

وهنا قد يقتدح إلى الأذهان هذا السؤال اننا لندرك قيمة النعمة حين نفقدها والصحة والعافية والسلامة حين السقم والمرض، وما لم نر ظلمة الليل فلا نقف على أهمية شعاع الشمس فى النهار، أفلا يغيب عن الإنسان إدراك لذة تلك النعم إذا لم تطرأ عليها الحوادث المذكورة؟

وللاجابة على هذا السؤال لابدّ من الالتفات إلى نقطتين: الاولى أنّ نعم الآخرة فى حالة تغيير، أى هناك نعمة تستبدل باخرى على

الدوام، وكل يوم يفاض عليهم نعم جديدة، ومن شأن هذا التغيير أن يقضى على حالة الرتابة. والثانية ما يجعل نعم الدنيا مريرة هو أنّها محفوفة بالاخطار، والذى يؤرق الإنسان هو عدم انفكاكه عن التفكير فى سلبها وزوالها، وقد أشار الإمام عليه السلام إلى عدم وجود هذه الامور فى نعم الآخرة.

فقد ورد على لسان أهل الجنّة حين حمدهم للّه وثنائهم عليه: «وَقالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذهَبَ عَنّا الحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ* الَّذِى أَحَلَّنا دارَ المُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنا

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۸۵

فِيها نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ»[۷۵۱].

ثم خاض عليه السلام فى تفاصيل أهل المعصية وما يتعرضون له من مشقة

«وأمّا أهل المعصية فأنزلهم شر دار، وغل الايدى إلى الاعناق، وقرن النواصى بالأقدام».

والعبارات إشارة إلى ما صرح به القرآن الكريم: «إِذِ الأَغْلالُ فِى أَعْناقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ* فِى الحَمِيمِ ثُمَّ فِى النّارِ يُسْجَرُونَ»[۷۵۲].

ثم واصل عليه السلام كلامه قائلًا:

«وألبسهم سرابيل القطران، ومقطعات النيران، فى عذاب قد اشتد حره، وباب قد أطبق على أهله، فى نار لها كلب ۷۵۳] ولجب ۷۵۴]، ولهب ساطع، وقصيف ۷۵۵] هائل».

فالعبارات تفيد شدة حرارة نار جهنم المحرقة، حيث تتصاعد السنتها إلى عنان السماء مصحوبة بالأصوات المرعبة.

ثم قال عليه السلام:

«لايظعن مقيمها، ولا يفادى أسيرها، ولا تفصم ۷۵۶] كبولها[۷۵۷] لا مدة للدار فتفنى، ولا أجل للقوم فيقضى».

ولو تصور الإنسان فى ذهنه لحظة هذا العذاب الشديد والمرعب، لما قارف الذنب، وهذا هو هدف الإمام عليه السلام من شرح هذا العذاب!

وقد أكدت الروايات الإسلامية التمعن فى الآيات القرآنية التى تتحدث عن الثواب، والتوقف عند تلك التى تتحدث عن العذاب.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۸۶

وهو ذات الأمر الذى أكده الإمام عليه السلام فى الخطبة ۹۳ وهو يصف المتقين:

«فاذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنوا أنّها نصب أعينهم، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها فى أصول آذانهم».

تأمّل: اسلوب الهداية

حقاً أنّه لاسلوب عظيم فى هداية الإنسان ونجاته هذا الذى اعتمده الإمام عليه السلام بهذه العبارات التى تختزن الآثارة والتحذير.

فقد استهل الخطبة بالاشارة إلى صفات الجمال والجلال وقدرته العظيمة سبحانه وعلمه المطلق بكل شىء ممّا يصدر من العباد إلى جانب عظمة عالم الوجود.

ثم تحدث عليه السلام عن خلق أصناف الملائكة وعبادتها وطاعتها، ليبين زهادة عبادة الإنسان بالنسبة لتلك العبادة.

آنذاك تطرق عليه السلام إلى خلق الإنسان ونعمه الجمة سبحانه، ثم ذم بشدة طلاب الدنيا، محذراً إيّاهم من التعلق بهذه النعم الزائلة.

كما تحدث عليه السلام عن الموت وانتهاء الحياة وسكرات الموت ومدعى الحسرة والندم التى يشعر بها الاثم على أعتاب الموت، حتى رسم صورة يهتز لها القلب ويتيقظ لها الوجدان، وتفيق لها الأرواح الميتة.

وأخيراً إختتم عليه السلام الخطبة بالإشارة إلى الثواب الذى ينتظر الصالحين والعقاب الذى ينتظر المسيئين، ليلتفت كل إنسان إلى

نفسه ويراقب عمله.

نعم فقد خط هذا الطبيب الروحى العظيم وصفة لمرضى القلوب لاتحمل لهم سوى العلاج إن إلتزموا بالعمل بها.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۸۷

القسم السابع: زهد النبى صلى الله عليه و آله

اشارة

ومنها فى ذكر النبى صلى الله عليه و آله

«قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيا وَصَغَّرَها وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَها، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ زَوَاهَا، عَنْهُ اخْتِياراً، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ احْتِقَاراً، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً، أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا مَقَاماً. بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً، وَنَصَحَ لُأمَّتِهِ مُنْذِراً، وَدَعَا الَى الْجَنَّةِ مُبَشِّراً، وَخَوَّفَ مِنَ النَّارِ مُحَذِّراً».

الشرح والتفسير

خاض الإمام عليه السلام هنا فى صفات النبى صلى الله عليه و آله ورغبته عن هذه الدنيا لتكون سيرته قدوة تامة للُامّة، و ليبين كيف يستطيع الإنسان أن يعيش الأمان من أخطار الدنيا فى ظل الإيمان و العمل الصالح فقال عليه السلام:

«قد حقر الدنيا وصغرها، وأهون بها وهونها».

فالعبارة إشارة واضحة إلى زهده صلى الله عليه و آله: لأن من يحقر الدنيا ويوصى الاخرين باحتقارها، قطعا ليس له أدنى تعلق بها، وذلك لأنّ الشيء الحقير والتافه ليس له قيمة فى استقطاب القلب والسيطرة على العقل.

ثم أكد عليه السلام هذا المعنى بالقول:

«وعلم أنّ اللّه زواها[۷۵۸] عنه اختياراً[۷۵۹]، وبسطها لغيره

احتقاراً».

والعبارة شبيه ماورد فى الآية الشريفة من سورة الزخرف: «وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النّاسُ

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۸۸

أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ* وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْواباً وَسُرُراً عَلَيْها يَتَّكِئُونَ* وَزُخْرُفاً وَ إِنْ كُلُّ ذ لِكَ لَمّا مَتاعُ الحَياةِ الدُّنْيا وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ».[۷۶۰]

ثم واصل عليه السلام كلامه عن النبى صلى الله عليه و آله:

«فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها عن نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه، لكيلا يتخذ منها رياشاً، أو يرجو فيها مقاماً».

ورد الرياش بمعنى المفرد والجمع وهو اللباس الفاخر، وأصلها الريش، ويمكن أن يراد به جميع زينة الدنيا ومنها اللباس الفاخر.

فأول مزية لرسول اللّه صلى الله عليه و آله عدم اغتراره بزخرف الدنيا وزينتها فلم يقع فى مخالبها قط.

المزية الاخرى للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله تكمن فى وظيفته بتبليغ الرسالة وايصال أوامر اللّه ونواهيه إلى جميع العباد، وقد استفرغ وسعه فى هذا السبيل، حيث قال عليه السلام:

«بلغ عن ربّه معذراً، ونصح لأمته منذراً، ودعا إلى الجنّة مبشراً، وخوف من النار محذراً».

قطعاً لو فشل الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله فى المرحلة الاولى فى كيفية التعامل مع الدنيا واغتر بنعمها ولذاتها، لما تمكن قط من القيام بالمرحلة الثانية فى ابلاغ الرسالة السماوية، فأين إسارة النفس فى الدنيا من ابلاغ الرسالة.

ورد فى حديث الإمام الصادق عليه السلام أنّ اللّه أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام:

«يا موسى إنّ الدنيا دار عقوبة عاقبت فيها آدم عند خطيئته، وجعلتها ملعونة، ملعون ما فيها إلّاما كان لى. يا موسى إنّ عبادى الصالحين زهدوا فى الدنيا بقدر علمهم، وسائر الخلق رغبوا فيها بقدر جهلهم».[۷۶۱]

تأمّل: الشرط الاصلى فى الزعامة

إنّ أعظم مشكلة تهدد القادة والزعماء إنّما تمكن فى تهافتهم على ماديات الدنيا؛ الأمر الذى يؤدى إلى تقديمهم الأفراد السيئين على الصالحين بدافع من حفظ منافعهم ومصالحهم المادية،

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۸۹

إلى جانب ايثارهم للظلم والجور على العدل والقسط لذات الهدف.

إنّهم يعتمدون المنافع المادية كمعايير فى تعاملهم مع كل شىء فيضحون بالمبادىء الإلهية والعقلائية والإنسانية من أجل تحقيق منافعهم الدنيوية الرخيصة.

ومن هنا كان أول أمر أكده الإمام عليه السلام فى إطار وصفه للرسول الأكرم صلى الله عليه و آله هو عدم اعتنائه بالدنيا وتصغيرها وتحقيرها، ممّا جعله لا يكترث لجميع ما فيها، ويمحوها من ذاكرته.

وقد صرح القرآن الكريم مراراً بشأن الأنبياء ولاسيما نبى الرحمة صلى الله عليه و آله أنّهم لايسألون الناس أجراً على ابلاغ الرسالة، وكانت معيشتهم فى الدنيا معيشة المستضعفين وهذا ما جعلهم يجرون الحق ويقيمون العدل بحق الجميع ولا يخشون سطوة ظالم ولا يحسبون حساباً لاصحاب المال والثراء.

فضريبة الحياة المرفهة با هضة لاتتأتى إلّامن خلال مماشاة أصحاب الثراء ومداهنتهم؛ الأمر الذى يهدد بالصميم الحق والعدل والإدارة الصالحة الطاهرة.

وقد بلغ من زهد رسول اللّه صلى الله عليه و آله وانصرافه عن الدنيا أنّه كان يجلس على الحصير ويتوسد الليف حتى أثر فى بدنه الطاهر، ولما قيل له هذا كسرى وقيصر يجلسان على الحرير والديباج وانت تجلس على الحصير. ردّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله:

«إنّما مثل الدنيا كمثل راكب مر على شجرة ولها فىء فاستظل تحتها، فلما أن مال الظل عنها ارتحل فذهب وتركها»[۷۶۲].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۹۱

القسم الثامن: أهل البيت عليهم السلام

«نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوةِ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلائِكَةِ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ، وَيَنَابِيعُ الْحُكْمِ، نَاصِرُنا ومُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ وَعَدُوُّنا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ».

الشرح والتفسير

اختتم الإمام عليه السلام خطبته بعد ذكر أوصاف النبى صلى الله عليه و آله بالحديث عن صفات أهل البيت عليه السلام و قد بلغ بالفصاحة و البلاغة ذروتها بهذا الختام الحسن فقال:

«نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف ۷۶۳] الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم».

فالتعبير بالشجرة يفيد أنّ النبوة كالشجرة المثمرة التى لها فروع وأغصان مختلفة، جذرها وساقها النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، وأوراقها أولاده، وثمرتها هداية الناس إلى اللّه.

وشبه عليه السلام أهل البيت فى العبارة الثانية بالموضع الذى تهبط فيه الرسالة من جانب اللّه سبحانه، كما وصفهم فى العبارة الثالثة

بالموضع الذى تختلف إليه الملائكة فى صعودها ونزولها.

على عليه السلام وولده ممن تربوا فى هذه الاسرة ليستضيئوا بنور الوحى.

ولعل المراد بالملائكة هنا ملائكة الوحى (جبرئيل ومن معه) الـذين كانوا يهبطون على رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله، أو أنّها إشارة إلى المعنى الأعم فيشـمل جميع الملائكـة الـذين يختلفون عليهم للخدمة والبشارة وأمثال ذلك، على كل حال فليس المراد أنّ الوحى كان ينزل على غير رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۹۲

والفـارق بين شـجرة النبوة ومحـط الرسالـة أنّ للنبى صـلى الله عليه و آله مقامـان: مقـام النبوة وهو الأخبـار عن اللَّه ومقام الرسالـة وهو ابلاغها. وبعبارة اخرى فان النبى صلى الله عليه و آله مأمور بالابلاغ، والرسالة تقترن عادة بالإمامة والزعامة والإجراء.

والمراد بمعادن العلم أئمة أهل البيت عليهم السلام ورثة علوم النبى صلى الله عليه و آله وحفظة الكتاب والسنة.

فقد قيل فى سبب نزول الآية الشريفة: «وَتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ»[۷۶۴].

إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: سألت ربّى أن يجعلها أذن على. ثم قال على عليه السلام:

«ما سمعت من رسول اللَّه شيئا فنسيته»[۷۶۵].

وكذلك الحديث:

«على مع القرآن، والقرآن مع على»[۷۶۶].

والحديث:

«أنا مدينة العلم وعلى بابها»[۷۶۷].

وهكذا سائر الأحاديث المعروفة التى روتها كتب الفريقين، تفيد بأجمعها كون أهل البيت معادن العلم والحكمة.

والفارق بين معادن وينابيع هو أنّ المعدن الشىء الذى يقصده الناس وينتفعون به، أمّا الينابيع ما يفيض على الناس.

ثم إختتم عليه السلام كلامه بالقول:

«ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة، وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة»[۷۶۸].

طبعاً لا تعنى هـذه العبارة أنّ لهم حقا مثل هـذا الانتظار، بل تعنى أنّهم لابـدّ أن ينتظروا مثل هـذه العاقبة المشؤومة، فالواقع أنّه نوع من التهديد بالعذاب الإلهى فى الدنيا والآخرة.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۹۳

الخطبة[۷۶۹] المأة و عشر

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

فى أركان الدين

نظرة إلى الخطبة

تتألف هذه الخطبة فى الواقع من قسمين: القسم الأول: الذى تطرق فيه الإمام عليه السلام إلى أفضل ما تقرب به العباد إلى اللَّه من قبيل الإيمان والجهاد والاخلاص والصلاة والزكاة، ثم ذكر فلسفة كل شعيرة من هذه الشعائر بعبارة قصيرة عميقة المعنى.

القسم الثانى: بيان الأبعاد العملية للايمان وطرق بلوغها والوصية بذكر اللّه والاقتداء بهدى النبى صلى الله عليه و آله واتباع سنته والاهتمام بتعلم القرآن وفهم آياته.

ثم اختتم عليه السلام الخطبة بالذم الشديد للعالم بلا عمل وشدة عقابة.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۹۵

القسم الأول: فرائض الإسلام

اشارة

«إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ الَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَالْجِهادُ فِى سَبِيلِهِ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الإِسْلام؛ وَكَلِمةُ الإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ؛ وَإِقامُ الصَلاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ؛ وَإِيتَاءُ الزَّكاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ؛ وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ؛ وَحَجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ ألْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الـذَّنْبَ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِى الْمالِ، وَمَنْسَأَةٌ فِى الأَجَلِ؛ وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ؛ وَصَدَقَةُ الْعَلانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ؛ وَصَنَائِعُ الْمَعرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِى مَصَارِعَ الْهَوَانِ».

الشرح والتفسير

تحدث الإمام عليه السلام هنا عن أفضل الأعمال التى يؤديها سالكى طريق العبودية ودعاة الحق للتقرب إلى اللّه فقال عليه السلام:

«إنّ أفضل ما توسل به المتوسلون ۷۷۰] إلى اللّه سبحانه وتعالى

الإيمان به وبرسوله».

وكان هذه العبارة إشارة إلى الآية الشريفة: «يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ»[۷۷۱]. إلى جانب شرحها و تفسيرها، فقد أمر اللّه سبحانه فى هذه الآية بالتقوى ومن ثم انتخاب الوسيلة إلى اللّه.

وعلى هذا فالمراد بالوسيلة الإيمان والجهاد وسائر الامور الواردة فى هذه الخطبة وليس

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۹۶

هناك من منافاة بين هذا الكلام والتفسير الآخر الذى عنى الوسيلة هنا بشفاعة أولياء اللّه؛ لأنّ كل هذه الوسائل يمكن جمعها فى الآية الشريفة.

على كل حال فانّ الوسيلة الاولى التى ذكرت هى الإيمان؛ الإيمان باللّه والنبى، لأنّ الإيمان أساس الحركة البناءة والفاعلة.

الطريف فى كلام الإمام عليه السلام أنّه تطرق فى كل نقطة دليلها بصيغة تعليل وفلسفة لكافة الواجبات العشر الواردة فى العبارة، سوى مسألة الإيمان باللّه والنبى. وذلك لأنّ هذه المسألة غنية عن ذكر الدليل، وبعبارة اخرى فانّ أساس الصالحات والخيرات واعمال البر إنّما يكمن فى الإيمان، وبدونه ليس هنالك من حركة نحو الفرائض الإلهية والواجبات الدينية. فالأمر على درجة من الوضوح بحيث لايحتاج إلى دليل.

ثم أشار عليه السلام إلى الواجب الثانى:

«والجهاد فى سبيله، فانه ذروة[۷۷۲] الإسلام»

وللجهاد هنا معنى واسع يشمل الجهاد العلمى والإعلامى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكافة الجهود والمساعى البناءة من أجل النهوض بالاهداف الإسلامية وحتى جهاد النفس، إلى جانب الجهاد العسكرى والمقاومة ضد العدو.

والعبارة

«ذروة الإسلام»

تفيد عدم جدوى الجهاد ما لم يكن عاماً شاملًا. وقد قال الإمام عليه السلام فى موضع آخر من نهج البلاغة بشأن فلسفة الأحكام ومنها الجهاد:

«والجهاد عن للإسلام»[۷۷۳].

ورغم سعى إعداء الإسلام إلى استغلال مفردة الجهاد الإسلامى واساءة تفسيرها من خلال وصفها بالعنف إلّاأنّهم يغفلون عن المعنى الواقعى للجهاد والذى يتمثل بالصمود من أجل الحياة ومقاومة العناصر الهدامة؛ وهو الأمر الذى أودع طبيعة كل إنسان.

فالحق أنّ الحياة لتتعذر علينا ولو ضعفت الخلايا ليوم واحد كتلك التى ركبت فى بدن الإنسان وتقوم بوظيفتها فى الدفاع عنه ومهاجمة المكروبات والجراثيم التى تحاول اختراق البدن، وما المرض الخطير الذى يصطلح عليه بالايدز إلّااختلال القوى الدفاعية للبدن.

فالمجتمع الذى يتخلى عن الجهاد إنّما يكون كهذا المريض المصاب بالايدز، فيصبح مسرحاً

لهجوم أنواع المشاكل والمعضلات.

وبالطبع أن أولئك الذين صوبوا سهام حقدهم نحو الجهاد الإسلامى، ليعلمون جيداً أنّ التسلط على المسلمين متعذر مادام هذا الأصل المتمثل بالجهاد نابض بالحياة، فلو حذف الجهاد بحجة العنف، لم تعد هنالك من مشكلة أمام تسلط الاعداء.

على كل حال فان ذكر الإمام عليه السلام للجهاد كواجب بعد الإيمان باللّه والنبى يفيد موت الدين فى حالة غياب هذا الواجب.

فقد ورد فى حديث عن على عليه السلام:

«واللّه ما صلحت دنيا ولا دين إلّابه»[۷۷۴].

ثم ذكر عليه السلام الواجب الثالث

«وكلمة الاخلاص فانها الفطرة».

والمراد بكلمة الاخلاص

«لا إله إلّااللّه»

التى تتضمن الشهادة للّهبالوحدانية والعبودية ونفى الشرك والوثنية.

وتفيد بعض الروايات أنّ للاخلاص بعد عملى يتمثل بالاقبال على الحق سبحانه والأغماض عما سواه إلى جانب التحفظ عن ارتكاب الذنب والمعصية. فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«من قال لا إلّااللّه عما حرم اللّه»[۷۷۵].

ومن الواضح أنّ من يقارف الذنوب أو ينقاد للشيطان أو الأهواء فانّه مشرك فى عمله، وهذا ما يتناقض وحقيقة الأخلاص.

ثم قال عليه السلام:

«واقام الصلاة فانّها الملة»،

والملة هنا تعنى الدين، أمّا أنّ الصلاة لم تعد جزءاً من الدين بل الدين كله، وذلك لأنّ الصلاة الدعامة الأساسية للدين. فقد جاء فى الحديث النبوى المعروف أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال:

«الصلاة عماد الدين، فمن ترك صلاته متعمداً فقد هدم دينه»[۷۷۶].

كما ورد عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«مثل الصلاة مثل عمود الفسطاط إذا ثبت العمود ثبتت الأطناب والأوتاد والغشاء، وإذا انكسر العمود لم ينفع طنب، ولاـ وتد ولا غشاء»[۷۷۷].

ثم قال عليه السلام:

«وايتاء الزكاة فانها فريضة واجبة».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۹۸

تطلق الفريضة عادة على الواجب، وبناءاً على فانّ ذكر الواجبة بعدها للتأكيد، إلّاأنّ للفريضة معنى آخر أنسب لموضع بحثنا، وهو قطع وفصل الشيء، وهنا قسم من المال الذى يفصل لهدف.

أو بعبارة اخرى الضريبة التى فرضت لمساعدة الضعفاء فى المجتمع وتأمين بعض تكاليف الحكومة الإسلامية.

وقد ورد فى القرآن بشأن أسهم الإرث:. «نَصِيباً مَفْرُوضاً»[۷۷۸].

ومن هنا عبر العلماء الاعلام فى مباحث الإرث بكتاب الفرائض بدلًا من كتاب الارث.

على كل حال فانّ مسألة الزكاة من أهم أركان الإسلام بعد الصلاة.

وقد جاء فى حديث عن الإمام الباقر عليه السلام أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله كان فى مسجده فنادى خمسة أشخاص وقال:

«لاتصلوا فيه وانتم لا تزكون»[۷۷۹].

ثم قال عليه السلام:

«وصوم شهر رمضان فانّه جنّة من العقاب».

ورد التعبير هنا

«جنّة من العقاب»

بينما وردت العبارة فى الحديث المعروف

«جنّة من النار»[۷۸۰].

ويكفى فى فضل الصوم أنّه يخرج الإنسان من البهيمية إلى عالم الملائكة ويجلسه على بساط القرب الإلهى.

ثم بين الركن السابع من أركان الإسلام فقال:

«وحج البيت واعتماره فانّهما ينفيان الفقر ويرحضان ۷۸۱] الذنب».

لاشك أنّ لزيارة بيت اللّه بركات مادية واخرى معنوية وروحانية، وقد أشير إليهما هنا، وقد وردت خلاصة ذلك فى الآية الشريفة ۲۸ من سورةالحج: «لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ» وقد ورد فى الحديث

«يخرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمه»[۷۸۲]

أما تأثيره فى ازالة الفقر- علاوة على بركاته المعنوية- فذلك أنّ المسلمين يستطيعون أن يقيموا الاسواق الاقتصادية إلى

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۳۹۹

جانب مراسم الحج من أجل ممارسة الانشطة والمبادلات التجارية بحيث يديرون نوعاً من التجارة العالمية فيما بينهم، فقد كان هناك مثل هذه الأسواق البدائية على عهد رسولاللّه صلى الله عليه و آله.

ولو جد المسلمون اليوم فى تقوية بناهم الاقتصادية لتمكنوا حقاً من سد حاجات الفقراء والمعوزين. ومن هنا ورد فى حديث الإمام الصادق عليه السلام:

«ما رأيت شيئا أسرع عنى ولا أنفى للفقر من إدمان حج البيت»[۷۸۳].

ثم قال عليه السلام فى بيان الركن الثامن:

«وصلة الرحم فانّها مثراة[۷۸۴] فى المال ومنسأة[۷۸۵] فى

الأجل».

فصلة الرحم واضافة إلى تأثيرها فى ازدياد المال تؤدى إلى نماء العمر وزيادته، ولعل ذلك لدعاء الأرحام بعضهم لبعض، إلى جانب معونة بعضهم البعض فى الأمراض؛ الأمر الذى يؤدى إلى طول العمر، ناهيك عن تقليلها من الهم والغم والحزن.

فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«صلة الأرحام تزكى الأعمال، وتنمى الأموال، وتدفع البلوى، وتيسر الحساب، وتنسىء فى الأجل»[۷۸۶].

ثم قال عليه السلام فى الركن التاسع من أركان الإسلام:

«وصدقة السر فانّها تكفر الخطيئة، وصدقة العلانية فانّها تدفع ميتة السوء»

، المراد بصدقة السر المساعدات التى يقدمها الإنسان إلى الأفراد المحتاجين والمحترمين بدافع من نية خالصة إلى جانب السعى لحفظ ماء وجههم، ومن هنا كانت بركاتها جمة، والعبارة تشمل الصدقات الواجبة كالكفارات والنذورات والصدقات المتجة والانفاقات.

والمراد بصدقة العلانية، المعونة الظاهرة ومن بركاتها تشجيع الاخرين على أفعال الخير. والعبارة اقتباس من الآية الشريفة: «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ»[۷۸۷].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۴۰۰

وتفيد روايات الفريقين أنّها نزلت فى على عليه السلام حين كان له أربعة دراهم انفق واحد منها فى النهار وآخر فى الليل وآخر سراً وآخر علانية.[۷۸۸]

طبعا تطلق الصدقة فى الفقه الإسلامى على ما يعطى للفقراء بقصد القربى إلى اللّه، إلّا أنّللصدقة مفهوم واسع يشمل كل عمل خير اجتماعى كبناء المساجد والمدارس والطريق والمستشفيات والأعمال الثقافية، ومن هنا جاء فى رواية الإمام الكاظم عليه السلام:

«عونك للضعيف من أفضل الصدقة»[۷۸۹]

ولاشك أنّ بناء المستشفيات والمدارس وأمثال ذلك مصداق لعون الضعيف. وورد فى الحديث النبوى:

«كل معروف صدقة»[۷۹۰].

وورد عنه صلى الله عليه و آله أيضاً:

«الكلمة الطيبة صدقة»[۷۹۱].

وقال الصادق عليه السلام:

«إسماع الاصم من غير تزجر صدقة هنئة»[۷۹۲].

ونختتم هذا الكلام بحديث عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى أنّه قال: على المسلم أن يتصدق كل يوم.

فقال رجل: لانقدر كلنا على ذلك.

فقال صلى الله عليه و آله:

«إماطتك الاذى عن الطريق صدقة، وإرشادك الرجل إلى الطريق صدقة، وعيادتك المريض صدقة، وأمرك بالمعروف صدقة، ونهيك عن المنكر صدقة»[۷۹۳].

والمراد بميتة السوء، الموت تحت التعذيب والالام، كالاحتراق فى النار، أو أثر الاصابة بمرض خطير شاق وحوادث الطريق.

ثم قال فى الركن العاشر من أركان الإسلام:

«وصنائع ۷۹۴] المعروف فانّها تقى مصارع ۷۹۵] الهوان».

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۴۰۱

والعبارة بصنائع المعروف تشمل كل عمل صالح، من قبيل ذكر العام بعد الخاص، كما يحتمل أن يكون المراد بصنائع المعروف مساعدة عباد اللّه.

وقد وردت عن الائمة عليه السلام عدة روايات أكدت مسألة صنايع المعروف، منها ماورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«أول من يدخل الجنّة أهل المعروف»[۷۹۶]

، وقال أميرالمؤمنين على عليه السلام

: «عليك بصنائع المعروف فانها نعم الزاد إلى المعاد»[۷۹۷].

كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه كان يحث أصحابه على صنائع المعروف ويقول: إنّ للجنّة باب اسمه المعروف لا يدخله إلّامن كان يصنع المعروف فى الدنيا، ثم قال:

«إنّ العبد ليمشى فى حاجة أخيه المؤمن، فيوكل على اللّه عزوجل به ملكين واحداً عن يمينه، وواحدا عن شماله، يستغفرون له ربّه ويدعوان بقضاء حاجته»[۷۹۸].

فلسفة الأحكام

غالبا ما يعمد الاطباء المهرة إلى تنبيه مرضاهم إلى الآثار المهمة للأدوية والأطعمة المقوية التى تسرع فى شفاء حالتهم المرضية؛ لكى يتحملوا مرارة الدواء برغبة ولهفة ويلتزموا بارشادات الطبيب. ولعل الأطباء الروحيين يسيرون على هذا النهج فيبينون فلسفة تشريع الأحكام ومعطيات البرامج الدينية للناس، ليثيروا فيهم الشعور والدافع نحو هذه البرامج ويرسخوا عزمهم فى تنفيذها.

وقد راينا فموذج ذلك- بيان فلسفة الأحكام- فى هذه الخطبة، حيث ينطوى هذا البيان على عدة فوائد، إلى جانب كونه يحث الناس على التفاعل مع الوظائف الدينية وممارستها بكل شوق ورغبة ويهون عليهم تحمل بعضى المشاق التى تشتمل عليها بعض الوظائف الدينية.

ومن الفوائد التى يمكن ذكرها هنا:

۱- تحدد للناس الاسلوب الصحيح الذى ينبغى أن تؤدى فيه الفريضته، مثلًا حين تبيّن فلسفة الحج

«فرض اللّه الحج تشييدا للدين»[۷۹۹]

، فمفهوم ذلك إقامة مراسم الحج بكل عظمة

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۴۰۲

لتحقيق هذا الهدف ولا يكتفون بآدابه الصورية الظاهرية.

۲- أنّ يعلموا أنّ آثار وبركات هذه الأعمال تعود علينا، فليس هناك من منّة على اللّه، بل اللّه يمن علينا، الأمر الذى صرح به القرآن الكريم بشأن الإسلام والإيمان:

«يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ»[۸۰۰].

۳- يمكننا تقييم أعمالنا من خلال الالتفات إلى فلسفة الأحكام، لنرى مدى قبولها عند اللّه، مثلًا حين يقال:

«وفرض عليكم الصوم للتقوى والصلاة نهياً عن الفحشاء والمنكر»

فانّ علينا أن نرى هل حصلت لدينا ملكة التقوى بعد القيام بالصوم والصلاة أم لا؟ وهكذا نقف على قيمة عباداتنا وأعمالنا.

نعم اننا نعلم بأنّ اللّه حكيم، وحكمته تقتضى ألايشرع شيئاً دون أن يبيّن هدفه ونتيجته، ويا لهم من جهال أولئك الذين يزعمون أنّ أفعال اللّه ليست معلله بغرض؛ أى ليس هناك من هدف فى تشريعاته وأعماله! أنّهم ليسيئون بهذا الكلام إلى كونه حكيماً سبحانه، وهم يزعمون أنّهم اقتربوا من حقيقة التوحيد، والحال أنّهم مصداق لهذه الآية الشريفة:

«قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالًا* الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَ نَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً»[۸۰۱].

نعم أفعال اللّه ليست معللة بأغراض، أى ليس هناك من هدف يعود إليه، لأنّه غنى عن كل شىء وعن كل موجود؛ إلّاأنّ المؤسف له

أنّ هؤلاء الجهال لايقولون ذلك، بل يزعمون أن لاضرورة لأنّ تعود نتيجة أفعال اللّه وأوامره على العباد، وهذا منتهى الجهل!!

على كل حال فانّ الإمام عليه السلام بين فلسفة الأحكام فى هذه الخطبة، بحيث يتأجج الشوق فى أعماق من يتمعنها لأن يؤدى وظائفه على أكمل وجه دون أن يشعر بالتعب والملل.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۴۰۳

القسم الثانى: القرآن والسنة

اشارة

«أَفِيضُوا فِى ذِكْرِ اللَّهِ فَانَّهُ أَحْسَنُ الـذِّكْرِ. وَارغَبُوا فِيما وَعَـدَ المُتَقِينَ فَإِنَّ وَعْـدَهُ أَصْـدَقُ الْوَعْـدِ. وَاقْتَـدُوا بِهَدْى نَبِيِّكُمْ فَانَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْىِ. وَاسْـتَنُّوا بِسُـنَّتِهِ فَإِنَّهَـا أَهْـدَى السُّنَنِ. وَتَعَلَّمُـوا الْقُرآن فَـإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَـدِيثِ، وَتَفَقَّهُـوا فِيهِ فَـإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، وَاسْتَشْـفُوا بِنُورِهِ فَـإِنَّهُ شِـفَاءُ الصُّدُورِ، وَأَحْسِـنُوا تِلَـاوَتَهُ فَـإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَـصِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِى لَا يَسْـتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ؛ بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَالحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْوَمُ».

الشرح والتفسير

بعـد أن فرغ الإمـام عليه السـلام من بيـان أركان الإسـلام وذكر فلسـفة الأحكام، دعا الناس إلى امتثال الأحكام والعمل بالوظائف فقال عليه السلام:

«أفيضوا فى ذكر اللّه فانّه أحسن الذكر».

فالعبارة

«أفيضوا»

تفيد كثرة ذكر اللّه سبحانه والتوجه إليه.

والعبارة

«أحسن الذكرى»

لأنّ ذكر اللّه سبحانه مصدر وأساس كافة البركات المادية والمعنوية.

فقد جاء فى الحديث النبوى:

«ليس عمل أحب إلى اللّه تعالى ولا أنجى لعبـد من كل سيئة فى الـدنيا والآخرة، من ذكر اللّه. قيل: ولا القتال فى سبيل اللّه؟ قال: لولا ذكر اللّه لم يؤمر بالقتال»[۸۰۲].

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۴۰۴

ثم قال عليه السلام:

«وارغبوا فيما وعد المتقين فانّ وعده أصدق الوعد، واقتدوا بهدى نبيّكم فانّه أفضل الهدى واستنوا بسنته فانّها أهدى السنن».

لاشك أنّ الوعود الإلهيـة للمطيعين والمؤمنين الصالحين لهى أصدق الوعود، لأنّ من يتخلف عن الوعد إمّا عاجز، أو بخيل أو جاهل، حيث يعد دون علم، ثم لايفى بوعده. أمّا من كان مطلق فى علمه وقدرته فخلف الوعد محال عليه.

المراد بالهدى (على وزن منع) السبيل والاسلوب والطريقة.

والسـنة تعنى مـا يصـدر من الأوامر فى مختلف المجالات، ولما كان رسول اللّه صـلى الله عليه و آله هو خاتم الأنبياء، فمن الطبيعى أن تكون سنة أهدى السنن.

ثم أكد الإمام عليه السلام على القرآن فقال:

«وتعلموا القرآن فانّه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه، فانّه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فانه شفاء الصدور، وأحسنوا تلاوته فانّه أنفع القصص».

فقد ذكر الإمام عليه السلام أربع مراحل مختلفة تتقدم كل واحدة منها بصورة طبيعية على الاخرى

فى المرحلة الاولى أوصى عليه السلام بتعلم القرآن على أنّه أحسن الحديث؛ وذلك لاشتماله على أكمل أسس سعادة الإنسان.

المرحلة الثانية أوصى عليه السلام بالتفكير والتدبر فيه وسبر غوره والوقوف على معناه ومضمونه، بفضله ربيع القلوب، فكما تتفتح البراعم فى فصل الربيع وتورق الأشجار وتنبت الأوراد والزهور وتنتشر رائحتها العطرة فى كل مكان، فبركة القرآن الكريم تظهر على القلب زهور فضائل الأخلاق وبراعم المعارف الإلهية، فمن لم يكتسب منه الحياة الإنسانية، كان كالشجرة اليابسة التى لاتهتز وتتحرك فى فصل الربيع.

المرحلة الثالثة الأمر بالعمل والقول: عليكم بالاستشفاء بنور آيات اللَّه، على غرار نور الشمس التى يستشفى فى ظلها المرضى، فقد قيل أشعة الشمس قد تغنى عن حضور الطبيب.

والمرحلة الرابعة:

«أحسنوا تلاوته»

لتغوص القلوب فيه وتطبع بطابعه فتبلغه إلى الآخرين.

وهكذا يكون الإمام عليه السلام قد حدد وظيفة الأفراد تجاه القرآن الكريم. وليت الأفراد لم يكتفوا بالاقتصار على حسن تلاوة القرآن وتجويده والتركيز على جمالية الصوت، والتفتوا إلى سائر

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۴۰۵

المراحل التى تشكل الدف الأصلى للقرآن. وقد عبرت العبارة الاولى عن القرآن على أنّه أحسن الحديث، والعبارة الأخيرة أنفع القصص. فالحديث ما يصدر من المتحدث من كلام (لأنّ الحديث من مادة حدوث ويطلق على الكلام الحديث لأنّه حادث باستمرار) فالمفهوم أنّ القرآن أفضل كلام بين الناس، من حيث الفصاحة والبلاغة، ومن حيث المحتوى والمضمون، والواقع هو أنّ العبارة إشارة إلى الآية الشريفة: «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ»[۸۰۳].

أمّا أحسن القصص فقد ذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ المراد بها المجموعة القرآنية بما فيها الآثار والنتائج العلمية للقرآن التى تتحصل فى ظل اجراء الأحكام والتعاليم القرآنية.

ومن هنا وردت الإشارة فى آخر الخطبة إلى نقطة مهمّة بالنسبة للعالم الذى لاعمل له، واولئك الذين يتلون القرآن ولايعملون به، إذ قال عليه السلام:

«إنّ العالم بغير علمه كالجاهل الحائر الذى لايستفيق ۸۰۴] من جهله، بل الحجة عليه أعظم، والحسرة ألزم، وهو عند اللَّه ألوم ۸۰۵]».

فالعبارة تشتمل على تشبيه رائع للعالم بلا عمل (أو بتعبير الإمام عليه السلام العالم الذى لايعمل بعلمه) يفيد أنّ مثل هذا العالم أقل درجة فى الواقع من الجاهل العادى. بل هو كالجاهل الحائر الذى لايفيق من جهله قط، فليس هنالك من أمل فى هدايته؛ وذلك لأنّه يسير عن علم على الطريق الاعوج، ومن هنا فان اللَّه سبحانه يسلبه توفيق الهداية فيفقد صوابه فى هذه الحيرة ولايصل ساحل النجاة أبدا فيسقط فى الهاوية.

ثم أشار عليه السلام إلى مدى بؤس مثل هذه العالم السادر فى غيه فقال عليه السلام أولًا بأنّ الحجة عليه أعظم، فقد يتذرع الجاهل بجهله (إن يكن الجهل عذراً) ولكن ما عذر العالم بلا عمل.

والثانى حسرته لازمة، فقد تخلف عن السعادة وكانت كافة أسبابها لديه فتاه حائراً فى صحراء الحياة.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۴۰۶

والثالث أنّه أكثر لوماً عند اللَّه من الجاهل الحائر، لأنّ الحجة عليه أتم من غيره. ومن هنا ورد فى الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد»[۸۰۶]

. بل يتعذر قبول توبة هذا العالم الذى لاعمل له. فقد صرح القرآن الكريم قائلًا:

«إِنَّما التَّوْبَةُ عَلى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ ...»[۸۰۷].

تأمّل: عاقبة العالم غير العامل

الناس على أربع: عالم، جاهل مقصر، جاهل مقصر بسيط وجاهل مركب. فالعالم من يعلم المطلب على نحو الاجمال أو التفصيل؛ أى قد يكون له أحياناً علم اجمالى بالشىء، وقد يكون له أحياناً اخرى علم تفصيلى. فهو يعلم مثلا على نحو الإجمال أنّ المسكر حرام وله أضرار على جسم الإنسان وروحه. أو أنّه رأى على نحو التفصيل أدلة حرمة المسكر وقد درس الآثار الضارة له على كل عضو من أعضاء البدن.

والجاهل القاصر من لايعلم، وليس له من سبيل إلى العلم، وربّما كان بعيداً عن مراكز العلم فانغمس فى الغفلة والسهو.

والجاهل المقصر من له سبيل إلى العلم، إلّاأنّ الكسل والإهمال لم يدعه يتجه إلى العلم، فيبقى فى جهله، مع ذلك فهو يعلم بجهله! أى يدرى أنّه لايدرى.

وأمّا الجهل المركب فهو من جهل ولايدرى أنّه فى جهل. بل بالعكس يظن أنّه عالم وما يفهمه من الامور هو عين الواقع، وبعبارة اخرى فهو: لايدرى أنّه لايدرى.

ويبدو أنّ الخطر والمسؤوليته التى تتوجه إلى الجاهل القاصر أقل من غيرها بالنسبة للطوائف الأربع، ويأتى بعده الجاهل المقصر ثم الجاهل المركب؛ الذى قد يدفعه جهله المركب لايجاد بعض المشاكل لنفسه والآخرين. إلّاأنّ الأخطر من الجميع هو العالم.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۴۰۷

الذى لا عمل له. وإلى هذه الطائفة تعزى جميع الكوارث التى تكبدتها البشرية طيلة التأريخ بما فيها النزاعات والحروب فى الماضى والحاضر.

فهم الذين يصنعون أخطر أسلحة الدمار الشامل التى تهدف إلى القضاء على الأبرياء من المجتمع البشرى. وهم الذين يشعلون فتيل الحرب من أجل تحقيق مآربهم واطماعهم.

وأخيراً هؤلاء هم الذين يستحوذون على المواقع المتقدمة والمراكز الحساسة فى الأجهزة الإعلامية ووسائل الدعاية ليمارسوا أوسع عملية تضليل ليشوهوا الحقائق فيسوقوا الجهال إلى نيران فتنهم ويقضوا على حياتهم. وقد شبههم القرآن الكريم بالكلاب إذ قال:

«فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ»[۸۰۸].

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا: ترى ما سر هذا التضاد بين العمل والعلم أولم يكن حرياً بهذا العالم أن يتجه إلى الصواب ويقود الناس إليه؟

ويبدو الجواب واضحاً على هذا السؤال وهو أن أسس ودعائم إيمان هذا العالم إنّما هى فى الواقع ضعيفة خاوية، وإن انتحل الإسلام والعلم ظاهراً، إلّاأنّ لسانه الباطنى

«يقولون إن اللَّه خالق جنّة ونار وتعذيب وغل يدين»[۸۰۹].

كما قد يكون مؤمنا باللَّه إلّاأنّه منقاد لهوى نفسه الذى يتغلب على إيمانه.

ونختتم هذا الكلام بحديث عن على عليه السلام فى أنّ التوارة قد اختتمت بخمس عبارات هى ۸۱۰].

الأول: العالم الذى لا يعمل بعلمه فهو وابليس سواء.

والثانى: سلطان لايعدل برعيته فهو وفرعون سواء.

والثالث: فقير يتذلل لغنى طمعاً فى ماله فهو والكلب سواء.

والرابع: غنى لاينتفع بماله فهو والاجير سواء.

والخامس: إمرأة تخرج من بيتها بغير ضرورة فهى والامّة سواء.

نفحات الولاية، ج۴، ص: ۴۰۸

اللّهم نسألك العمل بما نعلم من العلم الذى أفضته علينا فى ظل قبسات وعلوم نهج البلاغة لأميرالمؤمنين على عليه السلام، اللّهم ولاتقرنا مع الشيطان أبداً، اللّهم نسألك حسن العاقبة وأن تختم لنا بالخير.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه‌ربّ العالمين.

تم بعون اللّه المجلد الرابع من شرح نهج البلاغة

فى ۱۷ شوال. عام ۱۴۲۲ ه ويليه المجلد الخامس ان شاء اللّه.

---

[۱] (۱) سند الخطبة: قد كفانا الرضى(ره) مؤنة البحث عن مصادر هذه الخطبة إذ ذكر أنّه نقلها عن مسعدة بن صدقة العبدى عن أبى عبداللّه عليه السلام ومسعدة هذا له كتب منها كتاب(خطب اميرالمؤمنين عليه السلام) كما ذكرنا ذلك فى أوائل هذا الكتاب تحت عنوان الكتب المؤلفة فى كلام أمير المؤمنين عليه السلام وقلنا هناك إنّ كتاب مسعدة هذا كان باقياً إلى زمن السيد هاشم البحرانى(ره) إذ نقل عنه كثيراً فى تفسيره المعروف بالبرهان كما نوه به فى مقدمة الكتاب المذكور ثم صار فى ضمائر الغيوب. وعلى كل حال ان الخطبة الاشباح هذه من خطب أمير المؤمنين المشهورة رواها العلماء قبل الرضى أيضاً أحمد بن عبد ربّه المالكى فى العقد الفريد والشيخ الصدوق فى التوحيد باختلاف فى بعض الألفاظ والفقرات مع رواية الرضى. ورواها الزمخشرى فى ربيع الأبرار وإبن الأثير فى النهاية. و الخطبة شاهدة لنفسها لا- تحتاج مع لفظها الباهر، ومعناها الظاهر، إلى اسناد متواتر كما قال السيد ابن طاووس(حيث من المستبعد إن تصدر مثل هذه المضامين من غير المعصوم)(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۱۶۸).

[۲] (۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۶/ ۴۲۵.

[۳] (۱) لابدّ من الالتفات هنا إلى أنّ الخطبه تقسم بشكل عام إلى عشرة أقسام، حيث تقسم هذه الأقسام بدورها إلى عدّة أقسام اخرى. ولذالك عمدنا فى النهاية إلى شرحها على أساس جعلها أربعة وعشرين قسماً.

[۴] (۲) توحيد الصدوق/ ۷۹ ح ۳۴.

[۵] (۱) ابن فارس، مقاييس اللغة.

[۶] (۱)« يفره» من مادة« وفور» بمعنى الكثرة والزيادة.

[۷] (۲)« يكديه» من مادة« كدى» على وزن كسب بمعنى البخل، وهى هنا بمعنى يفقره وينفد خزائنه.

[۸] (۳) منهاج البراعة ۶/ ۲۸۸.

[۹] (۴) بحار الانوار ۶۸/ ۱۴۰ ح ۳۱.

[۱۰] (۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۶/ ۴۰۰.

[۱۱] (۲)« اناسی» جمع« إنسان» و يطلق على أفراد بنى الإنسان كما يطلق هذا اللفظ على بؤبؤ العين، لانعكاس‌صورة الأفراد فيها.

[۱۲] (۱) سورة الانعام/ ۱۰۳.

[۱۳] (۲) اقتباس من سورة البقرة/ ۲۵۵؛ سورة الاعراف/ ۱۴۲.

[۱۴] (۳)« لجين» على وزن حسين بمعنى الفضة.

[۱۵] (۴)« عقيان» الذهب الخالص.

[۱۶] (۵)« نثارة» من مادة« نثر» على وزن نصر التناثر والتشتت، حيث تتشقق أغلفة الأصداف فتتناثر منها حبيبات الدر هنا وهناك.

[۱۷] (۶)« يغيض» من مادة« غيض» على وزن فيض النقصان وذهاب الماء فى الأرض ووردت فى العبارة بمعنى عدم نقصان منابع الفيض الإلهى بالعطاء.

[۱۸] (۱) مفاتيح الجنان، أعمال شهر رجب.

[۱۹] (۱) سورة الشورى ۱۱.

[۲۰] (۲) سورة طه/ ۱۱۰.

[۲۱] (۱) قال ابن أبى الحديد فى شرح هذه الخطبة يمكن أن تكون جملة يقولون نصباً على أنّه حال من الراسخين، ويمكن أن يكون كلاماً مستأنفاً، أى هؤلاء العالمون بالتأويل، يقولون: آمنا به(۶/ ۴۰۴).

[۲۲] (۱)« ارتمت» من مادة« رمى» على وزن نهى تعنى اطلاق السهم، ولما كان السهم يتحرك بسرعة فان جملة« ارتمت» تعنى سرعة حركة الأفكار.

[۲۳] (۱)« منقطع» الشى ما إليع ينتهى حيث يحصل القطع عادة آخر الشى.

[۲۴] (۲)« تولهت» من مادة« وله» بمعنى العشق و شدة حب الشى حتى تجعل الإنسان حيراناً وتصيبه بالذهول.

[۲۵] (۳)« تجوب» من مادة« جوب» على وزن ذوب بمعنى القطع والثقب. فقد ورد فى الاية التاسعه من سورة الفجر بشأن قوم الثمود« و ثمود الذين جابوا الصخر بالواد» فى اشارة الى دورهم التى كانوا يبنوها فى الجبال من جراء قطع الحجر والصخر.

[۲۶] (۴)« مهاوى» جمع« مهواة» و« مهوى» تعنى فى الأصل الوادى بين جبلين، أو الحفرة بين جدارين، و لما كان مثل هدا المكان مطبا، فقد وردت هذه الكلمه بمعنى الهلاك.

[۲۷] (۵)« سدف» جمع« سدفة» بمعنى الظلمة.

[۲۸] (۶)« جبهت» من مادة« جبهة» بمعنى الجبين با البناء للمجهول ضربت جبهتها والمراد عادت خائبه.

[۲۹] (۷)« اعتساف» السلوك على غير جادة، كما وردت بمعنى مطلق الانحراف والعدول عن الشى.

[۳۰] (۱)« رويات» جمع« روية» وهى الفكر.

[۳۱] (۱) الضمير فى حجته ودلالته يعود إلى الخلق لا الخالق.

[۳۲] (۲) سورة فصلت/ ۵۳.

[۳۳] (۳) الكنى والالقاب ۱/ ۱۲۱.

[۳۴] (۱)« تلاحم» من مادة« لحم» بمعنى الاتصال، شبيه اتصال عضلات الجسم.

[۳۵] (۲)« حقاق» جمع« حقه» وهو رأس العظم عند الفصل.

[۳۶] (۱)« عادل» مادة« عدل» على وزن قشر بمعنى المعادل والشبيه والنظير والعادلون بك الذين عدلوا بك غيرك، أى سووه بك وشبهوك به.

[۳۷] (۱)« نحلوا» من مادة« نحل» بمعنى الهبة والعطية، وحلية المخلوقين صفاتهم الخاصة بهم من الجسمانية ومايتبعها.

[۳۸] (۲)« قرائح» جمع« قريحه» تعنى فى الأصل أول ماء يسحب من البئر، ثم اطلقت على النتاجات الفكريةوالذوقية للإنسان.

[۳۹] (۱) سورة الشورى ۱۱

[۴۰] (۲) سورة الانعام/ ۱۰۳.

[۴۱] (۳) سورة الأعراف/ ۱۴۳.

[۴۲] (۴) سورة الحديد/ ۴.

[۴۳] (۵) سورة ق/ ۱۶.

[۴۴] (۶) سورة البقرة/ ۱۱۵.

[۴۵] (۷) سورة الفتح/ ۱۰.

[۴۶] (۸) سورة طه/ ۵.

[۴۷] (۱) شرح نهج البلاغة للعلّامة التسترى ۱/ ۳۳۳

[۴۸] (۱) سورة فصلت/ ۹.

[۴۹] (۲) سورة البقرة/ ۲۲.

[۵۰] (۳)« مهب» اسم مكان من مادة« هبوب» بمعنى موضع هبوب الرياح، وقد شبهت العبارة المذكور الفكر بالنسيم الذى يهب من موضع؛ إلّاأنّ كنه ذات اللّه وصفاته سبحانه خارجة عن ذلك الموضع.

[۵۱] (۱) قريحة: كما أسلفنا سابقاً فى الأصل، بمعنى أول ماء يخرج من البئر عند ما يحفر، و كذلك يطلق على مايتفتق من أعمال فكر و ذوق الانسان.

و يشمل ذلك الغريزة التى هى بمعنى الطبيعة، و هو الشىء الذى يحصل عليه الانسان بمساعدة ذوقه و طبعه.

و يصح هذا المعنى أيضاً على غير الانسان، فمثلًا أكثر الطيور تقوم ببناء أعشاشها و تربية فراخها و الهجرة الطويلة و بشكل جماعى و أمثال ذلك، كل هذا يتم بواسطة القريحة و الغريزة.

[۵۲] (۱)« الريث» التثاقل عن الامر والقيام بالعمل.

[۵۳] (۲)« أناة» بمعنى الوقار المقرون بالفكر حين القيام بالعمل.

[۵۴] (۳)« متلكئ» من مادة« لكأ» على وزن هدف الوقوف فى مكان، ثم اطلقت على من يتوقف فى مسألة ويفكر فيها.

[۵۵] (۴) سورة فصلت/ ۱۱.

[۵۶] (۱)« أود» بمعنى الاعوجاج.

[۵۷] (۲) الجملة من حيث النحوهى أنّ« بدايا» خير لمبتدأ محذوف تقديره هذه، واضافة بدايا إلى الخلائق من قبيل اضافة الصفة إلى الموصوف، التى تعنى فى الأصل خلائق بدايا، وبدايا جمع بديئه المصنوع البديع.

[۵۸] (۱) سورة البقرة/ ۳۲.

[۵۹] (۲) سورة آل عمران/ ۱۹۱.

[۶۰] (۱)« رهوات» جمع« رهوة»، قال بعض أرباب اللغة(كتاب العين) تعنى المرتفع فوق الجبال، بينما فسرهاأغلب أرباب اللغة على انها من مادة« رهو» على وزن سهو بمعنى المكان الخالى والمفتوح. والانسب أن يكون معناها فى الخطبة النقاط المفتوحة. وأخير اعتبرها البعض من الأضداد؛ أى تعنى المكان المرتفع والمنخفض أيضاً.

[۶۱] (۲)« لاحم» من مادة« لحم» بمعنى ملأ فراغ الشى، مايصطلح عليه باللحيم، ولعل أصلها اللحم الذى يملأ الفاصلة بين العظام.

[۶۲] (۳)« صدوع» جمع« صدع» على وزن حرف بمعنى الشق.

[۶۳] (۱) سورة الرعد/ ۲.

[۶۴] (۲)« وشج» من مادة« وشج» على وزن نسج أى شبك.

[۶۵] (۳) فسّر البعض« الأزواج» هنا بمعنى الأرواح(النفوس الفلكية) وترمز إلى عقيدة بعض الفلاسفة الذين‌يرون لكل فلك روحا مجردة، إلّاأنّ الانصاف هو عدم ثبوت هذه النظرية بدليل واضح، كما لا تدل العبارة المذكور على هذا الأمر.

[۶۶] (۴)« حزونة»(ولها معنى المصدر واسم المصدر) بمعنى الصعوبة، وقدوردت فى الخطبة بمعنى المشاكل والصعاب.

[۶۷] (۱) لابدّ من الالتفات هنا إلى أنّ ثم الواردة فى الآية تعنى التأخير فى البيان لا الزمان. وعليه فهى لا تدل على أنّخلق السموات جاء بعد خلق الأرض(راجع التفسير الأمثل/ ۱۱ من سورة فصلت).

[۶۸] (۱) سورة الأنبياء/ ۳۰.

[۶۹] (۲) المراد بالرؤية هنا تلك التى تحصل عن طريق الفكر والتأمل، لا عن طريق المشاهدة الحسية؛ وذلك لأنه لم يكن الإنسان فى ذلك الزمان كما احتمل فى تفسير هذه الآية ان المراد من رتق السموات عدم وجود المطر ونمو النباتات، والمراد بفتقها هو نزول المطر ونمو النباتات.

[۷۰] (۱)« تمور» من مادة« مور» على وزن قول بعدّة معانى فى اللغة ومنها الحركة السريعة والغبار الذى تبعثره‌الرياح هنا وهناك، والذى يستفاد من تعبيرات أرباب اللغة أنها تعنى الاضطراب فى الهواء.

[۷۱] (۲)« أيد» على وزن صيد بمعنى القدرة والنعمة، وجاء فى القرآن ذا الأيد بمعنى صاحب القوة وهذا هو المعنى المراد بها فى الخطبة.

[۷۲] (۱) ورد شرح مفصل لهذا الموضوع فى المجلد الأول من هذا الكتاب/ ۱۰۲- ۱۲۰.

[۷۳] (۱) سورة فصلت/ ۳۷.

[۷۴] (۲)« مناقل» جمع« منقل» من مادة« نقل» بمعنى الطريق.

[۷۵] (۳) سورة يونس/ ۵.

[۷۶] (۴)« ناط» من مادة« نوط» على وزن موت توقف الشى على آخر.

[۷۷] (۵)« دراری» جمع« درى» من الدر الكواكب والقمار.

[۷۸] (۱) سورة الانعام/ ۹۷.

[۷۹] (۲)« مسترقى» جمع« مسترق» بمعنى السارق ومنه استرق السمع، أى سماعة خفية.

[۸۰] (۳)« أذلال» جمع« ذل» بكسر الذال المجرى والمسير.

[۸۱] (۱) وسائل الشيعة ۱۲/ ۱۰۴. للوقوف على سائر الأحاديث الواردة بهذا الشأن راجع الباب ۲۴ من أبواب مايكتسب به.

[۸۲] (۱)« صفيح» من مادة« صفح» تعنى فى الأصل الانبساط والسعة، وعليه فهى تأتى بمعنى السطح الواسع، وقدوردت هنا بمعنى السماء الواسعة.

[۸۳] (۲)« فتوق» جمع« فتق» بمعنى الشق فى الشى أو الفاصلة بين شيئين، والفارق بين« الفروج» جمع فرج بمعنى‌الشق هو سعة الفتق، كما قد يكون إشارة إلى الشق الذى يفصل بين الشيئين، بينما ليس للفرج مثل هذا الفصل، ولايعنى سوى الشق فى الشى.

[۸۴] (۳)« أجواء» جمع« جو» بمعنى الهواء أو الفاصلة بين السماء والأرض.

[۸۵] (۱)« فجوات» جمع« فجوة» الموضع الواسع، كما تأتى بمعنى الفراغ بين الشيئين، وردت فى قصة أصحاب‌الكهف فى القرآن كاشارة لسعة غار أصحاب الكهف« وَهُمْ فِی فَجْوَةٍ مِنْهُ».

[۸۶] (۲)« زجل» من مادة« زجل» على وزن حمل بمعنى قذف الشى، وزجل على وزن عمل بمعنى الصوت المرتفع والمطرب، كما

اطلقت على كل صوت مرتفع.

[۸۷] (۳)« حظائر» جمع« حظيرة» المنطقة الممنوعة ومادتها« حظر» على وزن فرض بمعنى المنع.

[۸۸] (۴)« سرادقات» جمع« سرادق» الحجاب والخيمة العظيمة.

[۸۹] (۵)« رجيح» من مادة« رج» على وزن حج الزلزلة والاضطراب.

[۹۰] (۶)« تستك» منه تصم منه الاذان لشدته.

[۹۱] (۷)« سبحات» جمع« سبحة» بمعنى النور والعظمة، واضافتها إلى النور فى العبارة هى إضافية بيانية.

[۹۲] (۸)« خاسئة» من مادة« خسأ» على وزن مدح الدفع والطرد مع التحقير.

[۹۳] (۹) راجع بهذا الشأن بحارالأنوار، ج ۵۵ كتاب« السماء العالم» الباب ۵(الحجب والاستار والسرادقات).

[۹۴] (۱) يمكن أن تكون العبارة« تسبح جلال عزته» أشارة إلى تسبيح الملائكة أمام جلال الحق وعزته، والصيغة المؤنثة بسبب مفهومها الجمعى.

[۹۵] (۱) راجع المجلد الأول من هذا الشرح/ ۱۵۹.

[۹۶] (۲)« ينتحلون» من مادة« انتحال» بمعنى إدعاء الشخص شيئا لصالحه، وهو يتعلق بآخر.

[۹۷] (۳) سورة الأنبياء/ ۲۶- ۲۷.

[۹۸] (۴)« زائغ» من مادة« زيغ» على وزن ميل بمعنى العدول عن الحق.

[۹۹] (۱) سورةالحج/ ۷۵.

[۱۰۰] (۲)« اخبات» الخضوع والخشوع والتواضع.

[۱۰۱] (۳)« ذلل» جمع ذلول السهل.

[۱۰۲] (۴)« تماجيد» جمع« تمجيد» بيان المجد والشرف والعظمة الشخصية.

[۱۰۳] (۱)« موصرات» من مادة« اصر» بمعنى الحفظ والسجن، ثم اطلق على كل فعل ثقيل يعيق الانسان عن العمل، ومؤصرات الأثام مثقلاتها.

[۱۰۴] (۲)« عقب» جمع« عقبة» على وزن غرفة وجمعها غرف تعنى النوبة. إشارة إلى تعاقب الليل والنهار حسب‌نوبتهما.

[۱۰۵] (۱)« نوازع» جمع« نازعة» من مادة« نزع» على وزن وضع بمعنى سحبه أو رفعه من مكانه.

و فى العبارة اعلاه، تطلق على السهم عند ما يراد اطلاقه من القوس فى حالة سحب وتر الاطلاق إلى الخلف.

[۱۰۶] (۲)« تعترك» من مادة« عرك» الازدحام.

[۱۰۷] (۳)« إحن» جمع« إحنة» بمعنى الحسد والكره.

[۱۰۸] (۴)« تقترع» من مادة« قرع» بمعنى الضرب.

[۱۰۹] (۵)« الرين» بفتح الراء الدنس وما يطبع على القلب من حجب الجهالة.

[۱۱۰] (۱)« الدلح» جمع« دالح» من مادة« دلوح» بمعنى السحب المليئة بالمطر، وكأنّها تتحرك ببطئ لثقلها(لأن‌أصلها الغوى يعنى بطئ الحركة).

[۱۱۱] (۲)« شمخ» جمع« شامخ» من مادة« شموخ» بمعنى العلو والرفعة ومن هنا يطلق الشامخ على الجبل المرتفع.

[۱۱۲] (۳)« قترة» بمعنى ضيق وانضمام شىء إلى آخر، ولما كانت شدة الظلمة كذلك وكان الظلمات قد انضم بعضها الى بعض وتراكمت، اطلق عليها هذه المفردة.

[۱۱۳] (۴)« أيهم» تعنى فى الأصل المجنون وناقص العقل ويقال للصحراء القاحلة فلاة كما تطلق على الظلام فيقال« الظلام الأيهم»

أى لايرى فيه كوكباً.

[۱۱۴] (۱)« تخوم» جمع« تخم» تعنى فى الأصل الحد، وتخوم الأرض اعماقها.

[۱۱۵] (۲)« مخارق» جمع« مخرق» من مادة« خرق» على وزن خلق. بمعنى موضع الخرق، ومخارق الهواء الشقوق بين طبقات الهواء.

[۱۱۶] (۳)« هفافة»، الريح التى تتحرك بسرعة. وقيل هفافة بمعنى الطيبة الساكنة، إلّاأنّ هذا المعنى لايبدو مناسباًللعبارة المذكورة، ولايستبعد ادغام المعنيين فى مفهوم واحد وهو الريح السريعة المنتظمة.

[۱۱۷] (۴)« وله» تغنى الحيرة من شدة الحزن حتى يفقد صاحبها عقله، ثم اطلق على العشق المفرط الذى يسلب‌الإنسان استقراره.

[۱۱۸] (۱) الكافى ۲/ ۸۳، ح ۳، باب العبادة.

[۱۱۹] (۱)« روية» من مادة« رى» على وزن طى التى تروى منه العطش، وكأس روية كناية عن الظرف المملوة الذى‌يروى العطشان بصورة تامة.

[۱۲۰] (۲)« سويداء» تصغير« سوداء» من السواد، و هى حبة صغيرة فى القلب تشكل مركزه حب اعتقاد القدماء.

[۱۲۱] (۳)« وشيجة» من مادة« وشج» أصلها عرق الشجرة وإراد بها هنا بواعث الخوف من اللّه.

[۱۲۲] (۴)« حنو» من مادة« حنو» على وزن حذف بمعنى الالتواء والانحناء.

[۱۲۳] (۵)« زلفة» من مادة« زلف» على وزن ضعف بمعنى القربى، و« زلفه» و« زلفى» بمعنى المقام والمنزلة والقرب.

[۱۲۴] (۶)« ربق» جمع« ربقه» حبل فيه عدة عرى تربط فيه البهم، ثم اطلقت على الرابطة المحكمة بين شىء وأخر، وقد وردت هنا بهذا المعنى.

[۱۲۵] (۷)« إستكانة» من مادة« سكون» تأتى بمعنى الخضوع والتواضع فى هذه الموارد. قيل من باب إفتعال من مادةسكون، وقيل من باب استفعال من مادة كون وهى أيضاً بمعنى السكون فى مكان مع الخضوع والخشوع.

[۱۲۶] (۱)« دؤوب» مصدر بمعنى الدوام والاستمرار والسعى والجهد إلى حد التعب والارهاق.

[۱۲۷] (۲) سورة الأنبياء/ ۲۰.

[۱۲۸] (۳)« تغض» من مادة« غيض» بمعنى تنقص و تقل. و أشارت فى العبارة إلى عدم قلة رغبة الملائكة بطاعة اللّه و عبادته.

[۱۲۹] (۴)« أسلات» جمع« أسله» بمعنى طرف اللسان، وتطلق على من لايكل عن الذكر ولايجف لسانه.

[۱۳۰] (۵)« همس» على وزن لمس، الخفى من الصوت.

[۱۳۱] (۶)« جؤار»، الصوت المرتفع، وقد ورد فى العبارة بمعنى رفع صوت الملائكة بالتضرع وعدم الكف عن المناجاة.

[۱۳۲] (۷)« مقاوم»، قال شرّاح نهج البلاغة مقاوم جمع مقام بمعنى الصفوف وإن لم تعشر على مثل هذا الجمع ۲ فى المصادر اللغوية.

[۱۳۳] (۱)« يثنوا» من مادة« تثنى» بمعنى الطى وأن أطلقت على المدح فلأنها تعدد صفات الشخص البارزة الواحدةبعد الأخرى.

[۱۳۴] (۲)« تنتضل» من مادة« نضال» ترمى السهام.

[۱۳۵] (۳) روضة المتقين ۱۳/ ۲۶۴.

[۱۳۶] (۱) موسوعة الإمام على بن أبى طالب ۹/ ۲۰۲؛ بحارالأنوار ۴۶/ ۷۵.

[۱۳۷] (۱)« يمموا» من مادة« يم» قصدوه بالرغبة والرجاء عند ما انقطع الخلق سواهم إلى المخلوقين، ومنه« التيمم» الذى يقصد فيه الإنسان ضرب يديه بالتراب ومسح ظاهرها وجبهته به.

[۱۳۸] (۲) سورة غافر/ ۱۵.

[۱۳۹] (۳)« الاستهتار» مصدر بمعنى اللامبالاة والحرص على المخالفة، واصله« الهتر» على وزن الستر بمعنىالحماقة والجهل.

[۱۴۰] (۴)« مواد» جمع« مادة» أصلها من« مد» البحر إذ زاد، فالمواد تعنى الزيادة.

[۱۴۱] (۵)« ينوا» من مادة« ونى» على وزن رمى بمعنى الضعف والفتور.

[۱۴۲] (۶)« وشيك» من مادة« وشك» بمعنى السرعة.

[۱۴۳] (۱)« أخياف» من مادة« خيف» على وزن هدف و هو فى الأصل ما انحدر من سفح الجيل، و اريد به هنا سواقطالهمم. و تعنى إختلاف العينين مثلًا واحدة زرقاء و أخرى سوداء، ثم أطلقت على كل إختلاف.

[۱۴۴] (۱)« زيغ» من مادة« زيغ» على وزن فيض الاعوجاج.

[۱۴۵] (۲)« ونى» من مادة« ونى» بمعنى الضعف كما مر علينا سابقاً.

[۱۴۶] (۱)« أهاب» جلد الحيوان، أو الجلد المدبوغ.

[۱۴۷] (۲)« حافد» من مادة« حفد» السرعة فى العمل.

[۱۴۸] (۳) تفسير القمى ۲/ ۲۵۵.

[۱۴۹] (۱) وسائل الشيعة ۱۱/ ۱۶۴ ح ۲.

[۱۵۰] (۱)« كبس» بالفتح من مادة« كبس» على وزن حبس بمعنى الأغلاق والضغط.

[۱۵۱] (۲)« مور» على وزن غور التحرك الشديد والهيجان والاضطراب.

[۱۵۲] (۱) مستفلحة من مادة استفحال الهائجة التى يصعب التغلب عليها.

[۱۵۳] (۲)« زاخرة» من مادة« زخر» على وزن فخر بمعنى المليىء.

[۱۵۴] (۳)« أو اذى» جمع أذى على وزن قاضى الموج أو أعلاه.

[۱۵۵] (۴)« تصطفق» من مادة« صفق» على وزن سقف بمعنى ضرب الشىء بآخر مصحوباً بالصوت، واصطفقت الأشجار اهتزت بالريح.

[۱۵۶] (۵)« متقاذفات» من مادة« قذف» على وزن حذف النزاع وقذف شىء على آخر.

[۱۵۷] (۶)« أثباج» جمع« ثبج» بالتحريك وهو فى الأصل ما بين الكاهل والظهر، استعارة لأعلى الموج، التى يقذفبعضها بعضها.

[۱۵۸] (۷)« ترغو» من مادة« رغو» على وزن نقد ومنه الرغوة ما يطفو على اللبن وأريد بها هنا العناصر المكونة للأرض والتى ظهرت عليها مادة مذابة فى البداية.

[۱۵۹] (۸)« جماح» طغيان الفرس ثم اطلق على كل شىء شبيه ذلك.

[۱۶۰] (۹)« كلكل» يعنى الصدر.

[۱۶۱] (۱۰)« تمعكت» من مادة« معك»، تمعكت الدابة تمرغت فى التراب.

[۱۶۲] (۱۱)« كواهل» جمع« كاهل» أعلى الظهر وقرب العنق.

[۱۶۳] (۱۲)« اصطخاب» من مادة« صخب» على وزن وهب بمعنى ارتفاع الصوت وتستعمل حين تختلط أصواتالطيور والضفادع مع بعضها، ووردت هنا بشأن اختلاط الأمواج مع بعضها.

[۱۶۴] (۱۳)« ساجى» بمعنى ساكن من مادة« سجو» على وزن هجو.

[۱۶۵] (۱۴)« حكمة» من مادة« حكم» على وزن حتم تعنى فى الأصل الاعادة والمنع وتطلق على ما أحاط بحنكىالفرس من لجامه. وتطلق الحكمة على العقل والعلم، لأنّها تمنع الإنسان من السيئات والانحرافات.

[۱۶۶] (۱)« مدحوة» من مادة« دحو» بمعنى مبسوطة.

[۱۶۷] (۲)« بأو» على وزن نحو الكبر والزهو والفخر.

[۱۶۸] (۳)« شموخ» بمعنى الكبر والغرور.

[۱۶۹] (۴)« غلواء» من مادة غلو النشاط و الطموح و تجاوز الحد.

[۱۷۰] (۵)« كعم» من مادة« كعم» على وزن طعم، كعم البعير شد فاه لئلا يعفى أو يأكل، وما يشد به كعام.

[۱۷۱] (۶)« كظة» بالكسر ما يعرض من امتلاء البطن بالطعام، ويراد بها هنا ما يشاهد فى جرى الماء من ثقل الاندفاع.

[۱۷۲] (۷)« جرية» بمعنى الجريان.

[۱۷۳] (۸)« همد» من مادة« همود» بمعنى اخماد حرارة النار.

[۱۷۴] (۹)« نَزَقات» من مادة« نزق» الخفة والطيش.

[۱۷۵] (۱۰)« لبد» من مادة« لبود» الوقوف فى مكان.

[۱۷۶] (۱۱)« زيفان» التبختر فى المشية.

[۱۷۷] (۱۲)« وثبات» جمع« وثبة» القفز وقد وردت فى العبارة بمعنى حركة الأرض الشديدة فى الأيام الاولى.

[۱۷۸] (۱)« شواهق» جمع« شاهق» العالى والمرتفع.

[۱۷۹] (۲)« شمخ» جمع« شامخ» و« بذخ» جمع« باذخ» العال والرفيع.

[۱۸۰] (۳) شمخ جمع شامخ وبذخ جمع باذخ العال والرفيع.

[۱۸۱] (۴)« عرانين» جمع« عرنين» على وزن عشرين وهو ما صلب من عظم الأنف.

[۱۸۲] (۵)« سهوب» جمع« سهب» على وزن فهم الفلاة.

[۱۸۳] (۶)« بيد» جمع« بيداء» بمعنى الأرض الفلاة.

[۱۸۴] (۷)« أخاديد» جمع« اخدود» الحفرة الكبيرة.

[۱۸۵] (۱)« الراسيات» جمع« راسية» بمعنى الثقيل والمحكم.

[۱۸۶] (۲)« جلاميد» جمع« جلمود» الحجر الصلد.

[۱۸۷] (۳)« شناخيب» جمع« شنخوب» رأس الجبل.

[۱۸۸] (۴)« الشم» جمع« أشم» بمعنى العالى والمرتفع.

[۱۸۹] (۵)« صياخيد» جمع« صيخود» على وزن محمود الصخرة الشديدة.

[۱۹۰] (۶)« ميدان» بالتحريك الاضطراب.

[۱۹۱] (۷)« أديم» يعنى فى الأصل الجلد المدبوغ ثم اطلق على سطح الأرض.

[۱۹۲] (۸)« تغلغل» المبالغة فى الدخول.

[۱۹۳] (۹)« متسربة» من مادة« تسرب» الدخول خفية.

[۱۹۴] (۱۰)« جوبات»« جوبة» على وزن توبة الحفرة.

[۱۹۵] (۱۱)« خياشيم» جمع« خيشوم» على وزن زيتون وهو منفذ الأنف إلى الرأس.

[۱۹۶] (۱۲)« جراثيم» جمع« جرثومة» المراد هنا ما سفل عن السطوح من الطبقات الترابية.

[۱۹۷] (۱) سورة النباء/ ۷.

[۱۹۸] (۲) سورة النحل/ ۱۵.

[۱۹۹] (۳)« متنسم» من مادة« نسيم» هبوب الرياح المعتدلة. وعليه متنسم(بصيغة اسم مفعول) بمعنى الهواء الصالح‌للتنفس.

[۲۰۰] (۴)« مرافق» جمع« مرفق» على وزن مكتب كل ما يحتاج الإنسان ويستفيد منه، وهذا هو المعنى المراد فى الخطبة. كما ورد بمعنى مرفق اليد.

[۲۰۱] (۱) سورة الرعد/ ۳.

[۲۰۲] (۱)« جرز»؛ تطلق على الأرض التى تمر عليها مياه العيون فتنبت.

[۲۰۳] (۲)« روابى» جمع« رابية» من مادة« ربو» على وزن غلو مرتفعات الأرض.

[۲۰۴] (۱)« لمع» جمع« لمعة» على وزن لقمة بمعنى قطعة من السحاب أو شىء آخر.

[۲۰۵] (۲)« قزع» جمع« قزعة» على وزن ثمرة القطعة من الغيم.

[۲۰۶] (۳)« تمخضت» من مادة« مخض» على وزن فرض، بمعنى الحركة الشديدة، مثل حركة الشُكية- و هو الوسيلة التى يخض فيها اللبن لفصل الزبد عنه- عند ما نريد فصل الزبد عن اللبن.

و المخاض: يطلق على حركة الطفل الشديدة فى بطن أمه فى حالة الطلق و الوضع.

[۲۰۷] (۴)« مزن» السحب الماطرة.

[۲۰۸] (۵)« كفف» جمع« كفه» على وزن قبة حاشية شىء واطرافه.

[۲۰۹] (۶) و« ميض» من مادة ومض على وزن رمز التشعشع.

[۲۱۰] (۷)« كنهور» القطع العظيمة من السحاب.

[۲۱۱] (۸)« رباب» جمع« ربابة» السحاب الابيض.

[۲۱۲] (۹)« سح» متلاحق متواصل.

[۲۱۳] (۱۰)« أسف» من مادة إسفاف الدنو من الأرض.

[۲۱۴] (۱۱)« هيدب» السحاب المتدلى الذى يقترب من الأرض.

[۲۱۵] (۱۲)« تمرى» من مادة« مرى» من مرى الناقة مسح على ضرعها ليحلب لبنها.

[۲۱۶] (۱۳)« درر» جمع« درة» اللبن.

[۲۱۷] (۱۴)« أهاضيب» جمع« أهضوبة» الحلب المتواصل.

[۲۱۸] (۱۵)« شابيب» جمع« شؤبوب» ما ينزل من المطر بشدة.

[۲۱۹] (۱)« بركَ» بالفتح مايلى الأرض من جلد صدر العبير.

[۲۲۰] (۲)« بوانى» مثنى« بوان» على وزن لسان عمود الخيمة.

[۲۲۱] (۳)« بعاع» بالفتح ثقل السحاب من الماء.

[۲۲۲] (۴)« استقل» من مادة« استقلال» الحمل.

[۲۲۳] (۵)« عِبء» الحمل.

[۲۲۴] (۶)« هوامد» جمع« هامدة» من مادة« همود» انطفاء النار والهوامد من الأرض ما لم يكن بها نبات.

[۲۲۵] (۷)« زعر» جمع« أزعر» الموضع القليل النبات.

[۲۲۶] (۸)« تبهج» من مادة« بهجت» سر وفرح.

[۲۲۷] (۹)« تزدهى» من الأزدهاء العجب.

[۲۲۸] (۱۰)« ريط» جمع« ريطة» الثوب الرقيق.

[۲۲۹] (۱۱)« أزاهير» جمع« زهرة» النبات.

[۲۳۰] (۱۲)« سمطت» من مادة« سمط» التعليق.

[۲۳۱] (۱۳)« ناضر» من مادة« نضارة» النشاط، ولا سيما الحاصل من وفور النعمة.

[۲۳۲] (۱۴)« أنوار» جمع« نور» البرعم والزهر.

[۲۳۳] (۱)« بلاغ» من مادة« بلوغ» الوصول إلى الشيء وهو هنا ما يتبلغ به من قوت.

[۲۳۴] (۲) سورة عبس/ ۲۵- ۳۲.

[۲۳۵] (۳)« فجاج» جمع« فج» بمعنى الوادى بين الجبلين.

[۲۳۶] (۴)« جواد» جمع« جادة» الطريق الواسع الواضح.

[۲۳۷] (۱) سورة الأنبياء/ ۳۱.

[۲۳۸] (۲) سورة فاطر/ ۲۷.

[۲۳۹] (۳) سورة النحل/ ۱۶- ۱۵.

[۲۴۰] (۱)« جبلة» بمعنى الطبيعة و الفطرة الإنسانية(وقد اشتقت هذه الكلمة من مادة« جبل» حيث تابى هذه الفطرةالتغيير).

[۲۴۱] (۱)« أوعز» من مادة« وعز» على وزن وعظ اقتراح عمل على آخر.

[۲۴۲] (۲) سورة طه/ ۱۱۵.

[۲۴۳] (۳) سورة البقرة/ ۳۵.

[۲۴۴] (۴) للوقوف على تفاصيل هذا الموضوع راجع كتاب« معرفة اللّه».

[۲۴۵] (۵) سورة الاعراف/ ۲۲.

[۲۴۶] (۱)« أهبط» من مادة« هبوط» النزول.

[۲۴۷] (۲) سورة هود/ ۶۱.

[۲۴۸] (۳)« قرن» الزمان الطويل الذى قد يمتد الى مئة عام، كما يطلق الجماعة التى تعيش مع بعضها فى عصر.

[۲۴۹] (۴)« مقطع» النهاية.

[۲۵۰] (۵)« عذره» و« نذره»،« العذر» هنا اتمام الحجة على العباد بحيث لايبقى لهم عذرا للمخالفة، و« النذر» جمع النذير بمعنى الانذار، ذكر العواقب السيئة للشئ.

[۲۵۱] (۱) جملة« ليقيم الحجة به على عباده»« فى حالة عود الضمير« به» على آدم عليه السلام أيضاً يمثل دليلًا آخراً على نبوةآدم عليه السلام.

و تعبير« عباده» يشير إلى حواء و أولاد آدم، بالاضافة إلى مصير آدم و زوجته بعد الخروج من الجنة بعد ارتكاب الخطأ، و هى حجة على بنى آدم كافة إلى يوم القيامة.

[۲۵۲] (۱) بحارالأنوار ۶۸/ ۱۴۰، وقد ورد شبه هذا المعنى فى الغنى والفقر والصحة والمرض والتوفيق للعبادة منعدمه فى بحارالانوار ۵/ ۲۸۴ عن النبى صلى الله عليه و آله عن اللّه سبحانه.

[۲۵۳] (۲)« أتراح» جمع« ترح» على وزن فرح بمعنى الغم والهم، وفسر ضد الفرح كما فسر أيضاً بالهلاك وقطعالخير والاحسان.

[۲۵۴] (۱)« خالج» من مادة« خلج» بمعنى الجذب، والخلجان شيء فى ذهن الإنسان يعنى انجذابه أمام الشيء، ومنهنا اطلق الخليج لجذبه ماءاً كثيراً من البحر.

[۲۵۵] (۲)« أشطان» جمع« شطن» على وزن وطن وهو الحبل الطويل، كما وردت هذه المفردة بمعنى العبد، ومنه« الشيطان» لبعده عن الهداية والرحمة.

[۲۵۶] (۳)« مرائر» جمع« مرير» الحبل المحكم.

[۲۵۷] (۴) اوردنا بحثاً مفصلًا فى الخطبة ۶۲ من المجلد الثالث بشأن الأجل ونهاية عمر الإنسان.

[۲۵۸] (۱) سورة الزخرف/ ۳۲.

[۲۵۹] (۲) نهج البلاغة، الرسالة ۳۱.

[۲۶۰] (۳) ميزان الحكمة ۲/ ح ۵۷۰۱.

[۲۶۱] (۱)« مسارق» جمع« مسرق» من مادة« سرقة» النظر خلسة.

[۲۶۲] (۲)« ايماض» من مادة« ومض» على وزن رمز اللمعان القصير والمخفى.

[۲۶۳] (۳)« جفون» جمع« جفن» على وزن جفت، بمعنى جفن العين.

[۲۶۴] (۴)« مصائخ» جمع« مصيخة» من مادة« صوخ» على وزن صوت الشق، والمراد هنا شق الاذان الذى يسمع به‌الإنسان الأصوات.

[۲۶۵] (۵) سورة النحل/ ۷۸.

[۲۶۶] (۶)« مصائف» جمع« مصيف» موضع اقامتها فى الصيف.

[۲۶۷] (۱)« مشاتى» جمع« مشتى» موضع اقامتها فى الشتاء.

[۲۶۸] (۲)« هوام» جمع« هامة» الحشرات(الخطيرة، كما تطلق على مطلق الحشرات.)

[۲۶۹] (۳)« حنين» الألم من مادة« حنان» ورجع الحنين ترديده.

[۲۷۰] (۴)« مولهات» الحزينات من مادة« وله» على وزن فرح.

[۲۷۱] (۵)« همس» على وزن لمس، بمعنى الصوت الهادىء الخفى، يطلق أحيانا على صوت الاقدام الحافية.

[۲۷۲] (۶)« منفسح» المكان الواسع من مادة« فسح» على وزن مسح.

[۲۷۳] (۷)« ولائج» جمع« وليجة» البطانة الداخلية.

[۲۷۴] (۸) غلف جمع غلاف معروف المعنى.

[۲۷۵] (۹)« الأكمام»، جمع« كم» غطاء النوار ولايبعد اضافة الغلف إليها أنّها إضافة بيانية.

[۲۷۶] (۱۰)« منقمع» موضع الاختفاء من مادة« الانقماع» بمعنى الاختفاء.

[۲۷۷] (۱۱)« غيران» جمع« غار»، والواسع منها يطلق عليه الكهف.

[۲۷۸] (۱۲)« سوق» جمع« ساقه» أسفل الشجرة.

[۲۷۹] (۱۳)« ألحية» جمع« لحاء» قشر الشجرة.

[۲۸۰] (۱۴)« مغرز» موضع جذور الشىء.

[۲۸۱] (۱۵)« أفنان» جمع« فنن» على وزن قلم بمعنى الغصون.

[۲۸۲] (۱۶)« أمشاج» جمع« مشج» على وزن سبب الشىء المخلوط.

[۲۸۳] (۱۷)« مسارب» جمع« مسرب» على وزن مركب وهى ما يتسرب المعنى فيها عند نزوله أو عند تكونه.

[۲۸۴] (۱)« تسفى» من مادة« سفى» على وزن نفى الرياح التى تثير الغبار والتراب.

[۲۸۵] (۲)« أعاصير» جمع« إعصار» على وزن إجبار الريح التى تثير السحاب.

[۲۸۶] (۳)« تعفو» من مادة« عفو» بمعنى المحو وتستعمل هذه المفردة فى الذنوب بمعنى محوها، ومن هنا يقال العافية بمعنى محو المرض.

[۲۸۷] (۴)« عوم» على وزن قوم السباحة والطوفان.

[۲۸۸] (۵)« كثبان» جمع« كثيب» التل والمرتفع.

[۲۸۹] (۱)« ذرا» جمع« ذروة» المكان المرتفع و أعلى الشىء.

[۲۹۰] (۲)« شناخيب» جمع« شنخوب» على وزن بهلول رؤوس الجبال.

[۲۹۱] (۳)« تغريد» أصوات الطيور.

[۲۹۲] (۴)« دياجير» جمع« ديجور» الظلمة.

[۲۹۳] (۵)« أوكار» جمع« وكر» على وزن مكر العش.

[۲۹۴] (۶)« أوغبت» من مادة« وعب» على وزن صعب جمعت.

[۲۹۵] (۷)« سدفة» ظلمة.

[۲۹۶] (۸)« ذر» بمعنى نثر و تأتى ايضاً بمعنى انتشار ضوء الشمس.

[۲۹۷] (۹)« سبحات» جمع« سبحة» على وزن لقمة بمعنى شعاع النور، و« سبحات النور» فى الجملة أعلاه جاءت بمعنى اشعة النور.

[۲۹۸] (۱۰)« هماهم» جمع همهمة مجاز من المهمة تريد الصوت فى الصدر من الهم.

[۲۹۹] (۱۱)« هامة» قال بعض شرّاح نهج البلاغة من له همة عالية، كما يراد بها الهموم من الهم والغم وهذا ما اريد بها فى العبارة.

[۳۰۰] (۱)« نقاعة» من مادة« نقع» على وزن نفع جمع الماء و« نقاعة دم» الحفرة التى يجمع فيها الدم، وهى هنا ۲ إشارة إلى رحم(الام) وقال البعض اريد بها هنا العلقة.

[۳۰۱] (۲) اعتورت من مادة اعتوار تداولته وتناولته.

[۳۰۲] (۱) سورة لقمان/ ۲۷.

[۳۰۳] (۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۷/ ۲۳ بتصرف طفيف.

[۳۰۴] (۱)« تعداد» بفتح التاء له كما صرح بذلك أرباب اللغة، ويعنى عد الشىء(واعتبره البعض مصدر ثلاثى مجرد، وقيل من باب تفعيل، كان تعديد ثم بدلت ياء، بالف وتلفظ تعداد بكسر التاء قليل جداً).

[۳۰۵] (۲)« ينعش» من مادة« نعش» وهى فى الاصل بمعنى رفعه و أقامه، ويقال لجسد الانسان اذا خرجت منه الروح نعشاً، و كذلك للآلة التى يرفع فيها الميت بالنعش، و الذى يرفع لينقل إلى مكان مناسب.

[۳۰۶] (۳)« خلة» الحاجة والفقر، كما وردت بمعنى الضعف.

[۳۰۷] (۱) سند الخطبة: قال صاحب مصادر نهج البلاغة فى ذيل هذه الخطبة. رواه الطبرى وابن الأثير فى حوادث ۳۵ ه بتفاوت يسير جدا وكلام هذا نسجه لا- سبيل إلى انكاره، ولذاترى الناس اختلفوا فى توجيهه بعد أن لم يسعهم رده. ويستفاد من المصدرين المذكورين أنّ الإمام عليه السلام لم يرد هذه العبارات لخطبة واحدة، بل حدث كلام بينه عليه السلام وبين الناس فى الخلافة، فحذف السيد الرضى كلام الناس وذكر الإمام عليه السلام. فالمعروف ان مصدرين من مصادر العامة ذكرت هذه الخطبة قبل السيد الرضى(تاريخ طبرى ۳/ ۴۵۶، تاريخ الكامل لابن أثير ۳/ ۱۹۰) والشيخ المفيد فى الجمل/ ۴۸ وابن الجوزى فى تذكره الخواص/ ۵۷.

[۳۰۸] (۱) منهاج البراعة ۷/ ۶۲.

[۳۰۹] (۱)« أغامت» من مادة« غيم» غطيت بالغيم، كناية عن اضطراب الأوضاع السياسية والاجتماعية للمسلمين فى ذلك الزمان.

[۳۱۰] (۲)« محجة» الطريق المستقيمة والواضحة سواء الظاهرية أم المعنوية، وقد اقتبست فى الأصل من مادة« حج» بمعنى القصد، لأنّ الإنسان يقصد دائما المشى على الطريق المستقيم ليصل إلى الهدف.

[۳۱۱] (۳)« عتب» مصدر بمعنى اللوم و التأنيب و التوبيخ.

[۳۱۲] (۴) شرح نهج‌البلاغة للشيخ محمد عبده، ذيل الخطبة ۹۲/ ۲۳۳.

[۳۱۳] (۱) سورة الحديد/ ۲۵.

[۳۱۴] (۲) بحارالانوار ۴۰/ ۳۲۵.

[۳۱۵] (۱) نهج البلاغة، الخطبة ۳.

[۳۱۶] (۲) نهج البلاغة، الخطبة ۳.

[۳۱۷] (۳) نهج البلاغة، الخطبة ۷۴.

[۳۱۸] (۴) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۱/ ۱۸۶؛ وقد نقل هذا المضمون الطبرى فى ۳/ ۲۹۴ حوادث عام ۲۳ هباختلاف طفيف.

[۳۱۹] (۵) تاريخ الطبرى ۲/ ۴۰۵.

[۳۲۰] (۱) احقاق الحق ۸/ ۲۴۰.

[۳۲۱] (۱) الكامل لابن أثير ۳/ ۱۹۳.

[۳۲۲] (۲) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۷/ ۷۳.

[۳۲۳] (۱) روى ابن المغازلى أحد علماء العامة فى مناقبه عن ابن عباس أنّ النبى صلى الله عليه و آله قال لعلى عليه السلام:« سلمك سلمىوحربك حربى»(مناقب ابن المغازلى/ ۵۰).

[۳۲۴] (۱) سند الخطبة: قال ابن أبى الحديد هذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السيرة، وهى متداولة منقولة مستفيضة، خطب بها على عليه السلام بعد انقضاء أمر النهروان، وفيها ألفاظ لم يروها الرضى(ره)(شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۷/ ۵۷) كما ورد فى مصادر نهج البلاغة أنّ من رواها ابن واضع فى تاريخه(تاريخ اليعقوبى ۲/ ۱۹۳) وأبو نعيم فى حلية الأولياء وابن أثير فى النهاية. كما رواها العلّامة المجلسى عن كتاب الغارات الثقفى(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۱۷۸) فالذى يستفاد من هذه النقول أنّ هذه الخطبة من الخطب المعروفة التى ذكرت فى عدة مصادر.

[۳۲۵] (۲) شرح نهجالبلاغة لابن أبى الحديد ۷/ ۴۶ و ۱۳/ ۱۰۶.

[۳۲۶] (۱)« فقأت» من مادة« فقأ» على وزن فقر القلع بمعنى تغلبه عليها.

[۳۲۷] (۲)« غيهب» من مادة« غهب» على وزن وهب الظلمة وشدة السواد، وتستعمل فى الليالى الدامسة الظلام، كما تعنى فى الأصل الغفلة والنسيان المناسب للظلمة.

[۳۲۸] (۳)« كلب» على وزن طلب من مادة« كلب» على وزن قلب داء معروف يصيب الكلاب، فكل من عضته ۲ أصيب به فجن ومات إن لم يبادر بالدواء. ومن هنا يستعمل فى الحوادث الأليمة والحروب الطاحنة وهجوم الحيوانات الوحشية المفترسة.

[۳۲۹] (۱) منهاج البراعة ۷/ ۷۴.

[۳۳۰] (۲)« ناعق» من مادة« نعق» على وزن ضرب من نعق بغنمه صاح بها لتجتمع وتستعمل فى الافراد السذج الذينيتحركون بواعز من المفسدين.

[۳۳۱] (۳)« مناخ» من مادة« نوخ» بمعنى أقام، و« مناخ» يطلق على المكان الذى يبرك فيه البعير، وتستعمل بشكل واسع ككناية عن محل الإقامة.

[۳۳۲] (۱) سورة النمل/ ۶۵(كما ورد شبيه هذا المضمون فى آيات متعددة اخرى .

[۳۳۳] (۱) كرائه جمع كريهة.

[۳۳۴] (۲) حوازب جمع حازب من مادة حزب على وزن جذب الأمر الشديد.

[۳۳۵] (۳)« قلص» من مادة« قلوص» بتشديد اللام تمارت واستمرت.

[۳۳۶] (۴)« شمر» من مادة« تشمير» ويطلق على عملية رفع الثوب عن الساقين و التهيؤ والاستعداد للقيام بعمل ما.

و« شِمر» تطلق على الاشخاص ذوى الجد و التجربة، وكذلك تطلق على الاشرار.

[۳۳۷] (۱)« يُحمن» من مادة« حوّم» على وزن قوّم بمعنى الدوران.

[۳۳۸] (۱)« خطة» من مادة« خط» به معنى وضع العلامة، ولفظ« خطة» يأتى أحياناً بمعنى حالة أو موضوع.

[۳۳۹] (۲)« أيم» يرى بعض الادباء أن أصلها(أيمن) أسقطت نونها، فان قيل وأيم اللّه تفيد القسم(ومن أراد المزيدفليراجع شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۷/ ۵۴).

[۳۴۰] (۳)« الناب» الناقة المسنة.

[۳۴۱] (۴)« ضروس» الحيوان السئ الخلق يعفى حباله.

[۳۴۲] (۵)« تعذم» من مادة« عذم» من عذم الفرس إذا أكل بحفاء أوعض.

[۳۴۳] (۶)« تخبط» من مادة« خبط» الضرب باليد.

[۳۴۴] (۷)« تزبن» من مادة« زبن» على وزن دفن تضرب.

[۳۴۵] (۸)« درّ» جريان اللبن توفير، كما يطلق على كل خير وبركة.

[۳۴۶] (۱)« شوهاء» من مادة« شوه» على وزن قوم قبيحة المنظر.

[۳۴۷] (۲)« مخشية» من الخشية مخوفة مرعبة.

[۳۴۸] (۱) شرح نهج البلاغة للتسترى ۶/ ۱۰۶.

[۳۴۹] (۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۹/ ۵۳.

[۳۵۰] (۱)« منجاة» من مادة« نجاة» الأرض المرتفعة التى لايصلها السيل، ثم اطلقت على كل موضع يكون سبباً للنجاة، إلّاأنّها وردت أيضاً بمعنى الاقصاء عن التدخل فى أمر، وقد جاءت بهذا المعنى فى العبارة؛ أى ليس هنالك أى دور لأهل البيت فى حكومة بنى أمية، وعلى بنى أمية وزرها خاصة.

[۳۵۱] (۱)« يفرج» من مادة« فرج» بمعنى السلخ ورد هنا، كما يعنى حل المشاكل.

[۳۵۲] (۲)« أديم» بمعنى الجلد.

[۳۵۳] (۳)« خسف» بمعنى الاخفاء، وورد فى الخطبة بمعنى الذل.

[۳۵۴] (۴)« يحلس» من مادة« حلس» على وزن فلس بمعنى الكساء الذى يوضع على ظهر البعير.

[۳۵۵] (۵)« جزور» من مادة« جزر» على وزن جذب الناقة المجزورة، كما وردت هذه المفردة بمعنى انخاض ماءالبحر وما شاكل ذلك.

[۳۵۶] (۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۷/ ۵۷.

[۳۵۷] (۲) تتمة المنتهى/ ۱۵۶.

[۳۵۸] (۳) دائرة المعارف الاعلمى ۱۰/ ۴۰۵.

[۳۵۹] (۱) مروج الذهب ۳/ ۱۶۶.

[۳۶۰] (۱) الكامل لابن أثير ۵/ ۴۳۰.

[۳۶۱] (۲) مروج الذهب ۳/ ۲۰۷.

[۳۶۲] (۳) الكامل لابن أثير ۵/ ۴۳۰.

[۳۶۳] (۱) سند الخطبة: قال صاحب مصادر نهج البلاغة مانقله الرضى(ره) فى هذا الموضع مأخوذ من خطبة له عليه السلام مشهورة أولها: الحمدلله الواحد الأحد الصمد، المتفرد ... وقال الكلينى فى الكافى عن هذه الخطبة بعد أن أخذ غرضه، منها فى الكتاب التوحيد: وهذه الخطبة من مشهورات خطبة عليه السلام حتى لقد ابتذلتها العامة(الكافى ۱/ ۱۳۴) وقال المرحوم الصدوق، قال الإمام

الصادق عليه السلام أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام خطب بهذه الخطبة لما استنهض الناس لحرب معاوية فى المرة الثانية.(توحيد الصدوق،/ ۴۱، باب التوحيد ونفى التشبيه، الحديث ۳). رواها ابن عبد ريه المالكى فى العقد الفريد ۴/ ۷۴ بتفاوت مع رواية الرضى تحت عنوان خطيته الفراء. وقال صاحب المصادر: ويلاحظ أنّ رواية العقد خلت من ذكر أهل البيت فى الخطبة فلعل يداً أمينة! حذفت ذلك، كما حذفت الخطبة الشقشقية من العقد(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۱۸۵).

[۳۶۴] (۱)« تناسخ» من مادة« نسخ» بمعنى الازالة وانتقال الشىء، وتعنى هنا انتقال نطفة الآباء إلى أرحام الامهات.

[۳۶۵] (۱) سورة ابراهيم/ ۲۵.

[۳۶۶] (۲) وسائل الشيعه ۱۴/ ۲۹ ح ۴.

[۳۶۷] (۳) سورة البقرة/ ۲۸۵.

[۳۶۸] (۱)« أرومات» جمع« ارومة» بمعنى أصل الشىء وأساسه، كما تطلق على جذر الشجرة.

[۳۶۹] (۲)« عترة» من مادة« عتر» على وزن سطر آل بيت الرجل ونسله ورهطه الأقربون، والعشيرة. ومعناها الأصلى‌هو الأصل.

[۳۷۰] (۱)« زند» ما تشعل به النار مثل الكبريت، أو الوسائل القديمة التى كانت توقد منها النار.

[۳۷۱] (۲) سورة البقرة/ ۱۴۲.

[۳۷۲] (۱) وسائل الشيعة ۱۸/ ۱۶۹ ح ۱.

[۳۷۳] (۲)« هفوة» من مادة« هفو» الزلل.

[۳۷۴] (۳)« غباوة» من الغباء وعدم الفهم.

[۳۷۵] (۴) راجع شرح الخطبة الاولى ۱/ ۲۲۸.

[۳۷۶] (۱) محمد جواد مغنية، فى ظلال نهج البلاغة ۱/ ۶۳.

[۳۷۷] (۲) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۷/ ۶۳.

[۳۷۸] (۳) شرح نهج البلاغة، لابن أبى الحديد ۷/ ۶۳.

[۳۷۹] (۴) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۷/ ۶۴.

[۳۸۰] (۵) ورد الحديث فى عمدة ابن بطريق/ ۲۷۳؛ فضائل الصحابة لأحمد بن حنيل ۲/ ۶۲۸.

[۳۸۱] (۱) صحيح مسلم ۴/ ۱۸۷۳(كتاب فضائل الصحابة، ح ۳۶).

[۳۸۲] (۲) المفهم ۶/ ۳۰۴.

[۳۸۳] (۳) منهاج البراعة ۷/ ۱۱۰.

[۳۸۴] (۱) مستعتب من مادة عتب على وزن حتم طلب العتبى، أى طلب الرضى من الله بالأعمال النافعة.

[۳۸۵] (۱) سورة المنافقون/ ۱۰- ۱۱.

[۳۸۶] (۱) سند الخطبة: لم يذكر صاحب مصادر نهج البلاغة مصدرا آخر نقل هذه الخطبة، وقال فى نقل ابن أبى الحديد اختلاف وهذا دليل على أنّه قرأها فى غير نهج البلاغة، لأن الرضى(ره) لم يشر إلى ذلك(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۱۸۶).

[۳۸۷] (۱) سورة النحل/ ۱۲۵.

[۳۸۸] (۲) بحسب هذا التفسير فان« إلى» جاءت بمعنى به»، أو أن الذى يأتى بعد« إلى» يجب ان يكون مقدراً،« إلى ربه بالحكمة».

[۳۸۹] (۱) سند الخطبة: لم نعثر على سند لهذه الخطبة سوى أنّها وردت فى نهج البلاغة.

[۳۹۰] (۱) سورة الرحمن/ ۲۶- ۲۷.

[۳۹۱] (۱)« مماهد» جمع« ممهد» على وزن مكتب اقتبست فى الأصل من« مهد»، ثم اطلقت على كل مكان يستريح فيه الإنسان أو

تسكن إليه روحه.

[۳۹۲] (۱) سورة الشعراء/ ۲۱۹.

[۳۹۳] (۲) تفسير الفخر الرازى ۲۴/ ۱۷۴، كما نقل المرحوم العلّامة الأمينى عدة روايات بهذا الشأن فى بحارالانوار ۱۵/ ۳.

[۳۹۴] (۳)« ثنيت» من مادة« ثنى» بمعنى الاعادة ووردت هنا بمعنى الانتباه.

[۳۹۵] (۴)« ضغائن» جمع« ضغينة» البغض والعداء.

[۳۹۶] (۵)« ثوائر» جمع« ثائرة» الفتنة والعداء.

[۳۹۷] (۱) سند الخطبة: ما أورده المرحوم السيد الرضى(ره) فى هذه الخطبة جزءا من خطبة طويلة نقلت بصورة متفرقة فى عدة مصادر، ومن ذلك فى كتاب سليم بن قيس الهلالى والكافى للمرحوم الكلينى والإرشاد للمفيد والتذكرة للسبط ابن الجوزى وتاريخ دمشق لابن عساكر والبيان والتبيين للجاحظ(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۱۹۲. ونهج البلاغة طبعة جماعة مدرسى الحوزة ذيل الخطبة).

[۳۹۸] (۱)« الشجا» ما يعترض فى الحلق من عظم وغيره.

[۳۹۹] (۲)« مساغ» من مادة« سوغ» على وزن فوق العذب

[۴۰۰] (۳)« ريق» ماء الفم.

[۴۰۱] (۴) سورة آل عمران/ ۱۷۸.

[۴۰۲] (۵) سورة الفجر/ ۱۴.

[۴۰۳] (۶) بحار الانوار ۷۰/ ۳۸۱.

[۴۰۴] (۱) ابومخنف، طبق نقل شرح نهج البلاغة للمرحوم التسترى ۱۰/ ۵۹۶.

[۴۰۵] (۱)« أيادى» جمع« أيدى» وهذه الاخيرة جمع يد، كما تستعمل الأيادى فى معانى اخرى

[۴۰۶] (۲)« الحنية» بمعنى القوس وذلك بسبب انحنائه.

[۴۰۷] (۳)« أعضل» من مادة« الاعضال» بمعنى الشدة والتعقيد.

[۴۰۸] (۱) العقد الفريد، ج ۴، ص ۱۶۲(مطابق نقل شرح نهج البلاغة للتسترى).

[۴۰۹] (۱)« تربت» من مادة« تراب»، تستعمل فى الخسارة والفقر، وكأنّ الفقير قد صرع وخالط التراب يده.

[۴۱۰] (۲)« حمس» بالفتح من مادة« حمس» على وزن قفص بمعنى الشدة و« الحماسة» و« التحمس» يعنى التشديدولا سيما فى المعركة.

[۴۱۱] (۳)« وغى» يعنى فى الأصل اصوات المقاتلين فى المعركة، كما تطلق على نفس المعركة، وقد وردت عنا بهذا المعنى.

[۴۱۲] (۴)« حمى» من مادة« حمى» على وزن سعى شدة الحرارة، و« الضراب» بمعنى الاشتياك والمناوشة والقتال.

[۴۱۳] (۱)« لقط» أخذ الشىء من الأرض، وتطلق« القطة» على الأشياء المفقودة، لانّها عادة ماتلتقط من الأرض.

[۴۱۴] (۲) سورة الانفال/ ۶۵.

[۴۱۵] (۱) نهج‌البلاغة، خطبة ۲۷.

[۴۱۶] (۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۷/ ۷۳.

[۴۱۷] (۱) سورة التوبة/ ۱۰۰.

[۴۱۸] (۱) سورة الاحزاب/ ۳۳.

[۴۱۹] (۲)« لبدوا» من مادة« لبود» الإقامة فى المكان.

[۴۲۰] (۳) نقل هذا الحديث المرحوم السيد حامد حسين الهندى فى كتاب عبقات الأنوار عن ۹۲ كتاب من ۹۲ عالم من علماء

العامة.

[۴۲۱] (۱)« لشعث» جمع« أشعث» وهو المغير الرأس وهى كناية عن الفقر أو الزهد.

[۴۲۲] (۲) غير جمع أغير بمعنى الغبار.

[۴۲۳] (۳)« يراوحون» من مادة« تراوح» القيام بالأعمال الواحد بعد الاخر.

[۴۲۴] (۴)« خدود» جمع« خد» طرفا الوجه.

[۴۲۵] (۵)« جمر» جمع« جمرة» قطعة من النار، وتطلق الجمرة وجمعها جمرات.

[۴۲۶] (۶)« ركب» جمع« ركبة» موصل الساق من الرجل بالفخذ.

[۴۲۷] (۷)« معزى و« معز» معروف.

[۴۲۸] (۸)« هملت» من مادة« هموا» الجريان والنزول.

[۴۲۹] (۹) مادوا من مادة ميدان الحركة و الاضطراب.

[۴۳۰] (۱) تفسير القمى نقلًا عن بحارالانوار ۲۳/ ۱۳۰ ح ۱۲.

[۴۳۱] (۱) اسد الغابة ۳/ ۱۴۴.

[۴۳۲] (۲) سورة الفتح/ ۲۹.

[۴۳۳] (۳) سورة الفتح/ ۲۹.

[۴۳۴] (۱) سند الخطبة: قال صاحب مصادر نهج البلاغة، روى هذه الخطبة ابن قتيبة فى كتاب الإمامة والسياسة، والذى يفهم من عباراته أنّ الإمام على عليه السلام خطبها بعد الخطبة ۱۲۳(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۱۹۳).

[۴۳۵] (۱) قال بعض شرّاح نهج البلاغة ان العبارة« لايزالون» فيها محذوف تقديره« لايزالون ظالمين»، والظاهرالأنسب أن يكون تقديره لايزالون حاكمين، ولا سيما بالنظر إلى العبارات اللاحقة.

[۴۳۶] (۱) الأغانى ۲۲/ ۲۳.

[۴۳۷] (۲) الأغانى ۲۲/ ۲۲.

[۴۳۸] (۳) الأغانى ۲۲/ ۲۵.

[۴۳۹] (۴) الأغانى ۲۲/ ۳۳.

[۴۴۰] (۵) شرح نهج‌البلاغة ۱۵/ ۲۴۰- ۲۴۲.

[۴۴۱] (۱) تاريخ دمشق لابن عساكر ۱۲/ ۱۲۷.

[۴۴۲] (۲) كنز العمال ۱۱/ ۳۶۴ ح ۳۱۷۵۵.

[۴۴۳] (۱) سند الخطبة: رواها قبل السيد الرضى(ره) جامع نهج البلاغة زيد بن وهب(وهو من أصحاب أميرالمؤمنين على عليه السلام الذى نقل جانباً من خطبه عليه السلام فى كتابه خطب أميرالمؤمنين على المنابر فى الجمع والأعياد وغيرهما، وهو أول كتاب صنفه بهذا الشأن) ونقلها عنه المرحوم المحدث النورى فى مستدرك الوسائل باختلاف قليل، ورواها المرحوم الصدوق فى كتابيه معانى الأخبار ومن لايحضره الفقيه. كما رواها عدد آخر ممن عاش بعد السيد الرضى(ره).(مصادر نهج البلاغة ۳/ ۱۹۶).

[۴۴۴] (۱) شرح نهج البلاغة العلّامة الجعفرى ۱۸/ ۹.

[۴۴۵] (۱)« رفض» تعنى فى الأصل ترك الشىء، ومن هنا سميت الشيعة بالرافضة لتركها الخلفاء الثلاثة، وقيل استعملت هذه المفردة لأول مرة على عهد زيد بن على، حيث نهاهم زيد عن سب الشيخين، ولهذا تركوه.

[۴۴۶] (۱) سورة البقرة/ ۲۱۶.

[۴۴۷] (۲)« مبلية» من مادة« بلاء» منهكة.

[۴۴۸] (۳)« سفر» جمع« مسافر» بمعنى مسافر.

[۴۴۹] (۴)« أموا» من مادة« أم» على وزن غم القصد.

[۴۵۰] (۵)« مجرى» من مادة« اجراء» كناية عن المسافر، وقد وردت فى تفسيره عدة أقوال، الأنسب ما أوردناه فى المتن.

[۴۵۱] (۶)« حثيث» من مادة« حث» بفتح الحاء السرعة فى العمل.

[۴۵۲] (۷)« يحدو» من مادة« حدى» يسوق.

[۴۵۳] (۸)« مزعج» من مادة« ازعاج» السوق والاضطراب والاجتثاث.

[۴۵۴] (۹)« رغم» بمعنى الاجبار، ومنه تمريغ الأنف بالتراب حين يضاف للأنف فيقال رغم أنفه.

[۴۵۵] (۱)« تنافسوا» من مادة« تنافس» بمعنى بذل الجهد والسعى، ومحاولة شخصين او مجموعتين للحصول على‌شىء نفيس.

[۴۵۶] (۲) نفاد بمعنى الفناء والزوال.

[۴۵۷] (۳) بحارالانوار ۷۰/ ۳۶.

[۴۵۸] (۱) مزدجر من مادة زجر المانع، مصدر ميمى بمعنى اسم الفاعل.

[۴۵۹] (۱) نهج البلاغة، كلمات القصار ۱۳۰.

[۴۶۰] (۲)« عائد» من يذهب لعبادة أحد.

[۴۶۱] (۳)« يجود» من مادة« جود» السخاء، وتستعمل فى الاحتضار وكأنّ الإنسان يسخو بانفس ما لديه وهى روحه.

[۴۶۲] (۱)« منغص» من مادة« نغص» على وزن نقص بمعنى ليس عذب، وبمعنى اعتراض الماء فى الحلق، ثم‌اطلقت على الحياة الصعبة ونحو ذلك.

[۴۶۳] (۲)« مساورة» من مادة« سور» على وزن غور المواثبة، كأنّه يرى العمل القبيح لبعده عن ملاءمة الطبع الإنسانى بالخطرة ينفر عن مقترفه كما ينفر الوحش، فلايصل إليه المغبون إلّابالوثبة عليه.

[۴۶۴] (۱) نهج البلاغة، كلمات القصار ۱۳۱.

[۴۶۵] (۲) نهج البلاغة، كلمات القصار ۱۱۹.

[۴۶۶] (۳) ميزان الحكمة ۳/ ح ۱۸۰۱۳.

[۴۶۷] (۴) ميزان الحكمة ۳/ ح ۱۸۰۱۴.

[۴۶۸] (۵) سورة العنكبوت/ ۶۵.

[۴۶۹] (۱) سند الخطبة، لابن أبى الحديد كلام فى هذه الخطبة يدل على أنّه نقلها من مصدر آخر غير نهج البلاغة فقد قال: واعلم أنّ هذه الخطبة خطب بها أميرالمؤمنين على عليه السلام فى الجمعة الثالثة من خلافته، وكنى فيها عن مال نفسه، وأعلمهم فيها أنّهم سيفارقونه ويفقدونه بعد اجتماعهم عليه وطاعتهم له؛ وهكذا وقع الأمر، فانّه نقل أن أهل العراق لم يكونوا أشد اجتماعاً عليه من الشهر الذى قتل فيه عليه السلام. وجاء فى الأخبار أنّه عقد للحسن ابنه عليه السلام على عشرة ألاف، ولأبى أيوب الأنصارى على عشرة ألاف ولفلان وفلان، حتى اجتمع له مائة ألف سيف، وأخرج مقدمته، أمامه يريد الشام فضربه اللعين ابن ملجم، وكان من أمره ما كان، وانفضت تلك الجموع، وكانت كالغنم فقدت راعيها.(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۱۹۸).

[۴۷۰] (۱) شرح نهج البلاغة للمرحوم العلامة الخوئى ۷/ ۱۵۷.

[۴۷۱] (۱)« صادع» من مادة« صدع» فالقا به، كما وردت هذه المفردة بمعنى الاظهار والاعلان، حيث يظهر باطن‌الشىء عند فلقه وهذا ما اريد بها فى العبارة، وأمّا« الصداع» الذى يطلق على وجع الرأس فكأنه يريد أن يفلقه.

[۴۷۲] (۱)« مرق» من مادة« مروق» على وزن غروب الخروج عن الدين، ومن هنا اطلق الخوارج على تلك الفرقة التى خرجت عن الإيمان.

[۴۷۳] (۲)« زهق» من مادة« زهوق» الاضمحلال والهلكة.

[۴۷۴] (۳) وسائل الشيعة ۷/ ۱۲۵، ح ۷(ابواب من يصح منه الصوم).

[۴۷۵] (۴) يمكن أن يكون مفعول لحق كتاب الله أو رسول الله أو الحق أو جميعها.

[۴۷۶] (۱)« مكيث» من مادة« مكث» الرزين فى قوله فلايبادر من غير روية فى قوله وعمله.

[۴۷۷] (۲) نقل هذه الحديث عن أم سلمة بطرق مختلفة عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله. ومن ذلك نقله ابن عساكر فى تاريخ دمشق وأبوبكر البغدادى فى تاريخ بغداد والحموى فى فرائد السمطين. وجاء فى صحيح الترمذى أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قال« اللّهم أدر الحق معه حيثما دار»(للوقوف على تفاصيل هذا الحديث راجع كتاب احقاق الحق ۵/ ۶۲۳ والغدير ۳/ ۱۷۶). والطريف مانقله الفخر الرازى فى تفسير سورة الحمد فى مورد الجهر بالبسملة عن البيهقى عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه و آله كان يجهر بالبسملة، ثم قال: كما كان يجهر بها عمر وابن عباس وعبدالله بن عمر وعبد الله بن الزبير أمّا على عليه السلام فقد ثبت بالتواتر أنّه كان يجهر بالبسملة دائماً، فمن اقتدى به فى دينه هدى إلى الحق والدليل على ذلك حديث النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال:« اللّهم أدر الحق مع على حيث دار»(تفسير الفخر الرازى ۱/ ۲۰۴- ۲۰۵.

[۴۷۸] (۱) راجع شرح الخطبة الخامسة والسادسة من المجلد الأول من هذا الكتاب.

[۴۷۹] (۱) نهج البلاغة، الكلمة ۴۰.

[۴۸۰] (۲) شرح نهج البلاغة للعلّامة الخوئى ۷/ ۱۵۹.

[۴۸۱] (۱) امالى الصدوق/ ۱۵۰ ح ۷.

[۴۸۲] (۱)« خوى من مادة« خوى بمعنى غرب.

[۴۸۳] (۲)« صنايع» جمع« صنيعة» النعمة والاحسان.

[۴۸۴] (۳) سورة النحل/ ۱۶.

[۴۸۵] (۴) سورة الانعام/ ۹۷.

[۴۸۶] (۱) مستدرك الحاكم ۳/ ۱۴۹(طبق نقل احقاق الحق ۹/ ۲۹۴).

[۴۸۷] (۱) احقاق الحق ۹/ ۲۹۴- ۲۹۶.

[۴۸۸] (۲) بحارالانوار ۲۷/ ۳۰۸.

[۴۸۹] (۳) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ۳/ ۹.

[۴۹۰] (۱) سند الخطبة: ورد فى كتاب مصادر نهج البلاغة لم تذكر هذه الخطبة فى غير مصدر السيد الرضى(ره)، وأن ذكرت اسناد هذه الخطبة فى نهج البلاغة، طبعة جماعة مدرسى الحوزة للمحقق المرحوم حجة الإسلام الدشتى، غير أنّه تبين خطأها بعد الرجوع إلى المصادر الأصلية التى ذكرت فى ذلك الكتاب.

[۴۹۱] (۱)« يجرَمَّن» من مادة« جرم» على وزن جهر(جرم على وزن ظلم، اسم مصدر) تعنى فى الأصل القطع، ولماكان الإثم يقطع صلته بالله، فهذه الكلمة تطلق على الذنب، وعليه لايجرمنكم بمعنى لا يحملنكم على الذنب.

[۴۹۲] (۲)« شقاق» فى الأصل تعنى المخالفة والنزاع.

[۴۹۳] (۳)« يستهوين» من مادة« هوى» من هوى النفس.

[۴۹۴] (۱)« الخلق»: وتأتى أحيانا بمعنى الإبداع والإيجاد والتقدير، وأحيانا بمعنى الابتعاد والبرائة من الشىء. وفى هذه الخطبة جاءت

هذه الكلمة بالمعنى الاول.

[۴۹۵] (۲)« برأ» من مادة« برء» على وزن ظلم وتعنى الصحة وحسن الحال، أى خروج الشخص من حالته الاولى والتى كان فيها مريضاً إلى حالة جيدة وحسنة.

[۴۹۶] (۳)« نسمة» تعنى فى الأصل هبوب الرياح المعتدلة، كما تأتى بمعنى التنفس، ومن هنا تطلق على الإنسان.

[۴۹۷] (۴) التعبير بالأمى يطلق على الشخص الذى لا يعرف القراءة والكتابة، أو على الشخص الذى ينسب الى الأم، وهو الذى تعلم فى أحضان أمه ولم يتعلم من غيرها.

وهنا نود ان نشير اشارة لطيفة فى هذا المورد، وهى أن الرسول الاكرم صلى الله عليه و آله كان امياً، ولكنه أخبر عن الماضى والمستقبل، وهذه من علامات ارتباطه بالله سبحانه وتعالى.

[۴۹۸] (۵) سورة الحاقة/ ۱۲.

[۴۹۹] (۶) كفاية الطالب للكنجى/ ۴۰ وردى مثل هذا المعنى أغلب مفسرى العامة كالقرطبى فى تفسير جامع الأحكام والبرسوى فى روح البيان والآلوسى فى روح المعانى، ذيل الآية ۱۲ من سورة الحاقة.

[۵۰۰] (۱)« ضليل» من مادة« ضلال» الشديد الضلال فهو ضال مضل.

[۵۰۱] (۲)« نعق» من مادة« نعق» على وزن نعل تعنى فى الاصل صوت الفرس، ثم اطلق على الأصوات التى تطلق لحركة الحيوانات و أمرها و نهيها، و وردت فى العبارة بمعنى أنّ بنى أمية قد استضعفوا جماعة، يسوقونها كالحيوانات حيثما أرادوا.

[۵۰۲] (۳)« فحص» البحث والتفتيش.

[۵۰۳] (۴)« كوفان» بمعنى الكوفة.

[۵۰۴] (۱)« فغرت» من مادة« فغر» على وزن فقر فتح الضم.

[۵۰۵] (۲)« شكيمة» تعنى فى الاصل الحديدة المعترضة فى اللجام فى فم الدابة، ويعبر بقوتها عن شدة البأس، ثم اطلقت على كل قوة.

[۵۰۶] (۳)« كلوح» عبوس.

[۵۰۷] (۴)« كدوح» شدة السعى والجهد، وتعنى فى الأصل الخدش وأثر الجراحات.

[۵۰۸] (۵)« ينع» بمعنى نضج الفاكهة، ثم اطلق على كل نضج واستعداد لتلقى نتيجة.

[۵۰۹] (۶)« شفاشق» جمع« شقشقة» شىء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج.

[۵۱۰] (۱) سند الخطبة: لم ترد هذه الخطبة فى المصادر التى الفت قبل السيد الرضى(ره)، ولكن يبدو أنّها جزء من الخطبة ۱۲۸ التى سنتعرض باذن الله لشرحها، إلّاأنّها ذكرت فى الكتب التى دونت بعد السيد الرضى(ره).

[۵۱۱] (۱) سورة مريم/ ۹۵.

[۵۱۲] (۲) سورة الواقعة/ ۴۹- ۵۰.

[۵۱۳] (۱) سورة القمر/ ۷.

[۵۱۴] (۲) سورة المطففين/ ۶.

[۵۱۵] (۳)« رجف» من مادة« رجف» على وزن ربط تعنى الاضطراب، ولما كانت أخبار الفتن تدعو لاضطراب المجتمع فقد اصطلح عليها بالاراجيف.

[۵۱۶] (۱)« قطع» جمع« قطعة» ولعله إشارة إلى بعض أقسام الليل كنصفه، أو الوقت الذى فيه القمر، كما فسّره البعض‌بالظلمة.

[۵۱۷] (۱)« مزمومة» من مادة« زمام» الحيوان الذى الجم.

[۵۱۸] (۲)« مرحولـة» من مادة« رجل» جهاز الناقـة أو أدوات السـفر، ومرحولة هنا بمعنى الناقة الجاهزة للركوب، وهى كناية عن تمام الفتن وقوتها.

[۵۱۹] (۳)« يحفز» من مادة« حفز» على وزن حبس يحث ويدفع.

[۵۲۰] (۴)« كلب» على وزن طلب الاذى والشدة.

[۵۲۱] (۵)« سلب» محركة ما يأخذه القاتل من ثياب المقتول وسلاحه فى الحرب.

[۵۲۲] (۱)« رهج» بالتحريك والسكون الغبار كناية عن دخول الجيش بكل هدوء وبصورة مباغتة دون أن يثير شيئاً.

[۵۲۳] (۲)« حس» الجلبة والاصوات المختلفة.

[۵۲۴] (۳)« أغبر» من الغبار والجوع الأغير كنايـة عن المحل والجـذب والقحط الشديـد؛ فوجوه الناس تبدو مغبرة فى القحط من شدة الجوع.

[۵۲۵] (۴) مروج الذهب ۴/ ۱۱۹.

[۵۲۶] (۱) مروج الذهب ۴/ ۱۱۹.

[۵۲۷] (۱) سـند الخطبة: ما نقله المرحوم السيد الرضى(ره) فى هذه الخطبة جزء من خطبة طويلة ولذلك قال منها ومنها. وقد وردت أجزاء مختلفـة من هـذه الخطبـة فى عـدة مصادر قبل نهـج البلاغـة، ومنها روضة الكافى وتحف العقول واصول الكافى وعيون الأخبار لابن قتيبة وكتاب الفتن لنعيم بن حماد الخزاعى المتوفى عام ۲۲۸(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۲۰۶).

[۵۲۸] (۱)« صادف» من مادة« صدف» على وزن حرف بمعنى الأعراض عن الشىء.

[۵۲۹] (۲) روى هـذا الحـديث بعبـارات مختلفـة عن النبى الأـكرم صـلى الله عليه و آله وأميرالمؤمنين والإمـام الصادق وحتى الأنبياء الماضـين عليهم السـلام.(ميزان الحكمة ۲/ ح ۵۸۱۳- ۵۸۲۳)- وفى الحـديث الـذى نقله الكلينى فى الكـافى عن الإمام السـجاد عليه السـلام بعد شرح ودوافع الذنوب قال:« فاجتمعن كلهن فى حب الدنيا». فقال الأنبياء والعلماء- بعد معرفة ذلك-« حب الدنيا رأس كل خطيئة».(اصول الكافى ۲/ ۱۳۱).

[۵۳۰] (۱)« ثاوى» من مادة« ثواء» الاقامة مع الاستقرار.

[۵۳۱] (۲) سورة آل عمران/ ۱۸۵.

[۵۳۲] (۳)« مترف» من مادة« ترف» التنعم ويطلق« المترف» على من تغفله كثرة النعم وتؤدى به إلى الغرور والطغيان.

[۵۳۳] (۱) جلد بمعنى القوة والصلابة.

[۵۳۴] (۲) نهج البلاغة، الخطبة ۱۴۵.

[۵۳۵] (۱) منهاج البراعة، للعلّامة الخوئى ۷/ ۱۸۲.

[۵۳۶] (۲) المصدر السابق.

[۵۳۷] (۳) بحارالانوار ۷۵/ ۱۱.

[۵۳۸] (۱) بحارالانوار ۶۸/ ۳۲۴ ح ۱۶.

[۵۳۹] (۱) سفينة البحار- مادة وعظ.

[۵۴۰] (۲) سورة الدخان/ ۲۵- ۲۹.

[۵۴۱] (۱) بحار الانوار ۲/ ۳۴ ح ۲۲.

[۵۴۲] (۱) اشتهرت هذه العبارة التى يطلقها العلماء بالاستفادة من الاحاديث.

[۵۴۳] (۲)« ونى» بمعنى ضعف وتعب.

[۵۴۴] (۱) سورة الشورى/ ۲۰.

[۵۴۵] (۲) سورة الاعراف/ ۵۸.

[۵۴۶] (۱) يفيد عدم الارتباط المعنوى بين هذا المقطع من الخطبة والذى سبقه، أنّ السيد الرضى(ره) حذف بعض الأقسام بينهما، والشاهد على ذلك تعبيره(منها).

[۵۴۷] (۱)« السرى تعنى السير فى الليل.

[۵۴۸] (۲)« يكفأ» من مادة« كفأ» على وزن نفع بمعنى الانقلاب.

[۵۴۹] (۱) نهج البلاغة، الخطبة ۱۵۶.

[۵۵۰] (۲) سورة المؤمنون/ ۳۰.

[۵۵۱] (۱) سند الخطبة: تشيه هذه الخطبة إلى حد كبير الخطبة الثالثة والثلاثين. ومن هنا قال المرحوم السيد الرضى(ره) فى آخر الخطبة: وقد تقدم مختار هذه الخطبة، إلّاأننى وجدتها فى هذه الرواية على خلاف ما سبق من زيادة ونقصان، فأوجبت الحال إثباتها ثانية. فالعبارة تفيد ان الخطبتين مرتبطة بواقعة واحدة، وإن نقلهما الرواة مع بعض الاختلاف؛ إلّاأنّ التفاوت الواضح بين الخطبتين يجعل احتمال التعدد أقوى.

وللوقوف على التفاصيل راجع ما أوردناه ذيل الخطبة ۳۳.

[۵۵۲] (۱)« حسير» من مادة« حسر» على وزن حبس بمعنى العرى وسلب اللباس من شىء. ثم استعمل بمعنىالكسل والتعب.

[۵۵۳] (۲)« رحى» كناية عن وفرة أرزاقهم، فالرحى تدور على ما تطحنه من حب.

[۵۵۴] (۳)« القناة» من مادة« قنو» على وزن صنف فى الأصل فرع الشجرة، كما اطلقت على الرمح لشباهته بفرع الشجرة، وهى كناية عن صحة الأحوال وصلاحها.

[۵۵۵] (۴) سورة يس/ ۶.

[۵۵۶] (۱) سورة فاطر/ ۲۴.

[۵۵۷] (۱)« حذافير» جمع« حذفور» الجماعة الكثيرة، كما وردت بمعنى الجانب، إشارة إلى أنّ كل طوائف الباطل تولت وانتهت.

[۵۵۸] (۲) حسب التفسير الذى اوردناه فان الضمير فى« ساقتها» و« قيادها» يعود إلى جيش الإسلام، بينما يعود إلى جيش الكفر فى حذافيرها بقرينة المقام.

[۵۵۹] (۱) سند الخطبة، روى بعض هذه الخطبة المفسر المعروف على بن ابراهيم المتوفى عام ۳۰۷ فى المجلد الأول من تفسيره/ ۳۸۴ ذيل الآية« ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة»(سورة النحل/ ۲۵) عن الإمام الصادق عليه السلام. كما ورى بعضها الشيخ المفيد فى كتابه الارشاد/ ۱۶۰۰ وقد عاش كلاهما قبل السيد الرضى(ره).

[۵۶۰] (۱)« كهل» متوسط العمر، وقيل تطلق على من جاوز الثلاثين، ولا تعنى العجز.

[۵۶۱] (۲)« شيمة» بمعنى الأخلاق وجمعها« شيم».

[۵۶۲] (۳)« ديمه» بكسر الدال المطر المستديم الذى يخلو من الرعد والبرق.

[۵۶۳] (۴) سورة النحل/ ۸۹.

[۵۶۴] (۵) سورة البقرة/ ۱۱۹.

[۵۶۵] (۱) مناقب ابن شهر آشوب ۱/ ۳۴- ۳۷(طبق نقل شرح نهج البلاغة للشوشترى ۲/ ۲۰۴) و سيرة ابن هشام ۱/ ۱۷۸.

[۵۶۶] (۲) المصدر السابق.

[۵۶۷] (۳) ابن شهر آشوب طبق نقل بحار الأنوار ۱۵/ ۳۳۲.

[۵۶۸] (۱)« احلولت» أصبحت حلوة من مادة« حلو».

[۵۶۹] (۲)« اخلاف» جمع« خلف» على وزن جلف حلمة ضرع الناقة.

[۵۷۰] (۳)« جائل» من مادة« جولان» تعنى فى الأصل إزالة الشى من مكانة، وتطلق على الحيوان الذى ينزل عنانه وينطلق اينما يشاء.

[۵۷۱] (۴)« خطام» ما يوضع فى أنف البعير ليقاد به.

[۵۷۲] (۵)« قلق» من مادة« قلق» الاضطراب وتحريك الشىء.

[۵۷۳] (۶)« وضين» بطان عريض منسوج من سيور أو شعر يكون للرحل كالخرام للسرج.

[۵۷۴] (۷) لسان العرب، مادة سدر.

[۵۷۵] (۱)« شاغرة» من مادة« شغور» خالية.

[۵۷۶] (۲)« ثائر» من مادة« ثأر» على وزن قعر« وقد بُدلت الهمزة بألف. و« ثأر» تقرأ على وزن غار.

وفى الاصل جاءت بمعنى الثأر والانتقام، وتأتى أحيانا بمعنى الدم، وهو كناية عن الثأر أيضاً.

وتعبير« ثارالله» اطلق على الإمام الحسين والإمام على عليهما السلام« يا ثارالله وابن ثاره»، ومعنى ذلك ان ثأر هذين الامامين لا يتعلق بعائلة او قبيلة، بل يرتبط بالله سبحانه وتعالى وبكل بنى الانسان فى هذا العالم.

[۵۷۷] (۱) المجلد الثالث من هذا الكتاب فى الخطبة ۸۷؛ ج ۴ الخطبة ۹۳.

[۵۷۸] (۲) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۷/ ۱۳۶.

[۵۷۹] (۱)« امتاحوا» من مادة« متح» سحب الدلو من بئر الماء.

[۵۸۰] (۲)« روقت» من مادة« روق» على وزن فوق بمعنى صفيت، فتأنى بمعنى التصفية إذا حملت على باب التفعيل.

[۵۸۱] (۱)« شفا» حافة الشىء وتعنى فى الأصل حافة البئر والنهر، و« الهار» من« هور» على وزن غور بمعنى المتهدمأو المشرف على الانهدام.

[۵۸۲] (۲)« شجو» الهم والغم(ولهذه المفردة معنى المصدر واسم المصدر).

[۵۸۳] (۱)« سهمان» على وزن لقمان جمع« سهم» الحظ والنصيب.

[۵۸۴] (۲)« تصويح» جفاف النبات.

[۵۸۵] (۳)« استثار» من مادة« استيثار» بمعنى الاستثارة والنشر.

[۵۸۶] (۴) نهج البلاغة، الخطبة، ۹۳.

[۵۸۷] (۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۷/ ۱۷۰.

[۵۸۸] (۲) شرح نهج البلاغة للمرحوم الخوئى ۷/ ۲۵۱.

[۵۸۹] (۱) نهج البلاغة، الخطبة ۱۷۵.

[۵۹۰] (۱) سند الخطبة: ورد فى مصادر نهج البلاغة سنذكر مدارك هذه الخطبة فى ذيل الكلمات القصار(الكلمات ۳۰، ۳۱، ۲۶، ۲۶۸) ويبدو انها فى خطبة واحدة للإمام عليه السلام(فصلها المرحوم السيد الرضى(ره))، ولكن ليس لدنيا مدارك واضحة لما نقله المصادر. والذى يستفاد من كتاب المستدرك والمدارك لنهج البلاغة ان جانب من هذه الخطبة ورد فى كتاب اصول الكافى وجانب آخر منها فى الامالى للطوسى(من اول الخطبة إلى العبارة والجنّة سبقته).

[۵۹۱] (۲) شرح نهج البلاغة للشوشترى ۱۲/ ۳۳۹.

[۵۹۲] (۱) بحار الانوار ۶۵/ ۳۴۶.

[۵۹۳] (۲) سورة الفتح/ ۲۹.

[۵۹۴] (۳)« علق» من مادة« علوق» التعلق بالشيء والالتصاق به.

[۵۹۵] (۱) سورة الحجر/ ۷۵.

[۵۹۶] (۱)« أبلج» من مادة« بلوج» على وزن بلوغ واضح ونير.

[۵۹۷] (۲)« المناهج» جمع« منهج» الطريق الواضح والمستقيم.

[۵۹۸] (۳)« ولائج» جمع« وليجة» من مادة« ولوج» بمعنى الدخول فولائج أبواب الدخول.

[۵۹۹] (۴)« مشرف» من مادة« اشراف» بمعنى المرتفع.

[۶۰۰] (۵)« جواد» جمع« جادة» الطريق الواسع الواضح، كما تطلق على مطلق الطريق.

[۶۰۱] (۱)« المضمار» موضع تضمير الخيل وزمان تضميرها.

[۶۰۲] (۲)« الحلبة» من مادة« حلب» على وزن قلب خيل تجمع من كل صوب للنصرة كما تطلق على حلب اللبن من الحيوان، ثم اطلقت على الخيل التى تتسابق فى الميدان.

[۶۰۳] (۳)« متنافس» من مادة« تنافس» سعى الإنسان للحصول على شيء نفيس.

[۶۰۴] (۴)« سبقة» جزاء السابقين.

[۶۰۵] (۱) سورة الزلزلة/ ۷- ۸.

[۶۰۶] (۲) بحار الانوار ۷۵/ ۱۱۰.

[۶۰۷] (۱) الخصال للشيخ الصدوق ۲/ الباب ۷، ح ۳۵.

[۶۰۸] (۱)« أورى» من مادة« ورى» على وزن نفى بمعنى التغطية والستر، وتستعمل بمعنى اشعال النار إذا جاءت من باب الأفعال؛ وكَأن النار التى كمنت فى جوف المواد المشتعلة قد خرجت، وتشير فى الخطبة إلى أنوار الهداية التى نصبها الرسول صلى الله عليه و آله لدعاة الحق.

[۶۰۹] (۲)« قبس» الشعلة من النار، والقابس آخذ النار من النار، وهى هنا إشارة إلى النور والهداية.

[۶۱۰] (۳)« الحابس» من حبس ناقته وعقلها حيرة منه لا يدرى كيف يهتدى فيقف عن السير.

[۶۱۱] (۱) سورة آل عمران/ ۱۶۴.

[۶۱۲] (۲) سورة الأنبياء/ ۱۰۷.

[۶۱۳] (۱)« نزل» بضمتين ما هيئى للضيف لينزل عليه.

[۶۱۴] (۲)« السناء» علو المقام والرفعة.

[۶۱۵] (۳) سورة الانعام/ ۱۶۰.

[۶۱۶] (۴) سورة الصف/ ۹.

[۶۱۷] (۵) تفسير نور الثقلين ۱/ ۶۲۶ ح ۱۷۸.

[۶۱۸] (۶)« خزايا» جمع« خزيان» الخجل والافتضاح.

[۶۱۹] (۱) الخطبة ۷۲ فى المجلد الثالث.

[۶۲۰] (۲) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۷/ ۱۷۴.

[۶۲۱] (۱)« يهاب» من مادة« هيبة» الاحترام المقرون بالخوف.

[۶۲۲] (۲)« سطوة» و أصله كما ورد فى مفردات الراغب، من سطا الفرس اذا اقام على رجليه رافعاً يديه. القهروالغلبة والتسلط.

[۶۲۳] (۳) الكافى ۲/ ۶۸.

[۶۲۴] (۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۷/ ۱۷۷.

[۶۲۵] (۲)« تأنفون» من مادة« أنف» على وزن شرف بمعنى الحمية و الغضب و العِزّة.

[۶۲۶] (۱) سند الخطبة: رواه الطيبرى فى تاريخه فى حوادث عام ۳۷، والمرحوم الكلينى فى كتاب الجهاد من فروع الكافى، ونصرين مزاحم فى كتاب صفين(باختلاف)، وفسر ابن أثير فى كتاب النهاية بعض مفرداتها، ممّا يدل على عثوره عليها(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۲۲۱).

[۶۲۷] (۱) جاء فى كتاب« وقعة صفين»« لنصر بن مزاحم»، حول سبب ايراد هذه الخطبة قوله: كان ذلك فى يوم السابع من صفر، و هو من الايام العصيبة فى حرب صفين، فى ذلك اليوم هاجم جيش معاوية قسماً من جيش الإمام اميرالمؤمنين عليه السلام و أجبروهم على التراجع إلى الخلف، فتألم الإمام على عليه السلام لذلك، و لام جيشه، وبعدها حرضهم و شجعهم على القتال، وقد قاد هجوماً شاملًا بنفسه يصحبه مالك الاشتر، فهزم جيش معاوية و فرقهم، و بعدها خطب الإمام على عليه السلام فى جيشه هذه الخطبة.(كتاب وقعة صفين،/ ۲۴۳ إلى/ ۲۵۴، طبعة بصيرتى- قم المقدسة).

[۶۲۸] (۲)« جولة» من مادة« جولان» تعنى فى الأصل الدوران فى الميدان، ثم وردت بمعنى التراجع والحملة ثانية، وهكذا وردت فى العبارة.

[۶۲۹] (۳)« انحياز» ترك المواضع.

[۶۳۰] (۴)« الجفاة» جمع« الجافى» بمعنى السفلة من الناس و ذوى الخلق السيء و الخشن.

[۶۳۱] (۵)« الطغام» جمع« طغامة» الأوباش والأراذل.

[۶۳۲] (۱)« لهاميم» جمع« لهميم» و« لهموم» وهو السابق الجواد من الخيل والناس.

[۶۳۳] (۲)« يافيخ» جمع« يافوخ» وهو من الرأس حيث يلتقى عظم مقدمه مع مؤخره، ووردت هنا كناية عن القادة.

[۶۳۴] (۳)« الانف» المراد به الموضع البارز من الوجه، وتطلق العرب هذه الكلمة على المقدم.

[۶۳۵] (۴)« وحاوح» جمع« وحوح» صوت مع بحح يصدر عن المتألم.

[۶۳۶] (۵)« حس» بالفتح القتل.

[۶۳۷] (۶)« النصال» جمع« نصل» السهم.

[۶۳۸] (۷)« شجر» الطعن بالرمح.

[۶۳۹] (۸)« هيم» شدة العطش جمع« أهيم» أو« هائم».

[۶۴۰] (۹)« تذاد» من مادة« ذود» بمعنى الطرد و الدفع.

[۶۴۱] (۱) سند الخطبة: روى بعض هذه الخطبة الآمدى فى الغرر والزمخشرى فى ربيع الأبرار وجانباً آخر رواه الآمدى فى الغرر باختلاف مع ماورد فى نهج البلاغة، وهذا يدل على أنّه نقلها من مصادر اخرى غير نهج البلاغة.(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۲۲۷).

[۶۴۲] (۱)« ضمائر» جمع« ضمير» من مادة« ضمور» على وزن قبول تعنى فى الأصل الضعف كما يراد بها باطن الإنسان.

[۶۴۳] (۲)« سترات» جمع« ستره» على وزن قربة ما يستربه.

[۶۴۴] (۳)« سريرات» جمع« سريرة» ما يخفيه الإنسان ويكتمه، وقد تجمع سريرة جمع تكسير فيقال سرائر، كما تجمع جمع مؤنث سالم.

[۶۴۵] (۱) سورة لقمان/ ۲۷.

[۶۴۶] (۱) سورة الحديد/ ۴.

[۶۴۷] (۲) سورة ق/ ۱۶.

[۶۴۸] (۳) راجع نفحات القرآن ۴.

[۶۴۹] (۱) غرر الحكم ودرر العلم، الحكمة ۶۰۳۳.

[۶۵۰] (۱) مراهم جمع مرهم الدهون التى يداوى بها الجروح.

[۶۵۱] (۲)« مواسم» جمع« ميسم» بمعنى الآلات التى يوسم بها بـدن الانسان أو الحيوان بعد أن يحمى عليها. و« وسم» على وزن رسم، و يطلق على العلامة التى تظهر على جسم الحيوان أو الانسان بعد وسمه بالآلات الحارة.

[۶۵۲] (۳)« يقـدحوا» من مادة« قـدح» على وزن« مـدح» بمعنى إضـرام النار بواسـطة القداحة« وهى الآلة التى تحتوىعلى حجر خاص يسـتعمل فى قديم الزمان، حيث يقدح عليه فيولد ناراً، و كانوا يسـتفيدون منه كما نستفيد فى الوقت الحاضر من الشخاط الحاوى على الكبريت».

[۶۵۳] (۴)« زناد» جمع« زند» وهى آلات تسـتخدم لتوليد شرارة لغرض اضرام النار و اشعالها فى الوقود، كالخشب والفحم و الحطب، و قد اعتاد العرب فى القديم على الاستفادة من هذه الوسيلة لاشعال النار فى الوقود.

[۶۵۴] (۱)« سائمة» من مادة« سوم» على وزن« قوم» بمعنى حركة الحيوان فى الصحراء.

وكذلك على هبوب الرياح المسـتمرة. و يطلق« الحيوانات السائمة» على الحيوانات التى ترعى و تحصل على علفها من الصحراء و هى سائبة فى الصحراء.

[۶۵۵] (۱)« انْجـابَت» من مادة« جوب» على وزن قَوّمَ. و« جوبه» على وزن توبه بمعنى قطع وفصل، وعلى هـذاالاساس سـمى الرد على الكلام ب« الجواب»، و ذلك لان السؤال يُقطع و ينتهى بواسطة الجواب.

و اذا جاءت هذه الكلمة على وزن انفعال، فيكون معناها الانكشاف و الاعلان، وفى الخطبة أعلاه جاءت بهذا المعنى

[۶۵۶] (۲)« خابط» من مادة خبط، و تأتى تارةً بمعنى القرب الشديد، وتارة بمعنى السير على غير هدىً، كالذى يسير ليلًا بدون ضياء، وقد جاءت الكلمة هذه فى الخطبة أعلاه بهذا المعنى

[۶۵۷] (۳)« أسفرت» من مادة« سفور» بمعنى جلد أى شىء و يستفاد من هذه الكلمة بشكل أكثر عند الحديث عن جلود الحيوانات.

[۶۵۸] (۱) أورد أغلب مفسرين الفريقين هذا الحديث ذيل الآية ۱۸ من سورة محمد صلى الله عليه و آله.

[۶۵۹] (۲)« نساك» جمع« ناسك» العابد.

[۶۶۰] (۳)« أيقاظ» جمع« يقظان» ضد النائم.

[۶۶۱] (۴)« نوم» جمع« نائم».

[۶۶۲] (۱) سورة البقرة/ ۱۷۱.

[۶۶۳] (۲) سورة النمل/ ۸۰.

[۶۶۴] (۳) سورة يس/ ۶۹- ۷۰.

[۶۶۵] (۱) نهج البلاغة، كلمات القصار ۱۴۷.

[۶۶۶] (۱)« تكيل» من مادة« كيل» على وزن ذيل بمعنى المكيال وتسـتعمل عادة فى المواد الغذائية كالحنطة والشعير، كما تستعمل فى غيرها مجازاً.

[۶۶۷] (۲)« باع» يعنى فى الأصل المسافة بين أصابع اليدين، حين يفتحها نحو اليمين أو اليسار بصورة تامة، كما يستعمل مجازاً بمعنى القدرة الكاملة للإنسان.

[۶۶۸] (۳)« ثفالة» من مادة« ثفل» هو ما استقر تحت الشىء من كدره.

[۶۶۹] (۴)« النفاضة» من مادة« نفض» على وزن نبض ما يسقط بالنفض.

[۶۷۰] (۵)« العكم» بمعنى الكيس الذى يحفظ فيه الأشياء.

[۶۷۱] (۱)« تعرك» من مادة« عرك» شديد الدلك ومن هنا تطلق المعركة على ميدان القتال حيث يدك كل منها الطرف الآخر.

[۶۷۲] (۲)« الاديم» فى الأصل بمعنى جلد أى شيء. ويستفاد من هذه الكلمة بشكل أكثر عند الحديث عن جلود الحيوانات.

[۶۷۳] (۳)« تدوس» من مادة« دوس» على وزن قوس.

[۶۷۴] (۴)« بطينة» من مادة« بطن» سمين.

[۶۷۵] (۵)« هزيل» ضد بطين بمعنى الضعيف وخفيف الوزن.

[۶۷۶] (۱)« تتيه» من مادة« تيه» على وزن« بيه» بمعنى الضلال والحيرة.

[۶۷۷] (۲)« غياهب» جمع« غيهب» على وزن« حيرت» بمعنى شدة ظلام الليل.

[۶۷۸] (۱) ذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى ان هذه العبارة منقطعة حيث لم يروا من إرتباط واضح بينها وبين العبارات السابقة على أنّ السيد الرضى فصلها طبق عادته فى الانتخاب، والحال هذا ليس من عادة الرضى(ره) فى ان يحذف عبارة دون أن يشير إليها كما مرمعنا ذلك بقوله(ومنها) وعليه وكما ذكرنا فان هناك علاقة معنوية وطيدة.

[۶۷۹] (۲)« هتف» من مادة« هتاف» صراخ.

[۶۸۰] (۳)« الرائد» من يتقدم القوم ليكشف لهم مواضع الكلأ ويتعرف سهولة الوصول اليها من صعوبته.

[۶۸۱] (۴)« شمل» بمعنى الجمع.

[۶۸۲] (۵)« فلق» بفتحتين بمعنى الشق.

[۶۸۳] (۶)« الخرزة» الجواهر القيمة النفيسة او قليلة الثمن.

[۶۸۴] (۷)« قرف» من مادة« قرف» على وزن حرف بمعنى التقشير.

[۶۸۵] (۱)« صمغه» ما يجرى من الشجرة من مادة لزجة.

[۶۸۶] (۱)« غيض» بمعنى الغضب، وقيل حالة أشد من الغضب.

[۶۸۷] (۲)« قبض» بمعنى وسط الصيف« قلب الاسد» واذا وردت بالمعنى المصدرى فهى شدة الحرارة.

[۶۸۸] (۳) فيض سيل الماء أو المطر والدمع.

[۶۸۹] (۴) غيض الغور فى الأرض والنقصان.

[۶۹۰] (۱)« أُكال» جمع« آكل» مثل طلاب بمعنى الآكل، و على هذا المعنى يكون معنى الجملة« أوساطُه أكالًا»، المقصود به الطبقة المتوسطة فى ذلك الزمان والذين لاهم لهم غير الاكل والشرب وسلب ونهب الأموال، واذا جاءت بصيغة اسم فاعل، حيث نرى أنها جاءت على صيغة« اسم مفعول، وهو ما يناسب الجمل التى سبقتها، فيكون معناها، بالشكل الذى أوردناه فى الشرح أعلاه.

[۶۹۱] (۱)« غار» من مادة« غور» الدخول فى الشيء وإذا استعمل فى الماء عنى غوره فى الأرض، ومن هنا يستعمل بمعنى الانعدام أيضاً.

[۶۹۲] (۲)« فرو» ما يهييء من جلد الحيوانات وله صوف عادة ما يلبس فى الشتاء.

[۶۹۳] (۱) سفينة البحار، مادة زمن.

[۶۹۴] (۱) سند الخطبة: جاء فى مصادر نهج البلاغة أنّ المرحوم الرضى(ره) اقتطفها من الخطبة المعروفة بالزهراء، ورواها ابن عبد ربّه المالكى فى العقد الفريد والزمحشرى والآمدى(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۲۳۵).

[۶۹۵] (۲) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۷/ ۲۰۲.

[۶۹۶] (۱) سورة النمل/ ۴۹.

[۶۹۷] (۲) سورة البقرة/ ۲۵۵.

[۶۹۸] (۳) سورة فاطر/ ۱۵.

[۶۹۹] (۴) سورة آل عمران/ ۲۶.

[۷۰۰] (۱)« لم‌تر» فعل، والكاف مفعوله، و فاعله« العيون» يعنى« لا تبصرك الانظار».

[۷۰۱] (۲)« يفلت» من مادة« افلات» ينفك أويفر. ومنه الحديث المعروف لعمر فى كتب الفريقين« إن بيعة أبى بكركانت فلتة وقى اللَّه شرّها».

[۷۰۲] (۱)« محيص» من مادة« حيص» على وزن حيف بمعنى العودة والعدول واعتزال الشيء ومحيص اسم مكان، وعليه قد تعنى الملاذ.

[۷۰۳] (۲) يستفاد من المصادر اللغوية ان السر ما يخفيه الإنسان، أمّا الغيب فما خفى على عيننا وحسنا.

[۷۰۴] (۳) سورة الكهف/ ۴۸.

[۷۰۵] (۱) سورة غافر/ ۵۷.

[۷۰۶] (۲)« اسبغ» من مادة« اسباغ» الكثير الوافر.

[۷۰۷] (۱) بناء على ماورد فان« من» تبعيضية وإشارة إلى بعض مخلوقات اللَّه العظيمة التى وردت فى المقطع السابق من الخطبة.

[۷۰۸] (۱) وسائل الشيعة ۱۱/ ۱۶۴، أبواب جهاد النفس، الباب ۹، ح ۲.

[۷۰۹] (۲)« مهين» من مادة« مهانة» بمعنى الضعة والحقارة وماء مهين إشارة إلى المنى الذى ليس له قيمة من حيثالمقدار ولا الظاهر.

[۷۱۰] (۳)« يتشعبهم» من مادة« تشعب» التفرق، وشعبة بمعنى الفرع الذى فصل عن الأصل.

[۷۱۱] (۴)« ريب» كل شك وترديد، ومنون حوادث الدهر أو الموت.

[۷۱۲] (۱) سورة الحجر/ ۲۹.

[۷۱۳] (۲)« زروا» من مادة« زرى» على وزن سعى العيب والتوبيخ واللوم، والازراء بهذا المعنى أيضاً.

[۷۱۴] (۱) بين المرحوم العلّامة المجلسى فى المجلد ۶۸ من بحار الانوار ص ۲۳ الحديث المذكور عن النبى صلى الله عليه و آله ضمن شرحه لبعض الاحاديث.

[۷۱۵] (۲) سورة البقرة/ ۳۰.

[۷۱۶] (۱)« المأدبة» بضم الدال وفتحها ما يصنع من الطعام للمدعوين فى عرس ونحوه، والمراد هنا نعيم الجنّة، منمادة أدب التى تعنى فى الأصل الدعوة.

[۷۱۷] (۲)« جيفه» بمعنى الميتة، وأصلها من مادة« جَيَفَ» و« الأجيف» بمعنى الأنتن، ولذلك فان كل شيء فاسد ونتنيُشَبَهُ ب« الجيفة»، ومن هنا فقد شَبهت الخطبة أعلاه الدنيا المادية بانها« جيفة».

[۷۱۸] (۱)« عَشَقَ» من مادة« عشق» على وزن فكر بمعنى العلاقة الشديدة بالشيء.

و« عشقه» على وزن ثمرة بمعنى الشجرة الخضراء اليانعة، والتى لا يمر عليها الا وقت قصير فتصبح صفراء وذابلة.

وبعضهم قال: ان العشق أشتق فى الأصل من هذه المادة، وذلك لان العاشق يصبح نحيفاً ذابلًا.

[۷۱۹] (۲)« أعشى من مادة« عشو» على وزن« خشم» بمعنى ضعف النظر و عدم قدرة العين على الابصار بصورةجيدة، و تأتى أحيانا بمعنى العمى الليلى أو العشو ليلًا.

[۷۲۰] (۳) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ۳/ ۶۳.

[۷۲۱] (۱)« غرة» بمعنى الغفلة من مادة« غرور» بمعنى الخداع، حيث يستغفل هذا الخداع الإنسان ويأخذه بغتة.

[۷۲۲] (۲)« إقالـة» من مادة« قيل» على وزن سـيل بمعنى فسـخ المعاملـة، وقيل معناها الأصـلى انقاذ الإنسان من السـقوط، ووردت فى الخطبة بمعنى العفوعن الذنوب.

[۷۲۳] (۱) بحار الانوار ۷۰/ ۱۵۸.

[۷۲۴] (۲) غرر الحكم، ۶۳۱۴.

[۷۲۵] (۳) كنز العمال، ۶۹۹۹.

[۷۲۶] (۴) كنز العمال، ۷۰۰۲.

[۷۲۷] (۵) كنز العمال ۱/ ۴۳۳، ح ۱۷۷۲.

[۷۲۸] (۱) الكافى ۲/ ۸۳، ح ۳، باب العبادة.

[۷۲۹] (۲) بحار الانوار ۲۲/ ۳۴۱.

[۷۳۰] (۱)« أغمض» من مادة« غمض» على وزن نبض اطباق الجفن على العين، ثم اطلق على كل تساهل وغفلة.

[۷۳۱] (۲)« العب» بمعنى الحمل والثقل.

[۷۳۲] (۳)« رهون» جمع« رهن» حبس الشـىء وهو عـادة سـند يسـلم مقابـل قرض لايعـاد مـالم يسـدد« والمرء قـد غلقت رهونه بهـا» استحقها مرتهنها وأعوزته القدرة على تخليصها، كناية عن تعذر الخلاص.

[۷۳۳] (۱)« أصحر» برز فى الصحراء، أى على ما ظهر له وانكشف من أمره.

[۷۳۴] (۲)« التياط» من مادة« ليط» على وزن ليل الالتصاق.

[۷۳۵] (۳)« مخط» الحفرة وتطلق على القبر، لأنّهم بحظون ثم يحفرون.

[۷۳۶] (۴)« زوره» من مادة« الزيارة» وجاءت بهذا المعنى

[۷۳۷] (۱)« أماد» من مادة« ميد» الحركة والاضطراب.

[۷۳۸] (۲)« أرج» من مادة« رجّ» على وزن« حجّ» ومعناها التحريك الشديد.

[۷۳۹] (۳)« أرجف» من مـادة« رجف» على وزن« كشف» بمعنى الاضـطراب والاـهتزاز الشديـد، ومن هنا يطلق على الأخبار التى تثير الفتنة ب« الأراجيف» والتى تسبب الاضطرابات فى المجتمع.

[۷۴۰] (۴)« نسف» من مادة« نسف» على وزن« حـذف» بمعنى وضع الحبوب التى يسـتفاد منها كمادة غذائية فى الغربال، وتحريكه أو يُذرى فى الهواء من أجل فصل الحبوب عن القشور.

وهنا تأتى بمعنى تحطيم وتلاشى الجبال و بشكل شديد.

[۷۴۱] (۱)« دك» فى الاصل بمعنى تسويـة الأرض، ومن هنا فان عمليـة تسويـة وتعديل الارض الغير المسـتوية يحتاج الى ان ندكها، ويستعمل هذا الاصطلاح فى موارد عديدة بمعنى التحطيم الشديد.

[۷۴۲] (۲) سورة ابراهيم/ ۴۸.

[۷۴۳] (۳) سورة الانفطار/ ۱- ۲.

[۷۴۴] (۴) سورة الواقعة/ ۴- ۶.

[۷۴۵] (۵) سورة النازعات/ ۶- ۷.

[۷۴۶] (۶)« إخلاق» من مادة« خلق» على وزن شفق البلى.

[۷۴۷] (۱)« انتقم» من مـادة« نقمـة» على وزن نعمـة تعنى فى الأصـل الجزاء والعقـاب، كما تأتى بمعنى الثأر المقرون بالعـداء، الا انها وردت بالمعنى الأول فى الخطبة والاستعمالات القرآنية.

[۷۴۸] (۱)« يظعن» من مادة« ظعن» السفر.

[۷۴۹] (۲)« أفزاع» جمع« فزع» الخوف.

[۷۵۰] (۳)« تشخص» من مادة« إشخاص» الاخراج من منزل إلى آخر.

[۷۵۱] (۱) سورة فاطر/ ۳۴- ۳۵.

[۷۵۲] (۲) سورة غافر/ ۷۱- ۷۲.

[۷۵۳] (۳)« كلب» من مادة« كَلْب» على وزن« جلب» وفى الاصل بمعنى الضغط على الحصان بواسطة المهماز و ذلكلكى يُسرع فى عدوه، وهذا الاصطلاح يستعمل لأىنوع من أنواع الشدة.

[۷۵۴] (۴)« لجب» له معنى المصدر واسم المصدر الصوت المرتفع.

[۷۵۵] (۵)« قصيف» أشد الصوت.

[۷۵۶] (۶)« تفصم» من مادة« فصم» على وزن نظم كسر الشىء دون فصله، وتعنى القطع.

[۷۵۷] (۷)« كبول» جمع« كبل» القيد.

[۷۵۸] (۱)« زوى» من مادة« زى» على وزن طى الجمع والفيض والابعاد.

[۷۵۹] (۲)« اختيار» بمعنى الانتخاب والاصطفاء والاعتزاز ضد« الاحتقار».

[۷۶۰] (۱) سورة الزخرف/ ۳۳- ۳۵.

[۷۶۱] (۲) الكافى ۲/ ۳۱۷ ح ۹.

[۷۶۲] (۱) بحار الانوار ۱۶/ ۲۸۳.

[۷۶۳] (۱)« مختلف» من مادة« اختلاف» وتأتى هنا بمعنى الذهاب والإياب، ومن هنا فان كلمة« مُختَلَف» تعنى هنا محل الذهاب والإياب.

[۷۶۴] (۱) سورة الحاقة/ ۱۲.

[۷۶۵] (۲) راجع نفحات القرآن ۹/ ۳۵۹؛ بحار الانوار ۳۵/ ۳۲۶- ۳۳۱.

[۷۶۶] (۳) الغدير ۳/ ۱۷۸ و ۱۸۰.

[۷۶۷] (۴) الغدير ۶/ ۶۱- ۸۰.

[۷۶۸] (۵)« سطوة» الوثوب على الشخص وقهره، ولما كان من لوازم ذلك العقاب، فقد وردت بهذا المعنى فى العبارة.

[۷۶۹] (۱) سند الخطبة: قال صاحب مصادر نهج البلاغة بداية الخطبة« الحمد للَّهفاطر الخلق وخالق الأشباح» وهى خطبة معروفة مشهورة تعرف بخطبة الديباج. رواها قبل السيد الرضى(ره) المرحوم الصدوق فى كتاب من لايحضره الفقيه(۱/ ۱۳۱) بتفاوت وفى علل الشرايع، كما وردت فى تحف العقول وفى كتاب المحاسن(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۲۳۸) إلّاأنّ الخطبة فى تحف العقول بدأت« الحمد للَّهفاطر الخلق، وخالق الاصباح» ثم اورد الخطبة وذكرانها تعرف بخطبة الديباج.(تحف العقول،/ ۱۰۴- ۱۰۷).

[۷۷۰] (۱)« متوسلون» من مادة« وسيلة» بلوغ الشىء مع الميل والرغبة.

[۷۷۱] (۲) سورة المائدة/ ۳۵.

[۷۷۲] (۱)« ذروة» على وزن قبلة أعلى الشىء.

[۷۷۳] (۲) نهج البلاغة، الحكمة ۲۵۲.

[۷۷۴] (۱) وسائل الشيعة ۱/ ۹.

[۷۷۵] (۲) بحار الانوار ۸/ ۳۵۹.

[۷۷۶] (۳) جامع الأخبار(طبق نقل بحار الانوار ۷۹/ ۲۰۲).

[۷۷۷] (۴) منهاج البراعة ۷/ ۳۹۸ وبحار الانوار ۷۹/ ۲۱۸.

[۷۷۸] (۱) سورة النساء/ ۷.

[۷۷۹] (۲) شرح نهج البلاغة للمرحوم الشوشترى ۱۳/ ۱۰۲.

[۷۸۰] (۳) الكافى ۴/ ۶۲ ح ۱.

[۷۸۱] (۴)« يرحضان» من مادة« رحض» على وزن محض الغسل، إشارة إلى أنّ الحج والعمرة يغسلان الذنوب.

[۷۸۲] (۵) بحار الانوار ۶۹/ ۲۶.

[۷۸۳] (۱) بحار الانوار ۶۶/ ۴۰۶.

[۷۸۴] (۲)« مثراة» من مادة« ثرى و« ثروة» وتعنى الزيادة، وعلى هذا الاساس، يقال للمال الكثير« الثروة» و« مثراة» مصدر ميمى بمعنى اسم فاعل و يعنى سبب الزيادة.

[۷۸۵] (۳)« منسأة» من مادة« نسأ» على وزن نسخ بمعنى التأخير، ومنسأة: مصدر ميمى بمعنى اسم فاعل يعنى سبب التأخير.

ويقال للعصا« المنسأة» لانها تستعمل لازالة الاشياء الضارة التى تعترضنا أثناء السير.

[۷۸۶] (۴) الكافى ۲/ ۱۵۰.

[۷۸۷] (۵) سورة البقرة/ ۲۷۴.

[۷۸۸] (۱) احقاق الحق ۳/ ۲۴۶- ۲۵۱.

[۷۸۹] (۲) تحف العقول، الكلمات القصار للإمام الكاظم عليه السلام.

[۷۹۰] (۳) الخصال ۱/ ۱۳۴.

[۷۹۱] (۴) بحار الانوار ۸۰/ ۳۶۹.

[۷۹۲] (۵) بحار الانوار ۷۱/ ۳۸۸.

[۷۹۳] (۶) بحار الانوار ۷۲/ ۵۰ ح ۴.

[۷۹۴] (۷)« صنائع» من مادة« صنع» على وزن« قفل» بمعنى صناعة الشىء وابداعه.

وفى لغة العرب يقال للاعمال الجيدة والحسنة« الصنائع» وهو جمع« صنيعة».« نقل من المعجم الوسيط».

[۷۹۵] (۸)« مصارع» جمع« مصرع» بمعنى السقوط على الارض، ويطلق لمحل القتل بالمصرع، ويقال للصراع بين طرفين« المصارعة» لان كل طرف من هذين الطرفين يحاول أن يطرح الآخر أرضاً.

[۷۹۶] (۱) ميزان الحكمة ۲/ ۱۹۳۱ ح ۱۲۶۱۱.

[۷۹۷] (۲) غرر الحكم، ۶۱۶۶.

[۷۹۸] (۳) الكافى ۲/ ۱۹۵ ح ۱۰.

[۷۹۹] (۴) خطبة الزهراء عليها السلام، احتجاج الطبرسى ۱/ ۲۵۸، طبع اسوة، وورد مثل هذا المعنى فى الكلمات القصار، ۲۵۲.

[۸۰۰] (۱) سورة الحجرات/ ۱۷.

[۸۰۱] (۲) سورة الكهف/ ۱۰۳- ۱۰۴.

[۸۰۲] (۱) كنز العمال، ۳۹۳۱.

[۸۰۳] (۱) سورة الزمر/ ۱۷.

[۸۰۴] (۲)« يستفيق» من مادة« استفاقة» بمعنى تحسن الحالة الصحية بعد المرض والوعى بعد السكر واليقظة من‌النوم وجاءت هذه

الكلمة فى هذه الخطبة بالمعنى الثالث أى اليقظة من النوم.

[۸۰۵] (۳)« ألوم» من مادة« لوم» على وزن قوم بمعنى العتب، ومع الأخذ بنظر الاعتبار بان« ألوم» هى صيغه أفعل تفضيل، وهنا تعنى الملامة، وهو الأنسب.

[۸۰۶] (۱) الكافى ۱/ ۴۷ ح ۱.

[۸۰۷] (۲) سورة النساء/ ۱۷.

[۸۰۸] (۱) سورة الأعراف/ ۱۷۶.

[۸۰۹] (۲) ورد ذلك عن عمر بن سعد حين اقترح عليه قتال الحسين عليه السلام فى كربلاء، واعطائه ملك الرى، ففكر فى الأمر ثم انشد شعرا، زعم فيه أن يقتل الحسين عليه السلام ويفوز بملك الرى ثم يتوب اله اللّه سبحانه. ألا لعنة اللّه على الظالمين.

[۸۱۰] (۳) الاثنى عشرية/ ۲۰۶.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج ۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى" القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتـَجات العرضيّة، الخـَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التـّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتـُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنـّها لا تـُوافِى الحجمَ المتزايد و المتـّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثـّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفـّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التـّمكـّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مركز القائمية اصفهان للتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹